جواهر القصص

الجواهر العشر

الزمردة

حجر القمر

جمال شاهين



جواهر القصص

جمال شاهين

الجواهر العشر

الزمردة

حجر القمر

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

جواهر القصص

جمال شاهين

الجواهر العشر

الزمردة

حجر القمر



الجواهر العشر



جمال شاهين



منشورات المكتبة الخاصة

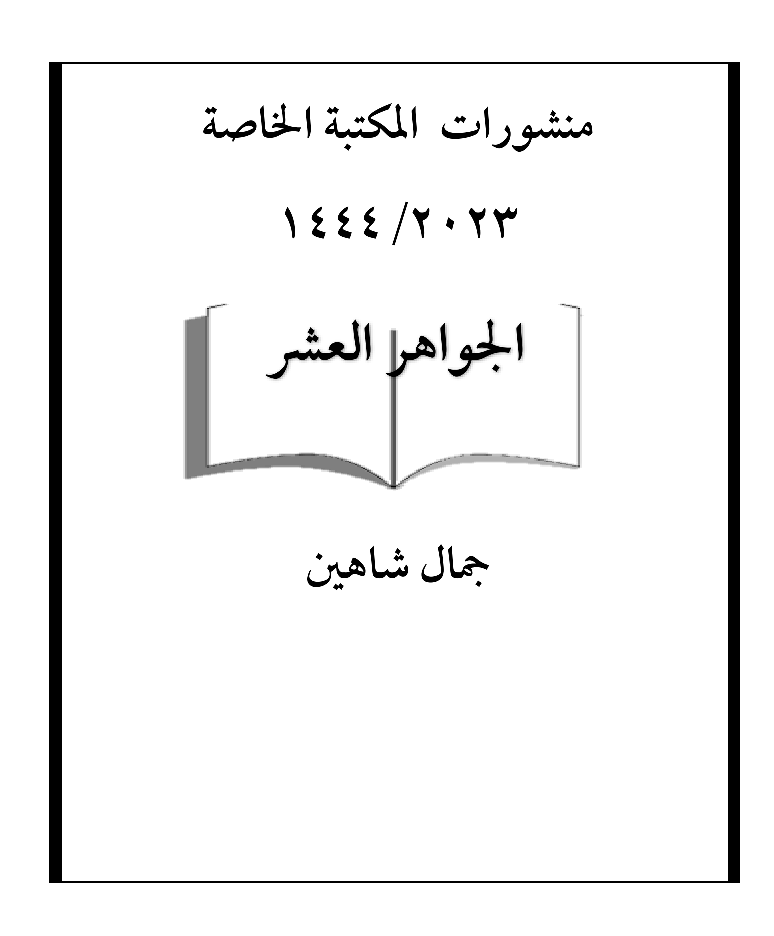
جواهر القصص

جمال شاهين

١٩٩٥

الجواهر العشر

١ – ١٠



منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

الجواهر العشر

جمال شاهين



غسان في المدينة



جمال شاهين



منشورات المكتبة الخاصة

جواهر القصص

الجواهر العشر

جمال شاهين

١٩٩٧

غسان
في
المدينة

قرية غسان

أصابت البأساء والسنة القرية ، ومضى الشتاء بعد الخريف وما أمطرت السماء على القرية قطرة ماء ، فأصاب الناس ضنك شديد ، وقلت ماء البئر التي يستعين بها أهل القرية في قضاء حاجاتهم من الطعام والشراب والغسل والنظافة للثياب والأبدان وغيرها من الأشياء .

وفصل الربيع يدنو من الرحيل فضاق الناس ذرعا بحالهم ، وبدأ الشباب القوي يرحل ويهاجر إلى العاصمة والمدن الكبيرة طمعا في سعة الرزق وتحسين الحال والمآل .

وكان في هذه القرية شاب يدعى "غسان" ، وهو وحيد والدته التي ترملت وتركت الزواج من بعل آخر لتقوم على رعاية وتربية ولدها الوحيد ، وقد ورثت هذه الزوجة عن بعلها غنيمات دون العشر ، فكانت تهتم بهن وترعاهن وتقتات من لبن الشياه وتصنع الجبن منه ، وتخرج الزبده وتصنع السمن منه ، ومضت على هذه الحال حتى كبر الصغير غسان وأصبح شابا يعول نفسه وأمه بضع سنين إلى أن ألمت البأساء والقحط بهذه القرية ، ورأى شباب القرية يرحلون من ضيق العيش نحو المدينة الكبيرة ، فوقع في نفسه هو الآخر الهجرة كأقرانه من الشباب لعله يجد في المدينة سعة من العيش ؛ ولكن كان يؤرقه بقاء أمه وحدها ، بعد أن قدمت له التضحيات الكبيرة ، وصبرت حتى نما واشتد عوده ، فهو بين أمرين صعبين ، البقاء في القرية مع الجوع وقسوة العيش أو الرحيل وترك أمه وحدها .

فهذه مشكلة غسان تلك الأيام ، وكلما مضى ليل وأقبل نهار يزداد قلقا واضطرابا ، فالطعام يقل والماء يقل والأغنام تهزل ويزداد ضعفها ، ولم يعد يرى في القرية إلا الكهول والشيوخ والعجائز والأطفال والمرضى وبعض الشباب ذوي اليسار وهم قلة ، فأمام هذه الظروف والأحوال والضغط النفسي ترجح لديه السفر والرحيل للمدينة الكبيرة ، فحدث أمه بقراره بعد أن عرض عليها همومه وضيقه من حياة القرية الهادئة الجائعة .

ولكن الأم لما سمعت كلامه خافت عليه وبينت له أن القليل من الناس من يغادر القرية ثم يعود إليها ، فأكثرهم يطيب له المقام في المدن ، فما يعود يفكر بالرجوع ، وذكرت له أنه وحيدها

فعندما يجد هناك الرفاهية وكثرة المال والأشياء ،قد ينساها ولا يعود يفكر بأمه ، فقلق غسان لمَ أبدته أمه من خوف وقلق عليه ومن نسيانه إياها

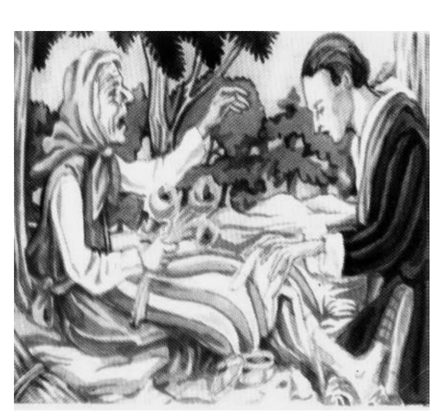


ثم ذكرت له أمه أسماء رجال هجروا القرية إلى المدينة وما عادوا إليها وظلوا فيها ، فأخذ هو الآخر يشتكي ويذكرها بضيق الحياة وقلة الأرزاق من ماء وعشب ، ووعدها بالعودة بعد الفرج ، وأنه لا يمكن أن ينسى أمه في خضم حياة المدينة الصاخبة ، ولقد تكرر الحوار بينهما في هذا الموضوع حتى لان قلبها واستسلمت لرحيله وغيابه عنها ، فأشارت عليه أن يمر على شيخ القرية وقيم مسجدها ، وأن يتزود بنصائحه فهو رجل كبير وخبر الحياة .

فزاره غسان حين صلاة العصر وحدثه بأمره وأمر أمه ، وأنها رخصت له بالسفر للمدينة ، واستنصحه نصحا خالصا لوجه الله العظيم ، فتمنى له الشيخ التوفيق والظفر والعودة ، وتعهد له الشيخ بتفقد أحوال أمه وغنماتها حتى ييسر الله له الرجوع ثم قال بعد ذلك : إني لك ناصح يا بني .. سأنصحك فعليك أولا بتقوى الله في شأنك كله ، وهذه ثلاث نصائح راعها واهتم بها وإذا التزمت بها نفعتك في دنياك .. إياك والكذب وقل الصدق وإن كان في الصدق عذابك هذه الأولى يا ولدي ..وأما الثانية فأحسن اختيار أصدقائك في المدينة ، وأما الثالثة والأخيرة فإياك ثم إياك والمال الخبيث ، فاعلم يقينا أن مصيره الزوال .. اذهب راشدا بعون الرحمن الرحيم

غسان القرية مشيا على الأقدام وعلى ظهره صرة قماش فيها يسير من الطعام ، وعلى عاتقه قربة صغيرة مملوءة بالماء ، ووجهته المدينة الكبيرة ، فكان يمر على قرية ويخرج من قرية حتى دخل غابة في طريقه ، فجلس تحت ظل شجرة فارهة الأغصان والأوراق ، فأكل من الزاد وشرب بعضا من الماء ، ثم غفت عيناه من كثرة المشي وقلة النوم ، ولما صحا من غفوته وفتح عينيه إذ به يرى رجلا جالسا بجواره ، فحياه بتحية الإسلام ، ورحب به وعرفه بنفسه مشجعا الرجل

أن يفصح عن هويته ووجهته ليطمئن قلبه له ، ولم يتكلم الرجل مما دفع غسان أن يقص عليه قصة هجره للقرية في سبيل الرزق وتحسين الحال ، وكان غسان يأمل عندما يصارح الرجل بدوافعه للهجرة والسفر أن يطمئن منه الرجل ويكشف له عن نفسه ، فما خرج منه إلا أن عرف أن اسمه عجيب ، وأنه مهاجر مثله لضيق ذات اليد وختم كلامه قائلا : اجعلني رفيقك يا غسان في هذه الرحلة وثق بي .



سر غسان بذلك ، وتابعا السير إلى العاصمة الكبيرة حتى كلا من المشي وشعرا بالجوع ، فاتخذا مكانا ملائما للقعود فقعدا يستريحان فيه ، فأخرج غسان ما تبقى معه من زاد فأكلاه وشربا ، واضطجع غسان طالبا للنوم ساعة من الزمان ، وما استيقظ إلا على أصوات خيل تصهل بجواره ، فقام فزعا وتطلع حوله فاحصا عن رفيقه عجيب حوله ، فلم يجده فعجب من الأمر في نفسه وقال لنفسه " أين ذهب ؟!" ، ورأى ثلاثة فرسان ينظرون إليه وسمع أحدهم يقول : أيها الشاب من أنت وماذا تفعل هنا ؟!

فاعتدل غسان جالسا ورد بوجل وخوف : أيها السادة بل من أنتم ؟! وماذا تريدون مني ؟

فصاح أحدهم : نحن نسألك .. قل لنا من أنت ؟!

فقال بخوف واضطراب : أنا اسمي غسان من تلك القرية راحل إلى المدينة الكبيرة للحاجة والشدة التي أصابت بلدتنا .

فقال آخر : أكان معك أحد أم كنت وحدك ؟

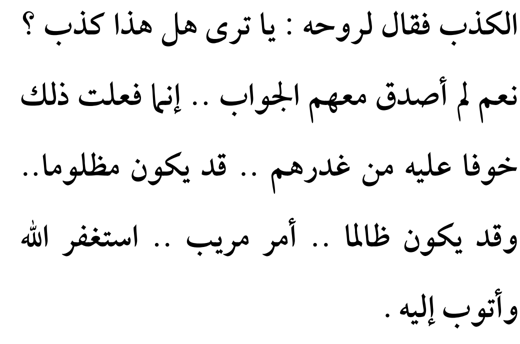
تلفت غسان حوله من جديد ؛ كأنه يبحث عن عجيب ثم قال بعدما نهره أحدهم : لا .. لم أرى أحدا وما زلت سائرا وحدي .

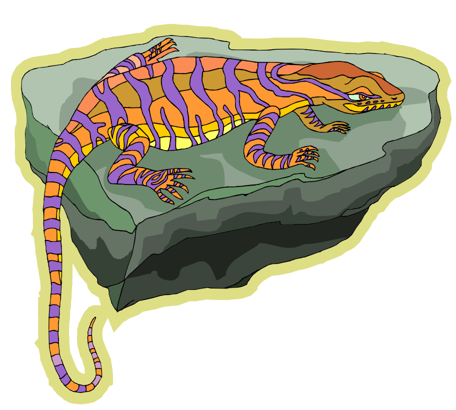
فصاح آخر : دعوه .. أسرعوا في مطاردته قبل أن يبتـعد .

ولووا رؤوس خيلهم وانطلقوا مبتعدين عن غسان الذي نهض مسرعا وتابع السير وهو يخاطب روحه : لماذا هرب عجيب ؟! وهل هو الذي يبحثون عنه ؟ ولماذا يطاردونه ؟! كيف أحس بهم واختفى ؟! .. رفيقه عجيب لم يصارحه بشيء

يذكر .. كان قليل الكلام .. وبدأ عليه القلق منذ التقينا تحت تلك الشجرة .

وفجأة وهو مشغول الذهن في عجيب وهربه السريع ، تذكر نصيحة الشيخ وتحذيره من الكذب فقال لروحه : يا ترى هل هذا كذب ؟





نعم لم أصدق معهم الجواب .. إنما فعلت ذلك خوفا عليه من غدرهم .. قد يكون مظلوما.. وقد يكون ظالما .. أمر مريب .. استغفر الله وأتوب إليه .

وصل غسان المدينة الكبيرة مع اشتداد الظلام ، فوجد أبوابها مغلقة فعليه إذن المبيت في الخلاء حتى يبزغ النهار فيدخلها ، فمشى نحو أشجار رآها يبحث عن موضع يرقد فيه للفجر ، وبينما هو مضجع بين بعض الأشجار القصيرة سمع أصواتا تقترب منه ، فانزعج منهم وخشي على نفسه ، وسمع أحدهم يقول : كيف سنجده في هذه المدينة الكبيرة ؟! .. فيها أجناس شتى من العرب والأعراب والعجم والروم والحبش والهنود والترك وغيرهم .

فسمع الثاني يقول : اللعين زياد .. هل يكون صدقنا الحديث ؟ وهل يعقل أنه أعطى العقد للغريب ؟ كيف اطمئن له ؟ أنا لا أصدق أنه فعل ذلك ؟!

فقال الثالث : ولكن الشاب المهاجر عندما التقيناه أنكر رؤيته لزياد .. فهذا يدل على اتفاقهما .

فعاد الأول يقول : سندخل المدينة ـ إن شاء الله ـ صباحا .. ونبحث عنه في كل الخانات والفنادق ولابد أن نجده ولو أخفى نفسه تحت ماء البحر

فقال الثاني : وزياد سيبقى رهين الحبس ولن يتركه الأمير حتى يعود العقد .

عندما سمع غسان هذا الكلام أدرك أن هؤلاء القوم هم الذين التقاهم في الطريق وسألوه عن عجيب وهؤلاء يسمونه زيادا .. وفهم من كلامهم أن زيادا لص قد سرق عقدا من أميرهم واتهمه به ، فهم يبحثون عنه آملين أن يكون العقد المسروق معه .. يا الله ! .. ارحمني يا مولاي إنها ورطة كبيرة .. هل يوجد معي عقد ؟! .. هل اكشف لهم نفسي وأنكر لهم معرفتي بالعقد المزعوم ؟ .. لا .. لن يصدقوني .. لقد كذبت عليهم ، وأنكرت معرفتي بصاحبهم .. المحتال ورطني في جريمته .. هذا جزاء إحساني إليه واقتسامي طعامي معه ؟! .. يا ليتني لم أكذب القوم ولكني خفت عليه .. آه يا أماه! .. هل أنت راضية عني ؟؟ اللهم قني شر خلقك

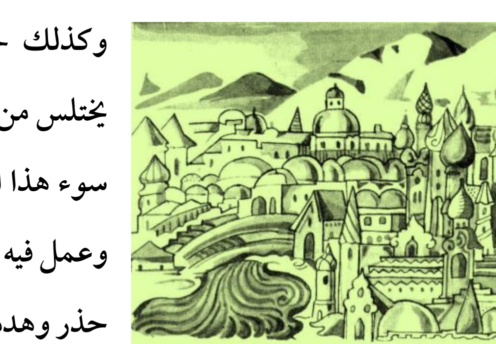
ومضت الليلة وغسان لم تنم عيناه من التفكير بالفرسان الثلاثة والعقد المسروق وزياد .

لما بزغ الفجر هرول الفرسان مسرعين نحو باب المدينة ، وسار غسان لباب آخر ، وصمم أن لا ينام في فندق أو خان حتى لا يقع في قبضة هؤلاء ويسوقوه لأميرهم كما يزعمون دخل المدينة من باب غير الذي دخله الفرسان ، وأسرع إلى مسجد يستريح فيه من وعثاء السفر ثم ليدبر أمره ، فصلى الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء في رحاب بيت من بيوت الله ، وبعد العشاء غادر المسجد حيث أسواق المدينة للفرجة والبحث عن عمل ينطلق منه في حياة المدينة ، فتفرج وتعجب من عظمة المدينة وكثرة ناسها ثم عرض نفسه على التجار والصناع ، وكان يرى أن الليل استر له في البحث وأخفى .

ثم عاد للمبيت في المسجد كما اتفق مع قيم المسجد ، فلما علم قيم المسجد أن غسان غريب لا مأوى له ولا طعام أذن له بالمبيت في جوف المسجد ، بعد أن دله على مسجد الفقراء والغرباء ، فهناك كل يوم يوزعون الطعام والشراب على الضعفاء والفقراء وأبناء السبيل على نفقة أم السلطان .

فلبث غسان يتردد يوميا على مسجد الفقراء ليقتات ثم يأوي في الليل عند قيم المسجد حتى

وجد عملا عند الصناع في سوق الحدادين ، فقبل به المعلم أيوب عاملا جديدا في مصنعه بقوت يومه ومنامه وله درهم واحد كل سبع أيام ، فرضي غسان بذلك حتى يبتعد عن خطر الفرسان الثلاثة الذين يبحثون عليه ، ويتعلم صنعة تساعده على العيش في هذه العاصمة ، واختار أن يسكن مع زميل اسمه نعسان ، وبعد حين أدرك غسان أنه في سوق كبير للحدادين وأنه واحد من ضمن عشرة يعملون عند المعلم أيوب ، وكلهم على شاكلته من الفقراء والأيتام والغرباء ، وظهر له مع الأيام أن الحداد الكبير يستغل غربتهم وحاجتهم وبعدهم عن أهليهم ، وشعر بقسوة العمل وأن النهار كله يمضي بين مطارق الحدادين ونيرانهم من حين شروق الشمس إلى غروبها ، وكان العمل مرهقا وهو لم يعتاد على مثل هذا الارتباط المتواصل في مكان واحد ؛ ولكنه رضي وقنع وصبر فإن لم يكن ذلك طواعية فعلى مضض ووهن حتى يتيسر له عملا آخر وكثيرا ما كان يحزن ويغتم ويشعر بالأسف والحزن لفراق القرية والأم الغالية .



وكذلك لحظ غسان من مجاورته لنعسان أنه يختلس من صندوق مال المعلم أيوب ، فبين له سوء هذا العمل وقبحه ، وأن هذا مال خبيث وعمل فيه إثم كبير ، فما كان من النعسان إلا أن حذر وهدد غسان من فتح فمه بكلمة وإلا اتهمه بأنه شريكه في السرقة والاختلاس من صندوق المعلم ، فتألم غسان من صديقه الجديد وخيبة أمله في هذا الشاب ، فسكت على مضض وخوفا من التهمة ، ولقد تذكر أمام هذا الموقف نصائح الشيخ قبل سفره " إياك والكذب واحذر الصديق السيء واحذر المال الخبيث " ..

فالتزم غسان أمام ضعفه الصمت .

ذات ظهيرة جمع المعلم أيوب جميع أفراد دكانه وقال مخاطبا لهم : يا رجال.. جمعتكم لأطلعكم على أمر مهم .

وحملقت به العيون العشرون المجتمعين أمامه وهم في غاية العجب لهذا الاجتماع ؛ ولكن غسان بحاسته شعر أن الأمر متعلق بسرقة ونقص أموال صندوق المعلم ، فاختلس نظرة نحو النعسان وكأن النعسان كان ينتظر تلك النظرة الخاطفة فهدده وحذره برموش عينيه وبريقهما بأن يتفوه بلفظ واحد ، فأخلد إلى الأرض مطرقا بعينيه، ولما هدأت همهمات ونظرات الدهشة قال المعلم بصوت رنان وبغضب حاد : يا رجال .. يؤسفني أن أقول أن بينكم لص أو لصوص ..لقد اكتشفت أن الصندوق ينـقص كل مرة أحصيه درهما أو درهمين فلم أعر الأمر اهتماما كبيرا وغضضت الطرف .. أما هذه المرة فقد أخذ الخائن عشرة دراهم ..

حصلت بين القوم همهمات ونظرات واستنكارات وتابع المعلم حديثة قائلا : فمن يعلم شيئا فليتكلم ؟ .. وإن اعترف الخائن عفوت عنه وليتب إلى ربه .. تكلموا خيم على القوم الصمت والسكون ، فصرخ المعلم وزعق ولكن لا أحد تفوه بكلمة ، العيون هي التي تتحدث ثم قال : حسنا يا شباب .. سأهتم بالأمر من الآن فصاعدا وليحذرني اللص .. من أمسكت به سأدفعه لشرطة الوالي يقتصون منه .. فالأفضل أن يقر ويعترف ؛ لأنني إذا قبضت عليه بعد انفضاض هذا المجلس فلن ارحمه .

وأصر العمال على التزام السكوت ، وكلهم في استغراب لهذه الحادثة ، فعندئذ صاح معلم الحدادين والشرر يتطاير من عينيه الصغيرتين : انصرفوا إلى أعمالكم .. الأيام بيننا .

عندما اجتمع غسان والنعسان في المسكن عاتب غسان النعسان بشدة وقسوة وصاح فيه : لقد ورطتني معك أيها اللص .. ماذا افعل ؟! .. لقد ألزمتني الكذب والصمت على جرمك .

فأجابه النعسان بالصراخ : أرجوك اصمت .. إنني آخذ بعض حقنا أيها الولد الغرير .. إنه رجل ظالم يأكل حقنا .

فصاح غسان : اتركه .. لا تعمل لديه اشتغل عند غيره .. اعمل عند معلم لا يأكل حقك .. أما السرقة فلا ترفع ظلما .. فقد ترسل بك لمولانا الوالي فتفقد كفك اليمنى .

وأمضيا وقتا في القتال والصراخ وختمه غسان قائلا : سوف أترك أنا الدكان واشتغل في عمل آخر أو عند معلم آخر سوف أتخلص منك ومن جوارك .

فصاح النعسان قائلا : لا تكن غبيا .. ولا تتعجل بالهرب أيها الغرير .. حتى لا يشك فيك ويظن أنك السارق .

فصاح غسان غضبا : لست سارقا .. إنما أنت السارق .

فقال متظاهرا بالشفقة على جاره : يا ولد ! .. إذا تركت العمل الآن لن يصدق أيوب أنك بريء .. وإذا قلت له عني سيقول لك لماذا لم تتكلم لماذا لم تخبره ؟ .. وسأقول أنا إنك شريكي فاصبر بضعة شهور ثم اترك العمل مع المعلم أيوب .

فقال غسان بغضب : نعم .. معك حق في شركتي لك ، أنا شريكك لأنني صمتت ، أنا مثلك مجرم .. آه يا أمي! .. عسى أن تكوني راضية عليّ ، رحم الله الشيخ فلقد نصحني بأن لا أكذب وأن أقل الصدق ولو

كان مرا ، وأن أحسن اختيار الأصدقاء والبعد عن المال الخبيث .

وخرج من الغرفة غاضبا وهبط إلى وسط المدينة ، ولما تعبت قدماه جلس قرب النهر العظيم ، ينظر في أحواله ويتفكر بهذا النهر وعظمة الخالق سبحانه ، ثم يعود للتفكير بما هو فيه من مشاكل وواقع وكيف يتخلص من النعسان والمعلم أيوب بأمان وسلام ؟..وبينما هو غارق بأفكاره وأحلامه إذ سمع صوتا قريبا منه يصيح بفرح : أليس هذا هو الفتى الذي نبحث عنه منذر شهور ؟!

فأجابه الآخر : إي والله إنه هو .. أخيرا وجدناه .

وأحاطوا به وهو ينظر إليهم بذهول واستسلام وقد عرفهم فقال : الفرسان الثلاثة !!! نعم أنا غسان الذي التقى بكم في الغابة منذ شهور مضت .. أنا رفيق زياد الذي تبحثون عنه .

فصاح أحدهم : أين العقد إذن أيها الفتى ؟

وقال آخر : ولماذا أنكرت معرفتك بزياد وتظاهرت بالخوف عندما اجتمعنا بالغابة ؟

وقال الثالث : فالأفضل أن ترافقنا للأمير أسامة أمير مدينة الأمان وبكل هدوء .

فقال غسان مستسلما : افعلوا بي ما شئتم أنا رهن إشارتكم .

فقادوه إلى الخان الذين ينزلون فيه ، وفي الصباح انطلقوا به إلى الأمير أسامة ، ولما مثل بين يدي الأمير وحاشيته ، روى له غسان حكايته كلها منذ خروجه من القرية حتى وقع بين أيدي رجاله

فلما أنهى كلامه قال الأمير : إذن أنت لا تعرف زيادا إنما كان لقاؤكما لقاء عابرا .. هاتوا زيادا الذي أتعبنا كل هذه الأشهر .

وأحضر العسكر زيادا من سجنه مكبلا بالقيود ، ولما شاهد غسان عرفه فورا فأصابته رجفة رآها الجميع وهمس لنفسه : لقد قبضوا عليه سريعا .. انكشف الأمر يا زياد ولا ينجيك الآن إلا الصدق والحق .

ولم يخرج من أفكاره إلا على صوت الأمير يقول له : هذا ـ وأشار لغسان ـ رفيقك يا زياد ؟

فنظر زياد إليه بعمق ورد قائلا : لا أدري .. قد يكون هو .

فصاح غسان : أنا رفيقك في الغابة وأمضينا وقتا طويلا معا وأكلت من زادي وتركتني خفية وتسميت لي بعجيب .

فغمم زياد بكلمات غير مفهومة ، فقال الأمير : أين العقد يا زياد ؟!

فصاح زياد واستغاث والدموع في عينيه : الأمان .. الأمان يا مولاي ! .. سأتكلم

قال الأمير بهدوء : تكلم فكلنا يسمع ما تريد أن تعترف به .

اعترف زياد بسرقته لعقد الأميرة الصغيرة " قوته " ابنة الأمير أسامة ، وأن نفسه سولت له بالسوء ، وهرب به والتقى بغسان في طريقه ، وسمع منه قصته وأظهر له أنه مثله مسافر

للمدينة للبحث عن حياة أفضل ، ولما شعر بفرسان الأمير هرب واختفى ؛ ولكنهم أدركوه بعد حين ، ولما عادوا به لمدينة الأمان ادعى بأنه أعطى العقد لشريكه وصاحبه غسان على أمل أن لا يعثروا عليه في المدينة ويطول بحثهم عنه حتى يتمكن من الهرب من السجن في يوم من الأيام لينعم بالمال واللؤلؤ ، ثم دلهم على مكان إخفاء العقد المسروق ، وأمر الأمير برميه في السجن حتى ينظر في أمره قاضي المدينة ، وأمر خازنه بدفع مائة دينار لغسان ، وأن يرافقه بعض الفرسان إلى المدينة الكبيرة ، وفرح غسان بجائزة الأمير وذهب برفقة الفرسان إلى المعلم أيوب وكشف له أمر النعسان ، فوجده حانقا عليه متهما إياه بالسرقة لهربه واختفائه المفاجئ فبحثوا عن النعسان فوجدوه قد اختفى في زحام المدينة ، فتيقن أيوب من براءة غسان من شهادة الفرسان وهرب النعسان ، ثم قام غسان بدفع المبلغ الذي أخذه النعسان على أن يسامحهم ويصفح عن النعسان إن عاد ثانية ، فسر أيوب بالمال وكذلك الحدادون العاملون ووعده خيرا ومكث غسان في المدينة أياما أخرى اشترى فيها ثيابا وهدايا وحمارا ، وكر عائدا إلى قريته ناشدا الهدوء والسكينة والسلام في قريته وبلدته مع أمه وغنماتها ، ولما دخل القرية وجد أن الأمطار قد عمت وطمت الديار منذ أيام ، والبئر زاد ماؤها ، والحيوانات أخذت نصيبها ، والكل بخير وأمان.





منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

جواهر القصص

جمال شاهين

غسان في المدينة

غسان في المدينة

الجواهر العشر

غسان في المدينة

مكر نديم

نبوءة سيف

المدينة البيضاء

عقيل والصياد

أحلام الأولاد

ربيعة والسلطان

اسعد واسود

ثلاثة أبناء

الصياد البحري هارون



مكر نديم

جمال شاهين



جواهر القصص

الجواهر العشر

مكر نديم

جمال شاهين

١٩٩٧

صاحب الصندوق

أبو سليم تاجر كبير المقام وكبير السن من تجار المدينة ، ومعروف بالأخلاق الحميدة بين الأقران والأصحاب ، فله كلمة مسموعة بينهم بسبب سمعته الطيبة وصدقه ، فلقد كان هذا الرجل يجلس على سريره في غرفة واسعة من قصره الكبير ، والتف حوله عدد كثير من الناس من الأصدقاء والتجار والأقارب ، وبين يديه ابنه سليم البكر ، وكانت الجارية تقدم الشراب لكل هؤلاء الضيوف والزائرين ، ثم ينتقل بعض ضيوفه لغرفة الطعام يأكلون ما قسم الله لهم من الطيبات ، وأما سبب تجمع كل هؤلاء الزوار فهو مرض هذا الشيخ الكبير منذ أيام ، فهؤلاء أتوا لعيادته والاطمئنان على صحته وحاله ، فكان كل من يراه يوقن بأنه مشرف على الهلاك والرحيل ، فالمرض شديد والشيخوخة لم تعد تقاوم السقم ، والسن له دوره ، وهو أيضا أدرك أن النهاية آتية لا مفر منها ، وهذا الأجل لا يهرب الإنسان منه ولا يستطيع دفعه بجاه أو مال أو قوة ، فاستسلم للموت برضا ، فكان يكثر من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وبين الزفرة والأخرى يذكر لولده سليم بعض الوصايا الدينية والمادية ، وفجأة انتفض الشيخ وقال بصوت واه : سليم يا ولدي الكبير .. اقترب مني .

فألصق سليم رأسه برأس أبيه وأخذ في الإصغاء لما يقول فسمعه يقول : اسمع يا بني .. لي صديق اسمه أحمد بن علي عرفته منذ سنوات تزيد على العشر .. رجل دون الأربعين معتدل القامة بين الأحمر والأبيض ، دخل مدينتنا منذ سنوات طويلة .. ومكث هنا بضعة أشهر وهو من مدينة رام .. فقدم إلينا بتجارة .. وأنت في تلك الفترة لم تكن هنا فلقد كنت في قافلة لبلاد الهند فلم يجرِ بينكما تعارف ، فقد غادرنا قبل عودتك ..

كان الشيخ يتكلم هذا الكلام شيئا فشيئا ثم تابع قائلا : وأراد هذا الرجل الاستقرار في بلادنا ؛ ولكنه لم يوفق في البيع والشراء ، فقرر السفر إلى بلاد الشام ومنها إلى مصر وأفريقيا ، وقد ترك زوجة حاملا أمانة في عنـقي ، وأعطاني مالا أنفقه على زوجته والمولود ، ودفع لي صندوقا صغيرا مغلقا لا أدري ما بداخله ، ولي أكثر من عشر سنوات في انتظار عودته ، ويبدو لي أنني لن أراه

يا ولدي .. وخادمنا سعيد يعرف منزل المرأة وابنتها ، ويقوم على تفقدهما والنـفقة عليهما .. فأطلب منك يا ولدي الاستمرار في رعاية هذه الأم وابنتها حتى النهاية أو عودة رجلها ، فالنفقة التي تركها انتهت ، وسعيد يعلم كل التفاصيل ..وعليك أن تحافظ على الصندوق حتى يرجع الرجل فتدفعه إليه .. وسعيد يعرفه ، وقد رآه بصحبتي أكثر من مرة ، وإذا لم يعد الرجل فانتظر حتى تكبر الفتاة وتتزوج وادفع لها ولأمها الصندوق الأمانة ، وهن لا يعلمن بوجوده ، هذا ما طلبه الرجل مني قبل نزوله الشام ومصر ، هذه آخر وصية لي يا سليم .

ولم يطل الانتظار كثيرا فما أتم الشيخ المريض شهرا حتى رحل عن هذه الدنيا من غير أسف عليها ، وانتقل لحياة البرزخ ، فقام سليم بقضاء الحقوق التي على والده للناس ، وتصدق وأنفق عن والده ، وقام بتقسيم ميراثه على مستحقيه بالعدل والإنصاف ، ولما سألوه عن الصندوق ذكر لهم أنه أمانة عند والده وليس من مال أبيهم ولا يعلم ما فيه ، وذكر لهم قصة أحمد بن علي ، وأكد الخادم سعيد أقواله .



بعدما ضعف الحزن عن سليم أثر وفاة والده التحق بقافلة تجارية كبيرة سائرة لبلاد الهنود ، فما رجع منها إلا بعد سنة ، وكان من عادة التجار وأبنائهم عندما يعود أحدهم من رحلة طويلة يجتمعون ويذهبون لتهنئته بالعودة سالما وهكذا قضى سليم أياما يرحب بالمهنئين على جري العادة المتبعة في مدينتهم ، وكان كذلك يقدم لهم من الهدايا والطيب ما يدخل السرور على نفوسهم ، وذات مساء دخل مع المهنئين رجل لم يعرفه سليم ولم يعره أول الأمر اهتماما معتقدا بأنه أتى رفيقا مع أحد التجار ؛ ولكن لما انصرف المهنئون الذين قدم معهم الرجل الغريب لم ينصرف بل ظل قاعدا ، فاحتار سليم في أمره فقال له : آلك حاجة يا أخا الإسلام ؟!

فقال الرجل الكهل وهو يعدل جلسته : نعم يا سيدي! .. لي حاجة .. قدمت المدينة من أيام قليلة .. وقد تركت أمانة عند أبيك الشريف .. فأتيت استرد أمانتي .. مع تعزيتي وحزني الحقيقي في والدكم رحمة الله عليه .

تأمله سليم مليا وأخذ يستذكر وصية والده الأخيرة ثم قال : حدثني عن نفسك أيها الرجل .. حتى يطمئن قلبي .

فتحدث الرجل بأنه أتى هذه البلدة منذ سنوات ، وتعرف على والد سليم ، ولما لم يوفق في التجارة هنا ، صمم على الرحيل إلى مصر وأفريقيا ، وهناك في مجاهيل أفريقيا السوداء وقع في أسر إحدى القبائل ، فظل أكثر من خمس سنوات في الرق حتى تيسر له الهرب والتحرر من الرق والعبودية ، ومن بلد إلى بلد وصل إلى هنا منذ أيام ليجتمع بأبي سليم ويسترد الوديعة التي أودعه إياها ، فوجده قد مات ، وعلم أن الوصي ابنه سليم ، ومن حسن حظه كما قال إنه قد وجده عاد من سفرته بالسلامة .

ولما قص هذه القصة قال : فهذه قصتي أيها السيد .

فقال سليم : مرحبا بك في ديارنا وحياك الله .. الحمد لله على نجاتك من قبائل السودان .. فهل قابلت أسرتك ؟ .. ما اسم حضرتكم ؟

فقال الرجل الكهل : لي عدة أسماء .. ولكن والدك الشيخ يعرفني باسم أحمد بن علي .

ردد سليم الاسم مرارا ثم قال : أعتقد أن هذا هو الاسم الذي ذكره والدي المرحوم .. هل اتصلت وقابلت زوجتك وابنتك ؟

فقال الرجل : لا .. أنا تزوجت ولم يكن لي بنت أو ولد لابد أن زوجتي كانت حاملا عندما غادرت هذه البلدة .. ذهبت أيها السيد للبيت الذي كنت أعيش فيه منذ سنوات فلم أجد فيه من كانت زوجتي لعلها نكحت رجلا غيري .. فلقد أطلت عليها الغيبة .. فأنا أنزل في خان في سوق النحاسين .. فالحمد لله أنك عدت وستدلني بإذن الله

على أسرتي وترد لي صندوقي ، ثم أفكر بما أعمل ، هل أستقر هنا أم أعود لبلدي رام أم أرحل إلى مصر من جديد فهي بلاد جميلة وواسعة ؟

قال سليم : أنت ضيفي أيها الرجل .. أنا للحق لا أعرف سكن زوجتك ؛ ولكن خادمنا سعيد يقوم على رعايتهما .

واستدعى سليم أحد الخدم وطلب منه أن يبحث عن سعيد ، ولما قدم سعيد قص عليه سليم أمر الرجل ، فأمعن سعيد فيه النظر للحظات ثم قال : إنني أذكره .. حسنا اتبعني يا سيدي أحمد .

فقام سليم مع الخادم سعيد فقال الرجل : والأمانة يا سيد سليم ؟

تبسم له سليم وقال : ألا تتفقد الأمانة الكبرى أولا يا رجل ؟! .. زوجتك وابنتك التي ولدت بعد رحيلك للشام .. قم أيها الرجل مع خادمنا الأمين ليذهب بك إلى أسرتك .. وعد إلينا مساء الغد نكون قد أعددنا لك الأمانة .

فخرج الخادم سعيد بأحمد وأرشده الخادم إلى مسكن أهله ، وقفل عائدا لقصر أبي سليم قائلا لسيده : تركته يا سيدي يطرق بابهم . شكر السيد سليم الخادم المطيع ودعا له بالبركة .

وفعلا أتى المدعو أحمد مساء اليوم التالي ، فاستقبله سليم مع زواره الآخرين ، ورحب به كالعادة ، ولما خلت الدار من الزوار ، ولم يبق إلا صاحب الأمانة ، ذهب سليم إلى خزانة الأمانات ليخرج الصندوق الخاص بأحمد ؛ ولكنه فوجئ بعدم وجوده في الخزانة ، فصعق فقلب الخزانة من جديد ، فلم يجده فبعثر الأموال المودعة فلم يجده بينها ، فأصابه انزعاج وقلق فأرسل وراء زوجته وسألها بحدة عن الصندوق فقالت : لا علم لي بها في هذه الخزانة .

تحدث مع الأولاد مع بعض اخوته ثم انتقل إلى غرفة استقبال الضيوف بوجه حزين يحاكي وجوه الموتى ، ثم قال والدموع قد سدت عينيه : لا أدري يا سيد أحمد ما أقول لك .. لقد اختفى الصندوق .. منذ وفاة أبي لم أره .. ولكن قل ما به من أموال وأنا أدفعها لك من حر مالي لا تنقص درهما واحدا ولا دينارا .

أخذت أحمد رجفة وامتقع لونه وبان الألم والضيق على وجهه وقال : كيف اختفى يا سيدي ؟! هل آخذ شيء غيره ؟!

قال سليم : لست أدري أيها السيد .. قلت لك سأدفع لك قدر ما فيه درهما درهما

قال الرجل بغضب : لا .. لا .. لن أقبل إلا بصندوقي .. أنا لا أريد مالا ! .. أنا أريد صندوقي سأشكوك للقاضي أو الوالي .

تأمله سليم لحظات ثم قال : تشكوني للوالي يا هذا .. وأنا ما زلت أقول لك إنني سأدفع لك كل ما فقدته .. إنك تثير غضبي بكلامك هذا .

صاح الرجل بغضب أكثر من ذي قبل : هذه سرقة ! إنك لم تحافظ على الأمانة .. هذه خيانة ! أريد صندوقي .

مسح سليم الدموع التي جمدت في آماق عينيه وقال : معك حق .. لم نحافظ على الأمانة .. ولكن يا هذا .. هذه الوديعة سرقت منا عن غير تقصير ، ومع ذلك أقول لك للمرة الأخيرة أنا ضامن لك ما فقدته .

صرخ الرجل : أريد صندوقي .

وعلى صراخهما دخل حينئذ أحد اخوة سليم ، وسمع الكلام الأخير ، وأن الصندوق قد فقد فقال للرجل : يا أخانا .. نحن لم نأخذ منك شيئا .. فماذا ستقول للوالي ؟! .. هل شاهدك أحد وأنت تدفع بالصندوق لنا ؟! .. أين شهودك ؟

قال المدعو أحمد : أنت ستشهد وكذلك أخوك سليم .. فإذا أقسمتم أمام مولانا القاضي بأنني لم ادع عند والدكم الطيب صندوقا سأرضخ للأمر الواقع وأنسى أمره .

فعندئذ قال سليم : سأعطيك يا أخي ضعف ما يحويه الصندوق ولا داع للذهاب للوالي أو القاضي .

فصاح الرجل : إذن أخرج صندوقي وكفى الله المؤمنين القتال .

فصاح سليم محتدا : قلت لك إن الصندوق قد سرق فأمهلني أياما أتحرى عنه .

رد الرجل غاضبا : لن أمهلك ساعة واحدة سأشكوك للوالي .

فأجابه أخو سليم بغضب شديد : افعل ما شئت .. هذا جزاء معروفنا معك وأهلك يا لئيم .

ولما اختفى جسم الرجل قال سليم : أين ذهب الصندوق ؟!

التم الأولاد حول أبيهم وعمهم فقال : ألم تروا أحدا دخل الغرفة أثناء سفري ؟

فقال أحدهم : لابد أننا دخلنا الغرفة ؛ ولكن لا أذكر أن أحدنا فتح هذه الخزانة .

وأنكر الجميع فتحهم الخزانة إلا فتاة قالت: يا أبي .. منذ أكثر من شهر أثناء غيابك حدث في البيت حادث .



فقال سليم بلهفة : ما هو يا ابنتي الغالية ؟!

قالت وهي تنظر إلى اخوتها : ذات ليلة شعرنا بدخول رجل غريب المنزل عند السحر ، ولما أيقظنا أمنا كان الرجل قد هرب ، ولم ندرك يومها أن البيت أخذ منه شيئا .. فلربما سرق ذلك الصندوق ذاك السحر

وقد نسينا الأمر ، أما الآن فأرى أن لهذا الغريب يدا في اختفاء صندوق هذا الرجل .

وتذكر الأولاد هذه الحادثة فقال أسيد الأخ الأصغر لسليم معلقا : ازداد الأمر تعقيدا !! .

وفي الصباح كان أعوان الوالي يقرعون منزل سليم ويسحبونه إلى مجلس الوالي ، وذهب بمعيته أخوه أسيد ، فرحب بهم الوالي بألطف الألفاظ ، وقد وجدوا غريمهم في ديوان الوالي أيضا ، فلما استقر بهم الجلوس قال الوالي : يا أبا زيد .. هل تعرف هذا الرجل ؟ وأشار للمدعو أحمد .

قال سليم : نعم .. يا سيدي الوالي منذ يومين فقط التقيت به معرفة حديثة .

فقال الرجل : هذا حق يا سيدي الوالي .

فقال الوالي : جيد .. يا أبا زيد هذا الرجل أحمد بن علي يدعي أنه ترك عند والدك منذ سنوات وديعة .. ولما أتاك ليستردها قلت له إنها مفقودة .. أصحيح هذا ؟!

روى سليم القصة كلها للوالي منذ وصية والده إلى هذا الصباح ، ثم ختم قصته قائلا : وأنا يا سيدي لم أقصر في حفظها ؛ ولكن لا نعلم أين ذهبت ؟! وأنا عرضت عليه أن أدفع له ضعفيها ولكنه مصر على أخذ الصندوق ، فطلبت الإمهال حتى نبحث عنه .. واعلم يا سيدنا الوالي لا أنا ولا والدي ندري ما في داخل هذا الصندوق .

فأخذ الرجل بالصياح قائلا : يا سيدي الوالي أنا أريد صندوقي .. لا أريد مالا .

فأمره الوالي بالصمت ثم قال له : يبدو لي أيها الغريب أنك ممن لا يصنع معه معروف ، فوالد هذا الرجل قد قام على رعاية ابنتك وزوجتك ، ثم تابع هو المسيرة ولم تمهله حتى يبحث لك عن الأمانة .. بل عرض عليك ضعفيها كرما منه ، مع أن الأمين إذا لم يقصر في حفظ الوديعة غير ضامن لتلفها أو ضياعها .. ومع هذا فحل قضيتكم عندي وستأخذ وديعتك أيها الرجل .

وطلب الوالي همسا من أحد رجاله أن يذهب للسجن ويحضر سجينا بعينه ، فخرج الشرطي مسرعا ، وهنا قال الوالي : المال الحلال يحفظه الله ، والرجل الصالح المنفق للرحمن يجعل له الرحمن مخرجا ، فيا أبا زيد إنك ابن حلال وابن رجل كريم الأخلاق .. فمنذ شهر قبض العسس على رجل عند الفجر كان قد قفز للخارج عن جدار بيتكم وظنوه لصا ؛ ولكنكم لم تتقدموا بشكوى ، وادعى الرجل أنه كان هاربا من أناس يطاردونه ، فتسور بيتكم واختبأ بين الأشجار

حتى ابتعدوا ، ثم عاود النزول فاصطدم مع حراس الليل ، ولما لم تأتِ منكم شكوى ، علمت أنك غير موجود في البلدة .. فتحفظت عليه حتى نراك وأصارحك بالأمر فلم ارتاح لأقواله وسبحان الله ! فلم جاءني هذا الرجل يشكوك وأنك أخفيت وديعته عجبت لتصاريف الأقدار

فقطع سليم وأخوه كلام الوالي قائلين : ذكرتنا يا سيدنا الوالي بقصة !

ثم قال سليم :. لقد روت لي الأسرة مثل هذه الحادثة ليلة أمس .. فقد شعرت ابنة لي على حركة اللص ، ولما أيقظت أمها كان الرجل قد هرب .. ومن ثم لم يكتشفوا أن شيئا مسروق ليبلغوا عنه .. فلما أتانا هذا الرجل .. اكتشفنا أن الصندوق الأمانة قد اختفى ، فرجح لدينا أن السارق قد سرق الصندوق .. والعجيب يا سيدي أنه لم يأخذ من خزانة الأمانات غيره .

فقال الوالي : الحمد لله .. فالله يريد أن يظهر الأمر الخفي .

فخر سليم ساجدا شاكرا لربه الذي أخرجه من هذه الورطة ، وقال : الشكر لله والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات ، وجزاك الله خيرا أنت ورجالك فيالك من وال ذي همة علية .. بوركت جهودكم الكبيرة !

ولاحظ الوالي الذكي أن المدعو أحمد قد خنس عن الكلام وبدأ قلقا يكثر من الحركة فقال له : ما بك أيها الرجل ؟ أأنت مريض ؟ ستأخذ صندوقك وتنصرف في أمان الله .. عندما يأتي اللص سنعرف أين أخفى الصندوق ؟

ولم يطل الانتظار فقد أحضر الشرطي السجين ، ولما دخلوا به غرفة أو ديوان الوالي ، قفز المدعو أحمد وصاح بدهشة واستغراب : أنت .. أنت .. أنت يا جبير اللص ؟!

وقال الآخر وهو مبحلق العينين في مخاطبه : أنت هنا يا نديم ؟!

فعض نديم على شفته ، فقال الوالي وهو ينظر في كليهما : جبير ونديم .. أنت ـ مخاطبا ومشيرا للص ـ لما قبضنا عليك سميت نفسك بكرا ، وهذا عندما جاء يشتكي سمى نفسه أحمد .. ما القصة أيها الغريبان ؟!

فصاح أحمد (نديم) : أنا أريد صندوقي .. وأنا لي أسماء كثيرة .

ضحك الوالي وقال : يبدو أنك محتال فاشل يا كثير الأسماء ، ثم رفع صوته وقال : يا سيد جبير هل تعرفه جيدا ؟

أخذ جبير ينظر في الحاضرين من حوله ثم أطال النظر في عيني نديم وقال : ما القصة يا سيد نديم ؟!

فصرخ نديم : لا قصة ولا رواية جئت آخذ الصندوق الذي أودعته عند والد هذا الرجل . وأشار لسليم .

فقال الوالي بصوت بدأ مرتفعا : اصمت أيها الرجل ..تكلم يا سيد جبير .. هل رأيت هذا الرجل قبل اليوم ؟

فاعترف جبير قائلا : إنه صديقي وصاحبي ، وقد تركنا مصر من قريب ، هو ذهب للحجاز وأنا نزلت الشام ، وها نحن نلتقي عندكم .

قال الوالي : جيد .. أين الصندوق الذي سرقته من منزل هذا الرجل ؟

فقال جبير : سأقول الصدق يا سيدي الوالي .. أنا اختلست الصندوق من بيت هؤلاء القوم ، ولما شعرت باستيقاظ بعضهم عليّ دفنته في البستان وقفزت الجدار هاربا فإذا رجالك يقبضون عليّ فامسكوني وقادوني إليك ، فأمرت أنت بحبسي ريثما تنظر في حالي وكأنك نسيتني في السجن فهذه قصتي .

قال الوالي : جيد مرة أخرى ! .. يا هذا ! أنت أنكرت السرقة ولم يشكو عليك أهل البيت فلذنا بالصمت قليلا ، و ها هو قد لاح لنا جديد ، وعرفنا المسروق ، فالمرة الماضية لم نجد معك شيئا نتهمك بك .. والآن اصدقنا القول مرة أخرى ما علاقتك بهذا المحتال ؟! ..ولكن قبل سماع حديثك فاعلم أن هذا الرجل ادعى أن اسمه أحمد بن علي وأنه ترك أمانة قبل سنوات عند والد هذا الرجل ، ولما رجع أبو زيد من سفره طالبه بالأمانة وهي الصندوق ، فتبين لهم أنها مسروقة فجاء يشتكي عليه

فأخذ جبير يضحك ويضحك ضحكا عاليا ، فتركه الوالي على سجيته حتى كف عن الضحك

وقال : عليّ أن أقول كل شيء يا صاحبي يا أحمد بن علي .. فاعلم سيدي الوالي أن الكذب لا يجدي .

فاعترف الرجل أنه وصاحبه نديم تعرفا على رجل في مصر اسمه أحمد بن علي تاجر يتنقل بين الأقطار ، وقد حدثهم عن حكايته في هذه المدينة ، وأنه أتاها وتزوج فيها امرأة وتركها حاملا ، وجاء لهذه الديار واستقر فيها ، وحدثهم أنه أودع صندوقا فيه بعض الجواهر النادرة التي تصلح أن توضع في تيجان الملوك ، واستدرجاه في الحديث عن اسم المودع عنده وأنه رجل ثقة أمين معروف يتقي ربه ، ومن خلال أحاديثهم معه عرفوا تفاصيل عن حياته ، فطمعوا بالاستيلاء على هذا الصندوق ، فقال جبير : فتظاهرت يا سيدي أمام صاحبي نديم أني راحل للشام .. وأنا كلي شوق للحصول على صندوق الجواهر النادرة .



وتظاهر لي صاحبي هذا بأنه مسافر للديار المقدسة وأنه تاب من اللصوصية والاختلاس.. فحضرت لهذه البلاد طمعا بالصندوق ، وأقر أن طمعي أوردني المهالك ، فأسال الله تعالى أن يقبل توبتي وندمي .. ومما سمعت منكم فصاحبي نديم حركه الطمع هو الآخر للحصول على صندوق الجواهر ، فجاءكم مستغلا شخصية صاحب الصندوق وطول المدة وأنكم لا تعرفون أحمد الحقيقي وخصوصا سليم .

فقال سليم : أجل أيها القوم .. أنا لم أكن أعلم بموضوع الأمانة إلا عند احتضار والدي ، ولما جاء هذا المحتال .. جاء بالمعلومات التي دعتني لتصديقه فلا أحد يعلم بموضوع الأمانة إلا أنا والخادم سعيد ، وأفراد العائلة علموا فقط عند تقسم الميراث .. وسعيد الخادم لما رأى هذا الرجل لم يشك فيه ، فهو الوحيد الذي رآه بضع مرات مع أبي .. بل ذهب به حيث تسكن

عائلته وتركه يطرق الباب ورجع .. فلم يخطر على بالنا أنه محتال ..فيبدو أن العتمة لم تساعد سعيد على معرفته والتحقق من شخصه .. والرجل له أكثر من عشر سنوات لم يره سعيد.. فأرسلوا وراء سعيد الخادم .. وزوجة الرجل وابنته .

وبين لهم سعيد لما قدم أنه أوصله للبيت وعندما سمعه يطرق الباب عاد مخبرا سيده بتنفيذ أمره وقال : وطول الطريق كنا ملازمين الصمت .. أنا لما سمعت قصته من سيدي تذكرت هذا الأمر ولم يخطر ببالي أنه دجال ، ولا يختلف في الصورة عنه كثيرا.

صرف الوالي الخادم وأذن للزوجة وابنتها بالدخول ، ولما سألها عن هذا الرجل هل رأته في يوم من الأيام ؟ فقالت بعد نظر في وجه : لقد جاءنا من قريب ليلا وبين لنا أنه بحاجة لشربة ماء ولقمة عيش فأعطيناه ذلك وانصرف .

فقال نديم معترفا للوالي والبكاء قد غلبه : الطمع يا سيدي الطمع ، طمعت بالجواهر كما طمع صاحبي جبير ، فلما سافر جبير وبعده بأيام خرج أحمد بن علي إلى طرابلس الغرب ، تحدثت مع جوهري عن جواهر أحمد فرسم لي هذه الخطة والحيلة .. وهي التنكر بشخصية أحمد والمجيء إلى هنا ، فجئت فوجدت أن سليما موضع سر أبيه كان غائبا ، فانتظرته حتى عاد وذهبت مع مهنئيه مساء ، ثم كشفت له شأن الأمانة فصدق أني صاحبها لطيبة نفسه ، وأرسلني مع الخادم سعيد لبيت أسرتي ، عندما علم أنني آت حديثا ، ولما تركني الخادم عند باب البيت قرعت الباب بصوت مسموع ليقع في نفس الخادم أنني مشتاق لهم ، فلما فتحوا لي طلبت ماء وخبزا ، وأطلت الكلام معهم عن فقري وضعفي حتى أطمئنَ أن الخادم سعيد قد ابتعد ، ثم شكرتهم وانصرفت وعدت إلى الفندق الذي أنزل فيه .. وعدت في المساء التالي لاستلام الصندوق والهرب به إلى ذاك الجوهري ؛ ولكن الله كان لي بالمرصاد .. فهذه قصتي أيها القوم الكرام !

فقال الوالي : صدقتنا الحديث يا هذا .. فاذهبوا بها للسجن حتى ينظر القاضي في أمرهم .. هيا نذهب للبستان ونبحث عن صندوق الجواهر النادرة .. " فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين "

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

جواهر القصص

جمال شاهين

مكر نديم

مكر نديم


الجواهر العشر
غسان في المدينة
مكر نديم
نبوءة سيف
المدينة البيضاء
عقيل والصياد
أحلام الأولاد
ربيعة والسلطان
اسعد واسود
ثلاثة أبناء
الصياد البحري هارون





نبوءة سيف



جمال شاهين



جواهر القصص

الجواهر العشر

نبوءة سيف

جمال شاهين

١٩٩٧

كوخ الصيادين

أصبح الأمير محمود الدين ملكا على البلاد والعباد بعد وفاة والده القائد ذي الشهرة الواسعة بين الملوك والناس ، والملك الجديد شاب لم يبلغ العشرين من العمر ؛ ولكنه فارس قوي ، وقد حاز حظا نافعا من العلم ، وكان يحب العدل والإحسان والحق ، وكان يحب أن يسمع أخبار الملوك والسلاطين الذين حكموا شعوبهم بالعدل والإنصاف ، وأعجب أيما إعجاب بالقائد العظيم " عمر بن الخطاب " رضي الله عنه ، ولقد جعل الملك محمود الدين يوما من فجره إلى ليله للجلوس مع العلماء والحكماء من جميع مدن السلطنة ليستفيد مما بين أفئدتهم من العلم والحكمة ، ولقد كان يكرمهم إكراما طيبا ويجزل لهم العطاء والنفقة .

وذات نهار بينما هو جالس بين وزرائه ومستشاريه وأمراء الأجناد ، دخل عليه رسول من قبل الحاكم الجبار " طافور " يطلب منه الجزية والهدايا ، فأكرم الملك الرسول وقد صرفه حيث ينزل الضيوف ، واجتمع الملك الشاب بخاصته من الوزراء والأمراء لأطلاعهم على رسالة الملك الجبار طافور ، وطلب منهم المشورة ، فمنهم من أشار عليه بالمسالمة ودفع الأموال خوفا من بطش الجبار طافور ، ومنهم من أشار بالدفاع عن البلد والكرامة حتى آخر فارس ، فالموت في ساحة الوغى أشرف موت ، ومن مات دون ماله ودينه وأهله فهو عند الله شهيد .

صرف الملك الأمراء والوزراء ، وطلب الحكماء والعلماء وسمع منهم أقوالا تماثل أقوال السابقين ، وكان الملك الشاب يرى أن دفع الجزية لملك جبار ضعف وهوان ، وهو يدرك في نفس الوقت أنه لا قدرة لجيشه على قتال جيش طافور ، فجيش طافور تزيد قواته عن جيشه عشرات المرات ، ولما أنهى الملك مجالسه الاستشارية ، دخل إلى غرفة منامه ، فصلى لله ركعتين ثم قرر التنكر والنزول للمدينة ليلا ؛ لعله يجد حلا لمشكلة بلده وأهله وقومه من العامة .

لقد تخفى الملك الشاب ولف رأسه بكوفية ، وسار يتنقل في أحياء المدينة الساكنة ، واستمر يسير ويسير حتى اقترب من نهر صغير في أسفل المدينة حوله أكواخ الصيادين ، وبينما هو يصغي ويتسمع سمع صوتا عاليا صادرا من أحد الأكواخ ، فاقترب من ذلك الكوخ فوضح

الصوت أكثر ، سمع امرأة تقول : يا ولدي دع أخاك فهو مريض ، وعندما يشفى خذه إلى قصر الملك وتشاكيا عنده ، فأمير البلاد شاب يحب العدل وينشره بين العباد يا ولدي .

فتسمر الملك المتنكر بثياب الرعية مكانه ليسمع بقية الحديث ، فصاح المخاطب : يا أماه الأمير مشغول بالحرب والعلماء والحكماء وقد ترك حاجات الناس للقضاة .



فعادت المرأة تقول وتلح : يا ولدي حاول أن تصل للملك فسينصفك ويرد لك حقك ويرفع الظلم عنك .

فسمعه الملك يرد هو الآخر على أمه وفي يأس : أمي ! كيف سينصفني الملك وخصمي ابن عمه وأخي .. ابنك .. القاضي طردني من ديوانه يا أماه ولم يسمع شكواي .. تكلم يا سديد .. أين وضعت السيف ؟! أين دفنته ؟ قل قبل أن تموت إني أراك تكاد أن تهلك .. سأدفع لك مالا .. أعطني سيفي أرجوك كان يطلب بصوت حاد وتوسل في آن واحد .

فسمع الملك شابا آخر يتكلم بصوت واهن وبغضب : ألم تأخذ ثمنه يا أخي ؟! ألم تقبض مائة دينار من الذهب الخالص .. يا جبران ؟!

فصاح الرجل الأول جبران : لا ..لا .. لم آخذ ثمنه .. أنا أخذت المال على سبيل القرض .. إنما أنت الذي اعتبرت أن المال ثمن للسيف .. أنا لم أوافق على البيع يا أخي ، وقلبك يعرف ذلك لا تطمع بالثراء العاجل ، فمهما أعطاك الأمير علاء الدين فالسيف سيفي وأنت تأكل مالي بالباطل .

ثم سمع وأدرك الملك أن الشاب جبران رمى بصرة فيها دنانير وهو يقول : هذه مائة دينار .. هذا مالك أعد إليّ السيف ، وأنت تعلم نيتي بأنني أرغب بإهداء هذا السيف للملك محمود الدين بدون ثمن ، وأنت تعلم حبي للملك حبا لوجه الله ، فقد سمعت مني مثل هذا الكلام .. وقلت لك لا مطمع لي في مال أو جاه أو منصب .

دهش الملك الشاب لسماعه هذا الحوار والصراخ والشجار فقال : من هؤلاء القوم ؟ ! ..هذا

الرجل الغاضب يريد أن يهديني سيفا ثمنه أكثر من مائة دينار ، والأخ المريض قد باعه لابن عمي علاء الدين .. لابد أن اجتمع بهذه الأسرة .. فهم قد شغلوني عن قضية اللعين طافور .

وكر عائدا إلى قصره وهو مشغول الذهن والبال في هؤلاء الناس ، ونسي رسول الملك طافور الجبار ، ولما أشرف على القصر ارتفع صوت المؤذن مناديا لصلاة الفجر ، فتسلل لغرفته ، وما لبث الإ قليلا حتى طرق الخادم عليه الباب .

فقال : إنني مستيقظ أيها الخادم هيئ لي الوضوء .

وبدأ يستعد للصلاة في مسجد القصر .

اجتمع الملك صباحا مع رسول طافور ، وأخبره أنه خلال أيام سيرسل له رسولا بما اتفق عليه أهل المدينة ، ولما دخل الليل وخفت حركة المارة والناس في الشوارع ، لبس الملك لباس عامة الناس ، وتحرك نحو أكواخ الصيادين حتى وصل للكوخ الذي سمع منه الحديث ليلة أمس وطرق الباب ، ففتحت له الباب امرأة مسنة ، فحياها فردت التحية وهي مستغربة من زيارة هذا الزائر في مثل هذا الوقت من الليل .

فقالت : ماذا تريد ؟! ومن أنت ؟!

ابتسم الملك في وجهها وقال : ضيف يا خالة .. علمت أن ابنك مريض فأحببت أن أعوده وأطمئن عليه .. هل تسمعين يا أمي ؟

فرحبت به وشكرت مسعاه وأذنت له بالدخول : ادخل يا بني .. مع أنني لا أعرفك ، ولم تزرنا من قبل .. بل لا أظن أنني سمعت صوتك قبل هذه الليلة .

عجب الملك من فطنتها وذكائها ، فقال الملك وما زالت الابتسامة على وجهه : صدقت أيتها الأم الطيبة !

ومشت أمامه حيث يرقد ولدها المريض وقالت : رجل يريد عيادتك .

وأخذت تصلح السراج ، وأثناء ذلك رفع المريض رأسه عن الفراش ونظر جهة القادم وقال :

أهلا وسهلا يا أخي .. لعلك قادم من طرف الأمير علاء الدين .

قال الملك للمريض : لا .. عافاك الله وزال سقمك بإذن الله .. أنا قادم لمقابلتك أنت وأخيك الآخر ، وإنني أتمنى لك الشفاء والعافية وأدعو الله أن يذهب عنك البأس والشدة .

فقال المريض : بارك الله فيك ! لقد ظننتك من رجال الأمير ، فأنا بانتظار رجل من قبله .. أهلا بك ومرحبا .

فقال الملك : أنا مستعد لخدمتك يا أخي وأذهب إليه بنفسي إذا أردت رسولا إليه .

فقالت الأم التي جلست بالقرب منهم بعد أن أصلحت أمر السراج فبدد بعضا من ظلام الحجرة : لا عليك أيها الشهم .. وماذا تريد منا وأنت لا معرفة لك بنا ؟

فقال الملك بصراحة : جئت أسمع منكم قصة السيف .

أصابت الأم الدهشة والاستغراب ، وحدق المريض بالرجل ولما زالت عنهما آثار الدهشة قال الرجل المريض بصوت ضعيف : عجيب أمرك أيها الزائر ! أنت قلت إنك لم تأت من قبل الأمير .. لقد ذكرت أنك قادم من قبل نفسك ولم تر الأمير علاء الدين ؟!

فأجاب الملك وما زال يرسم على وجهه ابتسامات بيضاء بريئة : هذا حق أنا لم أر علاء الدين وأحب أن أعرف قصة السيف يا أخي الكبير وأعرف سبب غلاء ثمنه ؟؟

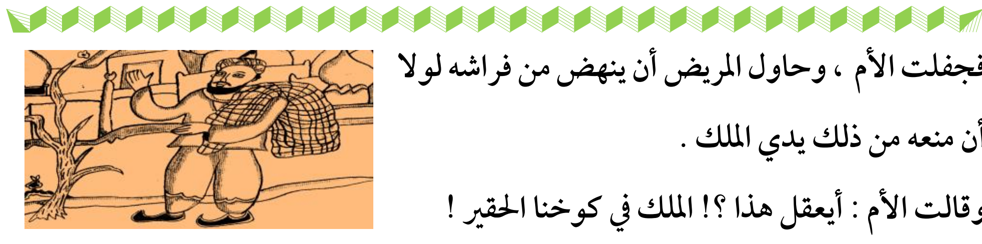
فقال سديد : وما يهمك من الأمر أيها الزائر الغريب ؟!

قال الملك : الأمر يهمني وقد يبدو لكم الآن أن الأمر غريب .. ولكن أين أخوك ؟

فقال سديد : كيف يهمك الأمر ؟! ونحن لم نعرفك بعد ، ولم نعرف علاقتك بهذه السيف .. فمن أنت ؟!

فضحك الملك وقال : أمصممون على معرفة شخص محدثكم ؟ .. قبل أن يسمع منكم قصة السيف ويرى أخاك جبران ..

فهزوا رؤوسهم مبدين رغبتهم في التعرف على شخصه فقال بكل تواضع وأدب وحياء : أنا محمود الدين ملك هذه البلاد !



فجفلت الأم ، وحاول المريض أن ينهض من فراشه لولا أن منعه من ذلك يدي الملك .

وقالت الأم : أيعقل هذا ؟! الملك في كوخنا الحقير !

فرد الملك مشجعا : وما المانع يا أماه! .. وهذا خاتم الملك وخلعه من إصبعه وقدمه لسديد وهو يقول " خاتم الملك "

فتأمله سديد ثم اعتدل في جلسته وقال : إي والله إنه الملك يا أماه! .. أهلا وسهلا يا مولاي الملك ..نحن لم نشك بصدقك لكن ذهلنا !

وأخذت الأم ترحب بالملك صاحب السلطان ، وأرجع سديد للملك خاتمه وهو يتعذر له أشد الاعتذار ثم قال : معذرة يا مولاي فأنا تحت أمرك .

فقال الملك : بوركتم أنا هنا ضيف وعائد وسائل عن قصة السيف الذي سيهدى لي .. لم تخبروني بعد عن جبران .. أين هو ؟

فقالت الأم : سوف يأتي يا ولدي .. أأنت ملك ؟! أين الحرس والجند والجواد ؟

فرد الملك باسما : نعم يا أمي أنا ملك وإن بدوت صغيرا فالحكم ليس بالسنين ولا بالطول والقصر .. الحكم بالعدل والقوة والأمانة .. وجئتكم متخفيا لحاجة في نفسي ..هات ما عندك بشأن السيف ؟

فقال المريض : العلم كله عند أخي .. وأقول لك ما عندي بشأن هذا السيف .. فاعلم يا مولاي الملك أن أخي جبران مغامر وجوال متنقل بين الأمصار والأقطار فيوم هنا وآخر هناك ، وهذا نعرفه فيه منذ بلغ سن العقل والرشد .. وأما أنا فأسكن هذا الكوخ صياد ابن صياد وبصحبتي أمي ، وبين الفينة والفينة يطل علينا أخي جبران ، وذلك كلما يرجع من رحلة من رحلاته العجيبة والغريبة ، وفي السفرة الأخيرة سافرت معه ورافقته ، وأوصينا الأقارب والإخوان على أمنا العجوز ، وركبنا السفينة وتنقلنا بين عدة بلدان ثم نزلنا ببلاد الملك الجبار طافور .

فهتف الملك مكررا : طافور .. طافور الجبار عدونا ؟؟

فقال الرجل المريض : نعم يا سيدي .. المهم أننا وصلنا لتلك الديار بسلام وأمن ، بعد تجاوزنا الكثير من أخطار الرحلات خلال تنقلنا بين المدن ، وذات ليلة ونحن ننزل في بيت أحد أصدقاء أخي جيران في تلك البلاد ، جاء أخي في آخر الليل ومعه سيف صقيل ، وطلب مني مائة دينار على سبيل القرض الحسن ، فظننت أنه يريدها ثمنا للسيف ، ولما تأملت السيف وجدته مرصعا بالجواهر ، فقلت لأخي " اعتبر المائة ثمنه " فرد عليّ أخي "عندما نصل بلادنا نفكر بالأمر " ثم قال : " يا أخي ستسافر عاجلا إلى بلادنا ، وتأخذ معك هذا السيف ولا تتصرف فيه لبينما نلتقي " ، ورأيته أعطى المائة دينار لرجل كان معه ، وجهزني بعجلة وألحقني بقافلة ، وحذرني من الحديث عن السيف أمام أي شخص مهما كان ، وبين لي أن الأمر خطير .. وقدر الله لي أن أصل بلادنا سالما ، ولقد تأخر أخي واحتجت لمال ..ولي سابق معرفة بالأمير علاء الدين ابن عمك يا مولاي ، وهذا الأمير له علاقة طيبة معنا نحن الصيادين ، وكثيرا ما يأتي أكواخ الصيادين لشراء الأسماك بنفسه ، فعرضت عليه السيف وطلبت فيه مائتي دينار ، فدفع لي مائة وأنظرته بالمائة الأخرى إلى زمن يسير .. الظروف أحوجتني لبيعه قلت استرد مائتي وأعطي أخي مائه ؛ بل ظننت أنه سيفرح إذ بعته بهذا المبلغ .. وعاد أخي من أيام قليلة سالما فرحا ، ولما علم بما فعلت اغتم وغضب واشتد غضبه ، وأمام ذلك الموقف شجر بيننا نزاع ، فأخي يريد السيف وأنا أقول له أنك قبضت ثمنه ، وحاول أن يشكوني لديوان القاضي فطردوه ، وقد أعلمت ابن عمكم يا مولاي بالقصة ، فرفض أن يعيد السيف بل عجل ودفع لي باقي ثمنه ، وأخي لا يصدق ذلك ويصر على عودة السيف زاعما أنه أحضره لكم يا مولاي .. فهذه قصة هذا السيف أيها الملك العادل .

وخيم السكون على المكان بعض الوقت ثم قام الملك وهو يقول : عافاك الله من أوجاعك .. فالسيف إذن هو عند ابن عمي.

فقال سديد : نعم يا مولاي .. ونحن ماذا نفعل بالسيف ؟ ! بل بسيف ثمين كهذا فالمال خير لنا منه !

فقال الملك : ولِمَ هو ثمين هذا السيف ؟!

فأجاب الرجل المريض : لا أعلم أيها الملك ولكن رأيت أخي جبران قد أخذ مني مائة دينار ودفعها ثمنا له للرجل الذي كان معه تلك الليلة .. قد يكون السبب أن مقبضه مرصع ببعض الجواهر الصغيرة .

فقال الملك : إذن القصة الحقيقية للسيف عند أخيك جبران.. وهل يأتي جبران الليلة ؟

فقالت الأم : قد يأتي .. فأحيانا يقضي يومه وليله عند الاخلاء المغامرين

وبعد انتظار يسير للرجل المغامر استأذن الملك بالانصراف وهو يقول بعد أن ترك صرة من المال خفية عن أعينهم : أرجوكم أن تحضروا لقصري أو أرسلوا لي جبران وبما أنك مريض سوف أرسل لك طبيب القصر ليهتم بك والعافية من الله .. ولا تقولوا له أي كلمة عن صفة التقائي بكم .. وعندما يعود جبران اعلموه أني بانتظاره على شغف وشوق ؛ لأسمع منه التفاصيل الأخرى عن هذا السيف وأفصل بينكم في هذه القضية بالعدل والإنصاف والآن السلام عليكم وإلى لقاء .

حكاية جبران

وبعد أيام من لقاء الملك محمود الدين مع سديد وأمه دخل الحاجب عليه ، وهو يجلس على سرير الحكم وبين يديه الأمراء والحكماء والقادة ، وهمس بين يديه باسم جبران فقال بصوت مسموع : خذه إلى قاعة الاستقبال الشرقية فأنا سائر نحوها .

واستأذن الملك من جلسائه وعلموا أنه راغب بلقاء شخص سرا ، ووجموا من هذا التصرف وتسألوا في أنفسهم : من يكون هذا الزائر الذي يريد الملك أن يخلو به ؟

ولما وصل الملك للقاعة المذكورة وجد جبران والحاجب في انتظاره ؛ فإذا هو رجل كهل فصافحه ورحب به وجامله بأطيب الألفاظ ، وقدم له خادم الغرفة الشراب الطيب والتمر اللذيذ ثم اعتدل الملك في جلسته

وقال : حدثني يا أخي عن السيف الذي تحب أن تهديه إليّ وما قصة حبك لنا ؟

ضحك جبران قليلا ثم قال : أنت تريد أن تسمع القصة من الأول يا مولانا .. حسنا.

وعندئذ أشار الملك للحاجب والخادم بالخروج وتابع جبران الكلام قائلا : حسنا يا سيدي ، فاعلم أيها الملك السعيد أنني رجل رحال عشقت الترحال شرقا وغربا ، وتعلمت من السفر الكثير الكثير ، فيوما أكون غنيا ويوما آخر أصير فقيرا معدما .. أجلس مع الملوك يوما ما وأجلس آخره مع الصعاليك ، فتارة أكون ضيفا عند علية القوم وتارة أخرى عند محتالين نصابين ، هذا هو الدرب الذي أمشي عليه وفيه ، يا سيدي الملك وذلك منذ ثلاثين سنة وقد تزيد .. ، تزوجت مرة في بلدة ما لأفكر بالاستقرار والسكون ؛ ولكن بعد زمن يسير ماتت الزوجة فحزنت عليها ، وعدت للسفر والترحال .

ولما استلمت يا مولانا الحكم وأنت تمارس العدل والإحسان وتنشره بين الرعايا ، سررت بذلك ، فالعدل جميل رائع يحبب الحاكم للمحكومين ، وأنا أحد أبناء هذه المدينة التي هي مسقط رأسي ، وفيها ولدت وفيها أمي وأخي وقبر أبي وأجدادي .. ولما رأيتك ترفع الظلم والحيف عن الناس والبسطاء أحببتك وأعجبت بك ، ووجدت نفسي انجذب لشخصك الكريم وأحبك في الله فليس لي بك سابق معرفة يا مولاي ، وهذه أول مرة يقدر لي أن ألتقي بكم يا سيدي ، والناس تتحدث عن عدلكم ولابد أنهم لمسوه .. فالحاكم يجب أن يكون عادلا ومحبا للعدل لمحبة الله للعدل والعادل .. فالحق يا مولانا أن الناس تلهج بإحسانكم وإنصافكم وعدلكم مع أنكم لم تحكموا إلا من زمن يسير ؛ ولكن السلطان العادل في حين يسير يستطيع أن يصنع كل ذلك .

فشكره الملك على حسن كلامه ثم قال : ولكنكم لم تلقوا منا هذا العدل وسمعت أن أحد قضاتنا قد طردكم من ديوانه .

فأظهر جبران الابتسام وقال : دعني يا مولاي أتابع قصتي .

قال الملك : حسن .. تكلم .

فعاد جبران للكلام قائلا : فهذه أسباب محبتنا لكم .. العدل العدل .. فاعلم أيها الملك السعيد أني سافرت منذ زمن قريب وبصحبتي أخي الأكبر سديد الصياد حتى هبطنا لبلاد الملك طافور الجبار ، ونحن في ذلك المكان وصل لي خبرا في رغبة هذا الطاغية بمحاربة بلاد المسلمين للتنكيل بهم والثأر لأجداده الأوائل ، وعلمت أنه راغب بغزو مدينتنا إلا إذا دفعنا له الجزية وأعطيناه من المال ما يشبعه ويرضيه ..هذا علمته من أمير كبير كنت في ضيافته أنا وبعض المغامرين ، فانزعجت وقد كان عندي علم من قبل أن للملك طافور سيفا ورثه عن آبائه وأجداده ، وهذا السيف يحافظ عليه الملوك محافظة تامة لقول كاهن لهم في قديم الزمان " إن هذا السيف أمارة بقاء الملك في عائلة الملك طافور ما دام السيف في خزائنهم " ،فلما سمعت ذاك الأمير يتحدث عن طمع طافور بخيرات بلادنا لزمت الصمت والتفكير ، وقررت بعد تأمل أخذ سيف طافور ليدب الوهن في عضد طافور وينشغل بالبحث عن سيفه .. واعلم أيها الملك السعيد أنني أعرف في تلك المدينة محتالا كبيرا فدفعت له خمسمائة دينار من الذهب إن أتاني بالسيف ، ففعل يا سيدي وسرق السيف ونقدته أربعمائة ، ونقص عليّ مائة فاستلفتها من أخي ودفعتها للرجل ، وأمرت أخي بالرحيل بالسيف قبل أن ينكشف الأمر .. ومكثت في المدينة أياما وما زال الملك طافور يجهل اختفاء السيف من خزائنه ، ولما عدت إلى بلدي وجدت أن أخي قد باع السيف لقريب لكم ، وكان المسكين قد شاهدني آخذ منه المائة دينار وأدفعها للرجل المحتال فظن أنني اشتريته بمائة لبعض الجواهر التي عليه ، فلما احتاج للمال لتأخري بعض الوقت باعه معتقدا أنه كسب فيه مائة ، ولما جئت إلى هنا أردت المثول بين أيديكم لتقديم السيف لكم ؛ ليكون صمام أمان لكم أمام اعتداء الملك طافور ، فوجدت أخي قد باع السيف لابن عمكم الأمير علاء الدين ظانا أنه ربح مائة دينار ، ولما وجدته مريضا ذهبت لديوان القاضي محاولا فسخ عقد البيع الذي بين أخي والأمير ؛ ولكن القاضي قال " إن القضية بيني وبين أخي وأن الأمير اشترى السيف ببيع صحيح من غير ضغط أو إكراه " وذكرت له أن أخي يجهل ثمن السيف

الحقيقي فنهرني وأمر رجاله بطردي فوجدت أن الحل بيد أخي أن يقابل الأمير ويعطيه ماله ولكن أخي رفض ، وقد حاولت الاتصال بالأمير عن طريق الأصدقاء فقالوا لي إنه رفض فسخ البيع فقد أعجبه السيف فلو وصلت إليك يا صاحب التاج ماذا أقول لك ؟! ولكن الله سبحانه سخرك لنا لتعلم قصة السيف يا سيدي.. فهذه حكاية سيف طافور .

فقال الملك : بارك الله فيك يا جبران .. واعلم أن ذاك الملك أرسل لنا رسولا يطالبنا بدفع الجزية .. فهو ما زال يجهل سرقة سيفه أو أن اختفاء السيف لم يفت في عضده نحو طمعه وجنونه .. واعلم أيها الرجل أن هذه شجاعة منك وتؤكد حبك لنا وولائك لتاجنا .. وسوف أرسل وراء ابن عمي ونتفاهم معه ونعيد لك مالك وزيادة ، وسوف تصبح من المقربين لعرشنا وسوف أرسل لطافور هذا رسالة أعرض عليه سيفه مقابل أن يكف عن غزو بلادنا وطلب أموالنا .. وفي نفس الوقت نقوي جيش البلاد والأسوار ولسوف أجعل يوما من كل شهر لسماع شكاوي عامة الناس ليسهل الوصول إلى حضرتنا مباشرة ودون حجاب .

فقال جبران : وأنا اقبل بأن أكون رسولك إلى طافور الجبار .. وأن أكون أحد جنودك المخلصين إن أصر على القتال .. وإن أردت أن احتال على قتله فعلت ..

فقال الملك : لا داعي لذلك أيها الشهم ..فالأمر لا يصل بيننا إلى التصفية والاغتيال .. فلعل قضية السيف ووصوله لبلادنا يردعه عن التفكير في قتالنا .. فتعال الآن أعرفك على رجال البلاط من الأمراء والأسياد . فقال جبران : العفو يا سيدي الملك .. فأنا رجل لا أحب الاشتهار ولا داعي لذلك الآن .. وأنت تعرف كوخ أخي فإن احتجتني فأرسل لي أحد خدمكم فأكون بين أياديكم بأسرع من لمح البرق .

وأثنى عليه الملك وشدا على أيدي بعضهما ، وقد أعجب الملك بغيرة جبران على البلاد وصرفه وحمد الله وحده على نعمة السيف وتدبيره سبحانه ، وصمم أن يزداد تعلقا وتوكلا على الله ، ويزداد حبا في العدل والإحسان ، وتسليم الأمور لرب السموات والأرض ، وخرج إلى مجلس الحكم وكله رضا وابتسام وقال لهم : أيها القوم أيها القوم المؤمنون لقد أوجد الله تعالى لنا مخرجا من ضيقنا وفرجا من همنا

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

جواهر القصص

جمال شاهين

نبوءة سيف

نبوءة سيف

الجواهر العشر

غسان في المدينة

مكر نديم

نبوءة سيف

المدينة البيضاء

عقيل والصياد

أحلام الأولاد

ربيعة والسلطان

اسعد واسود

ثلاثة أبناء

الصياد البحري هارون



المدينة البيضاء

جمال شاهين



منشورات المكتبة الخاصة

جواهر القصص

الجواهر العشر

٤

جمال شاهين

١٩٩٧

المدينة البيضاء

المدينة البيضاء

البيضاء مدينة عظيمة من مدن الزمان القديم ، كانت عاصمة مملكة ، وكانت مهوى الفرسان والشجعان والطامحين للجاه والرئاسة والقيادة ، وكانت أيضا مهوى الفقراء والضعفاء والمتسولين لنيل المال والثروة ، ولقد كانت مهوى الأغنياء والتجار الكبار لجمع المزيد من الثروات ، وقد جعلها حاكمها زيد مهوى الأدباء والفصحاء والشعراء والرواة والعلماء ، فهي مدينة الكل ، وشهوة الكل ، وحلم الكل ، ومع عظمتها فلم تكن تخلو من المجرمين والمفسدين والفجار ، ففي هذه المدينة كانت قصة فارسنا عامر بن الحمادي .

كان الفارس عامر من فرسان الأمير الكبير المشهورين في البيضاء ، وكان أمير ألف فارس ، كانوا تحت قيادته ، ولقد كان من قدره أنه تزوج عدة نساء ولم يطعم منهن بذرية ، فكان هذا الأمر يؤلمه وينغص سعادته ويهز فحولته فيصاب بحزن مخيف ؛ ولكنه مستسلم لقضاء الله تعالى وطمع بالصبر والرضا ، ويجتهد على نسيان هذا الأمر قدر الاستطاعة ، وكان يفرح فرحا شديدا عندما يرسله سيده في حملة عسكرية ، فيعود بفضل ربه في كل حملة ظافرا مظفرا ، فيزداد مقامه عند الأمير والناس ، وذات فجر عندما أتت الجارية لتنبهه لصلاة الفجر كعادتها ، وقد أتت معها بماء دافئ ، وبينما هي تسير بممر يقودها إلى حجرة سيدها الفارس اصطدمت بشيء في طريقها .. فنظرت إلى الشيء الذي تعرقلت به ؛ فإذا هي لفة من القماش فتعجبت من وجودها بالممر ، فتناولتها لترى ما هي ؟! فوجدت فيها إنسانا طفلا رضيعا ابن أيام ، فدهشت للأمر وحملت اللفة وسارت تجري إلى غرفة سيدها عامر .

وأيقظته للصلاة ، وروت له قصة اللفة ، فاحتار لهذا الأمر وقال وهو ينظر للطفل الوليد وقال : اصدقيني القول يا جارية الخير .

فردت بعجلة وبخوف : يا سيدي ! .. أقسم بالله العظيم أنني قادمة إليك بالماء للصلاة فتدعثرت بشيء فإذا هو هذا الطفل .

قال : حسنا أشعلي السراج والشموع سنعرف الحق .

فقامت الجارية بإشعال السراج والشموع ، ثم أخذت الطفل من بين يدي سيدها على إشارة منه ، وقامت بفك القماط عنه ، ولما فعلت ذلك وجدت داخله رقعة من الجلد ، ففتحتها فكانت رسالة فأعطتها للفارس ، فقرأ فيها " أيها القائد الحمادي .. هذا الطفل اهتم به وارعه وأحسن إليه .. والسلام "

فازداد الرجل حيرة واستغرابا فأخذ يردد : هذا الطفل اهتم به وارعه وأحسن إليه والسلام ثم قال بصوت مسموع : أنا إذن مقصود بهذا الوليد ! .. يا أيها الحمادي .. من وضعه في البيت يعرفني ؟! وأمعن النظر في الوليد فأدرك أنه ابن أيام قليلة أيام معدودة .

فقال للجارية : اهتمي به وابحثي له عن مرضع حتى ينكشف لنا السر الذي وراءه ، إن لم يكن أسرارا .

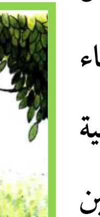
وسار إلى المسجد فصلى الفجر مع القوم ، ثم مشى إلى بيت القاضي شعبان قاضي الحي ، وكشف له السر وأطلعه على الرسالة الموجودة مع الوليد ، فطلب منه القاضي أن يحضر ضحى ومعه الجارية والوليد ففعل ، فلما سمع القاضي القصة من الجارية قال : تكفل به أيها القائد واهتم به ، وسوف أكتب لك صكا شرعيا حتى يظهر لك أهله ، ونعرف منهم لماذا فعلوا ذلك ؟!

فأمر القاضي أحد الكتبة بكتابة الصك الذي يبين فيه أن القائد الحمادي كافل لهذا اللقيط ، وشهد على ذلك رجلان عدلان ، ولما تم ذلك عاد الحمادي والجارية إلى بيته الواسع وأمرها بأن ترعاه وتهتم به حتى يصل إلى أهله .

قام الحمادي على حضانة الطفل ، فوفر له مرضعا ومربية ، ثم أرسله إلى الشيوخ فتعلم القرآن والحديث ، وجلس في مجالس اللغة والأدب ، وكان نابغة في طلب العلم مما أدهش الحمادي وأصحابه ، وكبر حبه للفتى ، ولما اشتد عوده أراد أن يلحقه بفرقة الفوارس ؛ ليصبح منهم ، فرفض الغلام ذلك وأوضح لسيده وكافله رغبته في الاستزادة من العلم والرحلة في طلب العلم

وبعد إلحاح شديد ورغبة جامحة من الغلام " سلمان " الذي كان الناس ينادونه بابن الحمادي رضخ الحمادي لرغبة الغلام ورخص له بالرحلة في الالتقاء بالشيوخ والعلماء في الأمصار والبلدان .

الوزير سلمان



ورحل الشاب الصغير إلى الشام والحجاز وصنعاء اليمن والعراق وصحبه في هذه الرحلة العلمية خادمه ، وقضى أكثر من ست سنوات في التنقل بين هذه المدن الكبيرة ، ولما عاد إلى البيضاء كان قد اقترب سنه من الخمس والعشرين سنة ، وفرح الحمادي بعودته فرحا كبيرا ، وهو في كل هذه السنوات ما زال ينتظر يوما يعرف فيه سر هذا الرضيع الذي ألقي في منزله ، ولما عاد الشاب سالما عالما ألحقه الحمادي بديوان السلطان الكبير مع الكتبة الكبار ، ولم يمض به زمان طويل حتى أصبح من حكماء الملك زيد ملك المدينة البيضاء ، وبعد حين جعله الحاكم من حاشية ولي العهد الأمير حسان وما زالوا ينادونه بابن الحمادي .

ولم يكد سلمان يستقر ضمن رجال ولي العهد حتى أعلن عن وفاة السلطان وانتقال الولاية الكبرى للأمير حسان بن زيد ، فعين هذا الملك ابن الحمادي وزيره الأول ، فكان الوزير يجتهد للحكم بالعدل والسوية ، وينصح أميره بمعاملة الرعية بالإحسان والصدق ، ولقوة الصداقة بين الملك ووزيره كثر حساده ومعاديه ؛ ولكن محبة السلطان له كانت تمنع حاسديه من النيل منه وإيذائه ؛ ولكن الحال لا يدوم كما هو معروف عند السلاطين ، وكما قال الشاعر :

لا حُـزْنٌ يَدُومُ وَلا سُرُورُ ..وَلاَ بُؤْسٌ عَلَيْكَ وَلاَ رَخَاءُ

فجاءت وشاية تقول : " إنه ليس بابن الحمادي وما هو إلا لقيط " ، فانزعج الوزير من هذه الوشاية ، فزار والده بالكفالة وأسر له بذلك الدس ، فقال الحمادي : يا ولدي أنت أصبحت

رجلا عظيما في هذه البلدة ولابد من ظهور حاسدين لك حاقدين .. وأنا لست أباك كما تعلم وهذا أمر لم أكتمه عنك .. فأنا والدك بالتربية والرعاية .

ثم أخرج له الرسالة القديمة وصك رعايته الذي ختمه القاضي شعبان ، فلما قرأ الأوراق بكى بين يدي والده بكاء حارا وقال : هل أنا ابن زنا يا سيدي الفارس ؟

قال الحمادي : ليس بالضرورة هذا يا ولدي ! .. قد يكون الفقر المدقع هو الذي دفع أهلك ليلقوك في بيتي لمعرفتهم بغناي .. واعلم وأنت خير العالمين .. أنه لا تزر وازرة وزر أخرى .. كل نفس بما كسبت رهينة .. وقد ترى قومك في يوم من أيام الدهر .. وأنا لم اقصر معك فربيتك وعلمتك وأدبتك كأنك ابني من صلبي ، ورحلت في طلب العلم والحج لبيت الله العتيق ، وها أنت يا ولدي وزير الملك حسان وتنسب للحمادي وقبيلته .. وأنا شيخ هرم على وشك الرحيل واللحاق بالملك زيد .. وأنت وصلت لهذه المراتب العلية بجدك ومثابرتك .. فلا تشغل روحك بوشايات الحاسدين ، فأنت أصبحت رجلا معروفا باجتهادك .

وبعد تفكير ونظر صبر سلمان على المصيبة التي ألمت به ، وفوض الأمر كله لله تعالى واحتسب واسترجع ؛ ولكن الألم والحزن بدأ تأثيرهما عليه لجهل نسبه ، فهو كان يعتقد أن أحد أقرباء الحمادي دفعه إليه ليكفله أثر موته في إحدى المعارك ، وما ظن أنه لقيط مجهول الأصل ، ولما وصل لهذه النتائج قال للحمادي : وكيف البحث يا سيدي عن أهلي ؛ بل أمي التي رمتني رمية جيفة ؟

قال عامر والألم يعتصر روحه : الأيام .. الأيام يا ولدي .. أنت وزير كبير وعليك واجبات كبيرة فانشغل بها ؛ فإذا كانت أمك على قيد الحياة قد تتصل بك يوما ما .

وبعد تفكير عميق رد سلمان : شكرا لك يا أبي الطيب .

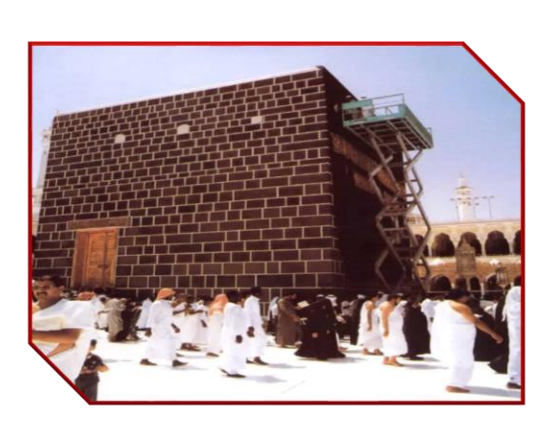
ولما عاد الوزير إلى بيته اعتكف في بيته مدعيا المرض ، وبعد نظر عميق أظهر للسلطان الرغبة في الاعتزال والاعتكاف في البيت ، فأقاله الملك حسان من الوزارة ، وحبس ابن الحمادي نفسه طواعية في بيته ، ومكث على ذلك أشهرا ، وقد حاول والده بالكفالة إخراجه من هذه العزلة

الاختيارية ، وبين له أن الاعتزال لا يفيد و لا يسمن و لا يغني من جوع ، وليفترض موت والديه ، وحتى لو كانا حيين فالبحث عنهما بعد هذه السنوات الطوال ليس هينا وحثه على الاختلاط بالناس والاندماج في المجتمع ، وأن ذلك ينسيه همه وغمه ، وانتهى الحديث بينهم بقول الوزير : يا أبي أفكر بالرحيل إلى مكة لأداء فريضة الحج وزيارة مسجد الرسول الأعظم بيثرب الخالدة .

فقال أبوه بحماس : نعم الرأي يا ولدي ؟؟



مجالس العلم



قام سلمان الوزير المقال بزيارة السلطان وأخبره برغبته في السفر للحجاز ، فبارك له السلطان الغاية وتمنى له السلامة والعودة للبيضاء سالما غانما ، فتجهز وجهز راحلة وحمل معه مالا كثيرا وغلامين والتحق بقافلة من القوافل السائرة إلى العراق ، ولما نزل العراق أمضى بها شهرا فكان يتردد على مساجدها ومكتباتها وخزانتها العظيمة ، وتفرج على مدارس العلم فيها وخص مسجد المنصور ببغداد بالاستماع لدروس العلم الوعظية فيه ، وبينما هو يستمع لأحد مجالس العلماء وقد أنهى الشيخ العالم موعظته وانصرف ، فنهض شاب صغير في العشرين من عمره وجلس مكانه وأخذ يتكلم بفصاحة عجيبة مما دفع سلمان للبقاء من جديد ، فكان حديث الواعظ الصغير عن الفتن وعن الخوارج ، وذكر من أشعارهم وآدابهم عن ظهر قلب كأنه يقرأ في صحيفة ، فأخذ سلمان الحمادي يحرص على مجلس هذا الشاب بعد صلاة العصر من كل يوم ، ثم تعرف عليه ودعاه لبيته الذي استأجره في بغداد ، وتوثقت الصحبة بينهما ، فكانا يتناشدان أشعار العظماء كالبحتري وحبيب بن أوس المشهور بأبي تمام وأحمد بن الحسين المعروف بأبي الطيب المتنبي ، وأشعار الجاهلية وفرسانها ، وأيام العرب ، وسلمان كان عالما وحصّل من العلوم وفنونها الكثير الكثير .

ذكر عبد الرحمن لصديقه سلمان أنه حدث أمه عنه كثيرا ، ولما علمت أنه من مدينة البيضاء رغبت بالحديث معه عنها ، فرحب سلمان بالفكرة وقال : يسرني التعرف على والدتك ، وإذا كان لها حاجة في المدينة البيضاء فأنا على استعداد لنقلها وقضائها يا صاحبي العالم الجليل .

ولما صليا المغرب رافق سلمان الشاب إلى منزله في وسط مدينة بغداد في حي متواضع ، ودخل سلمان الوزير فرحبت به المرأة أحسن ترحيب ، وكانت قد أعدت لهما طعاما طيبا ، وتبين

لسلمان أن لعبد الرحمن أختا حسناء عاملة مثله ، ولما انتهوا من الأكل وجرى بينهم الكلام والسؤال والجواب ، قالت أم عبد الرحمن : يا ولدي يا سلمان .. عندما كلمني عنك ولدي عبد الرحمن انعطف قلبي عليك وخصوصا لما عرفت أنك من المدينة البيضاء .. فأنا أعرف هذه المدينة الجميلة ؛ ولكنني تركتها قديما

فأحببت أن أسمع أخبارها منك فلي فيها ذكريات يا ولدي .

وغصت بريقها فناولها عبد الرحمن كوب ماء ، فقال سلمان للأم : ماذا تعرفين عن المدينة البيضاء يا سيدتي ؟!

بكت الأم فذرفت الدمع الكثير مما أدهش السامعين فقال سلمان : لعلك يا سيدتي تذكرت عزيزا فقدتيه هناك من أب أو أخ أو أم .. فالبيضاء ما زالت عامرة وما زالت مملكة قوية فقد كنت وزيرها منذ شهور وصديق ملكها السلطان حسان بن زيد .

فقالت من بين دموعها : الله ! .. بالله عليك كنت وزيرا ؟

رد قائلا : أجل يا سيدتي .. كنت وزيرها الأول .

فعادت تقول : إيه !! .. فأنت إذن تعرف رجالها وفرسانها .

فقال وكله تفكير وحيرة من كلامها : بالتأكيد أيتها السيدة .. وأنا يمكنني خدمتك .. فتكلمي

فقالت وما زالت الدموع تتساقط على وجهها : يا ولدي .. أنا عشت سنوات عمري الأولى فيها قبل قدومي بغداد عاصمة الدنيا ..

فقال سلمان : وما زالت مدينتنا عظيمة يا سيدتي وتكاد تكافئ بغداد في العلم والأدب والصناعة والفرسان .

فقالت : على ذكر الفرسان .. فهل التقيت بسيد فرسانها الفارس الكبير عامر الحمادي ؟!

جفل سلمان لذكر هذا الاسم بالذات وتوتر فجأة وقال بصوت ضعيف : ومن لا يعرف الحمادي يا سيدتي الفاضلة ؟! .. وهو كما أشرت سيد فرسان البيضاء ولكنه اليوم شيخ هرم اعتزل القتال والحرب واعتكف في منزله .

فقالت : هو ما زال حيا يا ولدي ؟

فقال : أجل تركته حيا .. فهل تعرفينه يا سيدتي ؟

فقالت : هذا الحمادي يا ولدي كان سيدي في يوم من الأيام ، وهو رجل كريم وفارس شهم ، وقد تزوج من النساء كثير آملا بأن يهبه الوهاب مولودا .. فهل يا ترى انجب ورزق البنين ؟!

فرد سلمان بألم : ما زال عقيما .. ولكن الله قد يسر له لقيطا منذ ما يزيد عن ثلاثين سنة فاتخذه ولدا ، فقام على تربيته أحسن تربية ، وأحب هذا الولد العلوم واللغة والرواية فرحل بين أمصار المسلمين ، ثم عاد إلى البيضاء والتحق بديوان الملك ، ثم ألحق بحاشية ولي العهد حسان ثم أصبح وزيرا له بعد وفاة أبيه .. فأصبح ابن الحمادي وزيرا .

فقالت : ما شاء الله !.. وزيرا .. يا الله ! .. ما أعجب الأقدار يا ولدي من لقيط كما قلت لوزير فأنت تعرف إذن الحمادي جيدا يا ولدي ..

فقال سلمان : يا سيدتي .. ألم أقل لك آنفا إنني كنت وزيرا للملك ؟ فإذن لابد لي من معرفة الحمادي وكل رجالات الدولة . . ثم عرف هذا الوزير أنه لم يكن ابن حقيقيا للحمادي فضاقت به الدنيا فاعتزل الوزارة ، وخرج من البيضاء في رحلة إلى مكة ليتخلص من الهم الذي أصابه عندما علم أنه مجرد لقيط أحسنت إليه الدنيا .

فتنهدت الأم ، وكان عبد الرحمن يستمع للحوار ولم ينبس بأي كلمة ، ولما أنهت الأم تنهيدتها العميقة قالت : آه ! يا ولدي إنك تتكلم عنه كأنه صديقك .. مع أن من عادة السادة أنهم يتكلمون عن بعضهم بشماتة وحسد .

فقال سلمان : نعم هو صديقي .. لم تقولي لي قصتك مع الحمادي .

فقالت الأم : ذكرت لك أنني عشت في البيضاء جارية عنده ـ عند الحمادي ـ ثم باعني عندما خرج في إحدى غزواته ..

وفي هذه اللحظة الحاسمة قرع الباب فنهض عبد الرحمن ليرى الطارق ، ولزم القوم الصمت فعاد يقول : أمير المؤمنين أرسل ورائي يا سيد سلمان .. فهناك مناظرة أدبية تجري في الديوان

فهم يبحثون عن شاعر مجهول أو بيت شعر غريب .. فهل ترافقني يا سيدي الوزير إلى الديوان

ابتسم سلمان وقال : لا بأس يا صاحبي وداعا أيتها السيدة الفاضلة .

فقالت الأم بحنان : صدق أيها الرجل أن قلبي تعلق بك دعنا نراك قريبا لنتحدث عن الحمادي وولده المسكين .. فلم تقل اسم ابن الحمادي .

فقال سلمان : قد يكون سلمان .

وترك الأم وخرج بصحبة عبد الرحمن ، وقادهما رسول أمير المؤمنين إلى مجلس أدب وجدل حول الشعر العربي بين يدي الخليفة ، فمكثا حتى نصف الليل ثم انصرف كل منهما إلى منزله وبعد يومين على هذا المجلس وصل لسلمان رسالة من البيضاء تنعي له الحمادي ، فحوقل واسترجع واحتسب واستغفر له ، وبكى الدمع الحار على كفيله ووالده بالكفالة ، وأمام هذه المصيبة تغيب سلمان عن مجالس عبد الرحمن في جامع المنصور مما حدا بصاحبه أن يزوره مستفسرا مستخبرا ، فلم علم الأمر عزاه وواساه ، وأمضى معه مساء في أشعار الرثاء وارتجل له قصيدة قصيرة في رثاء الحمادي لشدة ما لاحظ عليه من حزن وبكاء ، ثم ودعه منصرفا لمنزله وهو يرثي لصديقه الجديد .

الأم والأب

وقبل أن يأوي سلمان لفراشه طرق الباب ، فنهض ليرى القادم حتى لا يقلق الخدم النائمين ؛ فإذا هو بعبد الرحمن فدهش وقال : ما الأمر يا أخي ؟!

فقال عبد الرحمن : دعني ادخل .

فدخل وأغلق الباب وراءه وقال : يا سيدي الوزير .. ذكرت لأمي موت سيدها القديم الحمادي وأن أجله أصابه ، وذكرت لها شدة أسفك وحزنك عليه .

فبكت بحرقة وألحت عليّ بأن أحضرك إليها ، فجئت إليك يا سيدي الوزير لتصحبني لأمي ،

وكلي حياء وخجل منك من تصرفي هذا ؛ ولكنني أمام رغبة أمي رضخت وأتيتك يا سيدي وأعلمتني بأنها تحمل في صدرها سرا تريد أن تسره إليك لتنقله لصاحبك ابن الحمادي .

فخفق قلب سلمان بشدة وقال لنفسه : " هل يا ترى تعلم هذه الجارية أم ذلك اللقيط ؟! إنها جارية من جواري ذاك الفارس لعل عندها شيئا "

فقال بلهفة : حسنا يا أخي !

ارتدى ثياب الخروج وأيقظ أحد الخدم وأخبره بخروجه إلى منزل عبد الرحمن ، وكان قلبه يرتجف من القلق والتهيج ، وهو بين الفينة والأخرى يرفع العباءة التي تسقط عن كتفيه ويقول في نفسه : إنها تعرف سر مولدي .. هل هذا ما تريدني أن أخبر به صديقي ابن الحمادي ؟ .. آه ولكن الحمادي مات قبل أن يعرف ابن من أنا .

كانت الأم في انتظارهما على أحر من الجمر ، ولما انتهوا من السلام القلق وعزته بصاحبه الحمادي ، قالت : يا ولدي .. الحمادي مات ولم يعلم أن له ولدا من صلبه .. فاللقيط الذي رباه الحمادي يا ولدي هو ابن له .

فبعد أن تمالك سلمان أعصابه أمام هذه المفاجأة التي كان ينتظرها قال : ماذا تقولين يا سيدتي ؟ وكيف تعرفين هذه الحقيقة ؟!

قالت وهي تبكي بكاء مرا : لا أقول إلا الحق والله شهيد على ما أقول .. يا ولدي فالرجل الذي رباه الحمادي والذي ذكرت لي أنه صديقك هو ابن الحمادي .

لم يحتمل قلب سلمان هذه الحقيقة أصابه إغماء ولما أفاق أمام دهشة الحاضرين قالت الأم بلهفة وقلق : يا ولدي أخشى أن تكون أنت ابن الحمادي . فصاح بصوت واهن : أنا هو يا سيدتي ابن الحمادي . فصاحت فجأة بعدما زال الشك من قلبها : أنت ولدي .. أنت ولدي !

وأغمي عليهما وقام عبد الرحمن وأخته بالواجب ، وهما في غاية الدهشة ، فسلمان أصبح أخا لهما ، ولما انتهت الزفرات والغمغمات والتنهدات وهدأت العواصف والعواطف قال سلمان : أنت أمي حدثيني كيف ذلك .. يا أماه ؟!

فلما خفتت دموعها وخفت ضربات قلبها واحتضنته وقبلته أكثر من مرة ثم قالت : آه يا ولدي الحمد الذي جمعني بك قبل أن أموت ، وقدر لي أن ألقاك بعد كل هذه السنوات سبحان ربنا سبحانه .. آه يا حبيب .. عندما باعني الحمادي كجارية اكتشفت بعد حين أنني حامل ، فاحترت بما أفعل فلو كشفت أمري للحمادي بعدما باعني فلن يصدقني ؛ لأنه تزوج كثيرا من النساء والجواري ولم ينجبن له ، وإن ظللت في حجري سيجعلك سيدي الجديد عبدا له ، فأخفيت أمرك حتى ولدتك ، وبعد أيام يسيرة تمكنت من وضعك بين يدي أبيك ، وتركت رقعة لأبيك ليهتم بك .. فالأحوال كانت تتطلب مني فعل ذلك يا بني .. فأنت ابنه من صلبه ومن ثم باعني سيدي الجديد لتاجر رقيق من بغداد ، ثم أصبحت ملكا لرجل من هنا فأنجبت له عبد الرحمن وأسماء ، وكان قد اعتقني لما ولدت له أخاك عبد الرحمن ، ولما مات هذا السيد الفاضل ترك لي مالا كثيرا فأنفقته على ولديه ، فقمت بتربيتهما بأحسن ما يربي المربون ، وحببت لهما العلم ، فهذه قصتي يا ولدي .

فاحتضنها سلمان وعانقها من جديد وقال : صدقت يا أماه ! .. الأمر كان صعبا عليك ، وقد قاسيت من الفراق ، ولم يكن للحمادي أن يصدقك لو صارحتيه بهذه الحقيقة .. رحمه الله تعالى وها هو قد مات وهو يجهل أن له ولدا ...



وتعانق عبد الرحمن وسلمان وأسماء وتباكوا وتشاكوا ، ولما انتهوا من الحديث عن هذه المأساة وظروف الحياة القاسية قال سلمان : أماه ! .. سنذهب كلنا لمكة المشرفة لنحج بيت الله الحرام ، ثم نشد الرحال إلى مدينة الرسول الأعظم ﷺ ، ونجاور فيها إلى أبد الآبدين حتى نموت ، ولا يفرق بيننا إلا اللحد فالدنيا ساحرة ساخرة وهي ملعونة عند باريها وكما روينا عن نبينا ﷺ أنه قال : " الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالما ومتعلما " .

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

جواهر القصص

جمال شاهين

المدينة البيضاء

المدينة البيضاء







عقيل والصياد



جمال شاهين



منشورات المكتبة الخاصة

جواهر القصص

الجواهر العشر

٥

جمال شاهين

١٩٩٧

عقيل والصياد

عقيل والصياد

قعد عقيل يستريح تحت ظل شجرة عملاقة ، فله أكثر من نصف نهار يسير على قدميه حتى انتهى إلى هذه الشجرة التي تقع على حافة إحدى الغابات ، جلس يستريح من النصب الذي أصابه ، وأخذ يفكر في أمره وحاله ثم استلقى على ظهره فنظر إلى أعلى الشجرة فشاهد رجلا ينظر إليه من بين أغصان وأوراق الشجرة ، فعاد للجلوس ثانية وصاح قائلا : أيها الرجل ماذا تفعل فوق الشجرة؟! ..انزل .. تعال .

فرد الرجل بقلق : بل ..اصعد أنت على الفور .. لقد كان أسد مكانك قبل قليل..اصعد قبل أن يعود .

فلما سمع عقيل باسم الأسد تسلق الشجرة فورا حتى وصل إلى الرجل وحياه ، فقال له الرجل : من حسن حظك أن الأسد قد ابتعد ، لابدّ أنه ذهب إلى بئر الماء ليشرب ، فلقد افترس اللعين صاحبي ؛ ولولا انشغاله بصاحبي وصعودي مسرعا إلى هذه الشجرة لكنت الآن بين فكيه .. فالحمد لله على سلامتك يا عقيل .

فقال عقيل : وما الذي أتى بكم إلى الغابة ؟

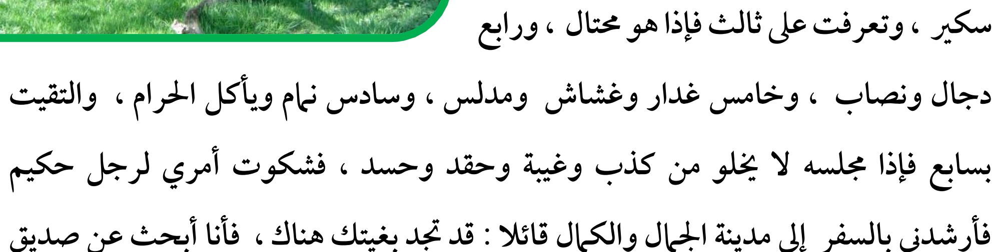
فقال الرجل: نحن صيادون ـ أشار إلى قوس معلقة على غصن ـ أرأيت هذه القوس ؟ نحن نصيد الوحوش ونأخذ جلودهاونبيعها لأهل المدينة ، وأما هذه المرة فلم نشعر إلاّ والأسد بيننا ، ولم نتمكن من صيده فقفز على صاحبي وانشغل به ، فلما زال الخوف والرعبة عني هربت إلى هذه الشجرة ، فتبعني اللعين ؛ ولكني كنت قد تعلقت بأغصانها وبحركات بهلوانية كنت هنا ، وزمجر وأرغى وأزبد ثم ذهب يلتهم صاحبي ثم انصرف لعين الماء ، عليه غضب الرب وسخطه .

فقال عقيل : إنها مهنة قاسية يا صاحبي !

فقال الصياد : لنا عمر يزيد عن عشر سنوات نعيش ونرتزق على جلود الوحوش ، لقد صدنا عشرات الأسود والفهود والنمور والضباع ؛ ولكن لا ينفع حذر من قدر ، فسقط صاحبي ؛

ولكن أنت ما الذي رمي بك على هذه الغابة ولا سلاح بين يديك .

فأخذ عقيل نفسا عميقا وقال : خرجت باحثا عن صديق مخلص ، فالصديق المخلص الصادق غير موجود في مدينتنا ، فغادرتها أبحث عن صديق صادق .



فقال الصياد باستغراب : الله أكبر مدينة لم تجد فيها صديقا صالحا !

فقال عقيل : صدقني أيها الرجل الغريب ..لقد صحبت بشرا كثيرا ؛ فإذا أحدهم لص والآخر سكير ، وتعرفت على ثالث فإذا هو محتال ، ورابع دجال ونصاب ، وخامس غدار وغشاش ومدلس ، وسادس نمام ويأكل الحرام ، والتقيت بسابع فإذا مجلسه لا يخلو من كذب وغيبة وحقد وحسد ، فشكوت أمري لرجل حكيم فأرشدني بالسفر إلى مدينة الجمال والكمال قائلا : قد تجد بغيتك هناك ، فأنا أبحث عن صديق مخلص ، وهذه المدن تقع بعد هذه الغابة الخطيرة .

فقال الصياد : ما رأيك بأن تتخذني صديقا في رحلتك هذه لعلي أن أكون الصديق المخلص .

فقال عقيل : عرض جميل ؛ ولكن قصتك مع الأسد لا توحي بأنك صديق مخلص ، فلقد تخليت عن صاحبك وتركته فريسة للسبع ليأكله

فرد الصياد مدافعا : ولكن كان هجوم السبع علينا فجأة .

فقال عقيل : ولكنك تركته ليأكله ولم تحاول الفتك به وتكرم صاحبك بدفنه في بطن التراب بدلا من بطن الأسد .

فرد الصياد : معك حق ؛ ولكن الدهشة والخوف شلا فكري .

فقال عقيل : سأقبل صداقتك إذا قتلت السبع .

فرد الصياد : فلسوف ترى .. يا عقيل .

وما أنهيا اتفاقهما حتى أقبل الأسد يتهادى نحو الشجرة ، فشد الصياد الماهر قوسه وسدده نحو

عنق الأسد ثم رماه به فإذا الأسد يصيح ويزأر ويضرب رأسه بقوة في الشجرة .

فقال الصياد مفتخرا : سوف يموت فالسهم مسموم .

فقال عقيل : أحسنـــت ! سأقبل صداقتك وصحبتك إلى مدينة الجمال والكمال .

فقال الصياد : قبلت الصحبة والدعوة هيا بنا نغادر الغابة قبل أن تتجمع الأسود حولنا .

ثم هبطا الشجرة العالية واجتازا الغابة بحذر شديد خشية الوقوع بين أنياب الوحوش الضارية ، ولمّا خرجا من الغابة حمدا الله كثيرا ، فإذا هم على ضفاف نهر عريض .

فقال عقيل :كيف سنجتاز هذ ا النهر يا صاحبي .. فأنا لا أحسن العوم والسبح ؟؟

فقال الصياد : وأنا مثلك ، فلنجلس نفكر في حل هذه المعضلة .

وبينما هما حائران يتأملان صفحة الماء ، ظهر لهما في وسط النهر قاربا زاحفا اتجاههم .

فقال عقيل : قارب يزحف نحونا ..فقد حلت مشكلتنا .

ولبثا ينتظران القارب وهما يلوحان له ببعض ثيابها ، ثم تبين لهم أنه رجل واحد يسوق القارب نحوهما ، ولما وصل الرجل الضفة ربط قاربه بصخرة ومشى نحوهما وحياهما بالسلام ، ثم قال : هل ترغبان بالانتقال إلى الضفة الأخرى ؟.. لقد لمحتكما من هناك فجئـت إليكما مسرعا

فقال عقيل :مـاذا تعمل ؟؟

فقال صاحب القارب : أعمل على ظهر هذا القارب الصغير.. أنقل الناس من هنا إلى مدينة الجمال والكمال .

فقال عقيل فرحا : المدينة تقع بعد هذا النهر؟!

فقال صاحب القارب : أمسافران إليها ؟ هيا اركبا .

فقال عقيل :كم ثمن النقل إليها ؟

فرد الرجل : لا شيء ..سوى ذكر الله .

فقالا : لم نفهم كلامك ؟!

فقال : الأجرة أن تذكرا الله مائة مرة فأنقلكما إلى الضفة الأخرى .

فحملهما صاحب القارب بعدما ذكرا الله مائة مرة إلى الضفة الثانية ، وهناك واجهتهما مدينة ويقف على أبوابها حراس ، فتناولوهما من البحار وساقوهما على الفور إلى سيد هذه المدينة ، فأمر بارسالهما إلى الحمام وأن يغسلوهما أحسن غسيل ، ولما أزالوا عنهما أوساخ سفرهما كسوهم أنعم الثياب ، ثم قادهم مرافقوهم إلى مطعم فاخر فأطعموهما من أجمل الأصناف و أزكاها وألذها ، ثم أخذوهم إلى قصر الأضياف ، فأمضيا ليلتهما في ذلك القصر الجميل ، وحولهم الخدم ينتظرون أي إشارة منهم .

وفي الصباح الباكر جاءهم مرافقوهم وساقوهم إلى قصر الحاكم الذي أحسن استقبالهم ولقاءهم ، وبين لهم أنّ الأكل والشرب والنوم والشراء والركوب في هذه المدينة يكون بذكر الله سبحانه ، فإذا أردت شراء طعام طلب منك البائع أن تسبح الله عددا من المرات ، وهكذا الشرب والبيع والإجارة ، وبين لهم الحاكم خطر الكذب والغش والنفاق والرياء والشر في مدينة الجمال والكمال ، وحذرهم من التدخل فيما لا يعنيهم ، وبين لهم أنه من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه ، وحذرهم كذلك من غلبة الفضول ، فعليهم أن يتمتعوا في هذه الخيرات والنعيم حتى يملوا منها فيعودون لديارهم .

وخرجوا من قصر السلطان وهم لا يكادون يصدقون ما يسمعون .. مدينة لا يوجد فيها كذب ولا نفاق ولا غش ولا قتل ولا فساد ولا غيبة ولا نميمة ، إن هذا لشيء عجاب .

دخل عقيل و الصياد أحد أماكن الطعام فأكلا وشربا ما شاء الله لهم مقابل عدد معين من التهليل والذكر ، ثم مشوا إلى فندق فطلبوا غرفة يسكنون فيها فحمدوا وكبروا ، فأعطوا مفتاح غرفة جميلة الرياش والأثاث فيها أسرة ناعمة ومفروشة بزرابي حسان .

فقال الصياد : أظن يا أخي عقيل أننا في حلم من أحلام اليقظة .. أيمكن أن يكون في الدنيا

مثل هذه المدينة الرائعة ؟!

ولمّا استراحا بعض الوقت ، فارقوا الفندق نحو ميدان الخيل ، فاستأجرا حصانين بأذكار ربانية ، واشتركا مع الفرسان في الركض واللعب ، وفي المساء رجعا لغرفتهما تغمرهم السعادة والغبطة ، وامضوا يوما آخر في مشاهدة الطيور وثالث في ركوب البحر .. الناس هنا في سلام ووئام وخير وحب لا يوجد شر في تلك المدينة ، الناس كلهم هنا ضاحكوا الوجوه ، لا حزن لا ألم لا سقم ، الناس هنا يتخاطبون بأدب واحترام ، لا أحد يتدخل في شأن الآخرين إلا بأذنه ، فقضى عقيل والصياد عشرة أيام من عمرهما وهما في سعادة وسلام ، ويظنان نفسيهما في جنة من جنات الخلد .

وكان الصياد يقول لعقيل : ليتنا نعيش أبد الآبدين في مثل هذه المدينة الهادئة الآمنة المطمئنة .. لا نسمع ولا نرى فيها شرا وكفرا ولا فسادا ، كلٌ في عمله وسوقه ونعيمه .

فقال عقيل : مدينة تدهش العقول ، إنها مدينة السكينة والراحة والعافية نحتاج لزمن حتى نتأقلم مع هذه المدينة الخالية من الشر والضرر .. الحياة بدون مشاكل مملة ـ أيها الصياد ـ أكل شرب نوم لهو .

فقال الصياد : ماذا ؟! .. هل تفكر بالمتاعب ؟! ألست أنت الذي كنت تشتكي أنك لم تجد صديقا واحدا مخلصا في مدينتك الكبيرة ؟ ها هم كل الناس هنا أصدقاءوك وأصحابك ، احذر أيها الصاحب أن نخسر هذا النعيم .. لقد كنت أخرج من الفجر الصادق حتى الليل وأنا أدور بين الوحوش والأدغال حتى أعود بجلد أسد أو فهد أو نمر أو ثعلب .. أرجوك دعنا من الشقاء .

فقال عقيل : الحق هو ما تقول ، علينا المحافظة على هذه النعمة والسعادة ؛ ولكن ما رأيك أن نستأجر قصرا فهذه الغرفة أصبحت ضيقة ومملة .

فرد الصياد : أما هذا فلا بأس به ، التغيير مطلوب .

ولما أصبحا ذكرا لصاحب الفندق رغبتهما في الحياة والسكن في قصر كبير ، فأرشدهما إلى وكيل

القصور ، فلما وصلا إليه رحب بهما ، ولما قاموا بالذكر المناسب للحياة في القصر أنزلهما في قصر واسع يحتوي على عشرين غرفة مؤثثة بأحسن الأثاث والمتاع ، ومحاط بحدائق غناء ، وأجاز لهم الاستمتاع بكل الحجرات إلا بحجرة واحدة حذرهم من دخولها ، وانصرف الوكيل وقد تركهما تحت الامتحان والفضول والملل .

"الحجرات الممنوعة "

ومضت الأيام وشاهدا كل الحجرات واحدة واحدة ، وكلما يقتربان من الغرفة الممنوعة يعودان لحجرة نومهما وهما في شوق لمعرفة سبب إغلاق هذه الحجرة عنهما ، وكان الفضول والبحث عن المجهول قد دفعهما لكثرة الحديث عن الحجرة المغلقة ، فوقع في نفسيهما أنه لابد لهما من معرفة ما فيها ، وبعد تردد وصراع نفسي صمما على فتح الحجرة واكتشاف ما فيها من أسرار وخفايا .

فلما هبط الليل واشتد ظلامه تحركا نحو الغرفة الممنوعة ، ووقفا على بابها بعض الزمن مترددين ، ثم حركا المفتاح وفتحا الباب فإذا هي غرفة مظلمة على خلاف غرف القصر الأخرى ووجدوا أنفسهم في ظلام دامس ، لا يكاد المرء يرى إصبعه من حلكته ، فدخلا ثم فكرا بالعودة فوجدا الباب مغلقا .

فقال الصياد : لقد ظلمنا أنفسنا يا عقيل .. فما العمل الآن ؟؟ إني لا أراك

فقال عقيل : هات يدك ولنبحث عن الجدار ونلتصق به .

وتشابكت أيديهما و أخذا يلتمسان جدران الحجرة ، فكانت يد عقيل تتطوح في الفضاء تبحث عن الجدار ولكن لا جدار و لا نور .

فقال عقيل : كأننا في بئر أو نفق أيها الصديق فلنمش إلى الأمام .

ومشيا في الظلام ، واستمرا يمشيان ولكن بدون نهاية حتى تعبا ، فقال الصياد : لقد فتنتني ياعقيل..أغويتني.. .لقد تعبنا من المشي في هذا الظلام الدامس ..ألا يوجد نهار هنا ؟

فقال عقيل : الشيطان ضحك علينا ..فلنتب إلى الله ونستغفره .

فابتهلا إلى الله بالتوبة والاستغفار والندم والتسبيح ، ثم تابعا المسير وهما يستغفران ، ثم ناما ورقدا حيث هما من شدة التعب .

ولمّا استيقظا من نومهما وجدا أنـفسهما على ضفة النهر من جهة الغابة حيث ركبا في القارب أول مرة ، وكان النور ساطعا فنظرا حولهما وتفقدا أنـفسهما ، وقال الصياد : هل كنا في علم أم حلم ؟!..ألم نكن في ظلام دامس .. يا عقيل ؟!

فرك عقيل عينيه وقال : يا هذا ..ألم نجتاز هذا النهر ؟! وذهبنا إلى مدينة الجمال والكمال ورأينا كذا وكذا ..وأكلنا كذا وكذا .

فأجاب الصياد المحتار : لابدّ أننا كنا نحلم ..فلنصعد إلى هذه الشجرة قبل أن يشعر بنا سبع فأنا ما زلت أحمل القوس .

وقال عقيل : وها هي دراهمي نفسها كأننا لم ننتقل من هذا المكان إنه لأمر غريب .

وقضيا ليلة على أغصان الشجرة يفكران بطريقة يجتازان فيها النهر إلى مدينة الجمال والكمال ، ولمّا أشرقت الشمس هبطا إلى الأرض فتقدما إلى شاطئ النهر فإذا قارب وبحار على ضفته ، وبعد أن رد على تحيتهما قال : أترغبان بالانتقال إلى الضفة الأخرى ؟

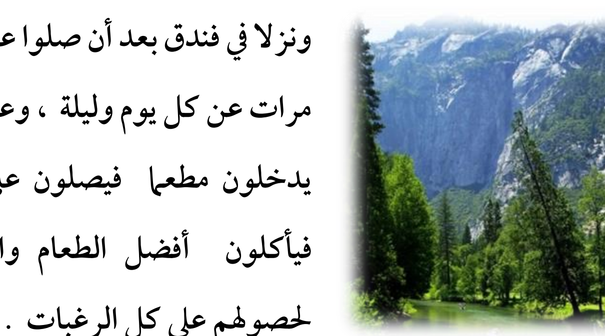
فقال عقيل : يا حبذا ذلك ..أيها البحار ..هل سبق لك أن رأيتنا ؟

فرد سائق القارب : لا ، هذه أول مرة يقدر لي رؤيتكم.

وحملهما إلى المدينة بذكر تفوها به ، وعلى الضفة الأخرى كان في استقبالهم حرس الأبواب ، فقادوهم إلى حاكم المدينة ، فظهر لهم أنه حاكم أخر غير الذي رأوه في المرة الأولى ، فأصابتهم الحيرة من جديد ، ورجح لديهم أنهم لم يقطعوا النهر قبل هذه المرة ، وبعد أن تعرف الحاكم على أسمائهم ، أمر بإرسالهم للحمام لإزالة الأوساخ عن جلودهم وكسوتهم أجمل الثياب ، ومن ثم إطعامهم أزكى الطعام ، وأمر بمبيتهم في قصر الضيافة .

وفي الصباح الباكر كانوا بحضرة الحاكم ، فرحب بهم أجمل ترحيب وذكرهم بالأحكام السارية في المدينة ، وبين لهم أن عاقبة الإثم والحرام الطرد من هذه المدينة وحثهم على عدم

التدخل في ما لا يعنيهم من الأمور ، وعلموا منه أن الحصول على الأشياء والمنافع يكون بالصلاة على النبي محمد بن عبد الله ﷺ خير العباد والأنام ، ثم انصرفوا من عند السلطان بسلام .



ونزلا في فندق بعد أن صلوا على النبي محمد ـ ﷺ ـ عشر مرات عن كل يوم وليلة ، وعندما يحتاجون للطعام يدخلون مطعما فيصلون على النبي عددا من المرات فيأكلون أفضل الطعام والشراب ، وهكذا يكون لحصولهم على كل الرغبات .

وضجرا بعد حين من سكنى الفندق ، فاستأجرا قصرا جميلا وأذن لهم وكيل القصر دخول كل حجراته ما عدا حجرة واحدة حذرهم من فتحها ، فوافقا على ذلك ، وكانا ما يزالان يعتقدان أن ما جرى لهما سابقا مجرد حلم أو وهم ، فكانا يرتعان في القصر ليلا ، ويسيحان في المدينة نهارا وهما في غاية السعادة والبهجة ، يوما في البساتين والرياض النضرة ، ويوما في سباق الخيل على ظهور الجياد ، وغير ذلك من فنون اللهو والمتعة ، حتى دب في قلبيهما الملل والضجر من الهدوء والسكينة ، وأمام ضعف النفس والفضول غامرا بفتح الغرفة المحذورة ولكن في وسط النهار ، فوجدا غرفة فارغة لا أثاث فيها ولا متاع ،وكانت قبيحة الجدران على غير غرف القصر فتجرأا على اقتحامها ، فلما أصبحا في وسطها أغلق عليهما الباب الذي دخلا منه بصوت عال حتى جفلا خوفا من حدة الصوت ، فحاولا العودة ولكن الباب أبى الانفتاح فاعتراهما الأسف وتذكرا ما جرى لهما سابقا ولكن بعد فوات الأوان .

فتقدما نحو باب آخر في الغرفة ؛ ولكن قبل الوصول إليه ، فتحت الأرض تحت أرجلهما ؛ فإذا هما يهويان إلى أسفل بضع ثوان ، فأصبحوا داخل غرفة تشبه البئر ، وفي إحدى الجهات منه مجموعة من القضبان الحديدية تشكل بابا ، تطل على ساحة مليئة بالوحوش المختلفة تتقافز على القضبان تحاول الوصول إليهم ، وأصواتها تقذف الرعب في الأفئدة ، فانخلعت قلوبهما

من الخوف فأغمي عليهم من شدة الرعب ، ولما أفاقا وجدا أنفسهما على ضفة النهر حيث كانا قبل أن يركبا في القارب ، فأخذتهما الدهشة والحيرة مرة أخرى ، ولقد كانا يرتجفان من الخوف والصياد يقول : هيا نصعد على الشجرة .. لقد كانت الأسود حولي لا تعد ولا تحصى يا له من حلم مزعج ..أيها الصديق !

فأسرعا يصعدان ويتسلقان الشجرة وعقيل يقول : يا رجل ألم يحصل معنا كذا وكذا ؟!

فقال الصياد وما زال الذهول والذعر يملأ نفسه : لست أدري يا صاحبي .. هل تركنا نحن هذا المكان ؟! ..لا ..إنه حلم أوله جميل وآخره سقيم ..يا للهول ! ..ألم تر الأسود وهي تتقافز نحونا ؟ ! ..ألم نكن في بئر مشيدة ؟!



وأقاما ليلة أخرى على الأغصان ، ولما أصبح الصباح مشيا إلى حافة النهر ، فوجدا رجلا ومعه قارب ؛ ولكنّه لا يشبه صاحبيّ القاربين اللذينِ مر ذكرهما آنفا ، فأخذا يتأملان بعضهما البعض ، فسمعا صاحب القارب يخاطبهما قائلا : هل تريدان العبور إلى الجهة الأخرى ؟

فرد الصياد فقال : نعم يا هذا ولكن ألم تحملنا قبل الآن ؟!

فابتسم الرجل وقال : هذه أول مرة أراكما في حياتي .

فصعدوا إلى المركب الصغير والحيرة تنتابهم مما جرى معهم ، وكانت الأجرة عددا من الأذكار ، ولقد ساقهم الرجل إلى باب المدينة وسلمهم لحراس الأبواب ،وهؤلاء بدورهم نقلوهم إلى مقر الحاكم ،

الذي قال لهم : ما معكم من الأموال ؟؟

فرد الصياد : يا سيدي الحاكم ..أنا لا أملك شيئا وكذلك صاحبي ورفيقي عقيل .

فقال الملك الحاكم : نحن عندما يدخل بلادنا ضيف أو غريب مثلكم ، وكان فقيرا نكرمه بخمسين ديناراً ، حتى يجد عملا يقتات منه . ومنحهما مائة دينار وصرفهما .

فلما أصبحا في الشارع قال الصياد لصاحبه همسا : إنها لمدينة تعيسة أين الحمام ؟! أين الطعام أين الأنهار والأشجار ؟!

وأخذا يتلاومان على ما فرطا في المدن السابقة ، كلٌ منهما يتهم الأخر بما وقع لهما ، حتى قال عقيل : لندع الأسف والندم فنحن جائعان ..هيا بنا ندخل مطعما .

فدلهما الناس على مكان الطعام ، فدخلاه فإذا هو مكان مكتظ بالجماهير ، فمنهم الداخل ومنهم الخارج ، فجلسا على مائدة بعد انتظار قصير ، وأحضر لهما عامل المطعم ما طلباه من أصناف الطعام .

ولما انتهيا من الأكل والشراب ، وأرادا أن يدفعا قيمة الطعام فلم يجدا الدنانير التي أخذاها من الحاكم ، ففتشا بعضهما وشك كل منهم في الأخر ، وتعذرا لصاحب المطعم بضياع أموالهما ، فاتهمهما بالنصب والاحتيال ، وأحضر لهما رجال الشرطة فحبسوهما بضعة أيام ، ثم أخلوا سبيلهما ، فأخذا يدوران و يبحثان عن مأوى وطعام ، وانتهى بهما المطاف إلى العمل في محجر ، فاشتغلا فيه عدة أيام فحصلا على عدد من الدراهم ، فانتقلوا للعمل في سوق الدباغة ، وأمضوا أشهرا يتنقلون من عمل إلى آخر حتى أصابهم الجهد والتعب ، وتمنوا الخروج من تلك المدينة ، ودعوا الله مخلصين بأن يخلصهم من هذه ا لبلدة على خير ، فشكوا أمرهم لرجل عجوز ، وبينوا له رغبتهم في ترك هذه المدينة ، فقال لهما: سأرشدكم على مخرج .. ابحثوا عن رجل اسمه كنعان عنده قصر فيه غرفة من دخلها خرج من هذه المدينة .

فانطلقوا يبحثون عن كنعان ، فلما وجدوه دفعوا له كل ما يملكون من النقود على أن يأذن لهم بالمبيت في قصره ، فرحب بهم وأنزلهم في قصره وحذرهم من ولوج الغرفة الممنوعة .

ولكنهم لم يهتموا لتحذيره ، فما كاد يبتعد عنهم حتى فتحوا تلك الغرفة ودخلوها مسرعين ، وأغلق الباب وراءهم وانطلقوا يمشون في سرداب طويل ، ولما وصلوا نهايته بعد تعب شديد كان في انتظارهم قارب يجلس فيه رجل فلما رآهما هتف قائلا : أهلا وسهلا ..إلى أين أيها السادة ؟

فقال الصياد : إلى الغابة حيث ركبنا أول مرة ..يا سيدي . فقال لهم : ما بكم ؟

فروى له عقيل كل ما حدث معهم في المدن الثلاث ، فلما سمع الحكاية قال : الآن اركبوا وسأقص عليكم الأسرار ..أيها الأخوان الطيبان .

وانطلق بهم المركب نحو الغابة حيث اجتمع عقيل والصياد لأول مرة ، وقال لهم : أما المدينة الأولى فهي مدينة الإيمان والتوحيد ومحبة الرحمن ، فالناس لا يصبرون عليه ، فينتقلون إلى ظلام الشرك والأثام ، وأما المدينة الثانية فتمثل دين الإسلام واتباع الرسول محمد ـ ﷺ ـ ويترك الناس هذا الدين القويم إلى أديان ومذاهب شتى ، وأما المدينة الثالثة فهي رمز للدنيا وما فيها من شقاء ، وخير وشر ، ففيها الصالح وفيها الباغي .

وعندئذ وصلوا الضفة الأخرى للنهر حيث الغابة فقال لهم سائق القارب : اذهبوا الآن وحدثوا الناس بما شاهدتم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فقالا : وعليك السلام يا قارب الحياة .

" تمت بحمد الله تعالى "

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

جواهر القصص

جمال شاهين

عقيل والصياد

عقيل والصياد







أحلام الأولاد

جمال شاهين



منشورات المكتبة الخاصة

أحلام الأولاد

جواهر القصص

الجواهر العشر

٦

جمال شاهين

١٩٩٧

أحلام الأولاد

الحلم حق مشروع لكل الناس ، فكانت الأم وزوجها يسمعان أحلام أولادهم الثلاثة ، فكان الابن الأكبر يحلم قائلا : إنني أحلم بأن أكون شخصا مشهورا ومعروفا بين الناس ، أجلس مع الأمراء والملوك وعلية القوم .. هذا ما أحلم به .

وقالت البنت الوسطى : هذا حلم صغير يا أخي يا مروان ، أما أنا فإنني أحلم بأن أكون زوجة أمير أو فارس عظيم ..فهل يتحقق هذا الحلم يا أخواي ؟!

وقال الفتى الصغير مالك : أما أنا فأحب أن أصير بطلا مقاتلا مدافعا عن بلدنا وأهلنا .

فهمس الأب في أذن أم الأولاد قائلا : وهل الفقر يؤدي إلى تحقيق هذه الأحلام يا أم مروان ؟ ..فكم حلمنا وحلمنا ؟! وما زلنا فقراء يحسن إلينا السعداء ..احلموا يا أولادي احلموا !

قالت الأم بيقين وأمل : إن الله على كل شي قدير ..دعهم يحلموا يا أبا مروان .

هذه أسرة فقيرة بالكاد تأكل رزقها كفافا وعلى إحسان أهل الخير والجود ، ولكنّ الأيام تمشي وتكبر أحلام الصبية في قلوبهم البريئة ، فقد كبر مروان وأصبح شابا قويا يشارك والده في عمله ويعود في آخر النهار بدرهم واحد أو اثنين ، فتفرح الأسرة بزيادة دخلها اليومي .

كان لأبي مروان أخ أصغر منه سنا ، وكان أحسن حالا منه ، وكان هذا الأخ يرى ما فيه ابن أمه وأبيه من ضيق ذات اليد ، فأتاه ذات مساء وقال : يا أخي ..إنني قاصد إلى بلاد الصين في تجارة لأحد التجار أبيعها له هناك ، وأشتري له أخرى ..وأنت حالك لا تسر القلب فما رأيك بأن تدفع لي أبنك الصغير مالكا ليرافقني في هذه الرحلة ويقوم بمساعدتي وخدمتي ، وهذا أفضل من أن أشتري عبدا ..أو استأجر خادما ..فيتعلم وينتفع ببعض المال .. فما تقول ؟

فقال الأب : مالك صغير لم يخرج من البلد منذ ولد يا أخي .. وأخشى عليه الطريق وطول الرحلة .

رد الأخ الرحال مغريا لأخيه الكبير : يتعلم ..يستفيد ..قد يكون حظه خيرا من حظك فالحياة



فرص ومغامرات .

قال الأب : لماذا لا تأخذ مروان ؟!

رد الأخ : مروان شاب كبير ..وهو يساعدك في عملك وأنا أحتاج لصبي من جيل ابنك مالك .

فقال الأب وهو ينظر لزوجته : ماذا تقولين يا أم الصبي ؟

قالت : افعل ما تحب ..فالأمر كله بيد الله ، لعله كما يقول عمه تفتح الدنيا على يديه ويتحسن الحال على يديه يا أبا مروان .

بالطبع مالك الفتى ذو الثلاثة عشر ربيعا رحب بالفكرة والكلام الذي سمعه ، ولما تجهزت القافلة التجارية التحق مالك بعمه مع دموع والديه واخوته فهذه أول مرة يفارقهم منذ أن اجتمعوا على وجه الأرض.

لقد سر مالك بعد أيام في رحلته هذه ، فقد وجد كثيرا من الفتيان مثله في القافلة وتعرف على الكثير منهم ، ومضت القافلة الضخمة نحو الشرق ، وكانت تتنقل من مدينة إلى أخرى ، فبعضها ينفصل في إحدى المدن الكبيرة ، والبعض الأخر يتابع المسير ، فنهاية الرحلة بلاد الصين في أقصى شرق الأرض .

بعد رحيل مالك بسنين تعرضت البلدة إلى غزو من القبائل المجاورة ، فهرب الناس كعادتهم إلى الجبال والوديان وأعالي الأشجار خوفا من بطش الغزاة ، وممن هرب مع الهاربين أسرة أبي مروان ؛ ولكن من غير مروان ، فلما جرى الهرب من أمام الغزاة بين الرعاع لم يكن مروان موجودا مع الأسرة ، فلذلك كانوا في خوف عليه من بطش الغزاة والقبائل ، وقد أمضى الهاربون أسبوعا في البراري والعراء قبل أن يعودوا لمنازلهم المنهوبة .

وأهل هذه المدينة يتعرضون بين الفينة والفينة لطمع الطامعين من البرابرة والقبائل الصحراوية فلما عاد الناس لمدينتهم وجدوها قد نهبت وتعرضت للسلب والنهب ، فقام الناس بدفن

موتاهم وقتلاهم ومداواة جرحاهم ، فبكى من بكى وحزن من حزن ، وعادت الحياة للبلدة من جديد ، وعلم أبو مروان أن حاكم المدينة وقع في يد الغزاة وأعدموه الحياة هو وحاشيته وجيشه ونهبوا قصورهم وأموالهم ، ومن ثم تسلم السلطة على العباد أحد أقارب السلطان المقتول ، وعاد الناس لإعمار بلدتهم من جديد ، وأسرة أبي مروان عندما عادت لم تجد مروان فظنوا أنه قد مات أو أخذ أسيرا ؛ ولكنهم لما فقدوا جثته ترجح لديهم أنه قد أسر ، فصمم أبوه متابعة البحث عنه ولو خسر حياته ، وحاولت الأم والابنة ثنيه عن ذلك المطلب فلم تستطيعا فأوصى عليهما من بقي حيا من جيرانه ، وانطلق يتتبع الجيش الغازي باحثا عن فلذة كبده بين تلك القبائل التي تعيش على النهب والسلب والفتك في القرى والمدن الآمنة .

واجتمع والي وسلطان البلدة وجمع كبير من الأهالي والتجار وأصحاب الأموال ليضعوا حلا لمثل هذه الاعتداءات المتكررة بين فترة وأخرى ، وكان السلطان الجديد رجلا ذكيا وخبر الدنيا فأشار على قومه والناس بأن يبنوا سورا عظيما حول المدينة ويجعلوا للمدينة بابا واحدا أو اثنين وإقامة أبراج حراسة دائمة ، ويساهم الجميع في الإنفاق على الحرس ، وكذلك إنشاء جيش قوي ليدافع عن المدينة وسكانها ، وارتاح الناس لأفكار سيدهم الجديد ، وبدأ العمل في عمل سور عال ومرتفع حول المدينة ليصد الغزاة والأعراب ، ونتركهم يبنون ويجددون وسائل الأمن والأمان ونتذكر مروان .



الحق أنّ مروان لم يمت في الغزو الذي تعرضت له المدينة الآمنة ، ولم تأسره القبائل الغازية ، فعندما علا الصراخ في المدينة كان مروان في ضيافة أحد أصدقائه ، فلما سمعوا الصراخ هربا نحو الجبال كما فعل الناس ، وفكر بالبحث عن أسرته ولكن لظلام الليل وحب النجاة فلم يتيسر له ذلك البحث ، فتابع صعوده إلى أعلى الجبل ؛ ولكنه تدحرج عن صخرة ملساء فتعرضت رجله للرض والالتواء ؛ ولكن حب الحياة دفعه لمعاودة الهروب والصعود ؛ ولكن الألم اشتد عليه ومنعه من الاستمرار في الصعود ، فدخل في أقرب مغارة صادفها فألقى بنفسه فيها ، وحاول معالجة قدمه المصابة واستمر يصارع الوجع والألم حتى أتى الصباح وقد أصابه عطش شديد وإرهاق كبير ، ولما تسلل ضوء النهار للمغارة ووضحت له الرؤية ، تفحص جدران الكهف وسقفه بعينيه الثاقبتين ، فلمح في جوف الكهف حيوانا فإذا مجموعة من الأرانب ، فتحركت شهوته للأكل والطعام فتحامل على نفسه وبدأ يقفز ويتحرك في جوف المغارة على أمل أن يصيد أرنبا يسد به رمقة الجوع ، فهربت الأرانب من أمامه فتبعها دون جدوى ؛ ولكنها ما زالت أمامه تتراكض ، والألم زاد في قدمه فهمس قائلا : لابدّ أن أحشرها في آخر الكهف ليتني أمسك واحدا منها ، لحقها حتى لم يعد يرى شيئا ، وقد ازداد الظلام فلا يرى إلا بريق عيون الأرانب ، ورغم اشتداد الظلام كلما توغل في الكهف ، كانت عيناه قد ألفت الرؤيا في الظلام ، دخلت الأرانب جحورها ، وبينما هو يقترب من أحد الجحور تدعثر ووقع في حفرة صغيرة ؛ فإذا رجله تصطدم بجرة من الفخار ، فحقق النظر في الحفرة والجرة فرفع بعض التراب عن الجرة لعله يجد أرنبا في الحفرة والجرة ، فوجد بين يديه قطعا من الذهب ..فخفق قلبه وقال : ذهب !..مال ! فحفن مرة أخرى فصاح : ذهب ! ..مال ! ثم صرخ : كنز .. يا حظي السعيد . نسي جوعه وعطشه والقرية وأهله ورجله والأرانب !

ولما عادت إليه روحه من جديد قال : يا حسرتاه! .. ماذا أفعل بالذهب الآن وأنا لا أجد شربة ماء ولقمة خبز ؟!

أعاد المال إلى الجرة ودفنها بالتراب ثم قال : الثروة .. الغنى ..أصبحت غنيا يا أبي ..جاءت

السعادة يا أمي .. أين السعادة ؟! وأنا مختبئ في هذه المغارة هاربا من القبائل والبدو .. مال من غير أمان ماذا يفيد ؟.. مال وخوف مصيبة .. مال بدون طعام وماء لا ينفع .

عاد يزحف لمدخل الكهف ، وفي خلال رجوعه وجد بعض الأعشاب النابتة في أطراف الكهف فمضغها وواسى نفسه بها ، وقد قرر المخاطرة عند حلول الظلام في النزول إلى الوادي للبحث عن قطرة ماء يبل بها جوفه من إحدى العيون .

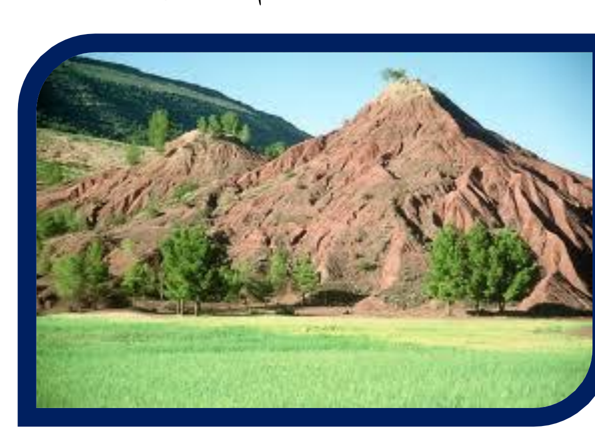
قضى الأيام السبعة يأكل الأعشاب والحشرات التي تقع بين يديه كالجنادب وغيرها ، وفي الليل يتسلل إلى عين الماء الصغيرة ويشرب منها ، وفي الليلة السابعة وجد رجلا يملأ قربة من عين الماء ، ففي الوهلة الأولى ظنه من الأعداء ، ثم تبين من هيئته وملامحه أنه من أهل المدينة فكلمه فتأكد له أنه من أهل بلدته .. فسلم عليه ثم قاده الرجل معه لداره ، ولما علم أنه مصاب قال الرجل : لي معرفة بالعلاج والدواء ، فأخذ بمداواته وتطبيبه ـ وكان هذا الرجل يسكن في طرف القرية ـ وبين له أنّ المشي يضر بقدمه ، وعليه أن يخلد للسكينة والراحة التامة عددا من الأيام ، ووعده بالنزول للمدينة للبحث عن أهله ليطمئن على حياتهم ويطمئنهم عليه ، وبعد يومين هبط الرجل على المدينة يبحث عن أسرة مروان ، وعاد يقول لمروان : يا سيدي لم أجد أهلك ؛ ولكنني علمت أنهم أحياء يرزقون ، فتركت لهم خبرك عند أحد جيرانهم ببقائك حيا فدهش الجار وأعلمني أن والدك لحق بالغزاة باحثا عنك ظانا أنك أسير لديهم .

فقال مروان وكله جزع : وأمي وأختي ؟!

فرد الرجل مزيلا قلق مروان : قالوا إن أمك ومعها أختك ذهبت تسكن عند أخيها فأخبرت جاركم هذا ببقائك على قيد الحياة ، واشتريت بعض الطعام وعدت إليك يا ولدي .

وصنع الرجل طعاما وقدم مرقه للشاب المصاب ، وبعد أسبوعين تحسنت قدم مروان فغادر بيت الرجل ونزل إلى المدينة ، وقد ساعده الرجل في الوصول لبيت الأسرة ؛ ولكنه لم يجد أمه ولا أخته ، فنزل في بيت الجار الذي أخبره أن أمه وأخته قد ذهبتا لبيت خاله بضع ساعات ، ثم سار برفقة معالجه إلى منزل خاله ، وهناك التقى بأمه وأخته ، وانصرف الرجل المعالج وقد

حثه مروان على زيارته بعد أنّ قدم له جزيل الشكر والثناء .



ولما تعافى مروان تسلل إلى الكهف الذي فيه الكنز ، وملأ جرابا منه ، وعاد للمدينة خفية ، واطلع أمه وأخته على جلية الأمر ، وفتح دكانا لبيع الحبوب ثم فتح دكانا لبيع الثياب ، وأصبح مروان خلال سنوات من أغنياء المدينة ، وقد شارك بأمواله ببناء السور حول المدينة وفي أجرة حراس الأبواب وحرس الأسوار ، وقد أصبح بسخائه من رجال حاشية أبي يعقوب سلطان البلاد ، ثم بنى قصرا جميلا وانتقل إليه بأمه وأخته التي تزوجها فيها بعد السلطان ، ولم يكن ينغص عليه هذه السعادة إلا ضياع الوالد والأخ والعم ، ولم يكن مروان عبدا لماله وثروته بل كان يجود على أقاربه الفقراء ، ويولم الولائم للفقراء والمساكين .

كان مروان يجلس في قصره بين أمه وضيفته زوجة السلطان أبى يعقوب ، وفجأة ذرفت الأم الدموع بقلب جريح حزين ثم قالت : ايه يا أبا مروان ..أين أنت ؟! ..أين أنت يا مالك ؟! إن السعادة لا تكتمل يا أولادي ..ألا تذكر يا ولدي عندما جلستم يوما ـ يوم كنتم صغارا ـ وكنتم الثلاثة تحلمون أحلاما لقد سمعناكم أنا وأبوكم ، لقد حلمت يا ولدي بأن تصير غنيا ومن رجال الحاكم وقد حقق الله سبحانه لك ما رجوت وتمنيت ، وها هي أختك صفية أصبحت حليلة ملك من ملوك الدنيا ، وقد حلمت وتمنت أن تتزوج أميرا ، فأكرمها الله بسلطان عاقل شجاع يحبها وتحبه ولديها ولدان جميلان .

فقالت الفتاة : نعم يا أمي ..لقد تحقق ما حلمت به وزيادة ولكن حسرتنا في أبي وأخي ، قد نغصا علينا التمتع بما تيسر لنا ..أين أنت يا أبي العزيز ؟! لترى الأحلام الكبيرة وقد حققها مدبر هذا الكون ..وأين أنت يا مالك البطل ؟

وتساقطت الدموع من العيون الباكية وعادت الأم تقول : وها هو مروان رجل ثري معروف ويجلس مع حاشية السلطان بل السلطان صهره.

قال مروان وقد مسح دموعه من آماق عينيه :نعم يا أمي ..أحيانا ينطق الإنسان وهو ساذج بمصيره أو بما سيؤول إليه من غير شعور ، ولقد أرسلت وكلفت أكثر من قصاص أثر ليبحث ويسأل عن أبي ، وأكثر الذين أرسلتهم لا يعودون ومن يعود منهم لاشيء في جعبته .

وبينما هم في هذا الحديث أقبل خادم يقول : يا سيدي ..رجل في الباب يريدك ويدعي أنه عمك !

قفز مروان وهو يقول : عماه ..عماه !

وهرع مسرعا مستقبلا عمه الذي فقد منذ سنوات طوال وتعانق الرجلان وهم يبكيان ، ودخل به إلى حيث تجلس أمه وأخته ، وأمر الخدم بتهيئة الحمام والمائدة ، ولما هدأت العواطف الجياشة في الصدور لحلاوة اللقاء قالت الأم : أين مالك ؟ أين مالك ؟ ..تبكي ، ما جرى له أخبرنا ولا تكتم شيئا عنا ..لقد فقدت الأعز منه .. أخوك أبو مروان ؟

فقال : أخي ما جرى له ؟! ..بل أين هو ؟ وما هذا القصر الذي تسكنون فيه ؟! ولكني قبل أن اسمع حديثكم وإجاباتكم سأقول لكم ما عندي . . لقد ضاع مالك لم يمت فقد ..لقد وصلنا بتجارتنا بلاد الصين ، وكان ذلك بعد سنوات من الترحال والتنقل بين المدن ، ولما جهزنا القافلة وعدنا فرحين نحو بلادنا بما كسبنا من مال ونعيم ، وكلنا شوق للأهل والأولاد والأصحاب ، ولدينا أمل كبير برؤية الجميع ، وكعادتنا كنا ننزل في المدن الكبار ، فينفصل عنا قوم وينضم إلينا آخرون إلى أن دخلنا بلاد الهنود ، فهجم علينا لصوص القوافل واشتبكوا مع فرسان القافلة ، وكانت معركة كبيرة ولما انزاحت الغمة بحثت عن ابن أخي فلم أجده ، وأمضيت يومين اسأل التجار والغلمان ، وتفقدت الموتى فردا فردا والجرحى فلم أجده ، فتأكدت أنه وقع أسيرا بين أيدي اللصوص وأنهم خطفوه أثناء انسحابهم وتراجعهم ، فاعتزلت القافلة وقد أوصيت أحد الأصحاب على بضاعتنا ، وأخذت في السعي وراء العصابة

اللعينة ؛ ولكني لم أوفق في الوصول إليه ، ووقعت أسيرا عند أهل قرية فحبسوني واستعبدوني وأذلوني حتى تيسر لي للهرب ، وعدت إليكم بعد كل هذه السنين خاوي اليدين لا شيء معي فهذه قصتي يا ابن أخي ويا زوج أخي .. والآن أخبروني عما أصاب أخي أبي مروان .. وما حكايتكم ؟

ارتفع بكاء الأم وعويلها على ضياع ولدها مالك ، وهنأ الأولاد عمهم على سلامته ونجاته واستمع لحكايتهم وفرح لأخبارهم السعيدة ثم تنهد وقال : عسى أن نلتقي جميعا بأخي ومالك .

هذا ما كان من هؤلاء الناس .



وبينما أهل المدينة في سلام ووئام وأمان جاء الخبر لأبي يعقوب السلطان أن جيشا زاحف جهة المدينة من الجهة الغربية ، فأمر بإغلاق أبواب المدينة وتشديد الحراسة على الأسوار والأبراج والزيادة من أعداد الحرس على الأسوار ، وأمر الجنود بالاستعداد للدفاع عن المدينة أمام الغزو الجديد ، وصل الجيش الغازي المدينة ففوجئ بالأسوار والجنود عليها ، وكان هذا الجيش الزاحف صغيرا لا يزيد عن مائة فارس كلهم على الخيول العربية الأصيلة ، فكتب قائد هذا الجيش رسالة إلى السلطان يحثه على اللقاء والاجتماع ، وأنه قادم لنشر الإسلام في هذه الربوع وأرسل مع الرسالة وفدا من ثلاثة أنفار ، فحملوا راية بيضاء وتقدموا نحو الأسوار فأذن لهم أبو يعقوب بالدخول ، فخرج الناس لرؤية الوفد ، وتقدم الفرسان الثلاثة حتى وصلوا لقصر الحاكم ودار الأمارة والحكم ، فنزلوا عن جيادهم ، ومشوا حيث يجلس أبو يعقوب ورجاله ، ودفعوا له برسالة القائد الهمام أبي عمرو الشجاع ، فكان في الرسالة كلام لطيف يبين لهم فيه أنهم جاءوا هذه البلدة ليس طمعا في أموالهم ونسائهم ، ولم يقدموا للسلب والنهب والفتك ، ولكنهم أتباع رسول ظهر منذ قرون يدعو الناس لعبادة رب العباد وترك عبادة الأوثان والشهوات ، ثم تكلم أحد رجال الوفد عن دين الإسلام ومحاسنه ، وبين لهم في النهاية إذا أصروا على الشرك والضلال أن عليهم مبلغا من المال يدفعونه كل عام لخليفة المسلمين مقابل حمايتهم وخضوعهم لسلطان المسلمين ، وإذا رفضوا هذا العرض فلا مفر من القتال والحرب فطلب السلطان من الوفد أن يرجعوا بعد ثلاثة أيام حتى يتشاور مع عقلاء قومه ، ولما انقضت الأيام الثلاثة أخبرهم أبو يعقوب بالموافقة على الاجتماع مع قائدهم ، فاختار القائد سبعة من رجاله ووضع نائبا عنه ودخلوا المدينة فاستقبلهم أبو يعقوب في ديوانه وقال : نحن نريد المزيد من العلم والمعرفة عن هذا الدين الذي تدعون الناس إليه .

فتكلم القائد كلاما مختصرا عن دين الإسلام ، وبين أن المسلم أخو المسلم ، وأن له ما للمسلمين كافة ، وعليه ما على المسلمين كافة ، وتقدم أحد العلماء فحكى قصة الرسول الأمي محمد صلى

الله عليه وسلم مختصرة ، وذكر تاريخ الإسلام وملوك الإسلام ، واستمر اللقاء حتى الليل ، وعلى أثر هذا اللقاء دخل أبو يعقوب الإسلام والأعيان كذلك ، وأعلن أهل المدينة دخلوهم هذا الدين ، وفتحت أبواب المدينة للجند ، وأمر السلطان ببناء أول مسجد جامع في مدينتهم وخرج القائد برفقة السلطان يتجول في المدينة وقدر الله تعالى لهم أن يمروا من أمام قصر مروان وكانت الأم تقف على شرفة من شرفات القصر لتنظر وتشاهد السلطان ورفيقه القائد فقال لها مروان : يا أماه أترين هذا الفارس القوي الجميل ؟! إنه قائد هؤلاء الجند ويقول إنه ورئيسه تحت إمرتهم مائة ألف مجاهد جاءوا لهذه البلاد والمدن لدعوة أهلها للإسلام ، وانطلق كل قائد بعدد من الجنود نحو بلدة ليدعو أهلها لدينهم العظيم ..فقد أسلم أبو يعقوب وسادة المدينة ورضوا بهذا الدين

قالت الأم : يا ولدي ..هيئة هذا الفارس كهيئة أخيك مالك ..قلبي يتكلم ..ما اسمه ؟

دقق مروان النظر في الفارس وقال : ينادونه أبا عمرو الشجاع .

قالت : يا ولدي إن قلبي يزداد اضطرابا ..دعهم يدخلون .

فنظر لأمه وقال : أيمكن هذا يا أماه ؟!

وهبط عن الشرفة وهو ينادي على السلطان :أبا يغقوب ..أبا يعقوب .. على رسلك .

توقف السلطان وقال : ماذا يا صهري العزيز ..هدئ من نفسك مالك تلهث ؟

قال مروان : أمي تريد روية القائد ضيفك يا أبا يعقوب .

فترجل السلطان والقائد عن جواديهما ودخلوا إلى قصر مروان ، ولما اقترب الرجلان من أم مروان فسمعاها تقول : إنك والله لمالك !

وصاح القائد فجأة : أماه ! .. أماه ! ..أنا جئت إلى هنا أبحث عنكم وأنا كلي يأس.

واحتضنها وقبلها وقبل يديها وكانت الدموع تتساقط على خديه وصاح مروان : أخي .. مالك يا الله ما أعظمك يا الله ! ..كيف لم أعرفك ولم تعرفني ؟

قال مالك : كلما أنظر إليك أكاد أقول أخي ؛ ولكني أقول ما الذي جمعك على السلطان

وجعلك من رجال السلطان وصهر السلطان فأتوقف عن التفكير فيك . . وقد قيل لي إنك مت .

أخذت الدهشة السلطان والحاشية التي معه فقال مالك مخاطبا لعمه ومن جاء يستمع القصة :

لقد أسروني يا عماه وباعوني رقيقا وتنقلت من مصر لمصر حتى استقر بي المقام في أرض الشام وهناك عشت في كنف ملك صالح فضمني لجنده الخاص ، ثم اعتقني وقد أصبحت فارسا قويا فشاركنا في المعارك والجهاد ، وقرر ملكنا فتح هذه المدن والبلاد لنشر تعاليم الدين وإخراج أهلها من الجاهلية لنور الإيمان ، فخرجت مع هذه الحملة لدعوة الناس إلى الإسلام ، فلنا أكثر من ثلاث سنوات نزحف نحو المدن والقرى لنشر الدين وتبليغ الرسالة ، ولما اقتربت من بلدكم طلبت من القائد الكبير للحملة أن يسمح لي بقيادة الجنود المائة والمجيء إليكم منقذا لكم من الضلال إلى الهدى ، وقد وفقنا المولى سبحانه وتعالى في ذلك ، وحقق لنا الغاية الأخرى وهي لقاؤكم .. والعجب يا أهلي أنني وجدت أبى بين أيدي القبائل المتوحشة ..فأنقذته منهم وقد اعتنق الإسلام ، وقد ذكر لي أنكم فقدتم مروان أثناء غزو القبائل لكم ، ولما لم يجده لدى القبائل ترجح لديه مقتله ..وهو قادم مع جند القائد الكبير يزيد العقيلي قائد هذه الحملة .



" تمت بحمد الله "

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

جواهر القصص

جمال شاهين

أحلام الأولاد

أحلام الأولاد







ربيعة والسلطان



جمال شاهين



منشورات المكتبة الخاصة

جواهر القصص

الجواهر العشر

٧

ربيعة والسلطان

جمال شاهين

١٩٩٧

ربيـعة

كان ربيعة يصيح بأعلى صوته ويبكي بكاء تتفطر له القلوب ، لقد كان مشدودا بين ساريتين ومكبل بينهما بالحديد ، والجلاد يضربه بالسوط على ظهره العاري أمام حشد كبير من الخلق وهم يرثون له ، وصاحب المدينة والحاشية وجنده يضحكون ويقهقهون مستمتعين بعذاب ربيعة ، وفجأة سمع الأمير الحاكم شخصا يصيح بأعلى صوته : حرام هذا حرام .. اتقوا الله يا ظلمة !

فأمر الأمير الجنود بتعذيب القائل ، فقام الجنود بخطفه من بين الناس وانهالوا عليه ضربا وصفعا وركلا ونخزا وهو يولول : يا قتلة .. يا مجرمين سوف تدور عليكم الدوائر ..يا ظلمة ! وترك الجلاد ربيعة واندفع نحو الرجل الملقى على الأرض ، وانهال عليه بالسوط بأشد ما أعطي من قوة وذاك يصيح : يا مجرمين .. يا ولكم من الله .. الرحمة الرحمة !

فصاح الأمير : لا رحمة اليوم .. أيها اللعين .. اصلبوه واجعلوه عبرة لغيره .

وكان السلطان يقول هذا الكلام بصوت عال ، وقد نهض عن كرسيه ليسمعه ويراه الناس ، وما كاد ينطق بهذا الكلام ، و هو يرفع يده مهددا في الهواء حتى استقر سهم في ذراعه فخر على الأرض صريعا ، وهاج الناس والجند وأخذ الناس بالفرار والإبتعاد ، واختلط الحابل بالنابل ، فكان السلطان يصيح من شدة الألم وقد هاج من شدة الغضب ، وذعر الجند للمفاجأة ، ولم يعلموا من أين أتى السهم ؟!



وهجم بعضهم على الناس يضربونهم ويطردونهم لمنازلهم ، وقام فريق آخر من الجند بحمل السلطان إلى قصره ، وقد أمروا بإغلاق أبواب المدينة ، وخلال هذه الفوضى العارمة قام أحد الناس بفك قيود ربيعة ، وأمره بالهرب ولكنه تهاوى على الأرض لا يستطيع المشي ، فأدركه بعض الجنود فقادوه وصاحبه إلى سجن القصر ، وقد استغرب الجند واحتاروا في من حاول قتل سيدهم بهذه الجرأة ، ولقد نجا

صاحبهم من الموت بأعجوبة فلو استقر السهم في عنقه لمات ، فلما انتهى الطبيب من علاجه ونزع السهم من الذراع قال الملك الغاضب لمن حوله : هل أمسكتم بالغادر ؟

قال الوزير المصفر اللون : لم نمسكه بعد يا مولاي ! لقد انشغلنا بك وبحياتك ؛ ولكنه لن يفلت منا فقد أمرنا بإغلاق المدينة .. واقتيد الرجلان العاصيان إلى سجن القصر .

فأخذ الأمير بالصياح ، فأرغى وأزبد وزمجر ، واتهمهم بالضعف والعجز والجبن والخور ـ والوزير يهون ويخفف من ثورته وغضبه ـ حتى عاد الدم ينفجر من جرحه ثانية ،وعاد الطبيب للعلاج وهو يناشد الأمير بالهدوء والصمت ، فركن للهدوء وهو يقول : أيها الطبيب كدت أن أموت وهؤلاء يتفرجون عليّ.. الموت ! ثم أخذ بترديد كلمة الموت.. الموت .. الموت.. هل حقا كنت سأموت ؟! يا إلهي لو أصابت الرمية حلقي لأردتني ميتا ..إنها رمية رجل بارع بالقوس والنشاب..وصرخ حنقا : ابحثوا عنه سأقتله سأشرب من دمه .

قضى الجنود أياما يبحثون عن الجاني ، وألقوا العشرات في أقبية السجون ، ولما تعافى السلطان وضع جائزة ألف دينار لمن يرشد إلى الجاني ، وأحضر السجينين وحاول أن ينتزع منهما معلومات بالترهيب والترغيب ؛ ولكنه لم يجد لديهم شيئا ، وما كاد ينتهي منهما ويأمر باداعئهما السجن ، حتى دخل جندي يحمل سهما سقط في باحة القصر فأعطاها للوزير الذي قدمه للملك قائلا : سهم سقط في فناء القصر عليه رسالة .

فتح السلطان الرسالة الطائرة وقرأ " أيها الظالم لقد نجوت ؛ ولكني سأقتلك وأنت بين جندك الطغام كما حاولت في المرة السابقة ، يجب أن تموت بين جيشك يا ظالم .. وأنا لك بالمرصاد "

مزق السلطان الرسالة من شدة الغضب وصاح وزمجر وسب وشتم وقذف ثم قال : الرعاع يتطاولون علينا .. الوغد يتهددني يا جبناء ها هو يلقي بسهمه في فناء قصري .. أين الجنود ؟ أين الحرس ؟ .. أين ؟..لابد أن لهذين اللعينين علاقة بالمجرم الغادر ..المرة الأولى في ساحة العذاب وهذه المرة في قصرنا .. هل لهم أولاد .. أقارب .. ؟ احضروا كل أقاربهم وذويهم .. أسرعوا بالوصول للمجرم قبل أن أفنيكم كلكم يا أوغاد .. أو أنفجر وأموت من القهر والغيظ

وجمع الجنود كل من له صلة قرابة أو معرفة بربيعة ، ومع ذلك فكل التحقيقات والإهانات لم تسفر عن شيء يدل على الجاني ، وظل السلطان الجبار ورجاله في قلق وتوتر عدة شهور ، ثم قال السلطان لوزيره ليلة من الليالي : أعجزتم من الوصول للمجرم الذي أراد القضاء على حياتنا ؟

فقال الوزير بانكسار : أجل يا مولانا السلطان ..اختفى اللعين .

قال السلطان وهو يقضم تفاحة حمراء كانت بين يديه : يا وزيرنا .. أنتم لماذا قمتم بجلد ربيعة اللعين في الساحة العامة ؟! .. ما هي جريمته ؟

قهقهه الوزير وأخذ ينظر للملك بدهشة ثم قال : جرمه الكبير أيها الملك العظيم أنه أبى أن يدفع للجند ما عليه من مال ، وادعى أنه لا يملك درهما ولا شيئا يدفعه للجند ، فقام الجند بقلب الدكان رأسا على عقب فلم يجدوا شيئا يأخذونه ..وفتشوا المنزل فلم يلقوا شيئا يحملونه فاتهموه بالخيانة والغدر وأنه أخفى أمواله تخلصا من الضرائب للأمير وحماة الوطن .

قال الأمير السلطان : هل له زوجة وذرية ؟!

قال الوزير : المصيبة أنه فقير معدم لا زوج ولا أولاد .

فصاح الملك : ويلكم وماذا يفعل بالحانوت ؟! ماذا يبيع ؟

قال الوزير :وجدنا بعض الصناديق والسلال المهترئة فيها بعض الفواكه والخضار التي تخجل حيواناتنا أن تأكلها يبيعونها للفقراء والأيتام ، وأحيانا يخرج مع الرعاة بقوت يومه ومرات أخرى يعمل مع الصيادين عند البحر .. هذا هو ربيعة يا ملك الزمن .



فقال الملك وهو يتأمل أعمال المتهم ربيعة : وهل كان يدفع للجنود قبل هذه المرة ؟

رد الوزير قائلا : يقول الجند إنهم كانوا في بعض المرات يجدون لديه عشرة دريهمات أو خمسة .

فضحك الملك ضحكا عصبيا ملأ القاعة التي يتسامرون فيها وقال : ويلكم من أجل عشر

دراهم دعوتموني لحفلة تعذيب ربيعة .. لقد خيل لي أنه غني استعصى عليكم وأردتم أن تجعلوه عبرة للناس .. ما هذا أيها الوزير العاقل ؟! ..آه .. من أجل ذلك صاح الرجل الأخر قائلا " حرام عليكم ..حرام "

قال الوزير : لا يا مولاي ..إنه يحتج على ضربنا لربيعة وعذابه .

بعد أن شبع الملك الشره من أكل الفواكه التي أمامه قال : أعطوا ربيعة مائة درهم وأخرجوهما من السجن إنها مهزلة ! .. فعلا كدت أخسر عمري من أجل خمسة دراهم يا أوباش .

خرج ربيعة وصاحبه من سجن السلطان ، ففرح أصحابه بعودته ونجاته من سجن الطغاة ، فهم يعرفون أنه من النادر أن يسجن رجل في سجن القصر ويخرج حيا ، فكان ربيعة وصاحبه من النادر هذا ، وقد أمر السلطان وزيره بمراقبة الرجلين خفية لعل الفاعل الذي أراد إغتياله أن يتصل بهم ، وهو يقول لوزيره الذي ظن أن الأمير لمست الشفقة والرحمة شغاف قلبه على الرجلين : لا تدعهما يغفلان عن عينيك .. اعلم يا وزيرنا العاقل أنه لا يهدأ لي بال حتى امسك المجرم .. وأحس أنا أنّ للمجرم الغادر معرفة بأحد الرجلين أو بكليهما .

مراقبة ربيعة

كان ربيعة يجلس في حانوته الصغير بعد خروجه من محبس الظالم يبيع الفواكه والثمار ، وبينما هو جالس وحده في الحانوت وعند الظهيرة دخل عليه غلام جميل الصورة قوي البنية ، فألقى التحية وتظاهر بالنظر وتقليب الفاكهة والسؤال عن الأسعار ، ومن خلال ذلك هنأ الفتى ربيعة بالإفراج ، فشكره ربيعة وهمس قائلا : ابتعد عني يا ولدي فما زال الجنود يراقبونني ويتبعون أثري فما أرى إخراجي من السجن إلا حيلة للوصول إليك .

ووزن له مدين من الرطب فخرج الغلام وهو يحمل ما شراه ، وكان يلوك في فيه حبة منه ، ولما ابتعد الغلام شعر بأنه متبوع ، وهذا الغلام هو الذي رمى الأمير الحاكم بسهم قاتل ، وهو الذي هدد وتوعد الحاكم بالموت بالسهم الذي ألقاه على القصر ، فلما تيقن بأن أحد الناس يتبعه ، دخل في حي وخرج من آخر ، ثم دخل بيت خال وقفز عن الجدار من الجهة الأخرى ، ثم عاد إلى وسط البلدة ، وعند المقابر اختفى ، وعند الليل كان جنود السلطان يقتادون ربيعة إلى بين يدي أميرهم ، وكان أول سؤال عن الغلام الذي اشترى منه الرطب وأطال الحديث معه ، فرد ربيعة بضعف : يا سيدي الحاكم غلام .. شاب صغير دخل الحانوت واشترى بعض الرطب وهنأني بسلامة النجاة من سجنكم العتيد ، ولا معرفة لي به ، وجنودك الذين كانوا يراقبوننا رأوه قد اشترى صنفا واحدا وانصرف .

فصاح الملك : وتعلم أن جنودي يراقبونك .

قال ربيعة بضعفه المعتاد : يا مولاي السلطان هيئة الجند وحركاتهم لا تخفى على عاقل متأمل .

صاح الملك : إنك ذكي يا ربيعة والذكاء يشكل خطرا علينا !

رد ربيعة قائلا : المظلوم يصبح ذكيا يا مولاي ..وأنا لا أخفي عن رجالك أموالا ، آخذ من أصحاب البساتين بعض الثمار والفواكه واضعها في الحانوت فأبيعها نيابة عنهم ويدفعون لي شيئا مما أبيعه ، فاشتري به خبزا وقوتا وما يفيض ادفعه للأضعف مني .. فالبلد فيه عدد كبير من الفقراء والمساكين يا مولاي !

هز الملك رأسه عدة مرات وهو يحلق في هذا الكهل الذي لا يخشاه ويتهمه بالظلم وعدم مراعاة شأن الفقراء والضعفاء ؛ ولكنه كان بحاجة إليه ، وهي الوصول للذي حاول الفتك به في ساحة العذاب ، وكذلك هرب الغلام من جنده بطريقة غريبة قذف في قلبه الخوف ، فبعد تفكير قال : يا ربيعة أنا بحاجة إليك ..ما رأيك أن تصبح جنديا من جنودنا ؟

فقال ربيعة بضعف : لا أستطيع ..لقد أنهكتموني بالسوط وأضعفتم بنيتي ولا أستطيع القيام بالواجبات الملقاة على عاتقي يا مولاي السلطان

قال السلطان : أنت كهل قوي وذكي يا ربيعة .. وصبور أيضا !

فقال بجرأة وقد رفع من صوته الضعيف : لا أستطيع أن أظلم الناس وأسرق أموالهم وأقهرهم فالظلم ظلمات يوم الجزاء والحساب .

ضحك الأمير : إنك لجريء ووقح أيها الصعلوك وأراك تتطاول علينا بغمزك ولمزك هل أنا ظالم يا ربيعة ؟!

قال ربيعة وهو يحتسب روحه عند الله : قلت جنودك يا مولاي ! يضربون الناس ويسلبونهم الأموال ويدخلون عليهم البيوت في أحيان كثيرة .

فأجابه السلطان وكله غضب : أنت خطر على سلطاني يا ربيعة ! فبلد كبلدنا لا يستوعب أناس أذكياء مثلك ! ما رأيك بألف درهم وتغادر البلد على عجل ؟!

فقال ربيعة بضعفه المعهود : ولكنها وطني يا مولاي كما هي وطنك ، وأما إذا أصبحت كما تقول عني أنا الإنسان الضعيف الذي لا يكاد أن يدبر قوت يومه خطرا على سلطانك وتحب نفيي فأنا أقبل دون ألف درهم .

قال السلطان بحدته : أنت ترفض أخذ أموالنا ، قد رفضت سابقا المائة درهم وها أنت الليلة ترفض الألف يا ربيعة ، وقهقهه السلطان فجأة وقال : نعم نعم إنها أموال المظلومين .. ربيعة أنا أستطيع سفك دمك كما سفكنا دماء الكثير ؛ ولكني أوافق على نفيك والعفو عن روحك ؛ ولكن ذلك يكون إذا عرفتنا على منزل الغلام الذي تحدث معك اليوم طويلا وضلل جندنا

المقتفين أثره فقد دار بهم في المدينة ثم اختفى فجأة .

قال ربيعة : صدق يا سيدي الأمير أنني لا أعرفه ولا علاقة لي به .. اشترى رطبا وانصرف ، ولكن ما الذي يزعجكم من الغلام ؟! وأنا رجل في الخمسين من عمره ما يربطني بغلام أو شاب صغير ابن خمس عشرة سنة أقل أو أكثر بسنة .

استشاط الملك غضبا وقال : ربيعة يجب أن تموت .. لقد نفد صبري .

فقال ربيعة مستسلما : افعل بي ما شئت .. أنت السيد الحاكم وأنا العبد الضعيف المغلوب على أمره .

صاح الملك بغضب ونهض عن كرسيه مخاطبا الجنود : خذوه إلى السجن سوف أمسك غلامك يا ربيعة وأعدمكما الحياة معا أمام كل الشعب .

وعلى الفور حمل الجنود ربيعة إلى أقبية السجن ، وهم يكيلون له الضرب والرفس والشتم والتحقير .

عاقبة الظالمين

ظل السلطان يسوم الناس الذل والهوان ، ويرهقهم بالضرائب والأموال حتى عم الفقر كل الشعب ، وقل الأغنياء ، والناس صامتة لا كلام ، فمن احتج يسحب لميدان العذاب ويجلد أمام أعين الناس ، والقهر لعباد الله لم يخف ويضعف ، وكان السلطان يتحرك في البلد وحوله حرس كثير لا يكاد يراه الناس من كثرة الجنود حوله ، وازداد الجنود حذرا من اغتياله ، فازداد السلطان غرورا وجشعا وعتوا وطغيانا ، وبينما هو في تجبره وعتوه جاءه النذير بأن جيشا زاحفا نحو مدينته ، فانزعج لذلك وأرسل عينا إلى معسكر خصمه ، فلما عاد أعلمه بعدد الجيش القادم وعدته ، فملأ الرعب قلبه ،وأحاط الغزاة بالمدينة وجاءته رسالة تدعوه للاستسلام .



فتشاور السلطان مع رجاله الأشاوس حماة الديار والعباد ، فأشاروا عليه بالخضوع للملك الغازي حفظا للأنفس ، فغضب من جبنهم وخورهم وصرخ فيهم : ويلكم لماذا أنتم عندي ؟! لماذا لا تدافعون عن ملككم ؟! أين شجاعتكم التي تمارسونها على الشعب ؟ ! إنكم تستأسدون على أهل مدينتنا ..لابد من القتال أيها الجبناء أتريدون أن ندفع الأموال التي نأخذها من الناس لهولاء الغزاة على طبق من ذهب ؟! ..غدا نخرج لقتالهم .

وكتب الملك كتابا شديد اللهجة للملك الغازي يدعوه للانصراف وإلا اللقاء في صباح الغد ، وكان ذلك ، ولم يصبر جنود المدينة أمام الملك المهاجم سوى ساعة من الزمان ، فقتل من قتل ، وأسر من أسر ، وهرب من هرب ، ودخل الجيش الغازي المدينة قبل الظهر ، وأعطى الناس الأمان على أنفسهم وأموالهم ، وأن يلزموا بيوتهم حتى يتم ترتيب أمر المدينة ؛ ولكن الناس خرجوا يرحبون بالجيش الغازي ، ويشمتون من ملك بلادهم وجنوده الضعفاء ، ودخل القائد الغازي قصر السلطان وصادر جميع الأموال ، وأمر بإدخال السلطان ووزيره مكبلين عليه وخاطبهما قائلا : كيف ترون أنفسكم الآن ؟ إيه يا ملك الزمان ! ..وأنت أيها الوزير الخوان ؟

أين ربيعة يا قوم ؟!

قال أحد الجند : ذهب الغلام ميرا ليخرجه من سجن الطغاة يا سيدي القائد .

فقال القائد : الله سلطتني عليكم لأنكم ظلام كلكم جشع .. اعلموا أنه قد جاءني فتى يستجير بي من ظلمكم فأجرته ، وأرسلت عينا يأتني بصدق خبره ، فكان صادقا وهذا الغلام أيها الحاكم قتلت أباه ظلما وعدوانا ، فسخر الله رجلا تكفل به بعيدا عن أعين كل الناس ، فرباه وعلمه الرماية وغرس في قلبه كرهك وبغضك ، وكاد يقتلك لولا انّ في الأجل فسحة أيها الطاغية وما زلت تعاقب كافله.. وأهل المدينة يكرهونك ويتمنون الخلاص من حكمك فجأني وفد كبير منهم .

فصرخ الملك المقيد : اقتلني .. اقتلني لا أريد أن أسمع المزيد .

صاح القائد وهو ينهض عن مقعده : أيها الأرنب تركت أمرك للغلام ميرا ابن صاحبك الذي غدرت به وأجلست مكانه ووزيرك الخائن هذا

دخل ربيعة والغلام الشاب ميرا وقد سمع آخر كلام القائد المنتصر ، فاقترب من القائد وشكره وقبله من رأسه ، وبارك له همته ونخوته لنصر الضعفاء من بني الإنسان ورفعه للواء العدل ورفع الظلم عن الضعفاء والأرامل والأيتام ، ثم حدق نظره في الحاكم ووزيره وقال : ماذا أنت فاعل بهما يا سيدنا الكبير ؟

أجاب القائد المنتصر : تركت أمرهما للأمير ميرا ..الفتى الشجاع الذي قطع الفيافي والقفار ليصل إلى ملكنا ويطلب المساعدة منا .. وخاطب ميرا قائلا : ميرا شأنك بهما.

تقدم الشاب الصغير الملطخ الثياب بدماء قتلى وجرحى المعركة التي دارت في الصباح ، فقد تقدم وقبل يد القائد وقبله على جبينه أيضا وقال : أشكرك سيدي القائد .. فالظلم مرتعه وخيم في الدنيا والآخرة .. وما قتل أبي أيها الناس إلا لأنه وقف في وجه ظلم السلطان ومنعه من الظلم وحثه على العدل وكان أبي وزيره الأول وأهل المدينة يعرفونه ويعرفون أخلاقه وحبه للعدل ، وكان يحد من طغيان السلطان وجبروته حتى ظهر وزيره قداح على مسرح الأحداث فقبضوا

على أبي وأمي وعذبوهما ثم قتلوهما وصلبوهما على باب المدينة وأنا ابن ثلاث سنين .. فأخذني ربيعة سرا عن وصية أبي ، واشتدوا في البحث عني ؛ ولكن الله أبى لهم أن يجدوني ، فأخفاني ربيعة عن العيون واعتنى بي حتى كبرت ، فعلمني الرماية وغيرها ، ولما بلغت خمس عشرة سنة كشف لي الأمر ، وطلب مني الأخذ بثأري ، وكدت أحقق ذلك ، ولما فشلت أيها الناس ذهبت للأمير المعروف ابن نمير ، فشكوت له أمري وقصصت عليه قصتي ، فأرسل معي هذا الجيش من أجل نصر المظلوم ورفع الظلم عن أهل هذه القرية .. فجزاه الله خير الجزاء .

قال ربيعة جذلا : أحسنت الكلام يا ميرا ! فماذا تريد أن تفعل بهم يا مولاي ؟

قال الأمير الشاب : السن بالسن والعين بالعين والنفس بالنفس ، فهؤلاء قوم مجرمون ولا دواء لهم إلا القتل .

فقال القائد المظفر : وأنت يا ربيعة لك عنده ثأر ومظلمة .

هز ربيعة رأسه بالإيجاب وقال : إيه يا مولاي القائد .. لقد جلدني وعذبني أمام الناس .

فقال القائد : خذهما يا ربيعة واجلدهم أمام الناس .

وحصل لهما ذلك ، ثم قتلا وصلبا مدة ثلاثة أيام حتى يكونا عبرة لمن يعتبر ، وجاءت زوجة السلطان وابنته تطلبان العفو والصفح عنه ، فقال القائد : سبق السيف العذل أيتها الأميرة .

فبكتا وقالت الزوجة معتذرة للناس : لقد نبهته وحذرته من عاقبة الظلم وأن الله سيهلكه إذا استمر في طغيانه فكان ينهرني ويحذرني من التدخل في أي أمر .

قال القائد : لم نظلمه أيتها الأميرة بل هو ظلم نفسه ، والله سخرنا لننقذ الناس من ظلمه وتعديه

قالت الأميرة : ماذا ستفعل بنا ؟

قال : الزما القصر الآن ، فقد أعلنا الأمير ميرا حاكما على البلاد ، و الأخ ربيعة وزيرا له .

وأرسلهما إلى قصرهما الخاص معززتين ومكرمتين ، وأوصى الأمير ميرا بهما خيرا ، فانطلق ميرا

وربيعة إليهنّ وعزاهنّ وهو يقول : يا سيدتي أنت تعرفين أكثر مني أنّ زوجك قتل أبي وأمي وأفراد أسرتي .. فكان القصاص العادل وهذا القصر هو لكما ولن نصادره .. ويعرض الأمير القائد عليكما الرحيل لبلاده إذا رغبتما بذلك .

أجابت الأم : نشكره على عطفه وشفقته .. نحن نرغب بالبقاء في بلادنا إلا إذا كنتم تكرهون لنا ذلك .. فنحن على استعداد للرحيل .

فقال ربيعة : هي بلدكم كما هي بلدنا فابقوا على الرحب والسعة .. ولكن نحذركم من الغدر والخيانة ..

فوعدتاه خيرا ، فعادا للقائد وأخبراه برغبتهما في البقاء فقال : احسنا إليهما فالإحسان يأسر القلوب الطيبة .. ولا تزر وازرة وزر أخرى .. فيمكنك يا أمير ميرا بعد حين الزواج من الأميرة الصغيرة فتقضيان على الأحقاد الباطنة .

وأمضى القائد ثلاثة أشهر في ضيافة أهل المدينة ، ثم تركها عائدا لبلاده ، فخرج السلطان الجديد ووزيره ربيعة وقائد الحرس الجديد وأهل المدينة لوداعه مسيرة نصف نهار ، ثم تعانق الجميع وعاد أهل المدينة وكلهم آسف على فراق محررهم من قبضة الظلم والعدوان ، وبدأ الحاكم الشاب ووزيره ربيعة بتحسين أحوال المدينة ، فجمعت أموال السلطة السابقة وأعيد توزيعها على الناس المحتاجين ، ومن فقد متاعا وله عليه أمارة رد إليه ، وعادت السكينة تخيم على المدينة من جديد ، وعاد الحب والوئام بين الناس ، وقل الجشع والخوف والهرب ، فعاد السلام للقلوب المنكسرة ، وبعد سنوات عجاف شعر الناس بالأمان والعدل ، ثم تزوج الوزير ربيعة من أرملة الحاكم السابق وفرح بها ، وكانت امرأة عاقلة ، وتبين له أنها كانت امرأة مظلومة مع زوجها السابق ، وأنها تكرهه وتبغض أعماله وتتحمل آذاه من أجل ابنتها منه ، فلم يمض حين من الزمان حتى أقنع ربيعه مولاه السلطان بالزواج من ابنة السلطان القديم ، وكان ذلك بعد تردد وممانعة ، ثم عاش الجميع في وئام وتسامح ونسيان ما جلبه الظلم والطغيان على أهل هذه القرية من فقر ودمار .

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

جواهر القصص

جمال شاهين

ربيعة والسلطان

ربيعة والسلطان







أسعد وأسود

جمال شاهين



منشورات المكتبة الخاصة

جواهر القصص

الجواهر العشر

٨

جمال شاهين

١٩٩٧

أسعد وأسود

أسعد وأسود

أسعد وأسود أخوان يعيشان في المدينة ، وترك لهما والدهما أموالا لا تأكلها النيران ، ولهما زوجتان كأنهما ضرتان ، وبعد انتهاء مراسم الدفن بأيام ، ترك أسود البيت الكبير ، وقد اشترى قصرا كبيرا ، فرحل إليه هو وزوجته وأولاده ، وبعده بوقت يسير فعل أسعد مثله ترك بيت العائلة واشترى هو الآخر قصرا كبيرا وجميلا ، ثم رحل إليه ، ثم باعا قصر العائلة ، واقتسما ثمنه ثم اختلفا على سكن أمهما ، فكل منهما أصر على بقائها عنده ، ثم اتفقا على أن تمكث شهرا عند أسود وشهرا عند أسعد ، وهكذا دواليك ، ولم يعد يرى الأخوان بعضهما بعضا إلا قليلا .

وذهبت الأيام تلو الأيام حتى أعلن أسود إفلاسه ، وخسر تجارته ، وضاقت به الأرض بما رحبت ، ثم اضطر لبيع قصره وشراء منزل صغير ، ولم يعد يسأل عن أمه ، وذات ليلة جلس يتحدث مع زوجته بكل حسرة وأسف : ايه يا نورا !.. أصبحنا لا نملك سوى هذا البيت الصغير لقد ذهبت الأموال التي ورثناها عن أبينا.. لقد فقدت عقلي وما زال ولدينا صغيرين .

قالت نورا : استلف من أخيك أسعد .

أجاب : لا أستطيع قبل سنين طلب مني عشرة آلاف درهم فاعتذرت له

قالت : ولماذا طلبها ؟!

رد الزوج عليها قائلا : لقد كان ينتظر قافلة ولكنها تأخرت كثيرا .. وكانت حملة خارجة من المدينة فأراد أن يرسل معها عددا من الجمال فطلبني بعشر آلاف درهم فتأسفت له للأحوال التي كانت تعصف بي .

عادت الزوجة للاستفسار عن مصير القافلة المتأخرة ، فقال : لما رفضت جهز عددا أقل من الجمال وأرسل معهم ابنه السعيد سالم ثم عادت القافلة المتأخرة وغنم كثيرا منها كما أخبرني صاحبه كريم .

قالت الزوجه بهلع : الآن أم سالم تتشفى فينا ، لقد كانت دائما تقول لي إن زوجك أحمق لا يحسن العمل ولا التجارة ؛ لولا أسعد ما كسبوا شيئا ولا درهما واحدا ، وأرى أن الأيام أثبتّ صدق

كلامها يا أحمق .



فغضب الزوج وأخذ يشتم ويقبح زوجته ومشورتها وأخاه وزوجة أخيه ، فتركته يصيح ويندب حظه ثم سمعته يقول وقد أخذ منه الغضب أشده : أنت سبب خراب بيتي .. ألم أقل مرارا دعينا نبقى شركاء مع أسعد نبقى أسرة واحدة فأبيت وأحببت الاستقلال وتحججت بالأولاد وكرهك لزوج أخي حتى كرهتينا بأمنا وأخينا وأولاده .

ولما ازداد البؤس به دخل يوما على زوجته صباحا ، وأعلمها برغبته بالسفر والرحيل والهجرة عن هذه المدينة إلى أرض الله الواسعة ، وأنه لم يعد يطيق الحياة في هذه البلدة ، فأغلقت الباب في وجهه وقالت : "سفرة بلا رجعة "

فخرج حزينا هائما على وجهه ، ولما علم أسعد بهرب أخيه من البلاد ، زار زوج أخيه ودفع لها ما تيسر من المال ، فرفضته أم جواد ورمته في وجهه ، فتألم هو الآخر فحاول أن يعطيه لجواد الفتى ذي الاثني عشر ربيعا ، فرفضه أمام تهديد أمه ، ودفعه للبنت الكبرى التي تكبر جواد بسنوات ، فرفضت هي الأخرى ، ورفض الابن الأصغر وحذرته الأم أن يأتي إليهم مرة أخرى وقالت بحدة وتكبر : إياك ثم إياك أن تأتى هذا البيت مرة ثانية .. فنحن لسنا بحاجة إلى عطفك أو أموالك اغرب عنا وعن حياتنا .

عاد أسعد لبيته كاسف البال ، وروى لأسرته ما لقي من زوجة أخيه ، فقالت زوجته : إنها امرأة متعجرفة متكبرة .. أرسل لهم المال بطريق أخرى مع أحد الأصدقاء ..أصدقاء أخيك على أنه دين في رقبته .

قال أسعد : أحسنت يا أم سالم .. لو أتاني أسود لأحسنت استقباله ، فهذا المال مال الله ، ونحن مستخلفون فيه .. لقد نصحت أخي كثيرا أن نبقى يدا واحدة شركاء نعمل سوية .. سامحها الله زوجة أخي .. هي السبب .. هي السبب !

قالت أم سالم : إنها تبغضني بشدة يا أسعد ! ولا تطيق الأرض التي أمشي أو أجلس عليها .. وهي تحقد عليك أيضا فقلبها أسود حقود .

قال متأففا : دعيني من قلبها وحبها وبغضنا هذه مشاعر خاصة بها ، المهم أن لا يصل كرهها للعمل ضدنا ، وأفكر الآن بالبحث عن أخي أسود .

كان أسعد يرسل الأموال خفية إلى أولاد أخيه بطريقة لا يشعرون أنها منه ، ومضى على هذا الحال صيف وشتاء ، ولم يأتهم خبر صحيح طيب عن أسود ، فترجت الأم ابنها بالبحث عنه وقالت : يا ولدي الطيب أسود أخوك ، وهو رجل مسكين وضعيف الإرادة ، فكل ما أصابه هو من تدبير زوجته نورا .

وكان سالم الحفيد يسمع كلام جدته ورجاءها من أبيه التحري عن عمه، فأخذته الحمية والنخوة فقال : أنا يا أبي سأدور في المدن والقرى ، ولن أرجع إلا به فهو عمنا مهما فعل بنا .. فأتحفوني بدعائكم وأرجو أن أدخل السرور على قلوبكم .

فقال الأب : لا أدري ما أقول لك يا ولدي ! ما خرجت من بلادنا قافلة الا أوصيتهم بالسؤال عنه ، وما أقبلت قافلة إلا ذهبت إليها لأسأل عنه فهو أخي وابن أمي وأبي ، فافعل ما تراه مناسبا يا سالم ، أنت رجل ويعتمد عليك فعلى بركة الله سر .. واذهب إلى مدينة السلام ، فهو كان يحب هذه البلدة منذ كنا صغارا نرافق التجار ، فإذا وجدته هناك وأبى أن يأتي معك فعد وأنا أسير إليه بنفسي .

تجهز سالم جهازا خفيفا ، وركب فرسا ، وانطلق في الدنيا يتعسس ويتحسس عن عمه الهارب أسود ، ولقد كان كلما دخل مدينه أو قرية في طريقه لمدينة السلام يسأل ويتعسس عن عمه حتى وصل إلى مدينة السلام بسلام ، وكان يعرفها جيدا ، فقد دخلها تاجرا عدة مرات ، ولهم فيها أصحاب ومعارف ، فنزل على أحدهم ، وأعلمه التاجر أن أسود جاء المدينة فعلا واستلف منه بعض المال ، ومكث ردحا يسيرا من الزمن ثم اختفى من غير أن يطلع أحد على جهة سيره ، وإن خرج من المدينة فالأرجح أنه مشى نحو مدينة " الربيع الكبير " ، فهي مدينة تجارية كبيرة

لاتصالها بالبحر فترد على سواحلها السفن والمراكب من بلاد شتى

أمضى سالم شهرا في بلاد السلام يبحث عن عمه ويسأل هنا وهناك ، ثم ودع الأصحاب وسافر إلى مدينة " الربيع الكبير " ، وبالفعل وصلها ووجد عمه يسكن في بيت عند أحد أصدقائهم القدامى في هذه المدينة ، وسر أسود بلقاء ابن أخيه ، وقال الشاب سالم لعمه : يا عماه .. نحن أهل وأقارب وكما يقولون في الأمثال "الدم لا يصير ماء " لماذا لم تلجأ لأخيك ابن أمك وأبيك قبل أن تفارق الديار والأهل والأصحاب ؟ .. أمك تريد أن تراك قبل أن ترحل عن هذه الدنيا

قال أسود : يا ابن أخي أنا لم أهرب منكم .. لقد هربت من ديوني .. هربت من زوجتي .

قال سالم : لقد قام والدي من غير علم أسرتك بتسديد كل ديونك وطلب من دائنيك بعدم الحديث بذلك ، وأن يتظاهروا بأن الديون ما زالت لهم عليك .. والهروب من الزوجة لا يحل مشاكلك .. والأولاد بحاجة إليك .. فهم يريدونك .

قال أسود : لا احلم بالعودة قبل أن تكثر أموالي ويعود لي جاهي بين التجار ، وأقدم لك شكري الجزيل يا ابن أخي ، وأشكر أباك أسعد كبير الشكر وسلم عليه وعلى أمي العزيزة .

واجتهد سالم بكل الوسائل المناسبة أن يقنع عمه بالعودة معه ؛ ولكنه أبى وأصر على الرفض ، وأعلم سالما أنه مسافرا لمدينة بعيدة ، فترك سالم جرابا من المال فيه خمسة آلاف درهم خفيه ، وخرج وقد ودع عمه وداعا حارا ، فأمضى ليلة أخرى بالخان ، ولما تأكد من سفر عمه قفل عائدا لوطنه ، وروى للأسرة تفاصيل ما جرى له وأنه ترك بين يدي عمه خمسة آلاف درهم ، ففكر الأب باللحاق به ، فقال سالم : عمي عنيد فقد حلف أن لا يرجع قبل أن يصبح ثريا أو يموت في ديار الغربة . فدعت الأم الشيخة لابنها بالسلامة والتوفيق .

وكان أسعد يحاول بكل حيلة ووسيلة جذب أولاد أخيه نحو أبنائه ، ولكن أمهم كانت له بالمرصاد ، ومنعت أي اتصال ، وصدته بكل قوة وعناد ، وحاول سالم ولكنه أيضا لم يوفق ،

وذهبت أم سالم بنفسها لبيت أم جواد ، وأظهرت الود والحب ولكنها طردت شر طردة مما أغضبها ودفعها لكشف سر الأموال التي تصلهم بين الحين والآخر بطرق شتى ، فلم تصدق نورا ادعاء أم سالم ؛ ولكنها بعد أن راجعت هي والأسرة الأمور الماضية ، أدركت الحقيقة ، فأسود خرج من البلد وهو لا يملك نقيرا ، وكان الدائنون في أول الأمر يترددون على البيت ثم خفت أقدامهم ، فلابد أن أسعد كفهم عنهم وسدد دين أخيه ، فعظم عليها الأمر والقهر وأصابها وسواس شديد فمرضت مرضا شديدا ألزمها الفراش ، مما دفع جواد لزيارة عمه أسعد ، وطلب العون منه ، ففرح العم بمجيء جواد وأحسن إليه وكساه ثوبا جديدا وأهداه طعاما وثيابا للأسرة ، وأرسل معه طبيبا ليعالج أمه ، ولما خرجت نورا من مرضها وعادت للدنيا من جديد حثها الأولاد على نسيان الماضي والبدء من جديد ، فأرسلت وراء أسعد وأبدت له أسفها الشديد لما أبدته معه في السنوات الماضية ، ففرح أسعد بكلامها وأعلن لها أنه لا يُكن لها في قلبه أي كره ولا أي حقد ، وتصالحت مع أم سالم ، ووعدها أسعد بتزويج جواد من إحدى بناته عندما يكبر ويصبح في سن تسمح له بالزواج ، ثم اشترى لهم بيتا كبيرا وواسعا وفعل ما يستطيع أن يفعله أخ مع أخيه الغائب ، وهذا ما كان من أمر هولاء القوم ونعود إلى السيد الهارب أسود



أما أسود الهارب من مدينته فإنه لما التقى بابن أخيه ، وأبى أن يرجع معه فإنه غادر مدينة الربيع الكبير ، وتنقل في عدة مدائن ثم استقر به المقام في بلدة كبيرة ، وأخذ متجرا صغيرا فيها من أموال أخيه أسعد التي تركها سالم دون علمه ، ففي قرارة نفسه شكر أخاه على فعلته ، وبعد حين من الزمن تزوج من امرأة أرملة غنية في بلادها ، فجمع ماله إلى مالها وكبرت أعماله ويسر الله أمره ، واشتغل بتجارة الحرير الصيني ، فازدهر العمل عنده وكان يناديه الأصحاب بأبي شروب ، وكان لزوجته فتاة قد بلغت سن الرشد ، فخطبها ابن عم لها ثم اقترن بها بعد حين قصير ، وما كاد يمضي على أسود ما يزيد عن خمس عشرة سنة حتى وجد نفسه من أثرياء المدينة وتجارها العظام وذات يوم قالت له زوجته : يا أبا شروب ألم تشتاق لأهلك وأولادك ؟!

فسالت على خديه دمعات حارة وقال : إنني أفكر بهم ، وما جرى لهم خلال هذه السنوات الماضيات .. لقد تركتهم وأنا غارق في الديون والمطالب .. آه !! لقد مرت عليّ أيام يئست فيها من الحياة ؛ ولكن رحمة الله وسعت كل شيء يا أم شمس .. لقد تبعني ابن أخي وحاول العودة بي ، ولما رفضت ترك بين يدي خمسة آلاف درهم ، فهذه الأموال منها ومن أموالك ، لقد ابتليت بزوجة حسود وحقود ، وكنا نضع أموالنا في أعمال خاسرة فلم نوفق كما وفقنا ها هنا .

قالت : لا أعتقد أن أخاك سينساهم في غيابك كل هذا الزمن .

رد قائلا ومفتخرا : بالتأكيد فأخي أسعد طيب النفس مع أنه احتاجني مرة ـ بعد أن قسمنا ميراثنا الكبير عن والدنا ـ في قرض إلى أجل معلوم فرفضت ، ولما احتجت لم تطاوعني نفسي بالأخذ منه ، فاستلفت من هنا وهناك حتى عجزت عن السداد ، وبعت القصر الذي اشتريته وأيضا لم أنجح في التجارة والقيام ثانية ، فتركت البلدة ، وزوجتي لم تحاول الاعتراض ولو مجاملة على رحيلي بل شتمتني وطردتني ، إنها متكبرة ومتعجرفة ، وكانت تكره زوجة أخي بشدة وتغار منها كأنها ضرة لها .

فضحكت أم شمس وقالت : لقد أبدلك الله خيرا منها .

فقال أسود : أنت سيدة طيبة ونشيطة ولا يمكن نسيان فضلك .

فقالت بعزم : ألا تريد وتحب أن ترى أولادك فلابد أنهم أصبحوا رجالا وتزوجوا ؟؟

قال وهو ساهم النظر : بلى أحب ؛ ولكن ماذا أقول لهم بعد كل هذه الأحوال من الزمن ؟! .. هل سيعرفونني وينادونني بأبيهم ؟! وقد تركتهم في فقر مدقع وليس هذا فقط بل بدائنين كثر لا حول ولا قوة إلا بالعلي الكبير .

قالت الزوجة : فكر يا سيدي بهم واستخر الله في شأنك ، فلقد علمت من غلماني أن تجارا قدموا من مدينتكم أو مدينة قريبة منها وهم ينزلون في خان الهمامي شرق المدينة .

فقال الأب الهارب : إنك يا أم شمس تهتمين بأمري كثيرا هذه الأيام !

قالت : أرى الألم والحزن الدائم في كلامك، وأنك تذكر جوادا وسوادا وريام كثيرا بل تهتف بأسمائهم في نومك ، ولم ترزق بمولود مني يسليك عن أولادك..فهذا قدر الله يا أبا جواد .

تنهد أسود بعمق ولزم الصمت ، كأنه ذهب لبلده يتخيل نفسه جالسا مع الأولاد ، ثم همس محدثا نفسه : مال ! .. مال !.. من غير ذرية ..ما الفائدة منه ؟.. لا تكتمل الزينة الدنيوية إلا بالأولاد .. يا إلهي !

زار أبو شروب الخان المذكور ـ خان الهمامي ـ بعد أيام ، فوجد أن القوم قد رحلوا فرجع للبيت خائبا مطلعا زوجته بقراره الحاسم ، وهو الذهاب لمدينته ومسقط رأسه شوقا لأولاده ، فجهز قافلة كبيرة وانطلق مع تجارة قاصدة تلك المدن والبلاد ، وكان هدف القافلة مدينة السلام فوصلوا إليها بسلام وأمان ، واستقبل تجار المدينة القافلة القادمة ، وجرى تبادل السلع والأشياء من التوابل والبخور والثياب والسيوف والمدى ، وفكر أسود بالانفصال والاتجاه إلى بلده والسؤال عن الأهل والأحبة ولقائهم إذا ما زالوا أحياء ، فتفقد أمواله ، فاكتشف أن كثيرا منها مسروق ، فأخبر رئيس الحملة بفقد عشرين ألف درهم من صندوقه ، فاجتمع رئيس الحملة بكبار تجار الحملة وأسر لهم بالأمر ، فاتفقوا أن يتصلوا برجال الشرطة ليقوموا بالبحث عنها ، فأخبر الرئيس أبا شروب بالاقتراح ،فانطلقوا إلى والي المدينة واطلعوه على جلية الحادث

فانزعج الوالي لما حدث لهؤلاء التجار الغرباء الضيوف ، فاستدعى أحد رجاله الموسومين بالذكاء والحيلة والفطنة وقص عليه القصة ، فطلب الشاب الفطن من رئيس الحملة أن ينقله للخان الذي ينزلون فيه ليرى رجال وخدم القافلة ، فالتقى الشاب بصاحب الخان وصارحه باختفاء عشرين ألف درهم من صندوق التاجر أسود أبي شروب ، فأقسم صاحب الخان أغلظ الأيمان أنه لا يعلم عنها شيئا ، فقال الشاب الشرطي : يا صاحب الخان المال سرق في خانك ، ولابد أن أحدهم دخل غرفة الرجل .. فاسأل خدمك وغلمانك وأنا سوف أتحدث مع رجال القافلة وأسمع منهم ، ثم أعود في الليل وأنت تعلم أن الأمر إذا رفع للأمير فسيصيبك ضرر شديد فهذا حادث سلب كبير .

فرد صاحب الخان وكله خوف وقلق : سأنفذ أمرك وأبحث بين غلماني ، ويا ويل من وجدت المال لديه سأسلمه للوالي لينال جزاءه وفاقا .

فقال الشرطي لصاحب الحملة ورئيسها : يا زعيم الحملة اسمح لي بمقابلة رجال حملتك .

فتحدث مع كل رجال الحملة فردا فردا ثم قال لصاحب المال : اتبعني لبيت الشرطة أيها السيد الكريم .

فبعد العصر ركب التاجر أسود بغلته وأخذ غلامه بين يديه وسار إلى بيت الشرطة ، وهناك وجد الشاب وسيده الوالي في انتظاره فبعد الترحيب ، قال الوالي : يا أيها الرجل هل تتهم أحدا من الناس ؟

فقال أسود بحزن وأسف : لا أيها السادة لا أتهم أحدا بعينه ، والله لولا أنني مسافر للمدينة التي ولدت فيها والتي ابتعدت عنها منذ زمن بعيد ، وقد تركت فيها عيالا فقراء لما بحثت عن المال المفقود ؛ ولكني بحاجة أن أذهب هناك بمال كثير ، فلي أهل فيها فلابد أنهم بحاجة لمال بعد كل هذه السنوات الطوال .. فهل أصل

إليهم بمال ضئيل ؟؟

فرق قلب الوالي ومساعده الشرطي لكلام الرجل المؤلم ثم قال الوالي : حسنا أيها الرجل الكريم سوف تسافر بمشيئة الله تعالى إلى المدينة بمالك كله ؛ ولكن هذه الليلة لا نريدك أن تنام في غرفتك في الخان ، سينام مكانك هذا الشاب فعليك أن تخلع ملابسك ليلبسها ، وعليك أن تحل عندنا ضيفا أنت وغلامك ، فنحن نتوقع أن يعيد السارق الليلة ما سرق فقد يكون اللص من أصحاب الحملة ، وقد يكون من أصحاب الخان ، فتهديدنا الشديد وصل للجميع فلابد أن يحاول اللص إعادة المال قبل انكشاف وافتضاح أمره تحت سياط الجلاد .. فهذه خطتنا السهلة إذا كان اللص قد سمع التهديد .

فخلع أسود ثيابه ولبسها الشاب ، ولبس ثيابا قدمها له الوالي ونقل لبيت يقضي فيه ليلته بصحبة الغلام ، وفي الليل تنكر الشرطي بثياب أسود وركب بغلته ، وقبل نصف الليل دخل الخان بعد أن أعطى البغلة لأحد خدم الخان ، وتسلل إلى غرفته غرفة أسود ، وتظاهر بالنوم وقبل الفجر بقليل شعر الشرطي المتظاهر بالنوم بفتح الباب ببطء وهدوء ، ودخل رجل ملثم واقترب من صندوق أسود ، وأخرج من صدره عدة أكياس وضعها في الصندوق بكل هدوء ، وقبل أن يقضي حاجته كان الشرطي ينهض ويشهر سيفه على اللص وقال بهدوء : حذار أن تتحرك .

ولكن اللص تحرك بسرعة وحاول طعن الشرطي بخنجره ، ولكنه حاد عنها ونخزه برأس السيف وقال : أنا لست صاحب المال .. أنا الشرطي .

ثم رفسه بساقه فوقع اللص أرضا فوضع السيف على عنقه وقال: ارم خنجرك يا مجرم .

ونخزه في عنقه مرة أخرى ثم أخرج حبلا وقيده ، وأغلق الباب ثانية وعاد للنوم ، ولما أصبح الصباح صلى الفجر ، ثم قاده لصاحب الخان وقال له بقوة : أتعرفه ؟ .. هل يعمل معك هذا الشاب ؟

فأجاب صاحب الخان وكله وجل ووهن وحيرة : نعم .. ولماذا أنت موثقه ؟!

فقال الشرطي : ألم تعرفني ؟! .. أنا لست أبا شروب إنما هذه ثيابه .. أنا رجل الوالي .. هذا هو

اللص يا صاحب الخان .. هذا السارق .. لقد سمع تهديدنا أمس فوقع في قلبه الرعب كأي مجرم من المجرمين ، فأراد أن يضع المال في صندوقه خشية أن يعترف تحت سوط الجلاد .. ولو حاول الهرب بعد التهديد لانكشف أمره ، وإذا فتشنا الخان قد نقع على المال المخبأ ولا نعرف اللص ، فعملنا له هذا الكمين فوقع في الفخ ، ولو كان أبو شروب في الحجرة وشعر به لأرداه قتيلا ، فلقد حاول طعني ظانا أني صاحب المال .. والآن الحق بنا يا صاحب الخان على بيت الشرطة .

وقبل أن يحضر الوالي إلى ديوانه وجد الشرطي واللص في انتظاره فقال : الحمد لله الذي مكننا من الوصول للص بوقت يسير .. لقد نجح الكمين يا أسد الدين.

فقال أسد الدين والفرح يغمره : نعم يا سيدي الوالي .. لقد كان من الراجح لديّ أن اللص أو السارق قريب من الخان ؛ فإما من غلمان صاحب الخان أو رجال القافلة ، ولو كان السارق بارعا أو من الخارج ، فلماذا لم يأخذ كل ما في الصندوق ؟! هو ظن أنه بأخذه عددا من الأكياس بأن صاحبها لا يشعر بفقدها وهو لا يريده أن يكتشف أن فلوسه ناقصة .

قال الوالي : أحسنت يا أسد الدين ! وصاحب الخان أله يد في القضية ؟

فصاح صاحب الخان : أبدا يا سيدنا الوالي .. إنما هو غلام يعمل عندنا.

فقال الوالي : حسنا اذهب بهم إلى القاضي لينظر في أمرهم .

فقال أسد الدين : أمرك مولانا الوالي ؛ ولكن اسمح لي بالحديث مع التاجر أبي شروب المسافر إلى المدينة التي ولد فيها.. فأنت ضيفي اليوم يا أبا شروب ، فأنا لي أقارب في تلك البلدة ، فسأحملك هدية لهم إذا رضيت .

فرد التاجر أبو شروب : ابشر .. أنا في طاعتك ، فالشكر للجميع ، لسيدنا الوالي ولك ، وأنا قبلت ضيافتك أيها الشاب الفطن ؛ولكني مسافر اليوم فأنا بانتظارك في الفندق فهات هديتك التي تريد توصيلها لتلك المدينة .. وأنتم تستحقون مني أحسن الهدايا .

فقال الوالي : أشكرك .. هذا واجبنا أيها الرجل فنحن لا نتقاضى على عملنا هدايا فهديتنا هي

أن نصل لمن تسول له نفسه الفساد في بلدنا .

وقال أسد الدين : نعم ، أيها الفاضل نحن لا نقبل هدايا من نرفع عنهم ظلما فهديتنا هي بقاء العدل والأمان في ديارنا .

ترك أسود مدينة السلام مع العصر متجها لمدينته التي تركها منذ ما يقارب عشرين سنة وبرفقته غلامه وبعض الأحمال ، فلما دخلها سأل عن منزل أخيه أسعد متأملا رؤية أمه ، فخرجت له فتاة جميلة مرحبة به فأخبرها أنه بحاجة لأبي سالم فقالت : أبي غير موجود .. فإن زوجي سالم موجود .

فجاء سالم ولما رأى السائل هتف بدهشة : عماه .. عماه .. يا إلهي ! .. أما زلت على قيد الحياة ؟! لقد أخبرنا بعضهم بموتك .. يا مرحبا يا مرحبا

وتعانق الرجلان وكانت الفتاة مندهشة فقال سالم بانفعال كبير: ريم هذا أبوك ! .. هذه ابنتك يا عمي .

ترك أسود سالما واحتضن ابنته الصغيرة التي تركها وهي ابنة سنتان ربما أقل ، وعلى صوتهم خرجت أم سالم ، وقد تفاجأت بما علمت وشاهدت ، فحمدت الله على سلامته وعودته ، وأرسل سالم ولده ليخبر جده بعودة أخيه أسود الغائب ، فجاء يركض ركضا لا يكاد يصدق ما يسمع من حفيده ، ولما اجتمع الأحبة قال أسعد : ماتت أمك يا أخي ، وهي تدعو لك بالتوفيق والنجاح...

فقال أسود : لقد استجاب ربي لها رحمها الله..وأسرتي ما أخبارها ؟

فقال أسعد : أم جواد أصابها فالج منذ سنوات وقد قضت نحبها من قريب فإلى رحمة الله ، وأما جواد فقد تزوج وهجر البلد منذ قريب بعد وفاة أمه ، وأما ابنك سواد فقد تزوج من فتاة من مدينة السلام ورحل إليها منذ تزوج ، وأصبح من رجال الشرطة رجال الوالي ، وهو موفق في عمله ومحبوب من الأمير والوالي .

قال أسود : لقد التقيت بالوالي وشاب ذكي يعمل بحضرته ، كلما أنظر إليه يخفق قلبي له ..

اسمه أسد الدين ؟

صاح سالم : نعم هذا اسمه هناك !!

فقص عليهم أسود قصته في مدينة السلام ثم قال : والحق أنني دهشت عندما دفع لي هدايا لكم ؛ ولكني كنت في عجلة من أمري .. أمر الرحيل.. وظننته صديقا لكم مع أنه ذكر لي مرة أن له أقاربا في هذه المدينة .. ولكنني لم أدقق في الأمر لإنشغال الذهن والبال .. وهو لو ذكر شيئا عن أسرتي لعرفته .. على كل الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات .

تمت بحمد الله

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

جواهر القصص

جمال شاهين

أسعد وأسود

أسعد وأسود


الجواهر العشر
غسان في المدينة
مكر نديم
نبوءة سيف
المدينة البيضاء
عقيل والصياد
أحلام الأولاد
ربيعة والسلطان
اسعد واسود
ثلاثة أبناء
الصياد البحري هارون





ثلاثة ابناء



جمال شاهين



جواهر القصص

الجواهر العشر

٩

جمال شاهين

١٩٩٧

ثلاثة أبناء

ثـلاثـة أبناء

كان لرجل ثلاثة أبناء وهم إياد وزكي وعلي ، ولقد كان بهم بارا وقد أحسن تربيتهم وعلمهم السباحة وركوب الخيل بالقول المأثور عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وشجعهم ورغبهم على حب الإحسان والشفقة والعطف على الفقراء والأيتام ، ولما كبروا كانوا موضع فخر أبيهم ، وأحس أنه قدم الواجب المطلوب منه نحوهم من التربية والتعليم ، ولم يبق أمامه إلا أن يزوجهم ليستقل كل واحد منهم بحياته الجديدة ، وتبدأ القصة هذه عندما سمع الناس في المدينة منادي السلطان ينادي بأعلى صوته في الأحياء والحارات أن السلطان سيزوج ابنته الكبرى لمن يجلب لها فاكهة جنة عدن وإن كان الفاعل فقيرا معدما .

فسمع الأبناء الثلاثة ما سمعه الناس ، فسألوا والدهم عن جنة عدن فقال أبوهم : اعلموا يا أبنائي أنه شرف كبير لمن يصبح ختنا وصهرا للسلطان ؛ ولكن الأمر يحتاج لمخاطرة ، وكان يراودني خاطر أن أنكحكم أخوات ثلاث لتبقوا أحبة وأصدقاء طول حياتكم ؛ ولكنني أراكم تطمعون بالزواج من ابنة السلطان الأميرة "زهرة الرمان" ، وهذه الأميرة المسكينة ألم بها مرض منذ سنوات فأنهكها ، وضعف الحكماء عن مداواتها ، فأحضر لها والدها السلطان طبيبا هنديا ، فلما عجز هذا الحكيم البارع عن إزالة سقمها ، وصف لها بأن تأكل من فواكه جنة عدن .. وجنة عدن بستان كبير وعظيم يقع في بلاد بعيدة ، وهو خاضع لساحر ماكر يدعى "بربروش بن حفارش" ، ويقوم على حراسة هذا البستان المسمى جنة عدن الوحوش المفترسة .

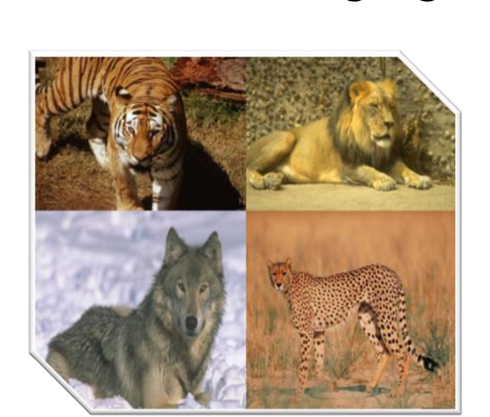
فران عليم صمت طويل ثم قال إياد : يا أبتاه! .. ألا ترى أن نحاول ونغامر في إنقاذ حياة ابنة السلطان ؟!

وقال زكي : ونصبح من أصهار السلطان يا أبانا العزيز ؟

وقال علي : ولكن من يذهب منا ويقوم بهذه المخاطرة ويقتحم عرين ذاك الساحر ؟

فهنا قال الأب : يا أبنائي عمل الخير جيد ؛ ولكن لا يكلف الله نفسا إلا وسعها.. وأخشى أن يدب بينكم الحسد والكره والبغض ويذهب ما صنعته لكم من حسن تربية وأخلاق عالية

أدراج الرياح هباء منثورا .



فعندئذ قال إياد : يا أبانا عندي اقتراح قد يروق لكم فاسمعوه .

قالوا : علينا به ؟!

قال إياد : ألا يوجد للأميرة أخوات يا أبي ؟

رد الأب بروية فقال : فمولانا السلطان له أكثر من زوجة .. وهذه الأميرة من زوجته الأولى وقد ماتت عنها أمها في نفاسها ، ولما تزوج ثانية خلفت له ذكرين وأنثى ، ثم تزوج أخرى فوهبه المعطي من الأخيرة ولدا وابنتين ..وهذه الأميرة المريضة يحبها والدها حبا جما لأنه كان يحب أمها حبا جما .

فقال إياد : أحسنت يا والدي ! .. إذن نقابل السلطان ونقول له نحن الاخوة الثلاثة راغبون بالمسير إلى جنة عدن في أقاصي الدنيا ، ولدينا رغبة بالزواج من أخوات ثلاث ، ومن يتمكن منا من إحضار فاكهة تلك الجنة يكون من نصيبه الأميرة المريضة إذا شفيت بمشيئة الرحمن ، ويأخذ الأخوان من بنات السلطان الأخريات أو نذهب كلنا معا ونحضر الفاكهة كلنا وكل أميرة تختار واحدا منا .

قال الأب : رائع .. أفكار جميلة .. ما قولكم أنتم ؟!

قال زكي : كما قلت يا أبي أفكار رائعة ! .. ولكن نتركك كلنا وقد نفقد كلنا ؟

فقال علي : أنا موافق على أي اقتراح ترونه مناسبا .

فقال الأب : فهذه حياتكم .. وعلينا أن نصبر وننتظر أياما حتى نرى هل تقدم أحد من شباب المدينة لهذه المغامرة أم لا ؟ فإن لم يفعل أحد أذهب للوزير الكبير وأعرض عليه رغبتكم بالمغامرة بالمسير إلى جنة عدن .

مرت شهور ثم عاد منادي السلطان ينادي في المدينة من جديد ، فقام والد الشباب عندما سمع

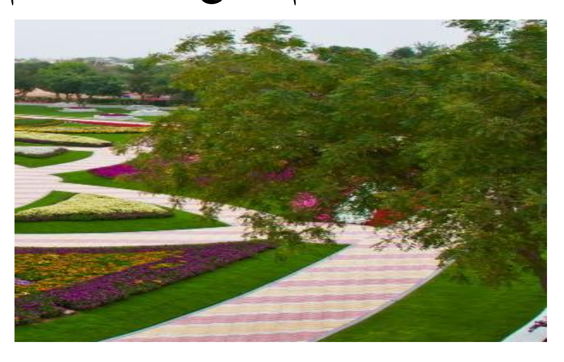
النداء بالاجتماع بوزير السلطان ، وروى له رغبة أولاده الثلاثة بالمخاطرة ، فقال له الوزير ناصحا : الأفضل أن يذهب واحد منهم حتى إذا أصابه مكروه ظل عندك اثنان .

فقال الأب : هي رغبة الأبناء فاعرض الأمر على مولانا السلطان

نهض الوزير حيث ديوان السلطان ، وشرح له أمر الفتيان الثلاثة .

وبعد نظر قال السلطان لوزيره : امهلوني بضعة أيام حتى أسمع كلام الأميرات .

وافقت الأميرات على الزواج من الشباب الأخوة الثلاثة إذا احضروا سلة من فواكه جنة عدن ثم تختار الأميرة إذا شفيت من تشاء منهم ، ثم تختار الوسطى واحدا آخر ، ويبقى الأخير للصغرى ، نقل الوالد موافقة الأميرات لإبنائه على اقتراحهم ، فودع الشباب والديهم وأقربائهم ، وقد تزودوا بنصائح أبيهم وساروا يقطعون الفلوات والمدن والأرياف والجبال والوديان ، أملا في الوصول لجنة عدن ذاك البستان البعيد بستان الساحر بربروش بن حفارش .



بستان جنة عدن

ولما وقفوا على قمة أحد الجبال الشاهقة في عنان السماء نظر أحدهم وقال : ذاك بستان جنة عدن على رأس ذلك الجبل .. ما علينا إلا ننزل هذا الجبل ثم نصعد الجبلين اللذين يفصلانا عنه ثم نرتقي إلى جبل الساحر

واستراحوا قليلا من الساعات ثم هبطوا الجبل الذي يقفون عليه ، ولما صعدوا جبلا آخر اختفى بستان جنة عدن عن أعينهم ، فقال إياد : لقد اختفى القصر الكبير الذي لمحناه على قمة بستان جنة عدن .. لم نعد نراه رغم وجوده على قمة الجبل .

فقال زكي : هل شعر بنا الساحر اللعين فأخفى عنا قصره ليضللنا ؟!

فقال علي : أم أننا ضللنا الطريق واختلط علينا الأمر ؟

فعاد إياد يقول : قد يكون هذا الجبل أقصر من الجبل الذي كنا عليه .. فلنتابع السير ما زال أمامنا وقتا حتى نصله .

فهبطوا الجبل ثم صعدوا الجبل الذي يفصلهم عن جبل جنة عدن ، ولما صاروا على قمته لم يروا قصر وجنة عدن .

فقال علي : ما علينا أيها الاخوة إلا أن نهبط هذا الجبل ونصبح أمام جنة عدن وقصرها فنرى الجبل وما عليه .

قال زكي : يبدو أن هذا الدخان الكثيف هو الذي يحجب عنا رؤية البستان والقصر .



وبعد أن استراح الشباب من نصبهم وأكلوا غداءهم قال إياد راسما خطة لهم : الآن سننفرد بالحركة سيبقى أحدنا على هذا الجبل ، والآخران يهبطان هذا الجبل ، ثم يصعد أحدهما إلى جبل الجنة وينتظر الآخر في بطن الوادي ، فإذا شعر الأول بالأمان ولم يتعرض لمكر يتبعه الثاني أي يصعد إليه ، وينزل المتأخر منا إلى بطن الوادي أي مكان الثاني ويتقدم الأول منا نحو البستان فإن انتصر الأول على الساحر تمت المغامرة ، وإن لم يوفق حاول الثاني وإن لم يوفق حاول الثالث إنقاذ الجميع ، واستعينوا بالله وحده واصبروا ، ونبدأ المعركة على السن الأكبر والأوسط يتقدمان ويتخلف هنا الصغير .

وبعد اعتراضات ومجادلات رضوا بخطة إياد وقالوا : على بركة الله .

نزل إياد الكبير وزكي الأوسط الجبل مع شروق الشمس وقبل أن يصبحوا في وسط الوادي اندفعت أمامهم مياه غزيرة ملئت الوادي ، فقال زكي : الساحر أراد بذلك إغراقنا فسبقتنا المياه قبل أن نصبح في الوادي .

فصبرا حتى خفت المياه وقطعا السيل بالقفز من صخرة إلى صخرة ، وفجأة اشتعلت النار أمامهما ، فعادا أدراجهما خلف الماء المسيل ولما خمدت النار التي اشتعلت في الأشجار التي أمامهما قطعا السيل من جديد ، وصعد إياد فريدا الجبل فأخذت الصخور والحجارة تتدحرج جهته ، فرجع فتواريا في أحد الكهوف حتى سكت تدحرج الحجارة من عل .

فعندئذ اقترح زكي تعديل الخطة قائلا : يا صاحبي .. لماذا لا نصعد الجبل من ثلاث جهات ؟

قال إياد : لا ندري ماذا سيضع أمامنا اللعين من عراقيل فهو ما زال يراقبنا .. وإلا ماحرق الغابة والأشجار ودحرج علينا الحجارة .. سوف أتسلل في عتمة هذا الليل .

فعاد زكي يقول : أرى يا أخي الكبـير أن نشتت جهوده إذا حاولنا الصعود من جهات ثلاث .

قال إياد : لا ، الأفضل واحدا واحدا إذا سقط واحد قام الآخر مكانه .

قال زكي : أخشى أن يصيدنا واحدا تلو الآخر .

فقال إياد : وعملنا الثلاثة في آن واحد فيه مخاطرة أيضا .. ولكن يمكن أن نجري تعديلا بسيطا

يدمج الخطتين معا .. يأتي علي إلى هنا ونصعد نحن الاثنان سوية .

وافق زكي على هذا التعديل ، وأشارا لعلي بالانحدار ، ولما انتهى إليهما حدثاه بما حدث لهما ، وفي ظلام الليل تحرك زكي من جهة وإياد من جهة أخرى ، ومع الفجر كانا على سفح الجبل ، فكان أمامهما قصر ضخم في وسط حدائق غناء بالأشجار الباسقة وأسوار عالية تحيط بالقصر من الصعب تسلقها ، ولما أشرقت الشمس فتح باب في أسوار القصر خرجت منه الوحوش التي تحرس الأبواب ، فقام الشابان بإلقاء قطع اللحم المسمومة لها من فوق شجرة يجلسان عليها ،وأسرعت الوحوش تأكل قطع اللحم ، وكان صوت هذه الوحوش ارتفع لعنان السماء من شدة غضبها لوجود هذين الإنسيين بينهما ، واستعملا النشاب والقوس في صرع الوحوش التي التفت حول الشجرة ، وبعضها يتقافز على الشجرة وبعضها ينطح الشجرة ، وتحاول بعض النمور بالتسلق ، فتصدم بسهم يطرحها أرضا وبعد حين من الوقت سقطت الوحوش بين ميت وجريح هارب ، وقد سيطر البطلان على ساحة الميدان ، وبينما هما يرتاحان من هذه المعركة الصباحية إذا بحية ضخمة تخرج من باب القصر

فصاح زكي : استعد يا ابن أمي وأبي .

فرماها إياد بسهم ؛ ولكنه بدأ لهم كأنه ارتطم بصخرة ، واستمرت تزحف نحوهم فرماها زكي بآخر ، فلم ينل منها بغيته ، وهجمت عليهما وقد فتحت فاها الضخم لتبلع إيادا ؛ فإذا بسهم يفقأ عينها فأغلقت فمها وهاجت ، فكان سهم آخر يفقأ عينها الثانية ، ثم قفز شخص من بين الأغصان فوقها وطعنها بخنجره ، فصرخت وهمدت جثة هامدة وصاح الأخوان معا : علي !!



وقطع رأسها وعلقه على شجرة وهتف قائلا : نأخذه معنا إن نجونا من ساحر جنة عدن .

فقال إياد : ماذا يفعل الساحر الآن ؟! وماذا يضع لنا من عراقيل ؟

فكر إياد بالدخول وحده فقال : لن ننتظر مفاجآته سأدخل وحدي وإذا لم أرجع بعد ساعة افعلوا ما ترونه مناسبا .

قال علي : العمل كفريق واحد أحسن .. نصبر ساعة .. وندخل جميعا .

قال إياد : يا أخي لا أريد أن نقع جميعا في فخ من افخاخه .

قال زكي : لماذا ندخل من الباب ؟! .. فلنتسلق شجرة عالية ومنها نهبط على السور ثم عن طريق شجرة أخرى ننزل أرض البستان .

وافقا على فكرة زكي وتسلقا شجرة ضخمة لها غصون ممتدة نحو سور البستان ، وساروا على الغصن رويدا رويدا حتى أصبح ثلاثتهم فوق الجدار فإذا هو جدار عال وأسفله قناة ماء بدأت كأنها محيطة بالقصر ، فعادوا مرة أخرى إلى الأرض وهم يقولون ليس لنا إلا الباب .

وفجأة قال علي : الماء الذي يجري في جوف القناة من أين يأتي .. أين نبعه ؟؟!

فأجابه إياد : قد يكون من عين داخلية .

فقال زكي : وقد تكون عين خارجية .. هيا نبحث عنها .

وداروا حول السور فوصلوا إلى جبل ينحدر منه الماء نحو القصر والبستان بواسطة نفق واسع من تحت الأرض ، قال إياد : ندخل مع الماء .. ثبتوا سيوفكم ومديكم جيدا .

ونزلوا الماء وسبحوا وبعد حين وجدوا أنفسهم داخل البستان فخرجوا من الماء وهم يحمدون الله على نجاحهم بالدخول لعرين السبع ، فامضوا ليلهم في البستان وهم يرتجفون من شدة البرد وحمدوا الله صباحا على بقائهم أحياء ، فعرضوا أنفسهم للشمس حتى جفت ثيابهم وأبدانهم ، ومشوا نحو القصر الكبير ، وفجأة سمعوا صوت زئير مرعب ، فأمرهم إياد بالصعود إلى الأغصان ، فصعد كل واحد على شجرة ..وظهر أسد ضخم فقال إياد : دعوه لي وقفز عن الشجرة إلى الأرض وقد امتشق حسامه ، فلما رآه الأسد قفز عليه بغضب فتلقاه إياد بقلب قوي وسيف شديد ـ تعلم عليه جيدا ـ فشقه قسمين ، فنزل الأخوان وتابعوا السير نحو البيت العملاق ، فوصلوا أحد الأبواب فدفعه علي برجله وهو يصيح : أيها الساحر اخرج

إن كنت قويا .. نحن لا نريد قتالك ولا معاداتك .. نحن نريد بعض الفواكه من جنتك هذه لإنقاذ فتاة مريضة .... هب لنا منا سلة فننصرف بسلام .. تكلم أيها الساحر ؟؟

فجاءهم صوت الساحر مهدرا : ادخلوا أيها الغرباء .. أنا لا يأكل أحد من ثمار جنتي من غير عناء وشقاء .. هذا قصر بناه ملك عظيم من ملوك الدنيا وجعلني وارثا له وحارسا وزودني بكل هؤلاء الجنود الذين تغلبتم عليهم .

تقدم الشباب بحذر وصعدوا درجا ؛ فإذا هم أمام رجل شيخ هرم ضخم الهيئة كثيف الشعر صغير العينين يرتدي ثيابا من جلود النمور يضع على رأسه قبعة صغيرة دميم الخلقة ، فقال لهم : لولا شجاعتكم النادرة وذكائكم الحاد ما وصلتم إلى هنا سالمين لقد خدعتم الأسد الكبير بدخولكم مع مجرى الماء فماذا تريدون مني يا سادة ؟!

فقال إياد : ذكرنا لك ما نريد .. أيها الساحر !.. نريد فاكهة طيبة من هذه البساتين لننقذ حياة الأميرة زهرة الرمان .

ظهر قرد يحمل صينية ذهبية عليها فواكه شهية فقال الساحر : أيها القرد أكرم ضيوف سيدك بربروش .. هذه هدية مني لكم فكلوها . أكرم ضيوفنا يا سيمونا .. ثم خذوا ما شئتم من فواكه البستان .

تقدم القرد أمامهم داعيا لهم لتناول الفاكهة ، فأخذ علي تفاحة منها وقال : أيها القرد كل من هذه التفاحة لتطمئن قلوبنا قد تكون فاكهة مسمومة .

وقبض علي على عنق القرد ووضع التفاحة على فمه صائحا : كل .

أبعدها القرد عن فمه وصاح : دعوني .

ثم ألقى بالصينية الذهبية على الأرض ، وحاول الهرب وقد أراد دفع علي ، ولكن خنجر علي كان في صدره فخر صريعا وهو يقول : إنها مسمومة !!

فقال إياد بقوة : أيها الساحر ألم تنفد حيلك ؟! .. ألا تريد الاستسلام وتسمح لنا بأخذ

الفاكهه ؟!

قال الساحر : لابد أن أدافع عن ملكي بكل قوتي وطاقتي .

فأجابه إياد : نحن لا نريد سلبك ملكك نريد شيئا يسيرا من فواكه بستانك .

فتظاهر الساحر بالاستسلام وقال مرة أخرى : لقد انتصرتم عليّ .. خذوا ما شئتم .

قال إياد : اذهب يا علي وخذ من كل فاكهة حبة أو حبتين ونحن نبقى عنده .

هبط علي الدرج منفذا الأمر ، وبينما الجميع ينظرون إليه هجم زكي وإياد على حين غرة على الساحر ، فصعق الساحر للمفاجأة واستسلم لهما وهو يقول : هذا غدر منكما .

ضحك الشابان وقالا : أنت غدرت بنا أكثر من مرة ..

وجردوه من ثيابه وقبعته ولفوه بثوب معهم ، ولما عاد علي بالمطلوب حملوه ونزلوا الدرج وهما يقولان : أين الباب ؟

فأخذ بالصياح فقال زكي : افعل ما تؤمر خشية أن يصيبك منا ما نكره .. امش .

فدلهما على الباب فخرجوا من القصر ومن البساتين وهو يقول : دعوني .

فقال إياد : سترافقنا إلى نصف الطريق حتى نضمن عدم غدرك ، واحذر الغدر فخناجرنا جاهزة للطعن ، فساروا حتى وصلوا حيث تركوا خيلهم واعتلوا صهواتها ، فقال أحدهم : من هنا ستعود أيها الساحر إلى أرضك وحدائقك ، واعلم أننا عفونا عن حياتك وأن حياتك من حقنا لأنك حاولت قتلنا بالماء والنار والوحوش والسموم .. وقد عرفتنا وعرفت بأسنا .

ففكوا قيده وتركوه يعود لبستانه حافيا شبه عار ، وقد تحطم سحره وجنوده ، وتابع الأخوة الثلاثة مسيرهم جهة بلادهم ، وفي الليل دخلوها وإلى أبيهم قدموا سلة الفواكه ، فحملها مع الفجر الجديد إلى قصر السلطان ، فتقبلها السلطان بترحاب كبير وشكر عظيم ، وقد تعجب من ضخامة رأس الأفعى ، وأقر بشجاعة الأبناء ، وقص عليه مغامرة الأبناء ،وأتى الطبيب فأخذ سلة الفاكهه ، وهو يقول : هذا رائع !.. فقد أحسن الأولاد .. وبارك الله لك فيهم .. فكم مضى على مدة غيابهم ؟

رد الأب : ما يقارب ستة شهور أيها الحكيم .

فقال الحكيم : وانتظرنا عدة شهور قبل أن يتقدم أحد لهذه المخاطرات أليس كذلك يا مولانا السلطان ؟!

رد السلطان محتارا بما يقصد الطبيب : أجل أيها الطبيب .. ماذا تريد أن تقول ؟

فقال الطبيب بفرح : ولي عدة شهور أعالج فيها الفتاة ، فلها سنة تحت المعالجة إذن .. فأرى أن ابنتكم الآن قد تعافت بإذن الله ، فقد كان علاجها يحتاج لهذا الوقت سنة كاملة ، فكان عليّ أن أشغلكم بهذه الحيلة فادعيت أن فاكهة جنة عدن شفاء لها ؛ لأنني كنت بحاجة لهذا الوقت فالعقاقير التي ركبتها تحتاج لهذا الزمن وحتى لا تشغلوننا بالاستفهام صباح مساء ، ويكثر قول الواشين في مهارتنا ، فطلبت منك هذه الفاكهة أيها السلطان .. وها أنا داويت فتاتك المحب لها وعرفتك على ثلاثة أبطال يندر أن تجد مثلهم أزواجا لبناتك الأميرات ، ونسأل الله العافية في الدنيا والآخرة .

تمت بحمد الله

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

جواهر القصص

جمال شاهين

ثلاثة أبناء

ثلاثة ابناء



الجواهر العشر
غسان في المدينة
مكر نديم
نبوغة سيف
المدينة البيضاء
عقيل والصياد
أحلام الأولاد
ربيعة والسلطان
اسعد واسود
ثلاثة أبناء
الصياد البحري هارون





الصياد البحري هارون

جمال شاهين



جواهر القصص

الجواهر العشر

١٠

جمال شاهين

١٩٩٧

الصياد البحري

هارون

الصياد هارون

أما قصة الصياد البحري هارون فهي قصة جميلة فيها معان نبيلة ، فهارون صياد يملك شبكة صيد قديمة ، فبعد صلاة الفجر ينطلق إلى شاطئ البحر فيقذف شبكته في الماء ؛ فإذا خرج بها شيء فرح وسعد ، وذهب إلى السوق فباع ما صاد واشترى طعامه من الخبز واللحم وأحيانا الحلوى أو الفاكهة ، ثم يعود لكوخه الصغير فيجد الزوجة في انتظاره ، فتعد له الطعام الذي ابتاعه ، ويقضيان يومها في سعادة ومرح ، وعندهما قناعة تامة بأن رزقهما على الله فعليه توكلا وقد قيل قد أفلح من كان رزقه كفافا وقنعه الله بما آتاه .. هارون وزوجته مروة لا يحلمان بقصور شامخات ولا بجنان باسقات ، وأعظم حلم يحلمان به في هذه الدنيا الفانية أن يهبهما الوهاب وليدا سواء كان ذكرا أم أنثى ، فهذا حلمهما الأعظم الذي يتمنيان أن يتحقق لهما في حياتهما الدنيا ، فهما زوجان منذ عشرين سنة ولم يقدر الله لهما الذرية بعد ، ومع هذا فأملهما كبير برحمة الله التي وسعت كل شيء علما .

هذا هو يوم عمل هارون .. أحيانا أخرى لم يكن يصيد هارون شيئا ، فيعود عند الظهيرة فيمر على صاحبه الخباز فيأخذ رغيفين ، ويمرّ على البقال أو الجزار فيأخذ حاجته ويعود للبيت متأخرا عن العادة ، فيجد الزوجة تستقبله بلطف وصبر ورضا ، وهكذا الحال إلى أن جاء يوم متأخرا ، فأدركت الزوجة أنه لم يصب شيئا ، فلما أكل وشرب كالعادة ، بشرته زوجته بأنها حامل فلم يصدق للوهلة الأولى ، ولما أكدت له حملها وأنها صبرت عن إخباره حتى تطمئن وتثق بحملها ، فأخذ الصياد البحري يقفز في الهواء من شدة الفرح .. وخيمت على البيت سعادة جديدة كانا ينتظرانها منذ عشرين سنة مرت عليهما ، وأخذا يحسبان الأيام بالساعات ساعة بساعة إلى أن أهل المولود لهذه الدنيا بقدر معلوم ، فسمياه فرجا لأنه مولود ذكر .

وكان هارون من شدة حبه لفلذة كبده عندما يرجع من صيده اليومي يلازم الطفل ، وكم ينزعج ويتألم عندما يسمع بكاءه ؟! وأحيانا تطفر الدموع من عينيه تأثرا ببكاء الصبي الرضيع ، وقد قام الزوجان بتربيته خير تربية من عناية و محافظة ، ولما بلغ السنوات الأولى من عمره ألحقه

الصياد البحري بأحد كتاتيب الأطفال المنتشرة في المدينة الصغيرة ليتعلم شيئا من القرآن ، والذي تطور في حياة هارون أن أصبح يخرج للصيد جولتين مرة في الصباح ومرة ثانية في المساء ؛ ليستطيع دفع تكاليف الكتاب ، ومع ذلك مرت الحياة هادئة رتيبة إلا من بعض نوبات المرض تمسهم فتنغص حياتهم بضعة أيام أو ساعات ، ثم تعود الحياة لطبيعتها الهادئة ، وأكثر القلق والخوف يصيبهم عندما يمرض الابن الوحيد فرج



سمكة فرج



كبر فرج وأصبح ابن خمس عشرة سنة ، وقد تعلم مهنة الصيد من والده ، وكان يشارك الوالد في صيده ، وذات يوم كان يحرك الشبكة ـ وكان والده يتحدث مع صياد آخر ـ فأحس أنها صادت شيئا ما فصاح بفرح : أبي .. أبي .. الشبكة ثقيلة تكاد أن تجرني .

أسرع الصياد ملبيا النداء ولما أمسك بالشبكة وحركها قال : إنها ثقيلة فعلا .. الله اعلم ما الذي علق بها ؟!

وتعاونا على سحبها وساعدهما جارهما في الصيد ، وخرجت الشبكة بسمكة كبيرة تزيد عن خمسة أذرع ، ولما استقرت على البر ، قال جارهما : يا أبا فرج .. هذه سمكة مميزة وكبيرة فالأفضل أن تذهب وتبيعها للأمير في قصره .. فسوف يدفع لك مبلغا كبيرا فيها .. واذكر أمامه أنك خصصته بها فسوف يسر من ذلك .

ووجد الاقتراح هوى في نفس هارون الصياد ، فهو يطمع بمبلغ كبير ليشتري به بيتا كبيرا ريثما يكبر ولده فرج ويزوجه من عروس جميلة .

فاستأجرا عربة لحمل السمكة الكبيرة ، وساروا خلف العربة نحو قصر الأمير في أعالي المدينة فرحب بهم حرس الباب واخبروا السلطان بالسمكة الكبيرة ، وفي هذه الساعة كان يجلس الأمير هو وزوجته وابنته الأميرة " جنة " فأمر بإدخالها ، فأعطى الصياد سائق العربة أجرته وحمل السمكة هو وابنه فرج ودخلا بها حيث يجلس الأمير ووضعاها بين يديه ، فتعجب السلطان وزوجته وابنته من حجمها وقال : إنها حوت صغير ! .. أيها الصياد ! كيف اصطدتموها بهذه الشبكة العتيقة ؟

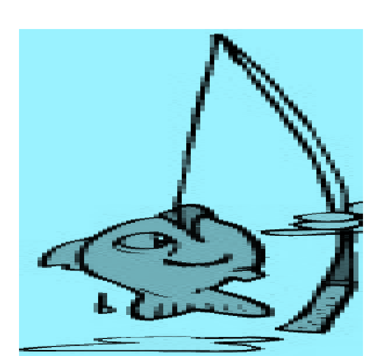
فأخذ الصياد يروي قصة صيد السمكة ، وكان الشاب فرج يختلس النظر للأميرة الجميلة الشابة التي راقت له ووقعت من نفسه موقعا حسنا ، وأخذ يحلم أحلاما كبيرة ، والفتاة شعرت

بنظراته نحوها فرمقته بنظرة طويلة فلحظت احمرار وجهه فقالت في نفسها : إنه ابن صياد فقير وأنا ابنة سلطان .. لا يا نفس .

ولكنها ابتسمت للغلام الذي انبهر بها ، وأحس بالفرق الكبير بينه وبينها وتمنى لو لم يدخل هذا القصر أبدا ولم يرى هذه الفاتنة .. فهذا حلم صعب المنال .. فأطرق حياء مما خطر في قلبه واستغفر من وسواس نفسه .. ولكن النظرة في أوقات يعقبها حسرة وندامة ، وكما قيل في الحكم النار من مستصغر الشرر .

حلم ابن الصياد

دفع السلطان للصياد خمسين دينارا مقابل السمكة الكبيرة ، ففرح بها الرجل فرحا كبيرا لا يوصف وقبل يد السلطان من شدة الفرح ، وفعل ابنه فرج مثله ، وغادرا القصر ، وكان الأب يكاد يطير من السعادة ، والابن حزين من تلك النظرات التي كانت بينه وبين الأميرة الحسناء



ولما وصلا البيت وجدا الأم قلقة عليهما ، فلما اطمأنت عليهما وسكنت جوارحها وقلبها ، قص عليها الأب قصة الثروة التي هبطت عليهما من البحر ، وكان الصياد يتحدث بسعادة وحبور كأنه ملك الدنيا بهذه الدنانير التي منحه إياها السلطان ؛ ولكن الأم قد لمحت الحزن والضيق على ولدها فاحتارت في تفسير ذلك ، الأب سعيد لدرجة كبيرة والابن حزين لدرجة كبيرة ، فقالت لأبنها بعد سماعها قصة السمكة الكبيرة التي اشتراها مولاهم السلطان : يا أمي ..ما بك .. هل أنت مريض .. هل أصابتك حمى ؟!

فانتبه الصياد هارون لحال ولده فهو لم ينتبه له منذ خرجا من القصر وسمع الولد يجيب أمه قائلا : لا يا أمي .. أصابني أمر أشد وأمرّ من الحمى .

فقالا معا وبلهفة : ما هو ؟!

قال بحسرة واسف : وآسفاه يا أمي الحبيبة ! .. هل يمكن لابن صياد متواضع أن يتزوج ابنة

سلطان من سلاطين هذا الزمان ؟! .



ففطن الأب لمغزى كلام ولده فعض على شفته وقال :

ويحك يا فرج لعل قلبك تعلق بابنة السلطان التي كانت تبتسم لك ؟ !

فقال الغلام بكل وضوح : أجل يا أبتاه .. كانت نظرة محب .. فكأنها شعرت بخفقات القلب فابتسمت في وجهي فازدادت النار في فؤادي ..

قال الأب : يا ولدي الحبيب .. فكر بعقلك لا تستسلم لعواطفك .. وأنت في عمر تغلب على الإنسان فيه عواطفه .. تذكر يا ولدي ما بيننا من فارق فهم في الثريا ونحن في الثرى .. وهذا قدر الله .. واعلم أن الزواج كذلك بقدر من الله .. فليس إلا أن أقول اصبر صبرا جميلا .. فهذه خمسون دينارا أستطيع أن أزوجك بها من أي فتاة من بنات اخوتنا الصيادين الذين هم من ثوبنا

قالت الأم : أجل يا فرج .. الزواج ينسيك ما وقع في قلبك من العشق .

مسح الشاب دمعة الفقر عن عينيه وقال : أنا أعي من نحن يا والديّ .. لا أريد الزواج من أي فتاة سأحاول الزواج من ابنة السلطان ..

قالت الأم بلوعة : ألا تخشى غضب السلطان ؟! .. أنت ولدنا الوحيد يا فرج لا نريد أن نشرب كأس الحسرة عليك .

قال الأب ميئسا لولده : يا فرج يا ولدي .. هذه فتاة قد تتزوج قريبا .. والمشوار أمامك طويلا فالأفضل أن لا تشغل بالك فيها كثيرا .. فالصبر والتقوى ينال بهما المرء ما يتمنى .

فرد الفتى بعزم الرجال : لابد من الصبر ولا مفر من التقوى .. سأمضي الآن للمسجد اعتكف فيه هذه الليلة وأصلي العشاء جماعة مع القوم لعلي أجد مخرجا مما لـمّ بي من الوجد .

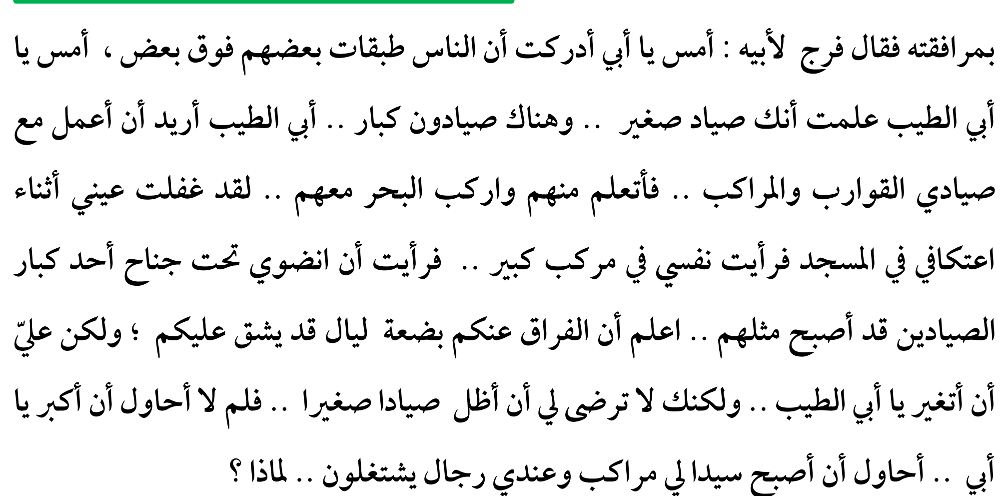
ولما انطلق فرج للمسجد قال الصياد هارون بحزن : لا يدري الإنسان كيف تأتى السعادة ؟! لقد طار مخي من الفرح عندما قبضت من مولانا السلطان خمسين دينارا ثمنا لسمكة .. فأخشى أن تكون هذه بداية تعاستنا يا زوجتي الحنون

فما كان من الأم إلا أن قالت : سلم أمرك كله لله .. بيده مقاليد السموات والأرض .. فأنت عندما ذهبت لبيعها للسلطان كنت تسعى لسعادتنا .. فقدر الله أن يرى ابننا الأميرة .. فهذا ليس بيدك .

قال الصياد : أنت تعلمين كم نحب ابننا فرجا ولا نحب له الشقاء والتعاسة ومكابدة الآلام ؟ ومثل هؤلاء الناس لا يزوجون بناتهم إلا من أبناء الملوك مثلهم .. فأخاف أن يضيع الفتى منا ونحن عاجزون أن نعمل له شيئا في هذه الحياة الدنيا .

قالت الأم بكل ثقة : ماذا نفعل ؟ .. فلنصبر ولندعو ربنا بأن يبعد عنا الشقاء والنكد .. ولنقل لا حول ولا قوة إلا بالله .. وحسبنا الله ونعم الوكيل .

قال الوالد باستسلام لمدبر هذا الكون : هو ما تقولين .. حسبنا الله ونعم الوكيل .. ومن يتقه يجعل له فرجا ومخرجا ..لا إله إلا هو .



الصياد الشاب

لما صلت الأسرة صلاة الفجر ،كان فرج قد عاد من مسجده ، وكان الصياد يستعد للانطلاق للصيد كعادته فاستشار ابنه بمرافقته فقال فرج لأبيه : أمس يا أبي أدركت أن الناس طبقات بعضهم فوق بعض ، أمس يا أبي الطيب علمت أنك صياد صغير .. وهناك صيادون كبار .. أبي الطيب أريد أن أعمل مع صيادي القوارب والمراكب .. فأتعلم منهم واركب البحر معهم .. لقد غفلت عيني أثناء اعتكافي في المسجد فرأيت نفسي في مركب كبير .. فرأيت أن انضوي تحت جناح أحد كبار الصيادين قد أصبح مثلهم .. اعلم أن الفراق عنكم بضعة ليال قد يشق عليكم ؛ ولكن عليّ أن أتغير يا أبي الطيب .. ولكنك لا ترضى لي أن أظل صيادا صغيرا .. فلم لا أحاول أن أكبر يا أبي .. أحاول أن أصبح سيدا لي مراكب وعندي رجال يشتغلون .. لماذا ؟

فقالت الأم التي كانت تسمع الحوار بينهما : يا ولدي وهل ذهابك مع صيادي القوارب سيرفع

من شأنك ويجعلك من علية الناس والقوم ؟

فقال فرج : لا يا أمي .. القصد من الذهاب معهم ازدياد المعرفة عندي .. ويكبر الطموح في نفسي لعلي أصير كبير الصيادين في يوم من الأيام .. قد أصير صاحب مركب كبيرة تغوص في البحار البعيدة والكبيرة .. قد أصبح أمير البحر عند السلطان ذات يوم من الأيام .. أما الصيد في هذه الشبكة على شاطئ البحر سيبقيني كما أنا .. عليّ أن اجرب حظي يا أمي قبل فوات الأوان .. قد تكون يا أبي الطيب قد فعلت ما أنوي فعله في أول عمرك .



كانت الدموع تتساقط على لحية الأب من كلمات ابنه ، ولما سمع استفهام ولده رد قائلا : أجل يا ولدي يحق لك أن تحاول وأن تكبر وتتغير .. لقد ركبت البحر مرة مع الصيادين وكدت أغرق في تلك الرحلة ونجوت بفضل الله تعالى فما عدت بعدها اركب البحر .. افعل ما تشاء يا بني !.. حاول .. جرب قد يكون بختك خيرا من بختنا .

التحق فرج بالعمل مع أحد المراكب الكبيرة العاملة بالصيد في الجزر وفي أعماق البحار ، وتعلم الصنعة وبدأ يلتقط أسرارها وخباياها ، وكان الوالدان في كل سفرة يغيب فيها فرج يقضيان الأيام والساعات على أحر من الجمر .. وفي دعاء وابتهال وصلاة بأن يعود المركب سالما ، وعندما يسمعان عن عاصفة أو حادث في البحر يدب في قلبيهما الخوف والتوتر مع شدة توكلهما على الله وتأكدهما أن الحافظ للإنسان هو الله وحده ، مضت ثلاث سنوات على الأسرة ترعرع فيها فرج وكبر سنه ودخل في فترة الشباب ، وفي كل مرة يحدث والديه عن المخاطر التي تعرضوا لها في هذه الرحلة يزداد خفقان قلوبها ، وكثرت النذور منهما كل مرة يتأخر فيها ، وكان الوالدان يلحان عليه بترك الصيد في أعماق البحار وأن يفتح دكانا لبيع السمك ، خلال هذه السنوات تنقل فرج بين أكثر من مركبي ، وعرض عليه شاب من جيله أن يعمل معهم ،

ولما عاد والد محصن من رحلته الأخيرة ذكر لوالده رضا فرج بالعمل معهم ، ولما حان موعد الرحيل ودع فرج والديه وداعا حارا وسألهما الدعاء له بالعودة سالما .

فقال له أبوه : سوف نشتري بيتا كبيرا عندما تعود من هذه الرحلة ، ونرحل إليه ونبحث لك عن زوجة صالحة .. لعلنا نرى ذريتك قبل انتقالنا للدار الأبدية .

فعانقهما وانطلق إلى البحر مع ضوء الفجر ، فوجد أبا محصن ورجاله يستعدون للانطلاق ، ومحصن صاحبه بينهم ، واستمرت هذه الرحلة عشرة أيام عادوا منها ومعهم كميات كثيرة من الأسماك المختلفة الألوان والأحجام ، وقضى فرج عشر أشهر عند معلمه البحار أبي محصن ثم عرض عليه صاحب غوص أن يعمل معه في استخراج اللؤلؤ في جزيرة الريح ، فوافق فرج وسافر معه في موسم البحث عن اللؤلؤ ، واستغرقت رحلتهم فصل كامل من العام ، وعاد للمدينة وقد أخذ نصيبه من اللؤلؤ والأسماك ، وكانت رحلة موفقة وطيبة ، ولقد حاول الوالدان تزويجه ودفعه للاستقرار في المدينة ، فأجاب والديه قائلا : سأبيع ما حصلت عليه من اللؤلؤ وأشتري مركبا صغيرا .



مركب فرج

تيسر له شراء مركب صغير ، واستعان ببعض البحارة وسافر إلى إحدى الجزر التي تكثر فيها الأسماك الضخمة ، ولما اقتربوا من تلك الجزيرة هاج البحر وماج ، فهبطوا للجزيرة بسلام وجروا المركب على الرمل وثبتوه بأوتاد قوية حتى تهدأ هذه العاصفة وكان فرج ومعه أربع رجال في هذه الجزيرة فقال أحدهم : لماذا لا نتمشى في هذه الجزيرة .. وننظر ما فيها من الأشجار والكنوز ؟

فقال ثاني : نخشى ان نصطدم بوحوشها . فقال ثالث : بل نخشى ان نفقد المركب .

فقال رابعهم : يبقى أحدنا عنده .. ونتعرف نحن على هذه الجزيرة .

فاختاروا واحدا منهم حارسا لمركبهم ومشوا يتفرجون على الجزيرة حتى يخف هيجان البحر وساروا في الجزيرة ، وبينما هم سائرون قال أحدهم : العجيب أيها الاخوة .. أنه لا أحد يصيد في الجزيرة غيرنا .. أين أصحاب المراكب ؟

فرد آخر قائلا : لقد كان أكثر الصيادين يتوقعون مثل هذه العاصفة .. ولولا أنها تأخرت ولم تصادفنا في أعماق البحر وإلا لأصابنا منها الضرر الكبير ولكن برحمة من الله تأخر هيجانها فنجونا منها .. فاحمدوا الله على فضله .

اجتازوا تلالا وأشجارا حتى تعبوا من المشي ، فجلسوا يستريحون ويأكلون الطعام ، وقام فرج وركب شجرة عالية وهو يقول : سأصعد لأعلاها وأنظر هذه الجزيرة من أعلى الشجرة العالية .

وأخذ يتسلق الشجرة المرتفعة في الفضاء حتى اختفى عن أعين رفقائه ، وأصبح يقف على قمتها وأصحابه يصيحون عليه بأن يهبط ويقولون : لم نعد نسمع صوتك .. اهبط .

ولما نزل قال دهشا : لقد رأيت قصرا في الجزيرة ؛ ولكنه بعيد كأنه في آخرها .

فقال أحدهم : قصر ! ..لقد جئت هذه الجزيرة أكثر من مرة فلم أرَ فيها قصرا لعلك رأيت أشجارا فخيل إليك أنها قصر .

فقال فرج مؤكدا مشاهدته : إنه قصر على تلة عالية ..

وأنت يا صاحبي جئت الجزيرة لتصيد الأسماك ولم تأتِ للنظر على ما فيها من القصور والعمران .

فقال رجل آخر : معك حق نحن نأتيها لنصيد ، وهذه أول مرة نحاول دخلوها .. فمن عادة أصحاب المراكب أنهم غير مهتمين بالمعرفة بما تحويه هذه الجزر .. لهم الشواطئ فقط .

فقال غيره : إذاً علينا بالوصول لهذا القصر لعلنا نجد فيه كنزا يغنينا عن صيد السمك .. فعند علمي أن هذه الجزر لا يسكنها أحد .. جزر مهجورة من بني الإنسان ، لم يصادف أحد من أهل مدينتنا أحدا فيها .. لعلنا نجد ما لم يجدوه ونرى مالم يروه .

فقال فرج مبينا لهم واجب الحذر : من الأفضل أن يذهب بعضنا حتى إذا تعرضوا للأذى قام الآخرون بمساعدتهم .. وما نجده من مال وأشياء فالكل فيه شركاء ..ومن يتطوع معي للذهاب .

وبعد تردد تطوع أحدهم بالمسير معه حيث رأى القصر ، وعاد الآخرون للقارب وقال لهم فرج : أيها الشجعان إذا لم نحضر حتى صباح الغد فأنتم بالخيار فإما أن تبحثوا عنا أو تنتظرونا بضعة أيام فإذا لم نعد إليكم انصرفوا بالقارب لبلادنا وانعونا لأهلنا .

فدعوا لهم بالسلامة والظفر ، وسار فرج ورفيقه حيث لمح القصر ، وقفل الآخرون نحو قاربهم وبعد مسير ساعتين ظهر لهم القصر فوق رابية عالية فقال الرجل : والله إنه لقصر كما قلت يا أخ فرج ! .. لمن يكون هذا القصر ؟! . قال فرج : لنقترب منه لعلنا نعرف الإجابة .

مشوا نحوه حتى وصلوه فإذا هو مطل على الشاطئ من إحدى جهاته بل متصل به بواسطة درج طويل ، فداروا حيث وجدوا مدخلا ، فحرك فرج مطرقة الباب فظهر لهم غلام ثم فتح

لهم الباب بعد دقائق وهو يقول : من أنتم ؟ وما الذي أتى بكم إلى هنا ؟!

قال فرج : غرباء .. صيادون ؟

وقبل أن يسمعوا كلام الغلام ثانية ، ظهر أمامهم على مدخل القصر فتاة جميلة في ريعان الشباب فلما نظرها فرج اضطرب وهتف بصوت منخفض كأنه معقود اللسان : ابنة السلطان ! .

وسمع الغلام يصيح وهو ينظر لسيدته : غرباء يا سيدتي .

فقالت : مرحبا بكم .. ولكن ما الذي جاء بكم إلى هنا ؟ .. هذا قصر السلطان .. فالأفضل لكم أيها الرجلان أن تنصرفا قبل عودة أبي والجنود

فقال فرج : أنا من مدينتكم يا سيدتي الأميرة .. أنا ابن الصياد الذي دخل قصركم من سنوات برفقة أبيه يحملان لكم سمكة كبيرة .. وتبسمت في وجهه ابتسامة ما زال أثرها في قلبه لليوم .

فقالت بدون تفكير وتدقيق : إيه .. والله ما زلت أذكرك .. ذكرت لنا أن اسمك فرج

ورسمت على وجهها ابتسامة جديدة ثم قالت : كيف أنت ؟ وما قصة وجودك في هذه الجزيرة ؟ فقال فرج : ألا تكرمون الضيف ؟

فقالت : أبي واخوتي في الصيد يا هذا .. ولا أستطيع إدخالكم القصر فلا يوجد فيه إلا أنا وهذا الخادم .. فقالت : انتظروا عند الشاطئ حتى يعود والدي ويكرمكم .. وسأرسل لكم طعاما مع الخادم وحدثوه بقصتكم لأسمعها منه ودخلت القصر .

شعر رفيق فرج ما به بصاحبه من هوى نحو هذه الفتاة ، وعجب من معرفته بها فسأله عن ذلك ، فروى فرج قصة السمكة الكبيرة لرفيقه الصياد ، وازداد الرفيق عجبا من عشق صاحبه لهذه الأميرة الجميلة ؛ ولكنه أعاد على مسامعه الفارق الكبير بين ابنة السلطان وابن الصياد ، وأكلا ما قدمه لهما الغلام وقال الرفيق : ألا نعود لأصحابنا فالظلام على وشك الدخول يا صاحبي .

ومضى فرج مع صاحبه ساهما حزينا ، فلما وصلا المركب كان الظلام على أشده ، وكان الأصحاب في غاية القلق ، ودهشوا عندما علموا بوجود القصر حقيقة ، وازدادوا دهشة

واستغرابا عندما علموا هوى صاحبهم الصياد الصغير بابنة سلطانهم ، ولما أصبح النهار كانت العاصفة قد خفت حدتها فباشر الصيادون عملهم من نصب شباكهم ، وقد تيسر لهم صيد كمية كبيرة لم يكونوا يحلمون بها ، وبعد أيام استعدوا لرحلة العودة ، وأمضى صاحبهم فرج العمل صامتا لا يتكلم إلا بلا أو نعم ، وغادروا الجزيرة وقد ترك فرج قلبه في الجزيرة ، ولما وصلوا البلدة كان أغلب الصيادين في انتظارهم ، وقد فرحوا بعودتهم سالمين ، وكان أكثر الناس سعادة بعودتهم والديّ فرج ، ووجدوه حزينا على غير العادة عندما يعود من كل سفرة لقد كان يكون مرحا ونشطا ، فكشف لهم ما أصابه والتقائه بالأميرة مرة أخرى ، فاشتعلت نار الهوى في قلبه من جديد ، ولم يمكث قليلا حتى أصابته حمى شديدة البأس ، فمرض مرضا رماه الفراش أياما كثيرة حتى صعب الأمر على والديه غاية التعب والأسف ، فذهب الوالد إلى قصر السلطان وطلب اللقاء به ولما اجتمع به روى له قصة ابنه فرج ، فتذكره الملك واعتذر له بلطف وأدب وانصرف عائدا للبيت وحدثهم بما فعل ، فقال فرج : هل حقا فعلت ذلك يا أبي ؟؟!

قال الأب بحزن عميق : لم يكن أمامي إلى أن أحدث السلطان بذلك لعله يشفق عليك .. أنت كل شيء لي في هذه الدنيا .. فقد طال مرضك .

فقال فرج : ماذا أفعل يا أبي ؟ ليس الأمر بيدي .. سلمت أمري لمولاي العظيم فهو حسبي ونعم الوكيل .

قضاء الله تعالى

بعد شهور تعافى فرج من سقمه وعاد لركوب البحر مع الصيادين ؛ ولكن خيال الأميرة في تلك الجزيرة ما زال يراود أحلامه ، وإذا أراد الله أمرا قدره قضاه ، فسافر الشاب الصياد إلى تلك الجزيرة مع ثلة من الصيادين ، ولما بنوا كوخهم في تلك الجزيرة قال الصياد فرج لرفاقه : أريد أن أسير في هذه الجزيرة وحدي أيها الأصحاب فصيدوا ريثما أعود إليكم .

ودخل بين الأشجار وقادته قدماه نحو القصر ، فلما اقترب منه سمع أصوات خيل وأبواق ، ولما اقترب أكثر ازداد سماع الأصوات ، وشاهد جنودا حول القصر ، فسأل أحد الجنود بعد أن

بين له أنه صياد أسماك ، فعندئذ قال الجندي : الأميرة ابنة السلطان تحتفل بزفافها على أمير من أمراء البلدة .. انتظر حتى احضر لك بعض الحلوى لك ولأصحابك .



وبينما الجندي ينادي على أحد الخدم ، قفل فرج عائدا ، ثم طلب منهم الانتقال إلى جزيرة أخرى ، ففك الصيادون الخيمة والقارب ، وقد يئس صاحب هذه القصة من ابنة السلطان وانقطع الأمل الذي كان يحلم به ودفن أحلامه وآماله في هذه الجزيرة وهو يقول : سيبقى الفرق شاسعا بين الأغنياء والفقراء إلى الأبد .. فالأفضل للمرء أن يتزوج من طبقته .

وبعد ساعات كان المركب يهبط بهم بجزيرة أخرى ، وما كادوا يستريحون قليلا حتى سمعوا صراخا عاليا في قلب الجزيرة ، فذعروا ووقفوا ينظرون جهة الصوت الذي تكرر أكثر من مرة فقال رجل منهم : يا قوم .. إنه صراخ .. وهو قريب منا . فقال فرج : إنه صوت امرأة تصرخ ما الأمر ؟

تفقد خنجره وطلب من أحد الرفاق أن يتبعه ، وكان يتحركون مع الصوت حتى اقتربوا منه فهمس فرج : لقد اقتربنا يا صاحبي .. علينا بالحذر أكثر فأكثر . ورغم شدة الظلام المخيم على المكان ، شاهدا في دغل رجلين مقنعين وبينهما امرأة ، وكانت الفتاة تصرخ وتصيح ، ويحاول الرجلان الملثمان منعها من الصراخ ويخوفانها من الوحوش حتى أن أحدهم هددها بالقتل ، فقالت لهما : سوف يقتلكم أبي أيها الأوغاد .. أيها الخونة .. بعتني أيها اللعين .

كان فرج يسمع الكلام وهو في غاية الحيرة ، فالصوت صوت يعرفه إنه صوت الأميرة التي تركها في أول النهار تحتفل بزواجها فهمس لنفسه :ما الأمر ؟! .. وما الذي جرى لها لتعذب هذا العذاب ؟! .. ومن هو الخائن اللعين ؟!

واشتد صراخ الأميرة المستغيث بمن يسمعها ، فلطمها أحدهما على وجهها وصرخ بصوت

عال : لم أعد أطيق صراخك وصوتك اصمتي . فلم يعد فرج يطيق الانتظار فقال لصاحبه : عليك بواحد وأنا بالآخر . وزحفا بخفة نحو الدغل ثم هجما بخناجرهما على الرجلين ، وكان للمفاجأة دورها ، فقد قبض فرج على أحدهما وصرعه على الأرض بعد طعنه بالخنجر ، وفعل صاحبه مثله وصاحت الفتاة : بارك الله في همتكما .. شكرا لكما ؟

وقام الرجلان بربط الرجلين ببعض ثيابهما وقال فرج للأميرة : ما الذي يجري في الدنيا أيتها الأميرة ؟! فقالت بدهشة وقد اقتربت منهما : أتعرفني أيها الرجل ؟!

ولما اقتربت منه والتصقت به عرفته صاحت دهشة : فرج !! .. ما الذي جاء بك إلى هنا ؟!

فقال : نعم ، فرج يا مولاتي الأميرة .. القدر جاء بي هنا ، لقد نزلنا للصيد في هذه الجزيرة ، فسمعنا الصراخ فهرعنا نحوه .

فقاموا بقيادة الرجلين الجريحين نحو المركب وخلفهم الأميرة تسير ببطء وهي تعاني من الألم ، وعلى الفور أمر فرج بفك المركب والخيمة والعودة للبلد ، وتحركت المركب نحو الوطن ، وبعد أيام قضوها في البحر كانت الأميرة تقص على والدها قصة خطفها ، أحد الأمراء طلب الأميرة للزواج ووافقت الأسرة على ذلك ، واتفق أن تكون حفلة الزواج في قصر الجزيرة لحب الأميرة لهذه الجزيرة ، ولما انتهت حفلة العرس ركبت العروس سفينة زوجها الأمير ، وفي وسط البحر تعرضت السفينة لقراصنة البحر فقتلوا من فيها وخطفوا الأميرة وأنزلوها في تلك الجزيرة وذهبوا يأتون بزعيمهم ، وتبين أن أحد المتعاونين مع القراصنة أحد خدم القصر ، قد طرد من القصر لسوء أخلاقه ، فانضم لعصابة القرصان وأوغر صدرهم لخطف ابنة السلطان ، وسر السلطان بنجاة ابنته وحزن على موت زوجها وحرسه ، وعجب كذلك لتقادير المولى العظيم والنهاية معروفة لكم ، فبعد زوال أيام الحزن وشفاء الأميرة من الصدمة الكبيرة التي تعرضت لها أصبح فرج أميرا من أمراء البلاد ، وأذن له السلطان بالزواج من ابنته ، فالأمر بيد الله ، وبيده وحده مقاليد الأمور ، وكل يوم هو في شأن .

تمت بحمد الله

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

جواهر القصص

جمال شاهين

الصياد البحري هارون

الصياد البحري هارون





الجواهر العشر









الزمردة

جمال شاهين



منشورات المكتبة الخاصة

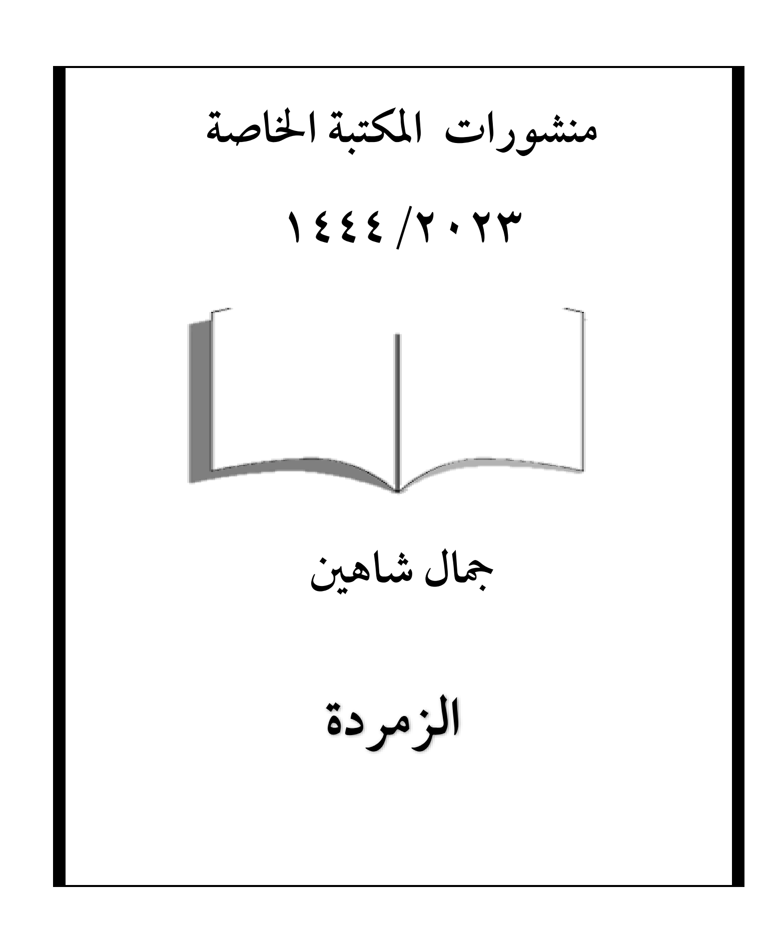
جواهر القصص

جمال شاهين

١٩٩٥



١– ٦



منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

جمال شاهين

الزمردة



جلد الأسد



جمال شاهين



منشورات المكتبة الخاصة

جواهر القصص

الزمردة

١

جمال شاهين

١٩٩٥

جلد الأسد

سليمان



تزوج سليمان رغما عن أنفه ، ضغط عليه والده وإخوته فأنكحوه فتاة جميلة ، وكان قصدهم وهدفهم من إرغامه على الاقتران بامرأة أن يلتهي بها ويدع الأسفار والارتحال بين العباد والبلاد ، فمكث الرجل سنتين بجوار الزوجة والأهل ثم سافر خلسة بدون أن يشعر به أحد من الناس

فتألم أبوه وندم على تزويجه بدون رغبة منه ، وأسف لزوجة ابنه الحامل ، فوهبها منزلا واسعا ، فيه من الخدم والجواري والأثاث لها وللجنين الذي في رحمها .

وبعد أن وضعت الزوجة الحمل بأيام حضر سليمان ، فاكتملت فرحة الجميع بالمولود الجديد والأب العائد ، وعمت الأفراح الأسرة والجيران وقد دهشوا لعودته السريعة ، فقد كان من عادته في كل سفرة أن يغيب سنتين أو ثلاث أو خمس ، وأقام الوالد حفلا بهيجا لسليمان وحفيده الجديد ، ودعي إليه السادة الأكابر من أهل المدينة ، وأقيمت لهم الولائم بضعة أيام بهذه المناسبة ، ومكث بينهم سليمان سنة من الزمان ثم تركهم مرة أخرى متنقلا بين المدن والأمصار ، فهو لا يسمع عن مدينة جميلة من مدن ذلك الزمان إلا نازعته نفسه بالرحيل إليها وقد تعلق سليمان هذا بالسفر والرحلات من عم له كان يأخذه معه منذ صغره في رحلاته التجارية بين المدن المختلفة ، وما يسمع هذا العم شيئا يباع في مدينة من بلاد الدنيا إلا رحل إليها فاشترى وباع ، فتعلق سليمان بعمه الذي هلك فجأة في إحدى السفرات في بلد من تلك البلدان التي كانوا يسافرون إليها ، فأخذ سليمان مكانه ، ووجد في أول الأمر تشجيعا من والديه وأعمامه ، عندما كان كل تركيزه في السفر على نقل البضائع ؛ ولكنه لما بدأ يسافر من أجل السفر وجد معارضة ، وحاولوا ثنيه عن هذا الهدف الخائب في نظرهم ، ولم ينجحوا في تغييره فوضعوا خطة لمنعه من السفر فخطبوا له امرأة حسناء .

وفي أول عودة له أرغموه على الزواج منها كما ذكرنا ذلك في أول الكلام ، ولكن هذه الزوجة

الحسناء لم تنجح في منعه عن عادته الغريبة ، فاختفى مرة أخرى فأسف أبوه لفراقه ورحيله فجأة وحزن على حفيده وزوجة ابنه ، ووضعت الأم ولدا آخر في فترة غياب سليمان .

ولما عاد سليمان من السفر وجد الزوجة متعبة وقد أنـهكها المرض ، ووجد أنّ آباه قد فارق الحياة الدنيا حزينا على عدم رؤيته عند ساعات الموت ، ومتألما على زوجته التي ظلمها بزواجها من ولده الرحال ، فمكث سليمان في بلده بجوار الزوجة والأولاد حسن وعلام ، واستعان بأمهر الأطباء على مداواتها ؛ ولكنهم أعلموه أنها مشرفة على الهلاك ، وعليه أن يتهيأ لهذه المصيبة الأخرى ، ولم يتأخر الانتظار فقد ماتت الزوجة الحسناء ، وتركت له طفلين صغيرين وتقبل الرجل المصيبة بهدوء وصبر ، فالسفر يعلم الصبر ، وبعد حين من الزمن ترك الحزن والحسرة ، وبدأ يفكر بالزواج مرة أخرى من امرأة عاقلة ترعى أولاده ، فقام الأهل من الأخوة والأعمام بمساعدته حتى وجدوا امرأة ترضى به وبأولاده وبغرائبه .

وجاءت هذه المرأة التي أظهرت له في أول الحياة الزوجية الود والحب والوئام والصبر على أخلاقه وعلى أولاده ، ثم أخذت تغار من تعلقه الشديد بطفليه وتحسدهما من فرط حبه لهما .

وذات مرة دخل عليه صديق قديم ، ودار الحديث بينهما عن السفر وعن أجمل المدن ، فتاقت نفسه للسفر من جديد ، فجس نبض زوجته ، فلم تمانع بل وجد منها تشجيعا ، وطلبت منه بعض الأشياء وطمأنته على الأولاد ، وأنهم في عينيها فهم كأولادها ، فتعجب سليمان من لهفتها على رحيله على غير عادة النساء ، فأكد وصايته على الأبناء وحذرها من مسهم بأذى أو سوء



وجهز نفسه وسافر إلى المدينة التي ذكرها له صاحبه القديم .



وأما الزوجة حصن فقد رتبت أمرها للتخلص من الطفلين قبل مجيء زوجها سليمان من رحلته ، فاستدعت رجلا كهلا يدعى "بلعوم" لها معرفة به أثناء وجودها عند أهلها ، وكان هذا الرجل شريرا وذا قلب قاس أقسى من الحجر ، لا عمل له إلا التحرش بالناس وسلبهم أموالهم ، فعرضت عليه

السيدة حصن مساعدتها في الخلاص من أولاد زوجها ، ودفعت له خمسين دينارا ، ففرح بهذا المال فرحا كبيرا الذي لم يكن يراه في أحلامه ، ورتبت معه حيلة ماكرة ، فوافق عليها من غير تفكير ولا تدبير ولا حتى تردد .

فتظاهرت حصن أمام الخدم وأهل زوجها بأنها خارجة إلى نزهة قرب الغابة مع ابني زوجها وجارية من الجواري ، ولما استراحوا في طرف الغابة وجلسوا يأكلون الطعام الذي جلبوه معهم هجم عليهم بلعوم ورجل آخر معه وهما ملثمان ، فأوثقوا المرأتين بالحبال ، وأمسك كل رجل بغلام ودخلوا بهما في جوف الغابة ، وبعد ساعة من الزمان تظاهرت حصن بأنها فكت وثاقها وساعدت الخادمة في حل قيدها وهي تبكي أشد البكاء واندفعت نحو الغابة كأنها تبحث عن ولدي زوجها ، ولما هبط الليل قفلتا عائدتين نحو البيت تبكيان وتلطمان وتنوحان ، وأطلعت أهل زوجها على ما حدث لهم في الغابة ، ولزمت حجرتها تبكي وتتألم على ضياع الأولاد ، فتركت الأكل أياما حزنا على ولديّ زوجها وهي تندب .. وتقول : ماذا أقول لزوجي سليمان غدا ؟ لقد أوصاني بالمحافظة عليهما .. من هو المجرم الذي خطفهما وحرمني من لذة اللعب معهما ؟ أنا مستعدة لأن أدفع كل مالي وعقدي بس أعرف أين هما ؟!

فكانت الجارات وزوجات اخوة سليمان يهدئن من مصيبتها ويخففن من آلمها وحزنها على حسن وعلام ، وقررت ألا تخرج من البيت حتى يعود زوجها أو الطفلان الصغيران .

وأما حسن وعلام فقد قادهما بلعوم وشريكه بكل خشونة نحو الغابة ، ولما اقتربوا بهما من غابة الأسود تركوهما هناك ، ورجعا إلى المدينة يتابعون بقية تمثيلية حصن على جيرانها وأهل الأولاد .

وقع الرعب في قلبي الصبين وأخذا يسيران على غير هدى حتى دخل الظلام الشديد على الغابة ومن كثرة المشي داخل الغابة أصابهما التعب والوهن ، فناما عند جذع شجرة وما استيقظا إلا على أشعة الشمس تلفح وجوههم ، وكانت تحيط بهم مجموعة من الأسود ساكنة ؛ كأنها تحرسهم ، فلما أدركوا أمرهم أشار لهم أسد أن اركبا على ظهره ، فتعلق حسن بظهر الأسد

واعتلى علام متن أسد آخر ، وساروا بهما إلى ملك الغابة الكبير ، ولما مثلوا بين يديه سمع منهما قصتهما ، فحزن لهما ووهبهم الأمان والحماية ، وتعهد بتربيتهم في عرينه وبين الأسود والوحوش ، وفي كهف من كهوف الغابة اسكنوهما وعاشوا في كنف سيد الغابة الكبير ، فتعرفوا على الوحوش من الفهود والنمور والكلاب والضباع والذئاب والأرانب والأفاعي والثعالب والطيور التي على أعالي الأغصان من صقور ونسور وغربان ويمام وبوم وعصافير ، وشاهدا حياة الغابة القاسية من سفك دماء بين الحيوانات المختلفة ، فالقوي يأكل الضعيف ، والمريض ضحية للجميع ، فقد شاهدا الفهود تطارد الظباء ، والأسود تصارع حمير الوحش ، فالقوي يخافه الجميع ، والضعيف والهرم تقتله الوحوش الكاسرة ، وشاهدا أنّ الأقوياء يتحالفون على الضعفاء، ومن يضعف تخلى عنه الكل حتى فصيلته ونوعه ، فقد كانا يتجولان في الغابة بكل راحة وأمان ، فلا أحد يتعرض لهما فهما في حماية الأسد القوي ملك الغابة وسيد الأسود ، فصراع الغابة صراع شرس صراع مع الظروف القاسية التي تحيط بالغابة من قلة الماء وصراع الوحوش مع بعضها البعض فلنترك الصبيين قليلا ونعود لوالد الصبيين والسيدة حصن .

بعد غياب طويل عاد سليمان لوطنه فعلم بضياع ولديه ، فغضب على الزوجة أشد الغضب ، ولما هدأت عاصفة غضبه ويأس من عودة ولديه ندم على فراقهما وتركهما بين يدي هذه الزوجة الماكرة الخبيثة ، فأعطاها مالا وفارقها غير آسف عليها فأصابها ألم شديد وغم رهيب وخابت حيلتها

وكانت تعتقد أن سليمان بقي لها وحدها ، وأنها مالكة البيت الواسع ، فرفضت العودة لأهلها فقال : لا حاجة لي بك ؛ فأنا تزوجتك من أجل ولديّ ، وقد ذهب الولدان ، فلا حاجة بي إليك وسأخرج للبحث عن ولدي في كل بقاع الدنيا ، فخذي المال الذي أعطيتك إياه وفكري برجل آخر ، فلا أحب أن آراك .. فأنت لم تحافظي على الأمانة ، وقصرت في المحافظة عليهم ، وأشعر بأنك سبب ضياعهما وسرقتهما .. فانصرفي قبل أن يفلت غضبي عليك فأقتلك .

فخرجت هائمة على وجهها غير آسفة على سليمان ؛ وكانت تحلم بأن ترث البيت الكبير ، ويصبح لها وحدها ، وأعلن سليمان عن مكافأة لمن أرشده على ولديه أو نـقل له علما عنهما .

وبينما هو ذات يوم في منزله الواسع يجلس حزينا نادما على تركه أولاده عند حصن ، وهو يعلم بكرها لهما وغيرتها منهم ، دخل عليه خادمه مخبرا له برغبة رجل يريد مقابلته في شأن ابنيه فأمر بإدخاله على الفور ، ولما رحب بالرجل قال له بلهفة : هل عندك خبر عنهما ؟!

قال الرجل : اسمع القصة .. وسأذكر لك الحقيقة ، واعلم أنني قد ندمت على فعلي ؛ ولكن بعد فوات الأوان ..ولست آتيا من أجل الجائزة التي أعلنت عنها ؛وإنما أحببت أن أريحك من البحث عنهما .

جفل سليمان لآخر الكلام ، فقال : لعلهما ماتا .. هل قتلا ؟!

قال الرجل : تمهل .. دعني أروي لك الحكاية من البداية ، ذات يوم من سنوات قليلة جاءني رجل صديق لي ، نحن قوم نعيش على جيوب الآخرين ، لا عمل لنا إلا الفتوة والترهيب .. جاءني صديقي في المهنة وأخبرني عن صفقة عقدها مع امرأة فيها كسب كبير عشرون دينار لكل واحد ، فرجل مشرد مثلي يعرض عليه هذا المال فلا يستطيع المقاومة فهذا حلم وثروة ، فقبلت المهمة وكانت المهمة الذهاب إلى الغابة الخضراء في يوم معين عند المساء ، وهناك نجد سيدة أو أكثر معها طفلان ، فنقوم بربط السيدتين وخطف الطفلين ورميهما في غابة الوحوش ونفذت الخطة مع ذلك الشريك ، وقبضت المال ولم اكترث لمصير الغلامين لقساوة قلبي ، وبعد حين علمت أنّ الولدين لك ، وأن صاحبي بلعوم رتب الأمور مع زوجتك حصن للتخلص

منهما ، وقد أصابني مرض كاد يدفعني للقبر وما زال يصيبني ، قد أحيا أياما أو أعواما ، فكانت تتمثل لي جرائمي وأكثرها تمثلا صراخ الطفلين حسن وعلام إلى أن سمعت بعودتك وبحثك فجئت أضع الحقائق بين عينيك حتى لا تتعب نفسك بالبحث عنهما ، فهما الآن قد اختلطوا بلحم السباع ، فابدأ حياتك من جديد ، وأنا رجل ندمت على ما جنت يداي ، وأنا رجل ميت فإذا أحببت أن تعجل نهايتي على يديك فإني أكتب لك صكا أغفر لك فيه دمي .

كان هذا الرجل يعترف أمام سليمان والدموع تنساب على خديه ، ولما انتهى من كلامه واعترافه صرفه وغرق في البكاء والحزن ويفكر في أمره ، تارة يفكر بالنسيان والبداية من جديد وتارة يفكر بالانتقام من هؤلاء القتلة ، وتارة أخرى بالرحيل من البلد إلى الأبد أو بالذهاب إلى غابة الأسود لتأكله الأسود كما أكلت ولديه ليختلط دمه بدمهم ، ثم يقول : ولكن ما يدريني أن الأسد الذي افترس ولديّ سيفترسني .

وظل في البكاء أياما وهو يفكر بالخطوة المناسبة ، فوقع الاختيار على أن يذهب إلى الغابة يستنشق رائحة ولديه لعله يموت هناك ويرتاح من الغم والتقصير الذي قدمه لولديه ، ولما استقر على هذا الفكر ، وفي الصباح الباكر مع الفجر وبدون أن يترك خبرا لأحد اتجه إلى غابة الوحوش ، ولما انتصف النهار كان في غابة الأسود ، فجلس عند شجرة يبكي ويصيح ويولول فهرعت إليه حيوانات الغابة وهي دهشة لهذا الرجل الذي اقتحم هذه الغابة بهذه الجرأة ، وحالته يرثى لها ، فقادوه لملك الأسود الكبير ، الذي استفسر منه عن أمره وما الذي دفعه للموت ، ولهذا البكاء والصراخ ، فروى لهم قصته ، فصاح الأسد : أأنت والد حسن وعلام ؟! فهز سليمان رأسه بالإيجاب" أي نعم" فقال الأسد الكبير وكله فرح : يا سليمان أولادك أحياء لم يموتوا !

قفز سليمان في الهواء عدة مرات وهو يصيح طربا : أحياء ! .. أحياء ! ثم هجم على الأسد معانقا له وهو يقول فرحا : أحق ما قلت يا سيدي الأسد ؟!

فقص عليه الأسد قصة أولاده في الغابة ، وأنهم عاشوا مع الحيوانات والطيور بضع سنين حتى

اشتدت سواعدهم ، فرغبوا بالعودة لغابة الأنس والبشر ، ثم منح كل واحد منهم ثياب أسد فراء أسد وتركوهما في أطراف أرض الأنس ، ولم يعودوا يسمعون أخبارهم ، سر سليمان لحياة ولديه وشكر الوحوش ، واعتلى ظهر سبع قطع به الغابة حتى انتهى به إلى المكان الذي تركوا فيه حسنا وعلاما ، فودعه سليمان وانطلق في رحلة البحث عن فلذات كبده الذين أهملهم في بداية حياتهم وانشغل في سفراته إلى أقطار الدنيا .

حسن وعلام

فلنترك الأب النادم على إهماله في حق ابنيه ، ونسير مع الشابين حسن وعلام ، أصاب الأسد الكبير وجع قاتل فشعر بدنو الأجل ، فأخبر الغلامين بالخطر المحدق بهما بعد موته ، وأنه لا يأمن عليهما من غدر الوحوش ، فإن هذه الوحوش لا تحب جنس الإنسان ، فأهداهما جلدي أسدين ، فأصبح من يراهما بلباس الأسدين يخيل له أنهما أسدان ، وصحبهما لأطراف بلاد الأنس ولما حان وقت الفراق بكى الطرفان للفراق ، ولما خلعوا جلد السباع شعروا بالشوق للغابة والحيوانات ، ودفع لهما الأسد صندوقين صغيرين وحثهما على حفظهما ، وإذا أحسا بخطر على حياتهما أو ضاقت عليهم الدنيا أو على أحدهما فليفتح صندوقه ، فيخرج له طائر صغير فيذكر حاجته ، ويدعه يطير ، فهو رسول بينهم وبين ملك الأسود ، فتفزع لهما الأسود على الفور ، فشكراه لحمايته لهما ، وعاد الأسد لعرينه وتقدما هما نحو المدينة ، وقد وضع كل شخص منهما صندوقه تحت حزامه ، وانطلقا إلى المدينة وهم نصف عراة ، وكان الشعر هو الذي يغطي أغلب جسمهم ، فدخلوا المدينة فلاحظوا أن الناس تنظر إليهم باستغراب ووجل ، فوصلوا لدكان تبيع الثياب ، فخاف البائع منهم ، فسألوه لباسا لأجل ، فأعطاهما الرجل ثوبين وهو في حالة من الرعب والوجل منهم ، وقال : " لا أريد منكما شيئا " ، ثم دخلا مطعما فتناولا حظهما من الطعام ووعدا صاحب المطعم بدفع الثمن عندما يتيسر لهما المال ، والأطفال والصبية يتبعونهم وهما يتنقلان من درب إلى درب ، فدخلوا الحمام بعد أن قص لهما الحلاق شعرهما وارتديا الثوبين الجديدين ، ولما خرجا من الحمام بالثياب الجديدة فإذا هما صبيان وفتيان جميلان

مثل كثير من الناس ، وما هما بوحشين على صورة الإنس ، وبينما هم كذلك دهـم المكان شرطة الوالي ، وساقوهما لوالي البلدة فلما رآهم قال : ويحكم ..هؤلاء بشر مثلنا ! كيف تقولون أنهم من الجن هبطوا على المدينة ، وأنهم يلبسون ويأكلون ويستحمون من غير أجرة .

فذكر حسن قصتهم للوالي بصدق ، فلم يصدق الوالي قصتهم ، فأمر بحبسهم حتى ينظر في أمرهم ، وهو يقول : إنسيان يعيشان مع الأسود إنّ هذا لشيء عجاب !

كان حسن وعلام يضحكان وهما في الحبس لما رأيا من أحوال الناس منهما في هذه المدينة ، فقررا أن يلبسا جلدي الأسد ويريا ما يحصل لأهل المدينة عندئذ ، فلما جاء السجان في الصباح ، ومعه طعامهما وفتح الباب وتقدم نحوهما ورآهما بفراء الأسود صرخ فزعا ، وألقى الطعام والمفاتيح وانطلق هاربا وهو يولول من الرعب والخوف ، فخرجا من السجن سريعا ، وهرع رجال الوالي إلى السجن على صراخ السجان ، ولما شاهد الناس الأسدين يمشيان في الشارع دب الذعر في قلوبهم ، واختفى الناس في بيوتهم ، وانتشر الخوف في أحياء المدينة ، والكل يهمس ويتهامس: "أسدان يتمشيان في شوارع المدينة"، "الشابان تحولا لأسدين وهربا من سجن الوالي " ، فاغلق التجار حوانيتهم وهربوا لبيوتهم ، كلهم يخشى أن يكون ضحية للوحوش ، وكان حسن يقول لعلام : أرأيت كيف يهرب الناس من جلد الأسد ؟! .. فكيف لو كنا أسدين حقيقين ؟! ومكثا ساعة من الزمن يتمشيان ويتجولان بجلدي الأسد ، ثم خلعا فراء السبع وظهرا بثيابهما الإنسية وهم يضحكون من رعب الناس وهلعهم ، وقال علام : لو شئنا لنهبنا المدينة دون أن يقترب أحد منا .

فمشيا إلى دار الوالي الذي خرج إليهما والرعب يملاء كيانه ، فاعتذر لهما عن إسائته لهما يوم أمس بحبسهما وعدم تصديقهما ، ودفع لهم مائة درهم تعويضا عما ألحقه بهما من إساءة وأذى ، وتوسل إليهما بمغادرة البلدة بسلام ، فشكراه على حسن الضيافة ، وسددوا ديونهم لبائع الثياب والحلاق والمطعم والحمام ، وغادروا المدينة بسلام إلى مدينة ثانية وعن فندق سألا ، فلا أحد يرشدهما ، وسألا عن مطعم يأكلان فيه ، لا أحد يدلهما ، فدهشا لحال الناس في هذه المدينة

فاقتربا من رجل كبير فسألاه ، وبعد تمنع شديد همس في أذنيهما : اذهبا إلى دار ضيافة الوالي أيها الغريبان .. هنا لا أحد يبيع للغريب أو يتحدث مع الغريب ، ولو رآني أحد الآن وأنا أكلمكما ووشى بي للوالي ورجاله لفتكك بي أشد الفتك .

فتركوه وانصرفوا يفكرون بما سمعوا ، ويبحثون عن دار ضيافة الوالي . ومن درب لآخر ، وقد ساعدهم الناس بالإشارة ، وصلوا في النهاية دار الضيافة ، فرحب بهم وقدم لهما الطعام والشراب ، وأنزلوهما غرفة للمبيت ، ويقوم أهل الدار على خدمتهم بصمت غريب ، وفي الصباح ذهبوا بهم لقاعة الطعام ، فأكلا مع من كان هناك من ضيوف الدار ، وكلما حاولا الحديث مع أحد الناس لاذ بالصمت ، وعند الظهيرة قادوهم لدار الوالي ، ولما جلسا في حضرة الوالي رحب بهم ، وسألهم عن بلادهم ، ولماذا أتوا هذه المدينة ؟ فاختصر له حسن الحكاية ، فارتفع صوت الوالي صارخا : أتهزأ بنا أيها الشاب الصغير وتسخر منا ؟! وتقول أنّ الأسود ربتكم واعتنت بكم .

فقال حسن : هذه هي الحقيقة يا مولانا الحاكم !

فهاج الحاكم عندما رأى إصرارهم على حكاياتهم ، فأمر حرسه بحبسهم حتى تعود إليهما عقولهما ، فساقهم الحرس إلى السجن بصمت قاتل ، لا أحد يتكلم مع الغريب في هذه البلدة وفي السجن وجدا مساجين آخرين ، فتحدثوا معهم عن حال هذه المدينة وسر الصمت السائد بين الناس ؛ ولكنهم لزموا السكوت ، وبعد جهد همس أحدهم في أذن علام " هذه قوانين الحاكم ..لا أحد يكلم الغريب أو يكرمه ؛ بل يرشدونه همسا إلى دار الضيافة .. والحاكم يتولى إكرامه والتحقيق معه"

فهامسه علام : لماذا هذه القوانين الظالمة ؟!

همس الرجل : يقال إنه قد تنبأت كاهنة الحاكم بأن الحاكم سيكون مقتله على يد رجل غريب فوضع هذه الأحكام ليضمن وصول كل غريب لقصره .

عندئذ أدرك علام السر في هذه الاحتياطات ، وأخبر حسنا بها ، فعجب من خوف بني آدم لهذه



الدرجة من قدر مجهول .

ثم قررا ارتداء جلدي الأسود ليروا شجاعة هذا الحاكم وحاشيته وأهل بلدته ، ففي الصباح الباكر لبسوا ثياب الغابة ، وألقيا على أنفسهما أغطية السجن حتى يأتي السجان بالطعام ، فما كاد الرجل يدخل عليهم بمائدة الإفطار حتى قفزا من تحت الأغطية يقلدان الأسود في زمجرتها ، فألقى السجان الطعام وأسرع هاربا ، وقد ترك السجن مفتوحا من الفزع ، فلحق به حسن وعلام ، وخرج السجناء خلال الفوضى التي دبت في السجن ، وعلى أثر هرب رجال السجن ملأ الصراخ الشوارع شيئا فشيئا ، فأغلقت الأبواب واختبأ الناس في بيوتهم ، وقد انتشر خبر وجود أسدين في شوارع المدينة ، فوصل الخبر للحاكم فانزعج ، وأصدر أمرا بإغلاق أبواب القصر ، وصعد على ظهر القصر يراقب الشوارع ، ولما نقل له السجان هرب المساجين ازداد هلعه ، ولما شاهد الأسدين يقتربان من القصر خشي على نفسه الموت رعبا ، فقد عرف حقيقة الخوف والضعف في هذه اللحظات وعمل الشابان جولة في المدينة ، ثم خلعوا ملابس الوحوش وعادوا لصورة الأنس الجميلة ، اقتربوا من القصر ، ونادوا على الحاكم وأعلموه باختفاء الأسدين ، وبعد تمنع وحذر دخلا على الحاكم ، فاعتذر لهما ووهبهما قليلا من المال وترجاهما بالرحيل عن البلدة ، وتركه في حال سبيله فودعاه وبعد أيام دخلوا مدينة جديدة فدخلاها بكل سلام ، ووجدوا الناس يحيون بكل هدوء وأمن ، ويتكلمون مع الأغراب ، فبحثا عن مأوى فارشدا إلى نزل ، فقضيا به أياما ، وذات مساء تحدث معهما صاحب النزل راجيا منهما عدم الخروج من الفندق صباح الغد ، فلما سألوه عن السبب قال لهما : بما أنكما غريبان سأشرح لكما الأمر ، ففي نهاية كل شهر تغلق الأسواق والحوانيت والمنازل ، ويمنع الناس من الأعمال والانتقال حتى الليل بأمر من السلطان الحاكم وكل من يوجد في الشوارع ذلك النهار يقبض عليه ، ويلقى في غياهب السجن ، ولا يعلم مصيره إلا الله ، وسبب ذلك انّ مولانا السلطان تزوج ابنة أحد الملوك ، واشترطت عليه هذا

الشرط ، فتخرج مع جواريها وغلمانها تتمشى في الشوارع الخالية ، ومن بين أيديهن ومن خلفهن الجند ، وقد وافق مولانا السلطان على هذا الشرط ، ولنا أكثر من خمس سنوات نخضع لهذا القانون .. فهذه القصة وعليكما أن تحذرا هذا الخطر .

وتركهما يتأملان في هذه الحكاية وهذا الشرط الغريب ، فأحبا أن يزعجا هذه الأميرة وجواريها ومع الصباح تسللا من الفندق وهما يلبسان ثياب الأسود ، وسارا يمشيان في شوارع المدينة الخالية النائمة يبحثان عن موكب الأميرة ، وعند الظهيرة سمعا صوت الخيول والجنود ، ولما اقترب الموكب المكون من الأميرة والجواري والغلمان والحرس منهما ظهرا أمامهم فجأة وهما يزمجران كما تعلما في الغابة ، فحدثت فوضى في الموكب وخاف الحرس على الأميرة ، فأخذ الأسدان يقتربان نحو الموكب ، وكان الموكب يتقهقر للخلف ببطء شديد ، ثم صاحت الأميرة في الجنود بأن يقبضوا على الأسدين أو يقتلوهما ، فتردد الجند في تنفيذ أمر الأميرة ، فبين لهم قائدهم الخطر المحدق بهم إذا تخلوا عن زوجة السلطان وهو الموت ، وشجعهم على الموت أمام الأسد خير لهم من الموت بين يدي الجلاد والسياف ، فدبت فيهم بعض الشجاعة فتشجعوا وعادوا يقفون أمام مركبة الأميرة ، وهم يشرعون رماحهم ، فأدرك حسن وعلام أنّ هؤلاء الحرس غير خائفين منهم فتراجعا أمام عنادهم ، فأحس الجند بخوف الأسدين ، فطمعت الأميرة بأسرهما ، ووضعت جائزة لمن يأسرهما فلحقوا بهما ، فاستسلم حسن وعلام لهما فأوثقوهما بالحبال وقادوهما لقصر الأميرة التي فرحت بصيدهما فرحا لا يوصف ، وندم حسن وعلام على جرأتهما فقد أصبحا أسيرين في قفصين في قصر السلطان فرجة للأمراء والأميرات ، وقد شاع في البلد أنّ الأميرة صادت أسدين اعترضا موكبها في يوم نزهتها ، وقضيا أياما وهما فرجة للأكابر، وعرفا أنّ أهل هذه البلدة ليسوا كغيرهم من المدن التي أثاروا فيها الرعب ، ففكروا بالخلاص من هذه الورطة ، ففي إحدى الليالي فتحا قفصيهما وخرجا ، فانتبه لهما الحارس الموكل بهما فصرخ من الرعب صرخة واحدة ففزع عليه الحراس ، فعاد الأسدان أدراجهما لقفصيهما ، وقد تعجب الحرس عن كيفية فتحهما أبواب القفصين ، فقد وجدوا انّ

أبواب القفص لم تفتح بعنف وقوة ، فوقع بنفوسهم أنّ أحد الزوار قد فتح الباب دون أن ينتبه وانزعجت الأميرة عندما علمت بمحاولة هرب الأسدين ، فأمرت بنقلهما لجب عميق فدلوهما بحبال سميكة في الجب . فقال حسن : لقد أصبح وضعنا الآن أصعب .. ما العمل ؟

فأجابه علام هامسا : إنهم ما زالوا يعتقدون أننا أسدان ، ألا نستطيع تسلق البئر والهرب ؟! .. الليلة سوف نحاول .

وفي جوف الليل فتحا الأقفاص وتسلقا على ظهرها وتعلق كل واحد بالحبل المربوط في قفصه وصعدا رويدا رويدا فإذا هما في حديقة من حدائق القصر ، ثم تسللا للخارج ، ولما أصبحا خارج القصر خلعوا ثياب الوحوش ، ومشيا نحو الفندق الذي سكناه في أول يوم دخلا هذه المدينة ، فدهش الرجل من عودتهما ، فذكرا له أنهما ذهبا في مهمة وقد عادا ، فأدخلهما إلى غرفة وعاد لنومه ، وفي الصباح خرجا إلى نحو القصر يتسمعان الأخبار ، فلم يعلما شيئا ، فأدركا أنهم لم يكتشفوا هربهم بعد إلى أن كان يوم وقد انقلبت المدينة بحثا وتفتيشا عن الأسدين الهاربين ، وتعجب السلطان وزوجته من الصفة التي هرب بها الأسدان من الجب العميق ، وكيف استطاعا الخروج منه ؟! والأدهى أنـهم اكتشفوا بأنهم هربوا من أول يوم وضعا في الجب ؛ لأن الطعام الذي كانوا يسقطونه لهما لم يؤكل منه شيئا وأصابه الفساد فاحتار أهل العقول بهذين الأسدين .



آخر الحكاية

دخل صاحب الفندق يوما على حسن وهو يجلس وحده متحدثا : قال لي غلام الفندق يا سيد حسن أنك تبيع فراء الأسد .. فهل صحيح أنكم تبيعون مثل هذه الأشياء ؟! .. فأنا راغب بشراء فراء منكم .

دهش حسن لحديث الرجل وقال : وكيف عرف غلامك أننا نبيع الفراء .. فراء الأسود ؟!

ضحك الرجل وقال: غلام الفندق وهو ينظف حجرتكما وجد لديكم فراءين فظن أنكما تبيعان ذلك ، فذكر لي ذلك ، فهل أنتما تبيعان هذه الجلود أم تصطادان ؟ فهل لك أن تبعني أحد الثوبين ؟

صمت حسن مفكرا بعض الوقت ثم قال : نحن نعمل في هذه المهنة نشتري جلود الأسود والنمور والفهود وغيرها ونتنقل بين المدن لبيعها ، وهذان الثوبان اللذان رآهما غلامك ليسا للبيع فهما مباعان وقد أحضرناهما لما عدنا إليك في المرة الأخيرة ، وتأكد أننا في مرة أخرى سنجلب لك واحدا .. هل تريده جلد أسد أم فهد ؟

ولكن صاحب الفندق أصر على شراء أحد الثوبين ، فغضب حسن وقال : سنترك فندقك ونبحث عن نزل غيره .

فقال صاحب الفندق : يا هذا لا تغضب .. الحقيقة أنا لا أريده لنفسي ؛ ولكنّ صديقا من فرسان الحاكم سمع حديث الغلام معي عن الجلود التي تبيعونها فأبدى رغبته في الحصول على جلد منهما ، فلا تخيبني أمامه فقد وعدته بقدرتي على شراء واحد منكم فلم يدر بخلدي أنهما مبتاعان !

أظهر حسن غضبه مرة أخرى وقال : سوف نحضر لصاحبك الجندي ثوبا ، واعلم أيها المتطفل أننا سنترك خانك لخان آخر لابد أنك سمعت .

وبينما هما يتجادلان جاء غلام الخان يقول لسيده وحسن : لقد قدم فرسان يطلبون صاحب الجلود للسلطان .

فأسرع إليهم صاحب الخان مرحبا ومستقبلا ، فوجد صاحبه الجندي معهم ، فذكر له أنه روى لأصدقائه عن التاجر النزيل عندك الذي يبيع جلود الحيوان ، فوصل الخبر لمولانا الحاكم فرغب برؤية التاجر لشراء بعض الفراء ، فعض صاحب الفندق أصابعه ندما على إفشائه سر النـزيل حسن ؛ ولكنه أمام رغبة السلطان أطلع حسن على جلية الأمر ، فحمل حسن جلدي الأسود ، وانطلق مع الجنود لقصر السلطان ؛ ولكنه أوصى صاحب الخان بإخبار أخيه عن الموضوع ويحثه على عدم اتباعه إلى القصر ، ودخل حسن على السلطان وتظاهر بأنه تاجر جلود واستقبله الحاكم ولما نشر الثوبان أمامه أصابته دهشة فعلق قائلا :إنهما يشبهان جلدي الأسدين اللذين كانا في الجب .

فنهض وارتدى أحد الثوبين ونظر إلى نفسه بالمرآة فإذا هو على صورة أسد ، فطلب الأميرة زوجته ، فلما شاهدته بثوب الأسد دهشت هي الأخرى وقالت : كأنك الأسد الذي اصطدناه ما الحكاية ؟!

فروى لها قصة بائع الجلود ، وأبدى رغبته بشراء جلدي الأسد بأي ثمن .. فعندئذ روى حسن قصته في الغابة وتربية الأسود له ، وما هو بتاجر فاستغرب السامعون لهذه الحكاية وظنوه يسخر منهم ، فأمر الحاكم بطرحه في السجن ، والبحث عن أخيه علام ، فقام حسن بتهديد السلطان من عاقبة ظلمه ، فغضب الحاكم واشتد غضبه على حسن ، فقال حسن : سوف تندم يا ملك الزمان .. أنت اليوم قوي ؛ ولكنك غدا ستصير ضعيفا فدعني أرحل عن بلادك بسلام.

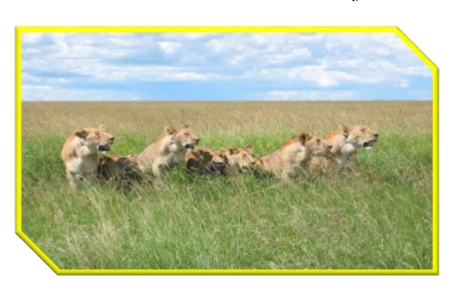
فأمر الحاكم جنده بوضعه في جب القصر ، فقاده الجند بعنوة وطرحوه في الجب ، وفي المساء كان أخوه علام يجلس بجواره في الجب وهو يقول : أخبرني صاحب الفندق بالأمر ، فجئت أطوف حول القصر ، فعلمت ما أصابك ، فأخرجت صندوقي وأرسلت الطائر لملك الغابة وعدت للفندق ، فوجدت رجال الحاكم بانتظاري فكتفوني وألقوني عندك حتى يدخلوني على الحاكم في الصباح .

ولما التقى بالحاكم صباحا سأله عن حكاية الفراء فذكر له قصة الغابة فقال : هذه حكاية تافهة

يا فتى! فالأفضل لكم أن تقبضوا ثمن الجلود وتنصرفوا عن بلادنا وأغض الطرف عن وقاحتكم وسخريتكم منا .

فقال علام : آسف أيها السلطان .. فقد سبق السيف العذل ، لقد أرسلت وراء الأسود ، فلابد أنها الآن في الطريق إليكم . فقهقه الملك وحاشيته استخفافا وسخرية وقال : لابد أنكما مجنونان خذوه للجب ، وبعد سبعة أيام أخرجوهما لعلهما يرضيان بما أدفع لهما .. فأنا صابر عليهما وللصبر نهاية .

وبعد أسبوع مثلا أمام الحاكم مرة أخرى ، عرض عليهما العفو مقابل بيع الجلود ، فأبيا ورفضا أشد الرفض فقال السلطان بسخط : ما أدري ما الذي يمنعني عن الفتك بكما ؟!



رسم حسن ابتسامة على وجهه وقال : الخوف .. لأنك خائف أن تكون حكايتنا صحيحة وتحضر الأسود التي أرسلنا وراءها فتأكلك واعلم أيها الظالم أنك ستندم .

وقبل أن يسمع حسن الجواب وصل الصراخ والعويل للقصر بأن أعدادا كثيرة من الأسود دخلت المدينة ، وبعد قليل سمع حسن وعلام صوت العصفور وهو يحوم حول القصر ويزعق زعيقا غريبا .

وكان الشابان يبتسمان وهما ينظران للملك الذي بدأ وجهه مصفرا ، وقال حسن ساخرا : لقد وصلت الأسود يا ملك هذه المدينة !

وقبل أن يرد دخل جندي يقول : الحيوانات تحاصر القصر يا مولاي !

فصاح الملك مرتبكا : أين الفرسان والجنود ؟

فقال الفارس : الناس أغلقت منازلها ، ومنهم من هرب لأعالي الجبال ، فهذه مئات بل آلاف الوحوش .

فنظر الملك لحسن وعلام وقال : لا أدري ما أقول لكما ، لابد أنّ قصتكما حقيقة ! ويبدو أنني

أسأت لكما أيها الشابان الطيبان !

قال علام : لا تغرنك قوتك فهذه حيوانات أقوى منك .. افتحوا الباب لملك الغابة .

وخرج علام وأمر الحرس بفتح الباب ، فهرعت الوحوش للداخل وهي تملأ المكان همهمة وزمجرة ، واقترب الأسد الكبير من حسن فقبله حسن من بين عينيه ، وفعل علام مثله أمام دهشة وخوف الحاكم ورجاله ، فقص عليه حسن القصة فزمجر الأسد غضبا وهم بالفتك بالملك وحاشيته ، فطلب حسن من الملك بأن يطلب العفو من ملك الغابة ، ففعل وقبل رأسه واعتذر له عن إيذاء ربيبيه وندم وأسف ، واعتذر للأخوين وأعطاهما جلدي الأسد ، وأكرم الأسود ثلاثة أيام ، فعجب الناس من هذه الحكاية ، ثم غادرت الوحوش إلى غاباتها ، وقد قص الأسد قبل المغادرة لحسن وعلام قصة والدهما سليمان ، وبأنه حضر للغابة باحثا عنهما فقررا العودة لبلدهم طمعا بلقاء والدهم بعد هذا الغياب الطويل جدا .



وبعد حين كانا في مدينة جديدة ، ولقد كان دخلوهم إليها وسط النهار ، فشاهدا أنّ الناس مندفعة بكثرة في طريق واحدة ، فاستفسرا عن سبب هذا التزاحم والتدافع فنظر إليهما الرجل مستفسرا ثم قال : كأنكما غريبان ؟ فأشارا أن "نعم"

فقال الرجل : واحسرتاه أيها الغريبان! إنهم يقودون رجلا إلى ساحة الموت وهو مظلوم ولا نصير له في هذه البلاد .

نظر حسن وعلام في عيون بعضهما بمعنى "هل يتدخلان في الأمر ؟" ، ثم قال حسن: ما الحكاية أيها الرجل الطيب ؟.. لعلنا نستطيع مناصرة الرجل المظلوم .

فأطال الرجل النظر في هيئتهما مرة أخرى ثم أجاب : هل تستطيعان مقاومة القاضي ورجاله ؟ فشجعاه على الكلام ، فقال لهما وهو يعصر الألم في نفسه وقلبه : إنهم يقودون رجلا مظلوما إلى ساحة الموت.. هذا الرجل صاحبي وأخي ، وهو من بلاد بعيدة ، فكلما جاء لهذه البلدة نزل ضيفا عزيزا مكرما عندي ، فهو صديق طيب النفس ، كنا نسافر ونعمل ونتاجر معا ، فجاءني السنة وكان برفقته ثلاثة رجال ، فرحبت بهم ووضعت منـزلا تحت تصرفهم ، وعلمت من صاحبي أنه التقاهم في إحدى الغابات وهو يجتازها ، فأخبروه أنهم ضالون تائهون ، فصحبهم معه إلى مدينتنا ، وبعد أيام وجد صاحبي أن أحد الرجال أكبرهم سنا مقتول ، وأن الرجلين رفيقاه قد هربا ، فقمنا بإخبار شرطة القاضي ، فاتهموا صاحبي بالجناية ، وأن قصة الرجلين الهاربين حيلة ليتخلص من المساءلة ، وحاولت إنقاذ صديقي وبذلت مالي ولكن بدون فائدة ترتجى ، وقضوا عليه بالموت في ساحة الموت ، وها هم يقودونه للموت أيها الشابان الغريبان .

استمع الشابان لقصة صاحب هذا الرجل وتأثرا بها ، فقال علام : اتبعنا أيها الرجل سوف نـنـقذ صاحبك أين يقع بيتك ؟

فأرشدهما لبيته ، ومنه ساروا بسرعة وقوة إلى ميدان الموت ، وبينما رجال القاضي منهمكون في إعداد مشنقة لتنفيذ الحكم بالرجل الغريب ، لبس الشابان فراء الأسود وزمجرا وزئرا كما تفعل

الأسود في عرينها ، فتعجب الرجل منهما ثم زحفا نحو مكان إعداد المشنقة ، فذعر الناس وبدأوا يتراكضون هربا من ظهور الأسدين في الميدان ، وسمع رجال القاضي الصراخ وصوت الناس تصيح : أسود أسود !!

فتركوا هم الآخرون الضحية ونجوا بجلودهم ، وما مضت ساعة من الزمان حتى خلا المكان من الناس ، فتقدم حسن وعلام وفكوا وثاق المظلوم وساقوه إلى بيت صاحبه ، وهناك خلعوا ثياب الأسود ، ثم حكوا الحكاية لهم ، فقام الرجل المظلوم يصيح : ولداي حسن وعلام !!

فأخذوا في البكاء والعناق وكانت الدهشة والذهول تخيم على الجميع ، وأكثرهم دهشة صاحب سليمان ، فكان يقول : أهؤلاء هم أولادك يا سليمان الذين أخبرتني عن ضياعهما ؟!

رد سليمان والدموع ما زالت تنساب على وجنتيه : أجل .. أجل أيها الرفيق العزيز..الحمد لله أنني وجدتهم قبل الفراق الأبدي لهذه الدنيا .

وقص كل منهم قصته ، وقال سليمان : لما عدت من السفر ووجدتكما قد اختفيتما أصبحت الحياة سوداء أمام عيناي ، فطلقت زوجتي ووضعت جعلا سخيا لمن يرشدني إليكم ، وبعد حين جاء أحد الشريرين الذين شاركوا في خطفكما ، وأقر لي بدوره القبيح في الجريمة ومكر زوجتي وصاحبها المجرم بلعوم .

فمشيت للغابة وكلي يأس أن أسمع شيئا عنكما بعد تلك السنوات ، وكان قصدي أن تأكلني الأسود التي أكلتكما ؛ ولكن الأسود أكرمتني عندما عرفت أنني والدكما ، وبشروني بحياتكما وأرشدوني للمكان الذي تركوكما عنده ، وصرت أبحث عنكم ، فإما أن أجدكم أو أموت قبل تحقيق هذه الأمنية ، فبدأت أتنقل بين المدن ولكني لم أجد لكم أثرا ، فعدت لبلدتي لجلب بعض المال للاستمرار في رحلة البحث أو الموت ، وقد بشرت اخوتي بحياتكما ، وأمرت بإعداد القصر لمجيئكما ، وتابعت الرحلة إلى أن اقتربت من هذه المدينة التي نجلس فيها الآن ، وقبل دخولي

إليها التقيت بغابة قريبة منها برجال ثلاثة يطلبون مساعدتي ، فرققت لهم لما علمت أنهم تعرضوا لقطاع طرق وسلبوهم أشياءهم ، فقلت لهم : " اتبعوني لهذه البلدة أعطيكم ما أستطيع من المال ؛ لأن لي بها صديقا طيبا " ـ وأشار لصاحبه ـ فرافقوني إلى هنا ونزلنا ضيوفا على صاحبي الطيب ، فأنزلنا في بيت جميل ، واستلفت منه بعض المال من أجلهم ودفعته لهم ، وفي الصباح وجدت أحدهم مقتولا وهرب الآخران ، والحمد لله الذي جمعنا بعد هذا الغياب الطويل .

فأعاد سليمان المال الذي استلفه من أجل الغادرين ورحلوا لبلدهم ووطنهم .

وأثناء رحلة العودة وبينما هم يستريحون في إحدى الغابات ليستأنفوا مسيرهم ؛ فإذا هم برجل جريح يتلوى من الألم ، فعرفه سليمان وقال لولديه : هذا أحد الرجلين اللذين قتلا صاحبهما واتهموني بالغدر به .

فاقتربا منه ؛ فإذا هو يقول : سيدي سليمان ! .. آه .. ساعدني أيها الرجل الفاضل.. تعال لأذكر لك الحكاية . اقتربوا منه وجلسوا حوله ، وسقوه قليلا من الماء ، وقال له سليمان : من فعل بك هكذا ؟

رد الجريح باختصار : الطمع .. سأعترف لك أيها الرجل الشهم لعلك تسامحني .. أعطوني كسرة خبز لي أكثر من يومين لم أذق الخبز .

دفع له حسن كسرة خبز وطعاما ، وكان يأكل ويتكلم ويسأل : كيف نجوت يا سليمان من الموت.. من الفخ الذي نصبناه لك ؟!

رد سليمان بهدوء : بفضل من الله تعالى .. لم تحن نهايتي بعد .. تكلم أيها الشقي.. من الذي طعنك هذه الطعنة القاتلة .. تكلم ؟!

فقال الجريح بحسرة وندم وذل : غدر بي الغدار ، الرجل الذي اتخذته صاحبي ولكن هذا جزائي ، فاعلم أيها الرجل ـ وأشار بعينيه إلى سليمان ـ أن زوجتك المطلقة حصن علمت بأنك تبحث عن ولديك ، وأنهما حيان كما أخبرت أنت الناس في البلدة ، فأرسلت وراء بلعوم وأطلعته على الخبر ، وبلعوم هو الرجل الذي قتلناه أنا ورفيقي الغادر واتهموك ـ أهل البلدة ـ

بمصرعه ، وهو نفس الرجل الذي رمى ولديك في الغابة ، وتركهما ضحية للأسود في غاباتها فلما علمت حصن بحياة ولديك ، قررت الخلاص منك ، فأرسلت بلعوم خلفك ، وأرسلتنا خلف بلعوم لنتخلص منه أيضا ، والتقينا ببلعوم في إحدى المدن وتظاهرنا بأننا أصدقاؤه ، وسرنا نحن الثلاثة نبحث على شخصك حتى وجدتنا في تلك الغابة ، وادعينا أننا قد تعرضنا للصوص وحاجتنا للمال ، فوعدتنا المساعدة عندما نصل البلدة القريبة التي فيها صاحبك ، فأمرنا بلعوم أن نؤجل قتلك حتى نكسب المال ، وكان لنا ذلك ، فسرنا معك حتى حصلنا على المبلغ الكبير منك ، فغدرنا ببلعوم وأخبرنا رجال القاضي بأنك أنت الذي قتلته ، واختفينا عن الأنظار حتى تيقنّا أنهم سيقتلونك فتركنا البلدة ، ولما وصلنا لهذه الغابة غدر بي شريكي في الإجرام ، وطعنني بهذا الخنجر وهرب ، هذه هي الحقيقة أعترفت لك بها وأطلب منك المغفرة والمسامحة ، فلابد أني ميت الآن أو بعد ساعات ، وأما أنت فأخبرني كيف نجوت من الموت ؟ فقص عليه سليمان قصة نجاته ، وحملوه معهم ؛ ولكنه فارق الحياة اثناء الطريق ، فمات فواروه التراب ، وتابعا السير تجاه الوطن .

وبعد مسير طويل وصلوا مدينتهم الشماء ، وفرح بهم الأصدقاء والخلان والأخوة ، وأصبحوا حديث أهل البلدة ، فالناس تزورهم مهنئة بالعودة ويسمعون تفاصيل الحكاية .

وجاءت رسالة من حصن لسليمان تطلب منه الصفح والعفو ، فأخبرها بعفوه عنها ، ولا يرغب برؤيتها ، وقد علم بخبثها وتآمرها على ولديه ، وإرسالها بلعوم لقتله ، وقد قتل بيد رجليها ، وقد قتل أحدهم الآخر ، ولابد أن يقتل الآخر ، وأهملها سليمان ، ولم يحاول الانتقام منها .

وبعد أيام من الفرح والراحة والأمان أبدى الأب رغبته بتزويج ولديه ، وتم ذلك خلال شهور يسيرة ، ولما تزوج الشابان ، ودعهما سليمان وبين لهما عزمه على السفر والرحيل في البراري والغابات ، وبعد معارضة وممانعة من الولدين رحل خفية كعادته في ماضي الأيام ، فهذه هي قصة جلد الأسد وما فيها من العبر والثمر .

تمت بحمد الله

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

جواهر القصص

جمال شاهين

جلد الأسد

جلد الأسد


قصص الزمردة
جلدالأسد
عمتي زاهرة
همام وجؤذر
سليم في الغابة المسحورة
نحيف وعريف
وسيم والأميرة المسحورة



عمتي زاهرة

جمال شاهين



جواهر القصص

الزمردة

٢

جمال شاهين

١٩٩٥

عمتي زاهرة

الجحود

على سرير الموت كان والد علي يحتضر ، وجلس علي الفتى الصغير بجواره ينظر إليه وهو يكلم عمه ويوصيه عليه ، والعرق الغزير يتصبب من جبين المحتضر فسمعه يقول : عدنان يا أخي أوصيك على صغيري علي فكن له أبا ؛ وليكن أولادك له أخوة ، واهتم بتربيته أحسن تربية ، وعندما يكبر ويشتد عوده ادفع له البستان، وزوجه إحدى الحسان ، وإن كانت إحدى بناتك فذلك خير لك وله ، ولا تطمع يا أخي العزيز بأمواله وبستانه ، وإياك والظلم والعدوان ، فعاقبته مُظلمة في الدنيا والآخرة .



ووعده عدنان خيرا ، وأنه سيعتني بعلي عنايته بأولاده ، فلما سمع المحتضر هذا الوعد ابتسم ابتسامة الوداع ، ثم التفت لولده فقال : يا ولدي يا علي كن لعمك طائعا ، ولا تحزن عليّ كثيرا ، فأخي بمثابة الوالد لك .

وأخذ يكيل المديح والثناء على أخيه ، وقد اطمأن باله على ولده الصغير ، ثم خرج عدنان بعدما تحمل الوصاية على ابن أخيه ، فالتصق علي بوالده أكثر ، فوضع الوالد الميت يده على رأس وشعر ابنه يداعبه بها وهو يقول : كن رجلا يا ولدي ، واصبر على مصائب الدنيا ، ولا تجزع لحوادثها ، وها أنا قد أوصيت عمك عليك ، وعاهدني على الإحسان إليك ، ومع ذلك فأخي عدنان جشع حسود ، فأخاف أن يأكل أموالك ، فإن حصل ذلك فارحل لمدينة القمر ، وأسأل عن امرأة اسمها " زاهرة "، فهي ستنفعك إن ضاقت بك الدنيا ، لا تنس يا ولدي مدينة القمر والمرأة زاهرة ، فهي عمة لك ، وهي تعرف كيف ستعيد لك حقك إن ظلمك عمك العزيز ؟.. وأنا أرجو الله العزيز الحكيم أن لا يظلمك ويخذلك .. فابن آدم فيه طمع .

فعانق الولد والده بصمت حزين ، ولم يأت المساء حتى كان عمران يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وفارق الدنيا تاركا ولده وحيدا ، ليس له إلا الله العظيم وحده ، وبعد أن انتهت الأتراح بدفن

عمران ، انتقل علي للسكن في بيت عمه عدنان مع أولاده كفرد منهم ، وقد فرح له الأولاد وحاولوا رفع الحزن عن قلبه بقدر المستطاع ، وتركوه مع حزنه ، واستمر ذلك شهرا من الزمان وكما هو معلوم أن الحزن يخف ويذهب مع الأيام ، فكيف بحزن فتى صغير ؟! فدخل عليه العم قائلا : يا ابن أخي كفاك حزنا وأسفا على والدك ، وهذا حال الدنيا ، أناس تولد وأناس تموت ، فاهتم بنفسك وعافيتك ودع الضعف والخور عنك واستعد غدا لتذهب معنا إلى الحراثة ونهض علي مبكرا مع عمه وأولاده واشتغل معهم في حراثة الحقول ، فأتقن الحراثة وراء الدابة وكان يرفع الماء من جوف البئر ، ويشاركهم في قطف الثمار وعصر الزيتون وإطعام الأبقار والأغنام ، وأحيانا يرسله عمه مع الرعاة فيذهب بدون أناة ، وأحيانا يرافق الحطابين للغابات لجلب الحطب ، فكان الفتى يعمل بجد ونشاط دون كلل أو ملل ، وظلت حاله على هذا المنوال حتى بلغ سن الرشد ، فذكر لعمه رغبته بالاستقرار بمال والده عمران ، فزجره عمه وادعى أنه ما زال صغيرا لم يبلغ مبالغ الرجال ، ولا يستطيع تحمل المسؤولية ، فصبر علي سنة أخرى وطلب حقه من عمه ، فغضب عليه وأنبه وقال : لي أكثر من سبع سنوات أطعمك وأسقيك وأكسيك فإن كان لأبيك مال فقد أنفقته عليك .

رد علي قائلا : يا عمي حقي أكثر من ذلك .. بستاني ودوابي ألا تزيد على ما أنفقته عليّ ؟ .. هل نسيت العهد الذي قطعته على نفسك عند موت أبي ؟

ضحك عمه وقال : لم أنس يا ابن أخي ، وهل قصرت معك كل هذه المدة ؟ ومن أين صار لك هذا الجسم وهذا العضل ؟ يا ولدي أموالك أنفقتها على العناية بك فلم يبق لك في ذمتي إلا الشيء اليسير.

فرفع علي صوته قليلا وهو يقول :يا عماه ! ..حرام عليك أن تأكل أرضي ومالي ، الظلم ظلام..وهل أمضيت السنوات الطوال نائما يا عمي لقد أمضيتها في العمل ؟!

فلما سمع عدنان هذا الكلام غضب واحتد وصفع الشاب على وجه وهو يقول : تأدب أيها الشقي ! أنا آكل مال الأيتام هذا جزاء اعتنائي بك ، ولو أهملتك وتركتك تعمل عند الناس

أجيرا بقوت يومك لكان هذا خيرا لي .. اغرب عن وجهي أيها العاق .



وضع علي يده على خده المصفوع ، وقد طفرت الدموع من آماق عينيه ، وهرب في البساتين ، ودخل عدنان البيت غاضبا ، وهو يزمجر ويشتم ويلعن ، وأما علي فإنه جلس تحت شجرة يبكي ويناجي آباه على ما حل به من عمه ، وبينما هو كذلك سمع صوتا ناعما من خلفه يقول بخوف وحذر : علي .. علي يا ابن العم لا تحزن واصبر على الأذى .

التفت خلفه فرأى ابنة عمه سعاد فقال : سعاد أنت هنا ! .. أبوك يا سعاد .. يريد ..

فقاطعته قائلة : سمعت كل شيء يا علي ، وإنني آسفة لك ومتألمة عليك .. فأبي طامع في أرضك وهو من زمان كان ينتظر أن تكلمه في ذلك .

فقال بحزن عميق : يا سعاد فكيف ولو خطبتك من أبيك فماذا حل بي ؟

قالت : الأمور تحتاج لصبر وانتظار يا علي .

وضع يده على خده وقال : صفعني أبوك يا سعاد ظلما .. صدقي لو كنت مذنبا وفعل ذلك لعذرته .. سعاد ماذا أفعل ؟؟

سكتت برهة ثم قالت : الحق لا أدري ماذا تفعل ؟ .. ولكن يا علي ما رأيك أن تطلبني منه لعله يغير رأيه عندما يرى أن الأموال لن تخرج من حيز الأسرة ؟

فكر علي قبل الإجابة ثم قال : لا أدري كيف سأفعل ذلك ؟ كنت أريد أن أخاطبه بذلك ؛ ولكني خفت هذا الأمر وقلت آخذ ميراثي ، ثم أكلمه بعدئذ في هذا الشأن .. سعاد دعي أمك تحدثه بشأن زواجنا .

فتساقطت الدموع من عيني الفتاة وتنهدت بعمق ثم همست : آه يا علي ما أقول لك لقد صارحت أمي برغبتك هذه ؛ ولكنها نفرت وقالت بأنك شاب فقير لا حول لك ولا قوة ، فقلت لها إنه رجل قوي العضل نشيط الحركة يستطيع الكسب وله بيت وأرض وحيوان ،

فنفت ذلك فهي من صف أبي .. حاول يا علي مع أبي لعله يشفق عليك .

فقال : سأفعل ذلك من أجلك يا سعاد ؛ لأنك تشفقين عليّ دون إخوتك ، كنت تحسني إليّ بالطعام ، وتجلسين مع هذا الغلام اليتيم .. ولكني سأغيب عن البيت أياما حتى تسكن الأوضاع ثم أخاطب والدك على أمل الرضا .

فقالت : وإن لم يرض .

فقال : سأدع البلد وسوف أذكر لك يومها سرا ، فاعلمي يا سعاد أن أبي وهو يموت بين لي طمع وجشع أبيك من أجل ذلك أخذ عليه عهدا وأوصاه كثيرا بي ، أما الآن فسأذهب إلى أحد أصدقائي لأنام عنده بضعة أيام.

ودعها علي وشكر لها وقوفها بجانبه في همه وغمه ، وانصرف إلى بيت صديقه جعفر .

علم أهل القرية بقصة علي وعمه عدنان الذي جحد ميراثه ، فلام الناس العم ، وتكلم جعفر مع كبير القرية وطلب منه التشفع لعلي عند عمه ، وأن يخطب ابنته سعاد لعلي ، وأبدى له رغبة علي بمصاهرة عمه والتقرب إليه ، فزار شيخ القرية بصحبة جماعة من أهل الخير السيد عدنان ولكنه أنكر أي حقوق لعلي عنده ، وأنه بذلها عليه خلال السنوات الماضيات ، فذكروا له موضوع الزواج من ابنته لتعود المياه إلى مجاريها الصحيحة ، فغضب على ابن أخيه واستصغره وحقره أمام الوفد ، ورفض أي مصاهرة أو صلح بينهما ، وتأسف لهم بعدم التجاوب معهم ، وأخبر الشيخ الكبير جعفرا وعليا بفشل مهمته ، وأكد لهما جحود العم بأي حقوق لعلي ، ورفضه أي نسب بينه وبين ابن أخيه ، فلما سمع علي كلمات الشيخ الكبير ، ذكر لهم كلمات أبيه له وهو على فراش الموت ، وفي اللحظات الأخيرة له من هذه الحياة ، ثم أخبرهم بعزمه على المسير إلى مدينة القمر للبحث عن عمته زاهرة كما أوصاه والده ، فدهشوا لهذه الوصية وخافوا عليه غوائل الطرق والهجرة ، وحثوه على الصبر والتأني لعل الله يحدث أمرا ، ووعدوه بالمساعدة حتى يتحسن أمره ؛ ولكنه أصر على السفر ولقاء عمته ليتعرف عليها ، وطلب من صاحبه أن يوصل خبر رحيله لابنة عمه ويحثها على الإنتظار ، واستلف من صاحبه جعفر ثلاثة دراهم ،

ومع انشقاق الفجر كان يغادر القرية متوجها إلى مدينة القمر .

حـوادث في الطريق



وبعد مسير طويل في إحدى الطرق توقف عند بئر ماء يستريح ، فأخرج ما تزود به من الزاد فأكل ثم شرب ثم ملأ القربة الصغيرة التي يحملها ، وبينما هو يهم بالمسير فإذا بكلب أحمر ضخم يقترب من البئر ، وهو يلهث بشدة من شدة العطش ، فدلى علي الرشاء في البئر ونزح له ماء فسقاه ، وألقى إليه كسرة خبز ، فشكره الكلب على معروفه ، وأعطاه بضع شعرات من جسده وهو يقول : يا هذا هذه الشعرات هدية مني إليك ؛ فإذا احتجت لمساعدتي في يوم من الأيام فاخرج شعرة منها واقذفها في الهواء أو احرقها فسوف تصلني هذه الشعرة أو رائحتها وتخبرني بمكانك ، وأكون عندك في الوقت المناسب .



أخفى علي الشعرات في ثيابه ، وشكر الكلب الأحمر على معروفه ، وانصرف كل لغايته ، فسار علي متجها إلى مدينة القمر .

كان علي إذا أدركه الليل ولم يدخل قرية أو مدينة يبات فيها يبحث عن شجرة كبيرة ويصعد عليها ليرقد بين أغصانها خوفا وحذرا من سباع البر ، فأدركه الليل ذات ليلة وهو في أحد الوديان فتحرى عن شجرة عالية يقضي ليلته عليها ، فلما وجد ضالته تسلقها وعلى أحد الأغصان الغليظة جلس وأسند جسده على جذعها الضخم ، وهيأ نفسه للنوم ، وما غفى قليلا من الوقت حتى سمع في سكون الليل البهيم كلاما بشريا ، فأصغى رأسه بعد أن تنبهت حواسه جيدا ؛ فإذا الصوت يأتي من أسفل الشجرة التي يرقد عليها ، فقلب رأسه للأسفل واستمع ، وقد شاهد فانوسا ورجالا يتحدثون حول الشجرة التي يرقد فوقها فتوترت أعصابه وهمس لنفسه " لعلهم مسافرون جلسوا يستريحون تحت هذه الشجرة الكبيرة

" ؛ ولكنه بعد أن سمع بعض كلامهم غير رأيه ، وأدرك أن هؤلاء عصابة من اللصوص ، وقد سمع أحدهم يقول : أيها السادة .. اخبرني حرب عن الموضع الذي يضع الأمير فيه أمواله من ذهب وفضة ، فعلينا أن نزحف إلى البلدة بعد نصف الليل ، فنكون على طرف المدينة بعد ساعتين من المسير ، وهناك سنجد حربا في انتظارنا ، ونزحف للبيت الذي يضع الأمير فيه أمواله وسنجد حارسين فنخلص منهما إما بالموت وإما بالتقييد وهو الأفضل ونسرق ما نستطيع حمله ونعود إلى هذه الشجرة .

ولما انتهى الزعيم من توضيح خطته قام أحد أفراد العصابة بوضع طعاما وشرابا أمام الرجال ، وانكمش علي جيدا حتى لا يخرج منه صوت يفضحه أمام هؤلاء المجرمين ، وبعد نصف الليل ابتعدوا عن الشجرة فاحتار علي بما يفعل .. هل يهرب قبل أن يعودوا ؟ أم يتبعهم ويفسد عملهم ؟ .. أم ينتظر حتى يعودوا ويعرف مكان دفن الكنز ؟ .. فاختار الرأي الأخير وهو الانتظار وقضاء باقي الليل على الشجرة ، ثم يتابع مسيره إلى مدينة القمر .



ومع إشراقة الشمس الأولى عاد رجال العصابة ، وهم يحملون أكياسا محملة بالأموال الذهبية ، ولما استراحوا من المشي تقدم حرب من زعيم العصابة وقال : سوف أعود للمدينة أتابع الأخبار ، وكما ترى فإن الضربة تمت حسب الاتفاق ، أليس كذلك أيها الزعيم ؟ وجاء بعد حين رجال يحملون الطعام ، فأكل القوم وانصرف حرب تجاه المدينة ، وقال الزعيم : فلنصعد حيث الكهف ، ونخفي فيه الأموال وننتظر ماذا سيفعل حاكم المدينة قبل اقتسام هذا المال الكثير ؟

وصعدوا الجبل ، وكان علي يفكر بأمره وأمر هذه العصابة ، يفكر بالخطر المحدق به إذا رأوه ، ويخشى في نفس الوقت إن لم يسارع في تسليمهم للعدالة أن يزدادوا عتوا وفسادا في الأرض ، فشجع نفسه ورأى أن يعرف مكان الكهف مكان اخفاء المال ، ومن ثم السير للمدينة وإخبار أمرهم للحاكم ، فهبط عن الشجرة وأخذ يزحف وراء القوم حتى عرف الكهف الذي أخفوا

المال فيه ، وكر عائدا جهة المدينة ، وعند دخول الظلام كان يدخلها ، وبدأ يسأل عن مكان يأوي إليه ، فصدف رجلا في الطريق فاستضافه الرجل في منزله وقال : تعال عندي أيها الغريب من أي البلاد قدمت ؟

فذكر له علي أنه مسافر إلى مدينة القمر زائرا لعمة له هاجرت إليها منذ سنوات طويلة ، فقدم له الرجل المائدة وسامره بعض الليل ، ثم تركه ينام .

وفي الصباح أتى المضيف مسلما ومرحبا فقال له علي : يا صاحبي يا شمر سأقص عليك حكاية صدفتها في الطريق .

وروى له قصة اللصوص ، ولما انتهى علي من كلامه قال الرجل : لم نسمع بسرقة خزانة الأمير ولكن لي صديق يعمل عند أمير البلاد ، سوف أزوره وأسمع منه ، ثم أجمعك به إن كان هناك مال مسروق من خزانة الأمير .. فاذهب وتجول في المدينة وعند الظهيرة نلتقي هنا في هذا البيت فاحفظ المكان جيدا يا ولدي .

وافترقا على أمل اللقاء ظهرا ، وقام علي بالتمشي في أسواق المدينة حينا من الوقت ، ثم قفل عائدا لبيت مضيفه على حسب الاتفاق بينهما .

فوجد شمرا يجلس مع رجل آخر ، فسلم عليهم ، ولما عادوا للجلوس قال شمر : يا ولدي يا علي هذا صديقي جيزان يعمل في ديوان الأمير ، فقد ذكر لي أن قصتك صحيحة ، وأن ثلاثة أكياس فقدت من خزانة الأمير ، ولما كشفت له أمرك دخل على الأمير ، وأخبره بأمرك وكلفه بالذهاب معك لإحضار المال خفية بدون أن يشعر سكان المدينة بالأمر لخطورة الأمر ، وحتى لا يشعر اللصوص باكتشاف خبرهم ، فالسيد جيزان سيهتم بالموضوع ودفع جيزان عقدا من الذهب والخرز البراق لعلي وهو يقول : وهذا العقد هدية من الأمير لك أيها الشجاع جزاء على الشجاعة التي تتصف بها يا أخ علي .. فإذا استطعت أنا وشمرا إحضار الأكياس ، فبها ونعمت ، وإن رأينا الأمر يحتاج لفرسان الأمير ، سأعود وآخذ كوكبة منهم

وحتى لا نؤخرك عن زيارة عمتك ستتحرك في المساء نحو الوادي ثم الجبل.

وعلي شاب طيب يحسن الظن بالناس كثيرا ، وقد اطمئن لمضيفه شمر ، وقد أكل من طعامه وبات في بيته ، فسار بهم حيث المغارة التي أخفى اللصوص فيها المال ، وتابع رحلته مع الفجر إلى ديار عمته زاهرة ، وبينما هو يسير قريبا من إحدى الغابات التي في دربه سمع صراخ فتاة تستغيث ، فاقترب بخفة نحو مصدر الصوت ؛ فإذا رجلان وبينهما فتاة شابة صغيرة مقيدة بالحبل ، وهي تصرخ والرجلان يحثانها على الصمت ، وأنه لا أحد في الغابة سواهم والحيوانات وقال لها أحدهم : سيأتي ابن عمك فهد ، وينتهي دورنا أيتها الفتاة فتـعقلي وكفي عن العويل والبكاء ، فقلوبنا صماء لا تعرف الشفقة .

فازداد صراخ الفتاة ، وأدرك علي أن هذه الفتاة مخطوفة وأن هذين الرجلين خطفاها لقريب لها اسمه فهد ، ففكر بمساعدتها والوقوف إلى جانبها ، وفكر بالانقضاض على الرجلين ؛ ولكنه خشي أن يتفوقا عليه ، فهيئتهما تدل على أنهما مجرمان عتيدان أو ربما يحضر صاحبهما المجهول ، فقرر التريث ومراقبتهما حتى يجد فرصة سانحة ، ملأ الظلام المكان فسمع أحدهم يقول : تأخر الأمير فهد بالمجيء ما العمل يا كركم ؟ .. هل تظن أنه ضل الطريق ؟ .. ما رأيك بأن تذهب وترقب الطريق وتنظر يمينا وشمالا لعلك ترى شبحه قبل أن يشتد الظلام أكثر من ذلك ؟

وقف المدعو كركم وقال : أمرك يا صاحب .. بس احرص عليها جيدا .. فالحق أن الأمير فهدا تأخر كثيرا ، فلها بين أيدينا نصف نهار وأنا طهقت من عويلها ونباحها .

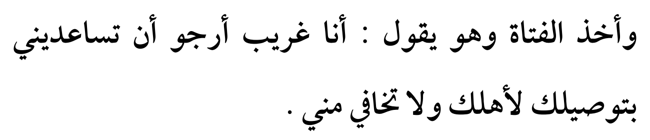
جاءت الفرصة السانحة لعلي فبعد ابتعاد خطوات الرجل قليلا بدأ يستعد للهجوم ؛ ولكنه قبل أن ينفذ الخطة سمع خطوات الرجل مرة أخرى فهمس :" هل جاء فهد ؟! " ؛ ولكنه سمع الرجل المدعو كركم يقول لصاحبه : لا أحد في الطريق يا جدعو فسأتقدم للأمام أكثر لعلني أجده في الطريق أو لعله تعرض لحدث أعاقه .

صاح جدعو : افعل ما تراه مناسبا .. ولكن لا تنس أنني هنا ، وأنا لا طاقة لي على طول الانتظار هل تسمع ؟

ابتعد كركم من جديد وقال علي : الفرصة تتحسن أكثر .

فسمع الرجل يقول للفتاة : سأنام قليلا يا مي أرجوك لا تزعجيني بصوت بكائك وصراخك شاهده علي وهو يتمدد على الأرض ، وقال : الحمد لله ، فالله يهيئ لي الفرصة لإنقاذ هذه المظلومة وتقدم نحوهما فسمع شخير الحارس أو الخاطف ، فشعرت به الفتاة فأشار لها إشارة بالصمت حتى اقترب منها فحل وثاقها ، وقام بتربيط الرجل به الذي استيقظ فوجد القيد حول قدميه ويديه ، ثم قال علي للفتاة : اتبعينني قبل أن يأتي صاحبه حتى أوصلك لأهلك .

ثم خطر على باله أمر فنفذه سريعا ، وضع خرقة في فم الرجل ، وكمم فاه وألقاه في مغارة ، وأخذ الفتاة وهو يقول : أنا غريب أرجو أن تساعديني بتوصيلك لأهلك ولا تخافي مني .



فتشجعت الفتاة وشكرته وقد اطمأنت على مقصده ، فساروا نحو بلدتها ، وفي الطريق عرضت حكايتها على منقذها علي التي تتلخص بأنها ابنة أحد الأمراء ، ولها ابن عم يهيم بها عشقا وهوى وراغب وطامع بالزواج منها ؛ ولكنها صدته أكثر من مرة ، فاتفق مع هذين الوغدين على خطفها ، فساقوها إلى هذه الغابة حتى يحضر الأمير الوغد ، ويسير بها إلى بلدة أخرى ويرغمها على الزواج منه ، وأعلمته أن طريقة خطفها تمت في أحد بساتين عمها السلطان والد فهد .

ومع الصباح أشرف بها على أهلها الذين فرحوا بعودتها سالمة بدون أن تمس بأذى ، ولما شرحت لأبيها القصة حنق وضاق صدره على ابن أخيه ، ودخل على أخيه يشتكي له فعل ابنه القبيح ، فتوعد الرجل ابنه بسوء العقاب ، وقاموا بالثناء على علي وعلى غيرته وشجاعته ، وسمعوا بعضا من قصته ، فمنحه السلطان جوهرة ثمينة ونادرة المثال وسيفا مرصعا بالياقوت والذهب ووهبه والد مي حصانا عربيا أصيلا ، فشكرهما شكرا تاما وودعهما ،   وقال له الأمير وهو يغادر البلدة : أيها الشاب الشجاع إن احتجت لشيء فلا تنسى أن تذكره لنا .. فنحن لا ننسى

جميلك معنا أبد الدهر .. ولا ما فعلته مع ابنة أخي من حفظ لكرامتها وكرامتنا .

مدينة القمر

واعتلى علي صهوة الجواد وتقلد بالسيف وأخفى الجوهرة في جيبه ، ومضى نحو مدينة القمر ليرى عمته زاهرة ، وبعد أيام وأيام وصل إليها فوجدها مدينة مزدحمة بالبشر ، وعامرة بالأسواق الكبيرة والكثيرة ، فسأل عن مكان يستريح فيها قبل أن يباشر البحث عن عمته في هذه المدينة الواسعة ، فنزل في فندق كبير وتحفظ على جواده الأصيل في اصطبل الفندق ، واستأجر غرفة ، وطلب من أجود الطبيخ والشراب فأكل ونام .

ولما أشرقت الشمس وبدأت الحركة والحياة تناول طعاما ، ثم اجتمع بصاحب الفندق وسأله عن امرأة اسمها زاهرة ، بعدما روى له شيئا من قصته الغريبة ، فبين له صاحب الفندق أنه في هذه المدينة منذ سنوات قليلة ومن الصعب عليه أن يعرف سكان هذه المدينة منذ عشرين أو ثلاثين سنة ؛ ولكنه في نهاية الكلام نصح فقال: أيها الشاب .. اذهب إلى سوق التجار واجلس مع كبير التجار ، فهو رجل من المعتاد أن يكون من أكبر رجال السوق سنا واسمه المعلم الكبير شهوان أبو محمد وحييه نيابة عني ، وقد تجد بغيتك عنده أو عند أصحابه .

فأبدى علي امتنانه للرجل وأوصاه على حصانه خيرا بعد أن تفقده ، وانطلق إلى سوق التجار وبعد جهد يسير كان يجلس بين يدي شيخ كبير يسمى شهوان ، فذكر له حاجته أنه أتى من بلاد بعيدة يبحث عن عمة له جاءت هذه البلاد ـ منذ عهد بعيد ـ اسمها زاهرة .

فقال كبير التجار : ولدت هنا وترعرعت وكبرت وتزوجت ومع ذلك لم أسمع في مدينتنا بامرأة بهذا الاسم ، فهو اسم غير مشهور بين نسائنا وبناتنا ، واعلم أن ذلك لا يعني أنه لا توجد امرأة بهذا الاسم في مدينتنا ، فرجال البلدة ينكحون نساء من بلاد أخرى .. فلربما لعمتك اسم آخر في هذه المدينة ؛ ولكنني سأساعدك أيها الشاب في البحث واعتبر نفسك ضيفي .. اذهب مع الغلمان واجلب أغراضك كلها من الفندق ، فأنا عندي دار خاصة للغرباء وألف مرحبا بك .

حاول علي التـعذر ؛ ولكن المعلم شهوان أصر وحلف وأرسل معه بعض الغلمان ، فذهب علي للفندق ، وسدد ما عليه من حق ، وشكر الرجل وأخذ الحصان وانطلق مع الغلمان إلى بيت ضيوف المعلم شهوان ، فأخذ الغلمان الحصان إلى موضع الخيول ، ثم أوصوا خدم البيت على ضيف المعلم شهوان ، وبعد العشاء كرر المعلم الترحيب بعلي ثم قال : يا ولدي سأزور بك عجوزا تسكن في عوالي المدينة ، فقد نجد عندها طلبتك .

وأمر بتجهيز بغلتين لهما فانطلقا إلى سكن العجوز والخادم بين أيديهما ، وبعد ساعتين من الزمان وصلوا منزلا فقيرا وقديما ، فقرع الخادم باب بيت العجوز ، وبعد حين سمعوا صوتا من خلف الباب يقول : من الطارق في جوف هذا الليل ؟!

فصاح الخادم بصوت مرتفع : أيتها الساحرة .. افتحي .. المعلم شهوان سيد سوق التجار على الباب .

قامت العجوز بفتح الباب وكانت تحمل بين يديها سراجا ، فقامت بالترحيب بهم ، وتناول الخادم المصباح منها وقال : ادخل يا سيدي .

فنزل الرجلان عن بغلتيهما وتبعا الخادم والعجوز إلى حجرتها الصغيرة السوداء من سناج المصباح ، ولما جلسوا دفع الخادم للعجوز صرة من المال بناء على إشارة سيده ، وقال المعلم لها : جئناك في حاجة ، واختصر لها قصة الشاب ، ثم قال : وإنه قادم من بلاد بعيدة يبحث عن امرأة فارقتهم منذ عشرات السنين اسمها زاهرة .. ولعلمي أنك أكبر عجوز في مدينتنا فقد تكونين سمعت بمثل هذا الاسم غير الشائع في بلادنا .. وأنت عجوز لا أظن بيتا في المدينة على كبرها لا تعرفيه أو لم تدخليه .

فراحت العجوز في ضحك طويل من كلام المعلم ، ولما استردت أنفاسها قالت : أحسنت يا معلم شهوان بقدومك عليّ ! .. فأنا أعرف امرأة بهذا الاسم الجميل ..وأظن أنه لا يوجد بهذا الاسم أحد غيرها بمدينة القمر

فأظهر المعلم الفرح والدهشة وقال : عظيم ! .. من تكون تلك المرأة ؟!

فقالت العجوز ببطء وضعف وهي تنظر للشاب علي : ما تكون لك هذه المرأة أيها الشاب ؟

فابتسم علي وقال بسرعة : هي عمتي يا خالة .

فتحت العجوز فمها استغرابا ثم قالت : عمتك !!

فقال المعلم مستغربا من دهشة المرأة :ما أصابك أيتها العجوز ؟.. لماذا فغرت فمك دهشة ؟! .. فما الأمر الذي جرى لك ؟!

سكتت العجوز ردحا من الحين وقالت : يا معلم التجار .. أحقا تريدون الالتقاء بالسيدة الزاهرة ؟!

فصاح شهوان متعجبا : ولماذا أتعبنا أرواحنا وجئنا إليك أيتها العجوز الماكرة ؟! .. هل تعرفين سيدة بهذا الاسم ؟!.. أم تريدين المزيد من الدراهم ؟

فقالت العجوز وهي تقف : معلم شهوان اتبعني .

وزحفت لزاوية في الحجرة فتبعها الرجل وكله ريبة ، فهمست في أذنه : هل تحققت من أن السيدة زاهرة عمته ؟

فهمس المعلم : ولماذا أتحقق ؟! رجل غريب لجأ إليّ لأساعده في الوصول لعمته التي لم يرها ولا مرة في حياته ؛ ولكن والده عند الموت طلب منه الاتصال بها عندما يكبر .. فلما كبر جاء يبحث عنها في هذه المدينة حسب رغبة أبيه ، فإن كانت حية فهو راغب بلقائها ، وإن كانت ميتة يتعرف على أولاد عمته والسلام ..وأنا لا يهمني أن تكون عمته .. خالته أو جدته هل تعرفين تلك الزاهرة ؟!

قالت هامسة بقلق : ألا تعرف الزاهرة أيها السيد الكبير ؟!

أجاب وهو يكاد ينفجر من مماطلة العجوز وكثرة رغيها : لا وألف لا .

فقالت بصوت هامس : أم الحاكم لهذه البلدة اسمها زاهرة .

بغت شهوان وقال بصوت عال : ويحك ! .. ثم خفض الصوت : أم الشهد اسمها زاهرة ..

هذه مفاجأة .. الآن معك حق في كل أقوالك المبهمة .. ألا يوجد غيرها بهذا الاسم في مدينتنا هذه ؟!

ردت بصوت خفيض : لا يا كبير التجار .. أهل هذه المدينة غير شائع بينهم مثل هذا الاسم .. يا شيخ التجار ! هل يعقل أن يكون رجل كهذا مغمورا لا يعرف أن عمته أميرة ؟!

همس المعلم : والله إن الأمر لغريب يحتاج للنظر والتدبر .. تعالي نتحدث معه !

فقال المعلم وهو يقترب من الشاب وخادمه : سيد علي .. ذكرت لي هذه العجوز اسم امرأة كالذي تتحرى عنه ؛ ولكن هذا الاسم تحمله سيدة عظيمة في بلادنا وبكلام مختصر أم مولانا الحاكم تحمل هذا الاسم ؛ ولكننا نعرفها بكنيتها أم الشهد ماذا تقول بما سمعت ؟!

أصاب علي الحيرة وقال : معكم حق في الدهشة والاستغراب ! وأنا مثلكم لم أر عمتي ولو مرة واحدة ، وكذلك لم يقل لي أبي أن عمتي أميرة .. ولكني فهمت من كلامه أنها تستطيع تحصيل حقي إذا ظلمني عمي ، كما كان يتوقع أبي ، واسمعوا الحكاية بالتفصيل ..نحن من أهالي مدينة العهد أبي تزوج كبيرا من امرأة من أهل البلدة ، وقد ماتت وأنا صغير لم أتجاوز السنوات الخمس الأولى ، وبعد سنوات مثلها لحق بها أبي ، وترك لي بستانا وماشية وقليلا من المال .. وأوصى عمي شقيقه على رعايتي حتى أبلغ مبلغ الرجال فيرد لي ميراثي ، ويزوجني من إحدى بناته إذا شاء ، وتعهد عمي أمامه عهدا حازما برعايتي بتنفيذ الوصية ؛ ولكنه قبل أن يودع الدنيا قال : ها أنا أوصيت عمك عليك وعاهدني على الإحسان إليك ، ومع ذلك يا ولدي فأخي عدنان جشع حسود وأخاف أن يأكل أموالك ، فإن فعل ذلك فارحل لمدينة القمر واسأل عن امرأة اسمها زاهرة فستنفعك إن ضاقت عليك الدنيا ..لا تنس يا ولدي مدينة القمر.. والمرأة زاهرة فهي عمة لك ، وسوف تعرف كيف تحصل لك حقك إن ظلمك عمك ؟.. وأنا أرجو الله أن لا يظلمك ويخذلك فبني آدم طماع .. هذه وصية وكلام أبي قبل أن يفارق الدنيا ، ولا أظن أني نسيت منها حرفا .. وكفلني عمي وعشت مع أسرته ، ولما بلغت سن الرشد طلبت أموالي فأمهلني سنة ، ثم تنكر لي وادعى في النهاية أنه لم يبق لي شيء عنده ، وأنه أنفقها عليّ

خلال مدة الرعاية ، وأبى أن يرد لي ميراثي ، وأبى أن يزوجني من ابنته ، وقام بعض الأفاضل بالتشفع لي عنده ، فأصر على أنه لم يبق لي شيء في ذمته ، وقد أصر على الرفض من الزواج من ابنته التي طابت لها نفسي .. فتذكرت كلام أبي ورحلت إلى هذه البلاد أيها الناس الطيبون .

فتكلمت العجوز فقالت برقة : قصة محزنة وعقوق مشهور .. اسمعوا يا قوم .. ولسوف أقابل هذه السيدة الكبيرة وأعرض عليها اسم أبيك واسم عمك ..

فهمس علي : عمران هو اسم أبي .

وتابعت العجوز : وأرى ما عندها ، ولن نقصر في عمل الخير أيها الشاب.. أين تسكن الآن ؟

قال المعلم شهوان : هو نزيل عندي ضيف مكرم ، ونحن بانتظار أفعالك ، فعجلي بالأمر ..

ونفحها مزيدا من الدراهم لتقوى على القيام بالمهمة ، وودعوها ورجعوا للبيت في وقت متأخر من الليل ، وكان المعلم يقول للشاب : كان والدك غامضا في الحديث عن عمتك .. ألم تسمع المدعو عدنان يتكلم عنها ؟!

قال علي : لا .. لم أسمع عن هذا الاسم إلا من أبي العزيز فقط .

فقال المعلم : وهل تتوقع أن تكون عمتك أميرة ؟!

قال علي بحيرة : الأمر صعب أيها المعلم ..والأصعب ما الذي أتى بعمتي لهذه المدينة ؟! .. لقد أتعبتك معي أيها الوالد العزيز .

رد المعلم متواضعا : لا عليك يا ولدي ، إنما أحببت مساعدتك ، فأنا أحب فعل الخير ومساعدة الضعفاء والغرباء .. هل تجيد الفروسية وركوب الخيل ؟ فقد حدثني الخادم بأنك تملك جوادا أصيلا وقويا .

قال علي : لهذا الحصان قصة أخرى سأقصها عليك فيما بعد .. وأنا أحسن الركوب على الخيل والتسابق بها ، فهذا أمر نفعله ببلادنا ، أما الفروسية لا أعرف من فنونها إلا النـزر اليسير ، ولم

تتح لي فرصة لتعلمها

قال المعلم مشجعا للشاب الضيف : حسن !.. فبعد أيام قليلة سيجري سباق للخيل يحضره الحاكم الأمير شبيب ، ومن يتقدم المتسابقون يمنحه الملك وساما ، ويهدى إليه هدايا من علية القوم تغنيه الدهر ، وتبعد عنه شبح الفقر ، فتمرن على السباق وشارك في السباق وسأتحدث مع صديق لنا مسؤول عن ترتيب مهرجان السباق لتشارك فيه ، فإن فزت فالأموال التي تفوز بها تنفعك عندما تعود لوطنك إذا لم نوفق في الوصول لعمتك التي تبحث عنها .

أجاب علي وكله امتنان : بارك الله فيك يا معلمنا الكبير .. سأتأمل الحال وأرد عليك غدا .

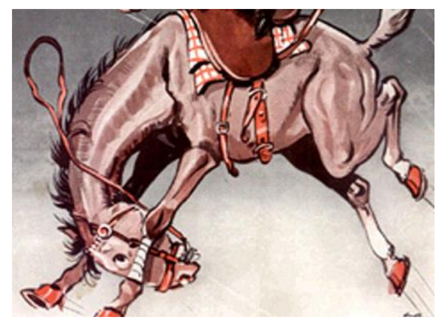
فكر علي بما عرض عليه من المشاركة بحصانه في مسابقة الخيالة ، وكان يقول لنفسه : لعلي أعود بتذكار من هذه البلاد .. أفتخر به غدا على الأقران .

أبدى السيد شهوان سروره لموافقة علي على المشاركة ، فتحدث مع صاحبه المشرف على المسابقات ، وبدأ علي يستعد ويتدرب ، ولم يكن يوم الاحتفال بعيدا ، فلما جاء اليوم الموعود انطلق إلى الميدان ميدان السباق على صهوة الجواد وبين يديه غلام من غلمان السيد شهوان يساعده عند الحاجة ، واصطف مع الخيالة ، وكان نظام المسابقة أن يتسابق كل عشرة فرسان معا ، والمقدم على مجموعته يتسابق مع المتقدمين من مجموعات أخرى عشرة عشرة وهكذا حتى يبقى عدد المجموعات أقل من عشرة فتجري بينهم الجولة الأخيرة فيظهر المتقدم عليهم جميعهم وجرى التنافس وأثبت حصان علي جدارته وتقدم في الجولة الأولى وفي الجولة الثانية وفي الجولة الثالثة ، وعند الجولة الأخيرة ظل سبعة فرسان ، وبعد استراحة ساعة من الزمان ، وقد أقبل حاكم المدينة وحاشيته بدأت الجولة الأخيرة بإذن الحاكم ، فكان الحظ حليف حصان علي ، وكان المعلم شهوان أكثر الناس سرورا بتقدم ضيفه بحصانه الجميل الرشيق على خيول منافسيه وتقدم علي بحصانه نحو الموضع الذي يجلس في الحاكم ، ثم قفز عنه محييا للحاكم الذي قلده وساما ذهبيا ، وقدم له غلمان الحاكم ثيابا ملكية ، وأهدي حصانا ملكيا ، وأخذ الأمراء والسادة بتقديم الهدايا له ، فكانت ثروة كبيرة تتجمع أمامه ، فحمد الله وشكر المعلم شهوان الذي

شجعه على خوض هذه المنافسة النظيفة ، وطلب المعلم شهوان من غلمانه حمل الهدايا للبيت الذي ينزل فيه علي ، ونقل الخيول العشرة التي كسبها إلى اصطبلاته ، وكان علي الغريب حديث الحاضرين لهذا السباق وعن فوزه وتقدمه على منافسيه ، وعاد علي للمنزل وهو منهك القوى مما بذله من جهد هذا النهار ، فأرسله المعلم شهوان إلى الحمام ، ثم قدم له أفخر المأكول والمشروب ، ثم دخل غرفة المنام فنام حتى صباح اليوم التالي .

العجوز

ولما التقى بالمعلم شهوان أثنى على ثباته وشجاعته ، وبارك له الفوز ، وأطلعه على رغبة صاحبه المنظم لهذا السباق أن يلحقه بجند الأمير ، فقال علي : إن هذا العرض شرف كبير لي ؛ ولكنك تعلم يا معلم شهوان حاجتي من المجيء لهذه البلاد ..أريد أن أرى عمتي أخت والدي لتساعدني في نيل حقي من أخيها الجاحد ، ومن ثم أتزوج من ابنته التي تركتها تنتظرني على أحر من الجمر .. ماذا ردت عليك العجوز ؟



أجاب المعلم قائلا : أرسلت لها الخادم أكثر من مرة ؛ ولكنه لم يجدها ، ولكن هذه المحتالة لابد أن تأتينا بالخبر اليقين .. فالوصول إلى أم الملك ليس سهلا أيها الشجاع .. على كل انظر في عرض الأمير ..فما حصلت عليه من خير ورزق يُمكنك من الحياة في هذه المدينة في رخاء وسعادة .. وتتزوج وتنسى بلدك .. وابنة عمك ما دام عمك مبغضا لك فلن يزوجك منها وسوف يزوجها لأول طالب .

قال علي بأسف : أخشى هذه العاقبة .. ولكني بعد مقابلتي للسيدة زاهرة انظر في حالي مع هذه الدنيا الهالكة .. أرجوك يا سيد شهوان أن تقبل مني نصف الهدايا ونصف الخيول فأنت صاحب الفضل في هذا الخير .

غضب وثار السيد شهوان وقال بحدة : هذا أمر غير مقبول أيها الإنسان .. أنا عندما رأيت

جوادك الكريم عرفت أنه حصان قوي ، ومن ثم رأيت حالك الضعيفة ، فرأيتها فرصة لتحصل على بعض المال حتى إذا فشلت في لقاء عمتك الزاهرة التي تبحث عنها ترجع لوطنك ببعض المال تبدأ به حياتك الآتية .. وأنا قلت لك منذ البداية إنك وقعت من نفسي موقعا حسنا ، وأشفقت عليك ، وقررت في نفسي مساعدتك ..ولا تكثر الكلام والسلام .



وفي الصباح أخذ علي أحد خدم المعلم شهوان ، وسار به نحو بيت العجوز السالفة الذكر ، ومن حسن حظ علي أنه وجدها في البيت لم تخرج بعد تسعى في الأرض ، فاستقبلته ، ثم قالت : ذهبت للقصر وطلبت مقابلة أم الأمير .. فأخبروني أنها متعبة ومريضة وطلبوا مني الرجوع بعد يومين أو أكثر ، ثم سرت إليهم مرة أخرى ، فقالوا إنها ما زالت مريضة ولم يسمحوا لي بالدخول ، فعليك بالصبر والانتظار يا ولدي فسوف نصل إليها بالنهاية ـ إن شاء الله ـ فقد تكون هي عمتك التي جئت تبحث عنها .

فكر علي قليلا ثم قال : أما من حيلة للوصول إليها .. فما رأيك بأن أكتب رسالة صغيرة ونرسلها لها مع إحدى الجواري .

أصاب العجوز الضحك وقالت: إنك شاب فطن .. وماذا ستكتب لها في الرسالة ؟!

فرد علي قائلا : اذكر فيها اسم عمران والدي اسم مدينتنا مدينة العهد .. عمي عدنان .. فإذا قرأت السيدة هذه الكلمات ، وكانت عمتي المنشودة فسوف تفهمها على الفور ، وأما إن لم تكن عمتي فسوف تطلب اللقاء بك لتعرف مغزى هذه الكلمات .. فالفضول في النساء كبير وتشرحين لها الأمر فلنجرب أيتها الفاضلة .

أعجبت العجوز بفكرة علي ، فأحضر الخادم قرطاسا وقلما ، وكتب علي رسالة ، ونقدها عددا من الدراهم ، وقفل عائدا لبيت السيد شهوان على أمل اللقاء بها بعد يومين ، وإن حدث شيء مهم فسوف تجده في منزل المعلم في انتظارها ، ولما عرف المعلم فكرة علي سره ذلك ، وقال :

حيلة لطيفة ولابد أن تؤتي أكلها ولو بعد حين يسير .

وجاءت العجوز نهار اليوم التالي وكلها لهفة وعجلة ، فهدأ علي من روعها ، فلما خف انفعالها قالت : دفعت القرطاس لجارية من جواري القصر ، ولم يطل انتظاري فأدخلوني عليها بسرعة فوجدتها عجوزا مثلي ، وهي مريضة فعلا ، وذكرت لي أنها تعرف مدينة العهد وتعرف رجلا بهذا الاسم ، وكان قلب علي قد ارتفعت دقاته وهمس لنفسه : أمعقول أن تكون عمتي أم الأمير في هذه البلاد ؟!

وسمع العجوز تقول : وهي راغبة بالاجتماع بك لتسمع الحكاية منك ، وترى ما تستطيع أن تخدمك به .

فلم يتحمس علي للكلام الأخير فقال : ألم تعترف لك بأنها عمتي يا خالة ؟

قالت العجوز : لم تذكر ذلك .. يا ولدي عليك بلقائها .. قد لا تكون شقيقة والدك ؛ ولكن لها معرفة بأبيك .. ولا تنس أنها مريضة ..فلم تدرك من أنت .

قال علي : حسن لابد من الذهاب إليها .

ونادى خادم غرفة الضيافة وأوصاه على العجوز خيرا وقال : متى اذهب إليها ؟

قالت : في أي وقت تشاء ، فقد تركت أمرا عند حرس الأبواب ليسمحوا لك بالدخول متى تحضر .

وبينما علي ينتظر عودة المعلم شهوان ليتشاور معه بأمر زيارة قصر الأمير ولقاء أم الأمير الحاكم أقبل رجلان يسألان عنه وهمسا بأذنه بأنهما بحاجة لرؤيته ، وأن لهما سيدا كبيرا يطمع بمقابلته ، وذكرا له أن الأمر خطير ، والأفضل أن لا يذكر لأحد أمر خروجه معهما ، فوقع في نفس علي أنهما من طرف عمته أو ابنها السلطان ، فارتدى ثيابه وخرج معهما ، وهو مطمئن أنه سائر لقصر السلطان ، فلما ابتعدوا عن العمران وقع في نفسه القلق ، فقال : أين نحن سائرون ؟!

فقال أحدهما : السيد الكبير ينتظرك في ظل هذه الأشجار التي تبدو أمامنا .. لا تقلق أيها الفارس الشجاع .

فصمت علي وتابع السير معهما حتى دخلوا الغابة ، فأشارا إلى شجرة كان يجلس تحتها رجل ، وسمعهما يقولان للرجل الذي وقف عندما رآهم : هذا هو السيد علي يا مولانا .

ثم انقضا عليه، فرمى لهما الرجل حبلا أوثقاه به ، ولم يتكلم علي بشيء من هول الصدمة ، فقد أصابه الذهول والدهشة الشديدة للغدر الذي حل به .

فسمع السيد يقول لهما بعد أن أصبح علي مقيدا : هيا بنا ! .. لقد أحسنتما العمل ..آ .. السيد الفارس .. ينقذ الحسناوات كالأبطال .. أنا فهد غريمك .. الذي أخذت منه ميا .. أيها الشهم وظلوا يسيرون في الغابة حتى أصبحوا في عمقها ، فجلسوا يستريحون فقال له فهد : كيف ترى نفسك الآن أيها البطل ؟

نظر إليهم علي بازدراء وقال : عمل الخير ومساعدة الناس تحتاج لتضحيات وثبات .

فأخذ الثلاثة بالضحك على كلماته وقال فهد : نعم .. نعم .. سوف نضحي بك .. سوف نقتلك ولكن أمام مي .. الفتاة التي أنقذتها يا بطل .

وعادوا للصمت فترة ثم تابعوا السير حتى آخر الغابة ، فكان بانتظارهم مجموعة من الرجال والخيل ، فقال علي بصوت هامس : عصابة شر .. لا حول ولا قوة إلا بالله .

فاعتلى الرجال على خيولهم بأمر الأمير ، وطرحوا علي المكبل على أحدها ، وساروا نحو الجبل ثم صعدوا إلى كهف فيه ، وهناك أنزلوه فوجد الفتاة ميا مقيدة مثله ، وحولها ثلاثة رجال ، ولما وضعوا عليا على الأرض أو رموه على الأرض ، صاح فهد بنشوة وكبر المنتصر : هذا هو فارسك يا مي ! .. سوف يقتل بين عينيك .. لأنه تدخل في شأنك وفيما لا يعنيه أيضا .

فصاحت الفتاة : يا ابن العم .. اعف عن الرجل ، وأرضى بأن أكون لك زوجة طواعية .

قهقهه فهد وقال بغرور : سأكون لك بعلا رغم أنفك .. ولكني سأنتقم منه ؛ لأنه كان سبب طردي من ديار أبي وخلعي من وراثة أبي .. ولأنه فضحني في بلدي ، وعرفوا أنني خطفتك .. فجرمه كبير!

فقد كان في وسط الكهف موقد للنار ، فتذكر علي شعرات الكلب فقال : أيها السادة بما أنكم

تريدون قتلي ودمي ، ولا أحد يمنعكم من تحقيق ذلك اسقوني شربة ماء ، وقربوني من النار .. فإني أرجف من البرد ، ولما أستريح افعلوا بي ما شئتم .. ارحموا أسيركم في ساعاته الأخيرة .



رد فهد متظاهرا بالشفقة والرحمة فقال : سنفعل ذلك من أجل مي حتى تعرف أن قلوبنا ما زالت فيها الرحمة .. يا رجال حلوا قيوده وقربوه من النار ، وقربوا له طعاما وشرابا .

واقترب رجل منه ليفك قيده ـ وكان الكهف مضاء على نور المشاعل ـ قال علي للرجل الذي يفك قيده : يا رجل لقد رأيتك ورأيتني .. ألا تذكرني ؟!

فتفرس به الرجل وقال : نعم ؛ كأنني رأيتك .

فصاح علي بصوت عال : أنا الذي دللتك وصاحبك شمرا على صناديق مال الأمير المسروقة .. ألست ذاك الرجل الذي يعمل في ديوان ذاك الأمير كما قال لي شمر ؟! .. مالي أراك مع هؤلاء اللصوص ؟!

كان فهد يتابع الكلام ويسمعه ، فاقترب منهما وقال : أتعرفه يا هذا ؟!

فقال علي وقد فك الرجل قيوده : عرفته رجلا شريفا .. وأراه هنا وضيعا . وأخرج عن وسطه كيسا صغيرا ، وأخرج عقدا من الذهب والخرز ، ورماه أمام الرجل وقال بحدة : أعطاني هذا ـ وأشار للعقد ـ لأنني أرشدته لأموال الأمير المسروقة .

وكان علي قد اقترب من الموقد ، ولما ألقى العقد أرضا كان في نفس الوقت قد ألقى شعرات الكلب في النار ، وتظاهر بالاصطلاء ، وسمع الرجل يرد على فهد قائلا : هذا شاب غبي .. يا سيدي الأمير .. رأى عصابة من اللصوص تسرق أموال أحد الأمراء، وأتى المدينة ليخبر الحاكم فمن حسن الحظ أنه التقى بصديق لي اسمه شمر ، فأضافه وسمع منه الحكاية فرسمنا خطة لأخذ المال لأنفسنا ، وهو يعتقد بأني من رجال ديوان الأمير ، فأرشدنا لمكان إخفاء الصناديق المسروقة ، وأعطيته هذا العقد ليظن أننا من حاشية الأمير .. فهو كما ترى أيها الأمير يحب الخير

فكما أنقذ منكم ميا لحبه الخير ، أراد رد الصناديق المسلوبة للأمير.. فاقتسمت الغنيمة أنا وشمر ولكن أحدهم فسد للأمير بالسر ، شخص يسمى حربا ، فقبض على شمر وألقى في السجن ، وهربت والتحقت برجالك .. فأنا مطارد من العصابة التي أخذنا غنيمتها ، ومطارد من رجال حاكم بلادنا ، وأما أموالي فقد وضعتها في مكان أمين .. فهذه قصتي ومعرفتي بهذا الأحمق .

التفت إليهم علي فقال : شمر مسجون ، هذا جزاء الخيانة والغدر .. صدق يا هذا أنه وقع في قلبي خيانتكما ؛ لكن العجلة دعتني في عدم التدقيق في أقوالكما وأحوالكما ، وأحببت أن أصدق سمعي وبصري ، ولا أصدق قلبي وعقلي .. فقد صنع معي شمر معروفا من ضيافة ونوم ، فتصنـعت الاطمئنان ، واعلموا أيها السادة أنه مهما فعلتم فيّ سأبقى أحب الخير وأدافع عنه وأصنع المعروف للآخرين ، فالله هيأ لي مقابل ذلك من يصنع لي خيرا .. وأنت أيها الأمير المسمى فهدا خير لك أن تتوب وترعوي ، وتعيد ميا لأهلها وتتوب إلى الله ، ثم تعتذر لوالدك وأهلك .. واعلم أن ميّا عندما رفضت الاقتران بك ؛ لأنها رأت فيك أخلاقا سيئة وفاسدة ؛ ولو رأتك شهما كريما لرضيت بك .

فأخذ الرجال بالضحك والتعليق على كلمات علي ، وقالوا : يا هذا أنت مثال الخير ، ونحن مثال الشر .. وها هو الشر ينتصر على الخير .. وسنخلص العالم من رجال الخير ، وقد بدأنا بك وارتفع صوتهم بالضحك والسخرية من جديد ، فلما عادوا للصمت قال علي وقد انتهى من الأكل والشرب الذي وضعوه بين يديه : الله تعالى يأبى إلا أن ينتصر الخير في كل نهاية وعاقبة وينسحق الشر أمام ضربات الخير.. وإن بدا للشر جولات وجولات .. فالله يسخر للخير كل الأشياء من الشجر والحيوان والسماء والأرض .

في هذه اللحظات سمع نباح كلاب قادمة نحو الكهف فصاح أحد الحرس : يا قوم إن عددا من الكلاب يصعد نحونا ؛ كأنها تهاجم الكهف .

فقال علي بفرح وشماتة بالعصابة : هذه جنود الله الحق ! .. أيها السادة إنها آتية لتنقذنا أنا وميا منكم .

فأمر فهد رجاله بدحرجة الحجارة على الكلاب ، فتحركوا بسرعة ؛ ولكن الكلاب الكثيرة استمرت بالصعود ، فازداد الخوف بقلوب الرجال ، فهي بالعشرات إن لم تكن مئات ، وأخذ بعض الرجال بالهرب إلى قمة الجبل ، فقال علي لمي : لا تخافي هذه الكلاب سخرها الله لنا لحمايتنا من هؤلاء الأوغاد ..

فتفرق الرجال وبعضهم لاذ بعلي ومي وهم في غاية الذعر ، وبعد قليل دخل الكلب الأحمر الكهف ـ الكلب الذي اسقاه الماء في بداية الرحلة لعمته زاهرة ـ واقترب من علي ودار حوله وهو يقول : لقد لبينا النداء يا سيد علي .. ماذا تطلب منا ؟ .. لقد مزق أصدقائي بعض الرجال فلمس علي رأس الكلب بيده وشكره وهو يقول : أيها الكلب الوفي ! .. نريد أن نعيد هذا الفتاة لقومها .. وتحميها من هذا الرجل ـ وأشار لفهد ـ القابع كالأرنب من الخوف .

فقال الكلب وهو يقترب من فهد : أنقتله ؟!

فتوسل فهد لعلي بأن يكف الكلاب عنه ، وتعهد أمامهم أن يدع الأميرة تعيش بسلام ، وأن لا يعترض لها بأذى ، وأنه نادم على موبقاته وجرائمه ، وتساقطت دموعه أمامهم عندما رفع الكلب ذراعه وصفعه بها ، فنظر علي لمي فأشارت بالعفو ، فطلب علي من الكلب أن يعفو عنه وأخذ الفتاة وأعادوها لأهلها مرة أخرى ، ورجع علي لمدينة القمر مرة أخرى ، فوجد المعلم شهوان قد قلب الدنيا بحثا عنه ، فقص عليه قصة خطفه ثم نجاته من المجرمين ، ولما اطمأن المعلم على ضيفه أو نزيله ، قال : لقد وصل خبر اختفائك للأمير شبيب .. علينا أن نذهب لمقابلته ..ثم تقوم برؤية أم الملك فقد روت لي العجوز ما سمعت من الأم .



وبعد أن خرج علي من الحمام وكساه المعلم حلة جميلة ، ذهبوا لقصر الأمير الحاكم فقص علي عليه قصته من الأول للآخر ، فعجب الأمير منها ، ثم قال : أيها الشاب حدثتني أمي عن شاب يبحث عن عمته زاهرة فهو أنت إذن ..أرسلت وراءك ،

فقيل إنك اختفيت فدهشنا وقمنا بالبحث عنك نحن والمعلم الكبير شهوان .. وأما وقد عرفنا سبب اختفائك المفاجئ فسندخلك على الوالدة .

وكان الأمير قد أرسل غلاما لأمه يخبرها بمجيئه بالشاب ، فعاد الغلام يقول : إنها بانتظاركم .

ولما دخلوا عليها وجدها علي عجوزا هرمة منهكة من المرض والسن ، فدنوا منها فسمعها تقول له: هل أنت حقا ابن عمران ومن تلك البلاد ؟

قبل علي يدها اليمنى وقال : نعم يا مولاتي .. أنا علي بن عمران من مدينة العهد!

فقالت بصوت ضعيف يكاد أن يسمع : وهل مات عمران حقا يا علي ؟

رد بحزن : نعم .

قالت وقد تساقطت دموعها : إذن كلام العجوز صحيح .. أنت الذي أرسلها ؟

قص عليها علي القصة من جديد ، وكانت تسمع وتبكي ولما انتهى ، قالت : أنت ولد مبارك يا علي! .. وليرقد والدك في قبره مطمئنا عليك .. اعلموا يا أولادي أن هذا الفتى هو ابن أخي حقا .. إنك تذكر يا شبيب ذاك الرجل الأشيب الذي كان يزورنا بين الفينة والأخرى .. هو أخي عمران ابن أمي وأبي .. وأنا تزوجني أبوك منذ أكثر من خمسين سنة .. لقد كان يومها مارا في بلاد العهد فرآني وخطبني من أمير المدينة ، فكلم الأمير والدي برغبة أبيك من الزواج مني ، فوافق أبي ـ رحمه الله ـ وجئت إلى هنا ، ولم يكن لي اخوة يومها إلا عمران ..ومع الأيام انقطعت صلتي بتلك المدينة ..بل لم أرها منذ تزوجت ،كان يزورني والدي في أول سنوات الزواج ، ثم اختفى من حياتي ، وكان يتردد عليّ أخي عمران من حين لآخر ، فيذكر لي أخبار الأسرة .. فأخبرني عن موت أبي ، وأمي كانت قد ماتت قبل زواجي من والدكم الملك ، ثم علمت من أخي عمران أن والدنا قد رزق قبل موته بصبي سماه عدنان ، ومات أبي عنه وهو دون العاشرة ثم أعلمني عمران في إحدى السفرات أنه تزوج ووهب مولودا ذكرا سماه عليا .. وبعدئذ انقطعت أخباره فوقع في حدسي أنه قد مات ، فلي أكثر من عشرين سنة لم أسمع عنه شيئا إلا منذ أيام عندما جاءتنا العجوز بتلك الرسالة .. فأنت حقا يا ولدي ابن أخي عمران ..اقترب

مني دعني أقبلك .. أنت من ريح أهلي .

دنا علي منها فقبلته وداعبت شعره ، ودعت له وقالت : ولدي شبيب .. هذا ابن خالك .. ساعده ..فاكتب رسالة لأمير تلك النواحي ليأخذ له حقه من عمه ويزوجوه من ابنة عمه وأكرم وفادته ، وإذا رغب بالحياة في بلادنا فأكرمه غاية الإكرام وليبق على الرحب والسعة والمحبة .

فتعهد الابن أمامها بتحقيق كل رغباتها ، وقال علي وقد قبل يد عمته مرات : الحمد لله إنني التقيت بك يا عمتي .. أنا جئت لاجئا إليكم حسب رغبة أبي لتأخذوا لي حقي من عمي الجاحد ولابد أن ابنة عمي سعاد في انتظاري .

تمت

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

جواهر القصص

جمال شاهين

عمتي زاهرة

عمتي زاهرة


قصص الزمردة
جلدالأسد
عمتي زاهرة
همام وجؤذر
سليم في الغابة المسحورة
نحيف وعريف
وسيم والأميرة المسحورة



همام وجؤذر

جمال شاهين



منشورات المكتبة الخاصة

جواهر القصص

الزمردة

٣

جمال شاهين

١٩٩٥

همام وجؤذر

خطبة جؤذر

حمدان فلاح يعيش في القرية ، وقنع بما أعطاه الله من رزق ، بستان مزروع فيه الأشجار المثمرة يقطفها ويبيعها في موسمها ، ويرضى بما يجني من ثمنها فيشتري مؤونة الشتاء ، ولديه بضع بقرات يعتني بهن ، فيطعمهن فيكسب منهن لبنا وجبنا وسمنا يكفيه ويفضل عن حاجته فيبيعه بدراهم معدودة ، هذه صورة للفلاح القروي حمدان ، رعاية بستان ، ورعاية أبقار وأغنام وطيور داجنة ، وحياته هادئة لا تعقيد فيها ، واندمج فيها وجدانيا وعقلانيا لا طموح له في العلا والثروة والجاه ، وله زوجة طيبة تشاركه هذه الحياة وتقاسمه العطاء ، وهي مثله قنعت ورضيت بهذه الحياة الهادئة ، وقد وهبهم الله أولادا كثرا ولم يعش منهم إلا همام ، وكان هذا الشاب يساعدهما في البستان والرعي، وأتقن أعمال أبيه ، وكان يذهب لبيع الثمار في سوق القرية وأحيانا أخرى في سوق المدينة ، وكان يشارك أقرانه رعي الأغنام في الشعاب والوديان والتحطيب من الغابات ؛ ولكنه تعلق مع بعض الشباب بحب صيد الوحوش والظباء في البراري لبيع جلودها وقرونها لأهل المدينة ، فكان الشباب الصيادون يخرجون في نصف كل شهر عند اكتمال البدر إلى الجبال والوديان والغابات يتصيدون الغزلان والسباع ويبعونها في المدن القريبة من هذه القرية قرية " عمد العالية ".

ذات ليل بهيم كان الفلاح حمدان يجلس بجوار زوجته حليمة وهي تصنع الخبز في بيت الخبيز ، فقالت له : يا أبا همام ابنك كبر وأصبح عريسا ..ألا تفكر بتزويجه ؟

فرد عليها بعد أن مضغ لقمة من رغيف ساخن كان يلوكه قائلا : هذا شغلي الشاغل يا ابنة الأكارم ..هل تعرفين فتاة تليق بابنا همام ؟

ردت بعد أن نبذت قرصا من العجين المرقق في جوف الفرن : بنات القرية كثيرات ـ يا أبا همام ـ ولكني ...

فقال والخبز في فمه : ولكنك ماذا ؟!

قالت : ولكني أفضل أن نزوجه فتاة من بنات المدينة ..حتى لا يظل فقيرا مثلنا .. يوم بيوم .
رفع حمدان نبرة صوته قليلا وقال : حليمة يا بنت الاجواد ، هل هذه الحياة الطيبة الهادئة لا تعجبك ولا تريحك ..أتريدين الرحيل للمدينة ؟!
ردت محتجة فقالت : لا ..لا .. يا أبا همام الحياة هنا طيبة وهادئة وجيدة بالنسبة لي ولك ؛ ولكن أقول ذلك من أجل همام فلذة كبدنا .. ألا ترى يا سيدي ما هو فيه من الخروج لصيد الوحوش ؟! وما يتعرضون له من المخاطر من أجل صيد سبع أو وعل ..أليس أخوك فريد غنيا وميسور الحال أكثر منا ؟ وعنده بنت جميلة وزكية فاخطبها لابنك همام حتى يكون حظه خيرا من حظنا .
أدار حمدان أفكار زوجته في دماغه برهة ثم قال : والله معك حق يا أم همام ، لعل هماما يرتاح من قسوة حياة الفلاح ، ومن الصيد الذي يغيب فيه أحيانا عنا أياما ، ومع ما فيه من الخطر عليه كم فتى سقط بين براثن وحش ؟! فهناك الغلطة يـفقد المرء على أثرها روحه ..حسنا يا أم همام جهزي هدية من الطيور واللبن والسمن لأخوي في المدينة فريد وحديد ونزور الأخ فريدا ونخطب ابنته لهمام ، ونزور أخي حديدا بنفس السفرة .. بس لا تكلمي همام بالغرض من زيارتنا للمدينة أخشى أن يرفض الأخ فريد فيكره همام عمه .. نذهب ونجس نبضه كما يقولون فإن رحب فريد بنا اطلعنا هماما على رغبتنا ، ولا أظنه يعصي أمرنا وما اخترناه له من الزواج من ابنة عمه جؤذر .
وأمضيا حديثهما في بيت الخبز في هذا الموضوع حتى أتمت حليمة خبز عجينها ، ثم دخلوا البيت وفي هذا الوقت جاء همام بالدواب وأدخلها حظائرها ، وجلس ينتظر مائدة الطعام ، وبعد الأكل غادرهم وهو يخبرهم أنه خارج للصيد خلال أيام يسيرة مع بعض فتيان القرية ، وأخبرهما بقضاء فترة في مطاردة الوحوش قد تأخذ يومين أو أكثر ، فقال الوالد : أمرك مسهل بمشيئة الله .. واحرص على حياتك يا ولدي .
ودعت له أمه بالتوفيق والعودة سالما ، ولما انصرف الشاب ، قال حمدان : عندما يخرج للصيد

ننطلق نحن للمدينة ..جهزي الهدايا حتى نسافر ونرجع في غيبة الولد يا أم همام .

في صباح باكر انطلق همام الشاب مع أقران له في رحلة صيد تحتاج لقطع مسافات من الأميال ، ولما بزغت الشمس وارتفعت في الأفق كانت حليمة قد أعدت الهدايا التي ستحملها لأخوة زوجها ، فوضعها حمدان على ظهر الحمار ، وأوصى جيرانه على البيت ، وتحركوا نحو المدينة التي يسكن فيها اخوته ، وبعد ساعات من المسير كانا ينزلان ضيوفا في منزل حديد الذي رحب بهم أحسن ترحيب ، وصنع لهم طعام الغداء ، ثم كشف له حمدان سر هذه الزيارة ، وأنه قادم لخطبة ابنة أخيه فريد لولده همام ، فسكت حديد ولم يرد على أخيه ، فتابع حمدان الكلام : هل يا ترى يوافق أخي فريد على ولدي همام يا ابن أمي وأبي ؟!

بعد صمت رد قائلا : لست أدري يا حمدان ..فأخوك كما تعلم ترك القرية منذ صغره.. وعمل في السوق حتى أصبح غنيا جدا ، وهو أحد أغنياء المدينة المعدودين..وهو يكره حياة الريف والقرى منذ أن طرده أبوه كما تذكر ..وتزوج في المدينة ابنة أحد الأثرياء ، ووهبه الله سبحانه بنتا واحدة وهي بنت مدينة ..هل تظن أنها ترضى بالحياة في القرية ؟ فهي بنت عز ودلال ، وإن رضيت هي فلن ترضى أمها..فالأفضل أن لا تحرج نفسك يا أخي ..وانظر له زوجة قروية .

هزّ حمدان رأسه عدة مرات وقال : كلامك معقول يا أبا هارون ! ولكني صرت آتيا وليس بالضرورة أن يسكن همام معنا في القرية .

فضحك حديد وقال : ومن سيبقى عندك ؟ .. على كل حال افعل ما تشاء .

ثم ودعه حمدان وخرج ، ولما وصلا للباب ناداهما حديد وقال : انتظروا سنذهب معكما .. نزور فريدا أبا جؤذر .

وجهز حديد وزوجته نفسيهما لزيارة فريد ، وقد جهز لهما الخادم العربة التي يجرها البغل ، وركبت زوجة حمدان معهما ، واعتلى حمدان ظهر الحمار الذي أتى به من القرية ، وساروا إلى قصر أخيهم فريد وعند العصر كانوا فيه ، فرحبت بهم أم جؤذر أحسن ترحيب ، وأرسلت الخادمة تستدعي زوجها من مكان عمله الذي جاء مرحبا بحمدان وزوجه وحديد وزوجه ،

وفي ظلال بعض الأشجار الكبيرة المنتشرة في حدائق القصر جلسوا يتحدثون ويأكلون الفواكه اللذيذة ويشربون مياه الفواكه المختلفة الألوان .

والذي دفع حديد إلى مصاحبة أخيه حمدان في زيارة أخيهم الثالث فريد هي زوجته ، فعندما كاشفتها أم همام بمشروع الزواج ، قالت لزوجها : أرأيت يا أبا هارون فأخوك قادم ليخطب ابنة فريد لولده ..كم مرة قلت لك كلم أخاك في الأمر ؟! ولكنك تماطل فهارون مناسب لها أكثر من همام الفلاح ، وأنت ثري وسوف يفضلك أخوك فريد على ابن أخيه الفقير الفلاح .

تردد حديد لأول الأمر ثم لان وصحب حمدان إلى قصر أخيه فريد ، وهناك استغل حديد ذهاب حمدان لداخل القصر للصلاة والوضوء وفاتح أخاه برغبة هارون بابنة عمه جؤذر فسكت فريد قليلا ثم همس : نتكلم في ذلك فيما بعد .



ولما جاء حمدان للمجلس من جديد ، وقام فريد بالترحيب به من جديد والسؤال عن القرية والفلاحين ، كشف له حمدان الغاية من الزيارة ، فدقق فريد النظر في عيني حديد وهز رأسه عدة مرات ؛كأنه يتعجب من المصادفة ، ولما أنهى حمدان توضيح رغبته في مصاهرة أخيه أجابه فريد بهدوء قائلا : تريث أسبوعا لأفكر في الأمر وأسمع رأي أم جؤذر وجؤذر .

فأخذ حمدان بالثناء على أخيه وقال: بعد عشرة أيام أمر عليك لأسمع القول الفصل .

رد فريد : كما تشاء وأرجو أن توافق الفتاة فهمام كما هو ابنك فهو ابني .

ومكث حمدان وزوجه لـقبيل الغروب بقليل ، ثم ودع أخويه وقفل عائدا للقرية رغم إصرار فريد على مبيته ، فبين له عذره وغيابه ، وأن هماما قد خرج للصيد ولا يعلمون متى يعود .

وبعد مغادرة حديد بيت أخيه قال فريد لزوجته : هل علمت لماذا حضر إلينا هؤلاء الناس اليوم ؟!

رسمت الزوجة ابتسامة على وجهها وقالت : نعم ، أم هارون خطبت لهارون وأم همام خطبت لهمام ، وكل واحدة تثني على ولدها ، وأنه خير البشر ، وأكمل الناس .. والغريب أن أم همام لا تدري أن أم هارون خطبت لولدها .

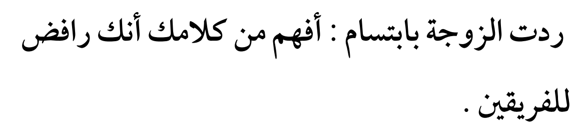
ضحك فريد قليلا ثم همس : قروية فلاحة ساذجة .. نعم ، يا أم جؤذر كل من أخوي يرغب بخطبة ابنتي لابنه .. حمدان مر على بيت حديد وحدثه بالأمر ؛ فكأنه كان مترددا فهو يعرف أخلاق ابنه جيدا ، فقد تكون أم هارون ضغطت عليه ، فتحمس وتشجع عندما رأى حمدان الفقير يخاطر بهذا الأمر ويحرج نفسه ..حمدان لا يعلم أن حديدا جاء خاطبا مثله ..والآن ما العمل يا أم جؤذر ؟ كيف نتخلص منهما ؟.. هل علمت جؤذر بشيء ؟

قالت الزوجة : أدركت من الحديث بيننا أننا نتحدث عنها ثم تركتنا ..ولما انصرفوا قلت لها الحكاية .. فهي تعلم .

فقال بصوته الناعم : وما كان ردها على ذلك ؟

قالت أم جؤذر باسمة : أخذت بالضحك ، وتركت حل القضية لنا ، ثم قالت معقبة بعد ذلك " إنها لم تر هماما منذ أكثر من خمس سنوات .. فلا تذكر صورته وشكله ، ثم قالت : منذ أن كبر وشب لم يعد يحضر مع والديه لزيارتنا ما الذي ذكره فينا ؟! .. وقالت عن هارون ..إنها قد لاحظت ميله نحوها ، وحياؤه منها عندما كانا يلتقيان في الزيارات والمناسبات ، فهذا ما علقت به جؤذر يا فريد .

غرق فريد برهة في صمت عميق ثم قال : الحق يا رهام ..الأمر محير .. والرفض قد يكون أسهل الحلول ، ومع ذلك نحتاج إلى حسن التصرف ، فحمدان سوف يغضب ، وقد نخسر بعضنا فنحتاج إلى حسن التصرف معه فهو أخي الأكبر ، وكان يودني من أيام الصبا ، ووقف معي عندما طردني أبي العزيز .. أما الأخ الأوسط حديد فإن رفضناه سيسخط علينا هو الآخر ، وسيكون سخطه علينا أشد من سخط حمدان ، فهو يجاورنا في المدينة ، وسيبدأ يتكلم علينا ، ويثير الأقوال السيئة عنا.. لذلك دعيني أفكر بالوضع جيدا يا أم جؤذر وكيف الخلاص منهم



ردت الزوجة بابتسام : أفهم من كلامك أنك رافض للفريقين .

فأجاب مشيرا برأسه "نعم" ثم نطق بهدوء : فهمام ليس كفئا لها ، فهو فتى مـعدم فقير لا ثروة ولا عمل نظيف ..وأما هارون فهو شاب جاهل لا يحسن إدارة نفسه ..أريد أن أفكر بطريقة حسنة للخلاص من هذه القضية وبدون أن أقطع صلتي بهم .

وخلا فريد بنفسه يفكر في هذا الموضوع الدقيق ، ثم خرج من البيت ، وذهب لزيارة أحد أصدقائه ، ومكث عنده لنصف الليل ، ثم عاد للمبيت ؛ ولكن النوم قد فارق عينيه لانشغاله في زواج جؤذر ، وفي مساء اليوم التالي زاره صديقه الذي كان عنده ليلة أمس ، وأطلعه فريد على موقفه واستعان به لحل هذه المعضلة ، فجاءه هذا المساء مع أهله وأحد أبنائه ، ولما استـقر بهم المقام والكلام قال له الصديق : يا فريد لـقد جئتك بحل الإشكال الذي أنت فيه .

فقال فريد بكل لهفة : ما هو ؟!

فنظر الصديق لولده وقال : هذا منذر ولدي ! ..فأنا أطلب يد ابنتك جؤذر له ..فنحن أصدقاء وأثرياء ، ومنذر مـعجب بها وراغب بالاقتران بها .



مـقتل السبع

خرجت جؤذر برفقة صويحباتها في نزهة إلى البراري والأدغال المحيطة بالمدينة ؛ وعادة تصحب كل فتاة خادما لها أو خادمة ، فهن من بنات الأسر الغنية في المدينة ، ولما وصلنا البرية ونزلن من العربات التي تجرها الخيول الضخمة القوية ، فأخذن باللعب والركض هنا وهناك وهنّ في غاية الـفرح والمرح ، ثم ركضن نحو الغابة يطاردن بعضهن بعضا ، وقد توغلن في مطاردة الطيور والحيوانات الصغيرة كالعصافير الملونة والسناجب والأرانب البرية ، وما انتبهن لأنفسهن إلا وهن في وسط الغابة ، فتوقفن عن المطاردة واللعب واللهو ، وجلسن على الأرض يسترحن للعودة حيث تركن الخدم والعربات ، وما كدن يلقين بأنفسهن على الحشائش اليابسة ويستند بعضهن على سيقان الأشجار الضخمة ويلتقطن أنفاسهن من كثرة الركض والتعب ، ظهر أسد بالقرب منهن وزأر فجأة وزمجر زمجرة حادة ؛ كأنه مظهر فرحه بهذا الصيد ، وكن خمس حسناوات فدب في قلوبهن الوهن والرعب ، وأيقن بالهلاك والموت ..وزحف الأسد الهائج نحوهن وهن في غاية الخوف ؛ بل قد تيبست أبدانهن فلا حراك ، وعلا وجوههن الاصفرار ازداد اقتراب الأسد المتحفز نحوهن ؛ وكأنه يفكر بمن يبدأ .. ؛ ولكن ظهر أيضا في المكان شاب قوي العضل مكشوف العضلات منـفوش الشعر يرتدي على صدره درعا من الجلد ، وبدأ الشاب مسددا قوسه نحو الأسد.. شاهده الأسد فاستدار نحوه ، فرماه الشاب بسهم وقع بين عينيه ، فاشتد السبع غضبا ، وهجم على الشاب بجنون ؛ فإذا بسهم آخر يخر في جسده فوقع على الأرض.. فهجم عليه الشاب الشجاع وطعنه بمدية ، فزار الأسد زأرة الموت وهمدت أنفاسه ..وبدأت أعصاب الشاب تعود إليه بعد هذه المعركة رويدا رويدا .. وقد خيم السكون على المكان ..ثم قام الشاب بقطع رأس الأسد ، ثم نظر حوله فرأى الفتيات ؛ كأنهن موتى من الخوف والرعب ، وقد انتبه إليهنّ ، فهمس بصوت مبحوح : لقد مات ! .. لقد صرعته إنني أطارده منذ ساعات .

ثم رفعه على شجرة ، وأخذ في فصل جلده عن لحمه ، وابتسم للصبايا قائلا : إنها مهنتي ..

صيد الوحوش وبيع جلدها لأهل المدينة .. وسأل باستغراب : ما الذي أتى بكن إلى هذه الأدغال المرعبة ؟!

فسمع إحداهن تتسأل : هل حقا مات الوحش ؟!

فضحك الشاب وقال : ألا ترين ما أفعل ؟!..اصبرن قليلا عندما انتهي منه سوف أوصلكن إلى مأمن .

كانت الفتيات ينظرن للشاب بمنتهى الدهشة والإعجاب والخوف والرعب ؛ كأنهن ينظرن لجزار يسلخ شاة أو بقرة ، ولما قضى حاجته أخرج كيسا ووضع فيه الجلد ورأس الأسد ، وقال : لـقد انتهيت ..من أين جئتن أيتها الفتيات الطيبات ؟

فقالت إحداهن : نحن من مدينة النهر .

فقال الشاب : مدينة النهر ! .. أعرفها لي أقارب فيها ..لي قريب ثري ومعروف في المدينة .

فقالت فتاة منهن : نحن من بنات الأغنياء في المدينة فمن هو قريبك ما اسمه ؟

فرسم ابتسامة على محياه وقال : الحقيقة أن لي عمّين في مدينة النهر أحدهما يدعى الـعم حديدا والآخر فريدا .. وهو تاجر كبير كما يقول أبي .

أخذت الفتيات ينظرن إلى جؤذر التي أصابها الذهول والتي ردت على نظراتهن وقالت : أيها الفتى .. لـعلك همام بن حمدان ؟

فرد وهو مستغرب لمعرفتها لاسمه ، وكذلك الفتيات لحقت بهن الحيرة ، ثم قال همام :أأنت جؤذر .. ابنة عمي فريد ؟!

هزت رأسها قائلة : نعم .

فقال همام : مرحبا بابنة عمي ما الذي أتى بك لعرين الأسد ؟! ..أنا همام ابن عمك حمدان يا جؤذر .

فهمست : مرحبا بك يا همام إنك قوي جدا .

فضحك همام وقال : الحمد لله على سلامتكن .

وعندئذ ظهرت مجموعة من الشباب ، فروى لهم همام الحكاية وأشار إلى ابنة عمه وقال : هذه الفتاة ابنة عمي فريد ..لابد أنكم تسمعون به ..هيا نوصلهن المدينة قبل حلول الليل .

وقاد الشباب الفتيات حيث العربات والخدم ثم ودعوهنّ ، وقال همام لجؤذر : إن كنت بحاجة لي يا ابنة العم يمكنني توصيلك لقصر والدك .

شكرته وأثنت عليه وانصرفت مع صويحابتها جهة المدينة ، وكل حديثهن عن الأسد وشجاعة همام ، وهذه الحياة الخطرة التي يعيشها من أجل الحصول على جلد أسد أو نمر أو فهد لبيعه ببضعة دراهم ، وما كادت جؤذر تدخل البيت حتى روت ما حدث معها لأمها وهي مبهورة من قوة همام وثباته وصرعه لسيد الغابة ، ولم تصدق الأم هذه الحكاية بأن هماما قتل الأسد ، ولولا تكرارها من الفتيات الخمس وكلهن يتحدثن بإعجاب وانبهار عن الشاب همام الذي أنقذهن من براثن الأسد ، ولما أكلن الطعام انصرفت الصديقات لبيوتهن ، ولما رجع والد جؤذر حدثته عن قوة وشجاعة ابن أخيه همام ، وكيف واجه الأسد وحده ؟ وكيف أنقذهن من موت محقق ؟ وفي النهاية سمعها تقول بصراحة : يا أبت زوجني من ابن أخيك همام ..لا أريد منذرا ولا هارون .

فغضب الأب وقال بغضب وحدة : ويحك ماذا تقولين ؟! لقد وافقت على الرجل ، واعتذرت لعميك وقبلا عذري..وهذه التأثير الذي تركه ابن عمك عليك سيزول ..فهو رجل لا مال عنده ولا أحلام ولا طموح ..فرجل يعرض حياته للهلاك من أجل جلد حيوان يبيعه ببضع دراهم لا تغني عنه شيئا ، فهو رجل أحمق غبي ! ..أتتركين النعيم والفراش الوثير لتحيي في قرية مليئة بالبراغيث والفئران ؟..أتدعين حياة اللذة والراحة لحياة الجوع والعطش والبرد ؟؟ .. اصبري بضعة أيام وسيذهب أثر ما شاهدت من شدة بأس وقوة الفتى .

ولما سكت الأب مما تفوه به قالت الفتاة : يا أبت لقد أنـقذنا من الموت .. أعاد لنا الحياة ..ألا أهبه هذه الحياة ؟! ..وهو ابن أخيك ..من لحمك ودمك .. وهل نحن بحاجة للمزيد من

الأموال ؟!

قال الأب بأسف : يا جؤذر الجميلة العاقلة ..يا ابنتي .. لو رضينا بهام .. سيغضب هارون وأبوه .

فصاحت قائلة : فليغضب ، وما دخلي في غضبه ..وهل الزواج بالغصب والقوة ؟!

رد فريد : سيكره بعضنا بعضا ، سيكرهنا حديد ويكره حمدان بسبب ذلك .. فكري أياما بالأمر تروي ثم ردي عليّ .. فأنا قبلت بابن صديقي حتى أبقى على علاقة جيدة مع أخواي .

قالت الفتاة بصراحة : يا أبت فإن زواجي من ابن عمي همام سيصلح بينك وبين أخيك حمدان تكسب واحدا وتخسر واحدا خير من تخسر الاثنين ..وعمي هارون زوجته هي التي تضغط عليه ليزوجني من ابنه .. مع اهتمام هارون بي فإنني أحس أنه لا يحبني ، هو يحب ثروتنا .. وهمام شاب فقير وفلاح فهو الذي يستحق منك العطف والمساعدة.. وأنا مستعدة للعيش معه في فقره وحياته القاسية .

كان الأبوان يسمعان كلام ابنتهما وهما بين الغضب والاستغراب ، فرد الأب : جؤذر العزيزة وحيدة والديها ، الفتاة المدللة ، ابنة العز والجاه والخدم والحشم تعيش في قرية ميتة يكاد أهلها يتضورون جوعا وعطشا عندما يقل ماء السماء ..فإن أشفقت على ابن أخي فأنا أعطيه من المال ما يشاء من أجل خاطرك أما زواج فلا وألف لا .

ردت بغضب :اسمع يا أبت .. أنا لن أتزوج الا من همام ، أما غيره فلا .. أو لا أتزوج أحدا من أهل الدنيا ..هذا تفكيري وجوابي .

تدخلت الأم بينهما وحاولت التوفيق بينهما ، وطال الحوار لمنتصف الليل ، وكلٌ مصر على رأيه واختياره ، فجؤذر ما زالت مصممة على اختيارها ومبهورة بشجاعة همام التي رأتها بأم عينيها في الغابة عندما هجم عليهنّ الأسد الهائج ، فاتفق الوالدان على انظارها عددا من الأيام حتى يذهب عن نفسها تأثير الحادث الذي مر بها ، فقد تعدل عن عزمها ، اعتكفت الفتاة في حجرتها وامتنعت عن الأكل مما أقلق الأسرة ، وترجياها أن تعود لسابق عهدها ، وتخرج للجلوس في

حدائق القصر والجلوس مع صاحبتاها ؛ ولكنها أصرت على العناد ، وحلفت برب العباد أن لا تـتزوج إلا من ابن عمها همام أو تموت ، فكان الولدان يذكران فقره وجوعه وحياته البائسة في مطاردة الوحوش ، وأنه هو السبب في وصول الأسد نحوهن ، ولو لم يطارده فما جاء جهتهن ، وتقول الفتاة ولو رأيتموه وهو ثابت الجنان يصوب سهمه نحو الأسد لـعرفتم ما هي الشجاعة والإقدام التي نـقرأ عنها في الكتب ، ويتغنى بها الرواة والشعار ولغيرتم رأيكم فيه .

فاشتد الأب غضبا ، فلم تكترث لغضبه وهي تهتف : إذا كنت حقا تحب سعادتي عليك أن توافق على ابن أخيك ..أخوك حمدان الذي أعطاك كل ما يملك عندما هربت من الـقرية لما غضب عليك والدك ألم تـقل لنا ذلك ؟!

وحاولت الأم ثني الفتاة ؛ ولكنها لم تسمع منها وأغلقت أذنيها ، وهزلت جؤذر وبدأت تذبل فضعف الأب أمام عنادها الغريب الذي لم يعتده منها ، فقال لها: ما أقسى رأسك ! يا ابنتي ولكنك ابنة أبيك .. وأنا مثلك عنيد ، فكم توسط بيني وبين أبي من الأهل والأقارب لأتصالح مع أبي ؛ ولكني رفضت الصلح والعودة إلى القرية ؟ ومات أبي وهو عليّ غاضب ، وكم أرسل لي أن أعود ليراني وهو على فراش الموت ؟ ورفضت ، ها أنت تدمري قسوة قلبي على القرية التي هجرتها منذ ما يزيد عن ثلاثين سنة .. يا جؤذر لا أريد أن أراك ميتة قبلي ، فعودي للأكل سأوافق على همام ؛ ولكن كيف أحدثه بالأمر وأنا قد رفضته ؟

قالت الفتاة بتأنٍ : أنا أذهب إليه إلى عمي وسيأتيك مرة أخرى

قال بحسرة : إنك تـقتلينني يا جؤذر .

أجابت : أأقتلك ؟! لأنني أريد الزواج من هذا الشجاع الذي لو علم الحاكم الكبير بشجاعته لجعله فارسا من فرسانه ؟! أأقتلك وأنت تريد أن تزوجني من شاب سيئ الخلق ؟! ...ألا تريد قتلي بهذا الزواج ؟! .. ألم تحدثنا أنت عن مجونه ولهوه ؟ ألم تـقل لي نوافق اليوم وبعد فترة نعتذر ، ونكون قد تخلصنا من الثلاثة ؟ ..أنت تعرف أنني لا أعرف ابن عمي هماما ، وعندما كان يأتي قديما مع والده لزيارتك لا أجلس معكم ، ربما لمحته وهو داخل أو خارج ؛ ولكني

كنت أنظر إليهم ؛ كأنهم قادمون للتسول من عندنا أو كالرجال الذين يأتون ليعملوا بعض الأعمال وينصرفوا ، أنت قد جعلتنا ننظر إليهم هذه النظرة الجارحة ، مع أن عمي يأتيك بالسمن والجبن والفواكه كلما يزورك ، وأنت بعد انصرافه تلقيها في القمامة ؛ لأنها من القرية التي رفضتك ، ولولا هذا الرفض لم تصبح ميسورا .. وكان عمي يعلم أنك تقبل هديته على مضض ، وظل مصرا على المجيء بها كلما زارنا ، ومن عزة نفسه لم يقبل أن يأخذ منك درهما واحدا أو يقبل أي مساعدة .. وكنت رافضة الزواج من همام للنفور الذي زرعته فيّ من الفلاحين والرعاة ؛ ولكن الله قدر لي أن أراه في ساعة الموت أو ساعة أوشكت أن أكون فيها ضحية لسيد الوحوش ، فرأيت هماما وملئت شجاعته وجرأته نفسي وكياني ، فأعجبت به أو ليس من الزواج بد فاقبله كما قبلته أنا ؟

رضخ فريد لإرادة ابنته ، وهو يكظم غيظه وسخطه على ابن أخيه الذي خرج له في دنياه فجأة ورغم أنفه ، وطلب منها أن تتصرف في الخطب كما يحلو لها .

لقاء في الحديقة

لما أخذت جؤذر موافقة والدها على الزواج من همام استدعت الخادم الذي رافقها إلى الغابة يوم الحادث المرعب ، وذكرت له هماما ، فتذكره فأمرته بالمسير إلى قرية " عمد العالية " ويلتقي بهمام من وراء أهله ، ويخبره برغبة جؤذر في رؤيته والحديث معه ، فانطلق الخادم على سرج جواد إلى القرية المذكورة فسأل عن همام ، فقيل لها إنه مع الرعيان ، فانطلق إلى مراعي القرية ، وبعد جهد يسير أسر له بطلب جؤذر ، وقفل الخادم عائدا للمدينة مخبرا سيدته بتنفيذ الأمر ، فأثنت عليه وصرفته ، ومع صباح النهار الجديد كان همام يطرق باب قصر عمه فريد وقابل امرأة عمه وحياها بأحسن تحية ، وفعلت مثله ، وأثنت على شجاعته وفتوته ، ولما حضرت الفتاة انصرفت الأم ، فبعد ترحيب خرجا للجلوس في حديقة من حدائق القصر ، وهناك حدثته عن مجيء والده وخطبتها له ، وروت له القصة من يوم مجيء والده وعمه حديد ، وظهرت الدهشة على وجهه ، وأعلمها أنه لا علم له بموضوع الزواج والخطبة ، ولم يحدثه والده بشيء من ذلك ،

وأقسم يمينا على جهله لتخطيط الأسرة ، فدهشت الفتاة وقالت بفطنة : لابد أنهما كانا يتوقعان رفض أبي فأحبوا أن لا يجعلوا في قلبك شيئا على عمك ..ثم تكلمت عن طلب منذر ابن صاحب والدها يدها ، فبارك لها همام ذلك ؛ ولكنها استدركت وبينت له أنها رفضته وأنها ترغب به ، فوقف همام مبهوتا أمام صراحتها وبعد أن تمالك نفسه وأعصابه قال : ولكني يا ابنة العم لا أستطيع إسعادك..فنحن قوم فقراء أو قولي ميسوري الحال .. ليس لدينا قصور ولا عربات ..وأنا فتى مغمور ..أرعى الغنم وأحرث الأرض



وأقطف الثمار وأصيد الوحوش ، وأحيانا أخرى أحلب الشياه أو البقرات..فما ندخره في الصيف نأكله في الشتاء ..لا مال ولا أحلام فأنا فلاح ابن فلاح..وأنت يا جؤذر ابنة المال والغنى والجاه والخيول والخدم والجاريات والنزهات..كيف ستعيشين في قرية ؟ المرأة فيها تعمل في الحلب والطحن والعجن والزرع والخبز ، فحياة القرية رغم بساطتها وجمالها فهي قاسية مرهقة متعبة تحتاج لصبر وكفاح يا ابنة العم ، وأنت شاهدت فصلا من حياتنا نحن القرويين ، فقد رأيتني كيف أطارد الوحوش من أجل جلدها وقرونها ؟! وقد يأتي يوم ويفترسني وحش كما سقط أصحاب لنا ..لا قوة دائمة إلا قوة الله .. ومن تعلق بشيء ليس من اليسير تركه .

قالت بعاطفة جياشة : تترك القرية ..وتعيش معنا فأنا وحيدة أبي .. وكما يقول والدي إن هذه الأملاك في النهاية ستؤول لي ..وأنت خير من يشاركني فيها..أنت أنـقذتنا من الموت منحتنا حياة جديدة يا همام .

قال بهدوء : كيف يكون ذلك ؟! أأترك أمي وأبي ؟! ..هل يرضيان بترك الحياة التي أحباها منذ أن تفتحت عيونهما على الحياة ؟ وكيف يطيب العيش بدونهما ولا ابن لهما سواي كما تعلمين ؟! لقد أنجبوا الكثير ولكنهم ماتوا صغارا .

قالت : عندما تقدما لخطبتي ـ ولو وافق أبي على ذلك ـ فهل كانا يظنان أن والدي سيسمح

لها بأخذي إلى القرية ؟ ..لابد أنهما كانا يفكران بسكنك في المدينة ..آه يا همام ! لو تعلم كم بذلت من الجهد ليقنع أبي بك ؛ لأني اخترتك على الآخرين ..كن معي أيها العزيز.. لا أريد منذرا ذاك رجل خليع مستهتر ..أنقذ ابنة عمك منه كما أنقذتها من أنياب السبع .



لم يكن الشاب يفكر أو يحلم يوما بالزواج من بنات المدينة ، إنه قروي ابن قروي ، نبت وشب على حياة القرية والكفاف، وإنه وحيد والديه فعليه مسؤوليات كبيرة نحوهما في شيخوختهما ، ووالدها لا يرغب به بـعلا لـقرة عينيه ووحيدته ؛ وإنما رضخ لها مرغما ؛ لأنها وحيدته ، فقال لها : أود إنقاذك يا ابنة العم ..ولكنك ستخسرين الحياة الناعمة يا جؤذر من أجلي .. هناك الحياة متعبة شغل عمل حطب حرث حلب خدمة .. لا تتعجلي في اختيارك لا أحب أن أراك نادمة باكية متأففة من حياة التـقشف .

قالت : وكيف ذلك ؟! وهذه الأموال التي نملكها يا همام..أبني قصرا عندكم ..أليست قريتنا أليست مسقط رأس أبي ؟! ..ننـقل حياة المدينة للقرية .. نشتري أراضي ..والغلمان والخدم نعيش سعداء ..أنتم تعملون بأيديكم لقلة المال بين أيديكم ..ولأنكم لا تستطيعون اقتناء الرقيق ..همام إن لم تقبل بي سأحيا تعيسة ، سأفقد روح الحياة ، إنك تدفعني لليأس..ألا تريد تحقيق رغبة والديك بالزواج من ابنة عمك ؟!

قال أمام هذا الاستـعطاف الغريب منها : ولكنّ أباك لا يريدني ، وقد وافق مكرها .. وابن عمي هارون له رغبة فيك ..فأرى أنّ اختيار والدك لابن صديقه خير لنا ، وإخراج لنا من هذه الورطة ..أنت في العلا ونحن في الدنا ، أنت طيبة وكريمة بل شجاعة ، وقد تركت حادثة الغابة أثرها على روحك الطيبة ، ولكن هذا أفعله مع كل الناس ، ولا أنتظر منهم مكافأة .. أتريدين مكافئتي ؟ ..أشكرك من أعماق قلبي ، وصدقيني لن أنسى هذه التضحية الكبيرة التي تـقدمينها من أجلي ، سأذكرك في أحلامي وواقعي .. لا أدري كيف فكر أبي بطلبك لي ؟! ..

فهل نسي البون الواسع بيننا ؟

فقالت بإصرار على فكرتها : أنا لا أكافئك على معروفك وشجاعتك .. سأقابل عمي حمدان لعله يقنعك بي أما لأطفالك غدا .

ضحك همام ضحكة قصيرة وقال : والله خالق كل الأشياء ، أنا مقتنع بك ، وأتمنى من أعماق قلبي أن أتزوجك ولكن ..ولكن

قطعت استدراكه قائلا : دعك من لكن .. وفكر في الأمر على مهلك، وشاور والديك ، وعد لي بعد أيام .. لا ..لا ؛ بل سأرسل الخادم إليك .

وأحضر الخدم طعام الغذاء ، وحضر عمه فريد المائدة ، ورحب بابن أخيه ، ولم يتحدثوا في موضوع الزواج أو حادث الغابة ، ولما انتهى همام من الأكل انصرف عائدا للقرية على قدميه فوصلها قبل الـغروب بقليل ، وكله أفكار وأحلام وآمال ، وعاتب والديه على عدم ذكرهما له طلبهما ليد جؤذر ، وقص عليهما الحديث ، ففرحا بعد غضب أشد الـفرح ، وقد دهشا لحزن همام وحيرته ، وأخذت الأم تتوسل إليه بالقبول ، ومن شدة فرحها طلبت منه أن يسكن المدينة وأيد الوالد كلامها ، فرد همام : إني أعجب منكما..هل أتخلى عنكما ؟ هل يعقل هذا يا ناس ؟! سأعيش لكما وبينكما ولن يفرق بيننا الا الموت..أنا لا أريد ثروة عمي .. إنني سعيد في قريتي..أنتم تخافون عليّ من الافتراس .. لن يعدو الإنسان قدره ..فالموت حق .. كم من الناس يموتون في حقولهم ومنازلهم ؟! وكم يموت منهم في الغابات ؟كل يموت بأجله .

قالت الأم : نحن اخترنا تلك الفتاة ؛ لأننا نحب سعادتك ، ولا نريد أن تقضي عمرك في الشقاء نحن نريد لك السعادة ، فمن جاور السعداء سعد ، وجؤذر قريبة لك ، ومن كلامك معنا فهي تريدك واختارتك على ابن عمك هارون ..وها هي الأقدار تريد ذلك ، وأصبح لك عليهم جميل لا يمكن نكرانه يا ابني يا همام ..

قال الأب : أنت أنـقذت البنات من أذى الأسد من غير أن تنتظر جزاء .. ونحن خطبنا لك قبل حادثة الغابة ..وأنا قبلت اعتذار أخي ونسينا الأمر ؛ ولكن ابنة عمك راغبة فيك .

قال همام : صحيح أنني أنـقذتها ، ولم أكن أنتظر أجرا من أحد ..ومن يصنع المعروف لا يطمع في مكافأة أو جائزة .

فقالت الأم : حق ما تقول يا ولدي ..ولكن كثيرا من الناس يكافئون عن المعروف طواعية ورضا ..ونحن لما اعتذر لنا عمك نسينا الأمر كما قال والدك ، واعتبرنا أن شيئا لم يكن .. ولكن ابنة عمك هي التي تطلب يدك ، هي التي تريد منك أن تنقذها من ذاك الشاب الفاسد ، ألا تريد إنقاذها من أسد دائم كما خلصتها من سبع عارض ؟

قال همام بعد تأمل : أماه إنك تتكلمين بقوة وحماس ..أخشى أن تأخذني من حضنكم من الدفء الذي نعيش فيه ..أخشى أن يزول الانبهار عن عينيها فتستيقظ فتجدني فقيرا بائسا.. فهي فتاة تربت على العز والدلال والخدم والأمر والزجر.. أماه ابحثوا لي عن زوجة من ثوبنا من قريتنا تعرف عاداتنا وتقاليدنا وأحلامنا الصغيرة وأعمالنا الشاقة .. فتاة لا تكلمني من ثروة أبيها وجاهه .

قالت الأم القروية : آه يا ولدي ! دع الأمر لله يفعل ما تشاء.



جؤذر تهدد

أتت جؤذر القرية بنفسها على عربة يجرها حصانان وأخذت مـعها الهدايا الثمينة لعمها حمدان وزوجته ولفقراء القرية والأطفال ، فتعجب الفلاحون من كرمها وسخائها ، وتناولت الطعام مع أسرة عمها ، أكلت من طعام امرأة عمها وفرح حمدان بمقابلتها ، وسرسرورا عظيما وفرحا لا يوصف ، فمنذ خرج فريد من الـقرية لم يـعد إليها ، وها هي ابنته الوحيدة تعود إليها ، وهذه أول مرة تدخل فيها القرية ، وتجلب معها الخيرات والهبات ، وتحسن للفقراء والمحتاجين ، والإنسان عبد للإحسان ، وتمنى من أعماق قلبه أن تكون من قدر ونصيب فلذة كبده همام ، وتألمت جؤذر لـعدم مشاهدتها هماما ، فقد أخبروها أنه خرج مع شباب القرية للصيد كما اعتاد ؛ ولكن حليمة طمأنت قلبها بأن لدى همام رغبة بالاقتران بها ، فعاد الفرح والغبطة والحبور لكيانها ، وحثتها على الصبر وعندما يعود الشاب من الصيد سيأتيها بنفسه ، سرت الفتاة من كلمات حليمة ، ولما أعصرت الدنيا ، ودعت عمها وأهل القرية الذين تجمهروا أمام منزل حمدان لوداعها ، فأمرت الخادم أن يوزع كل ما بقي في الصندوق من مال ، وشيعها الناس لخارج حدود البلدة ؛ كأنها ملك هبط عليهم من السماء ، ووعدتهم بالمزيد من الطيبات والاعطيات .



وقالت حليمة لزوجها حمدان : إنها فتاة طيبة يا حمدان ؛ كأنها أميرة من الأميرات التي تتحدث عنهن الحكايات ، انظر كما أثرت فيها حادثة الغابة ، عندما كنا في بيتهم سلمت علينا ببضع كلمات ، ولم نرها بعد ذلك .. فها هو الحادث يعيدها للصواب والتواضع والأكل من تحت يديّ أنا ؛ بل تزور القرية .. ها هم الفقراء يسرون بها ويفرحون لإحسانها .

فقال الكهل حمدان : ليت هماما يتزوجها .

وبينما هم في الأماني والأحلام أقبل نحو البيت رجال لهم ضجة مرتفعة وصياح ، وقال أحدهم

: افتح يا حمدان ..افتح بابك .. همام جريح مصاب !

وولولت حليمة وملأ صراخها القرية ، وأسرع حمدان بفتح الأبواب وهو يتمتم : ولدي ولدي ولدي !!

فدخل الشباب يحملون بين أيديهم هماما الغارق بدمائه ، فأنزلوه في حجرته ، واستدعوا امرأة عجوزا في القرية تعمل في التطبيب من تركيب الأعشاب وغيرها ، ولما أفاق من إغمائه ، سأل حمدان عن القصة ، فذكروا له انّ رجلا رماه بسهم غادر في الغابة ، وقد طاردوه في أول الأمر ثم اختفى رغم بحثهم الشديد عنه ، فقد كان يركب جوادا .

فصاح حمدان معقبا : كمين إذن وضربة غدر ؟! وقال بدون تردد : الفاعل واحد من ثلاثة .. فريد .. حديد ..منذر .

فقال أحد الشباب : ماذا تقول يا عم حمدان ؟!

أجاب وهو يتهدد ويتوعد : لا شيء ؛ ولكني سأنتقم أشد الانتقام من السفلة ، ويلهم إن مات همام .

لما علمت جؤذر الجميلة بخبر همام أسرعت إلى القرية ، وعليها آثار الحزن والألم ، وقد ذرفت الدموع بحرقة ، وقد أحست أنها هي وراء هذه الضربة الغادرة ، وخشيت أنّ يكون والدها وراءها ، فازداد نحيبها عندما وصل تفكيرها إلى هذه النقطة ، وطمأنها همام على صحته وقال : أشكر مجيئك يا ابنة العم .. وأشكر لطفك مع أهل القرية .. وسوف يزول الألم بإذن الله ، فكم أنت طيبة ورائعة يا ابنة العم ! فكل أهل القرية يثنون عليك ويحبونك ..أرأيت كيف ابتسمت لك القلوب قبل الوجوه عندما نزلت من عل ؟ ..وأحسنت للضعفاء والفقراء ، فهم يدعون لك بكل خير وجزاء .

ردت بصوت خفيض نابضا بالحزن : الشكر للجميع .. ألا تحدثنا بتفصيل ما جرى لك وما أصابك ودعك مني الآن ؟!

فقال وهو ينظر في عينيها : أتحبين أن تسمعي يا جؤذر الطيبة ؟

قالت وهي قلقة من نظرات عينيه المصوبة إليها : ولـم لا ؟!

قال وهو يعتصر ذهنه والمشاهد التي حدثت في الغابة : حسنا .. خرجنا للصيد كعادتنا مع فتيان القرية..وعند دخولنا غابة نبدأ فرادى أو مجموعات بمطاردة الأرانب والثعالب وغيرها..ونكون قريبين من بعضنا البعض بحيث نسمع أصوات بعضنا ؛ لأن الغابة تحمل المفاجآت .. فانطلق بعضنا في مطاردة ظبي ، وآخر ذئب ، فابتعدت عن رفقتي قليلا .. واقتربت من عين الماء فلمحت ثعلبا ؛ كأنه اقترب من الماء للشرب ، فمشيت نحوه بهدوء وروية ، وفجاءة ظهر أمامي من بين الأشجار رجل يقود فرسا ، وكان ملثما فحياني وحييته ، فسقط لثامه عن وجهه بعض الشيء فرفعه ، ثم أسقى فرسه ومضى في حال سبيله ، ودخل بين الأشجار وهذا أمر مشاهد في الغابة لا يثير الانتباه لولا اللثام الذي يخفي نفسه تحته .. وأنا كنت أيضا أتابع الثعلب الذي عاد للماء من جديد ، فانحدرت نحوه وبدأت اسدد قوسي نحوه ؛ فإذا بسهم يخترق كتفي فصرخت صرخة مدوية فزع على أثرها صحبي ، فأشرت للفارس فلحقوه ؛ ولكنه أفلت منهم ، ولمعت في نفسي صورة لثامه ووجهه ، فلو أراه لعرفته ، وقام الرفاق بمداواتي بما يعرفون ، وحملوني إلى هنا ، ثم قامت امرأة عجوز متطببة بعلاجي بما تيسر ، والشفاء بيد الله ، وهذه هي قصة الغدر يا ابنة الـعم .

قالت وهي تظهر الحزن العميق على وجهها وصوتها : حمدا لله على سلامتك أيها البطل ولسوف يقع الغادر يوما ما.. وأدعو الله أن يذهب عنك السقم .

وبعد حديث حول المرض والشفاء والـقدر المقدر للأحياء ، قالت جؤذر وقد لملمت شجاعتها : وهل فكرت بشأننا أيها العزيز ..فأبي ينتظر مني الجواب ؟

فتنهد همام بعمق ثم قال : أنا الآن جريح وقد أموت يا ابنة العم ؛ فإن وافقت ستـقولين الضعف والمرض أمليا عليه ذلك ، وها هم أرسلوا لي من يقتلني حتى لا أتزوجك يا جؤذر .

ردت بعزم وقوة : من أجل ذلك يجب أن نتزوج .. أنا أدرك ما يدور في خلدك من خواطر وأفكار ؛ ولكنك أنت تعلم أني اخترتك بقوة ، ورضيت بك عن الآخرين ، ووقعت من نـفسي

موقعا طيبا ، فمن أجل أمك الطيبة وأبيك ومن أجل كيد الأعداء المحيطين بنا .. عليك بالرضا أنا لا أريد أن أستغل ضعفك وعطفك ..أنا رضيت بك قبل حادث الغدر هذا ؛ بل هذا الحدث زاد من تصميمي على الزواج ممن خفق له القلب.

فقال بتأثر واستسلام : كما تشائين أيتها الأميرة .

وبكى البطل تأثرا ، وزغردت حليمة ، وملئت السعادة نفسها ، ولقد أنساها الموقف مصابها بابنها الوحيد والخطر المحدق به من وراء هذا الزواج ، وحلت جؤذر ضيفة في منزل عمها حمدان ، وفي الصباح غادرت القرية ومعها خادمتها لقصر أبيها ، وأعلمتهم بموافقة همام على الاقتران بها ، ومباركة والديه لهذا الزواج عن طيب خاطر ، وهما يحبانها حبا كبيرا ، وأطلعت والدها على محاولة اغتيال وصرع همام ، وشعرت جؤذر بانزعاج والدها من موافقة همام ، وخشيت هي أن يكون له يد في محاولة إبعاده عنها ولو بالقتل ، فأحست بألم شديد لهذا الشعور القاتل ، وأخذت بالتردد على القرية كل يومين مرة حتى تعافى همام ، واسترد صحته والدماء التي نزفها خلال أشهر ثلاثة ، فحضر مع والديه ، وطلبوا من فريد يد ابنته جؤذر ، فاعتذر لهم وبين لهم أنها مخطوبة من ابن صاحبه منذر ، ولم يفسخوا الخطبة بعد ، وأغلظ لهم القول ، مما حدا بجؤذر التي كانت تسترق السمع من الغرفة المجاورة أن تدفع الباب ، وتدخل بغضب وهي تقول : ألم تقل لي إنك أخبرته برفضي؟ .. ألا تحب سعادتي يا أبي ؟ .. وداعا .

وخرجت من الغرفة مسرعة والغضب ينفخ أوداجها ، وتركت القوم في ذهول ، وبعد قليل شاهدوها تركب جوادا ، وتغادر القصر مسرعة ، ونادى عليها همام ؛ ولكنها لم تلتفت واندفعت خارجة من باب القصر ، فأسرع همام نحو الاصطبل ، واعتلى ظهر حصان ولحق بها وهو يقول لوالديه : ارجعا للقرية سوف أبحث عنها وألحق بكما .



ولما انصرف حمدان وزوجه ، قالت أم جؤذر : ألم تستسلم لها وتوافقها على هواها ؟! ما الذي في رأسك ؟ ما الذي فعلته يا فريد ؟ أين ذهبت الآن ؟ ألا تعرف عناد ابنتك ؟

فهاج وأخذ يصيح : لا أريدها ..لا أريدها .. أنا أعطي أموالي لولد فـقير معدم .. لا يمكن.. لا يمكن .

ابتسمت أم جؤذر من شدة الغيظ وقالت : أخشى يا فريد أن يكون لك يد في محاولة مصرع الفتى ..كما تهمس ابنتنا .

فصرخ قائلا ومعترفا : نعم .. نعم أنا ومنذر استأجرنا قاتلا ..من أمهر الرماة ؛ ولكن اللعين فشل ..أهلكه الشيطان .

فقالت الزوجة وقد بلغ الوهن والدهشة منها أقصاهما : ويحك يا فريد! .. ماضيك يعود .. ألم تحدثني أن أباك طردك قديما من البيت ومن القرية لعقوقك وقسوتك ؟! .. وها أنا تطرد ابنتك اليوم .

فازداد صراخ وتأوه فريد عندما سمع كلام الزوجة الذي يذكره بالماضي ، فخر صعقا ، ففزع الخدم والجواري وعالجوه من إغمائه ، وكان يهذي ويقول : نعم ، كنت عاقا لأبي .. كنت أسرقه وكنت أخدعه أبيع بعشرة دراهم أعترف بخمسة وأخفي خمسة .. بعت بقرة في قرية وقلت إنها فقدت ، وعرف أبي الأمر فضربني أشد الضرب ؛ ولكنني ازددت قسوة وجبروتا ، سرقت المنزل فطردني أبي ، واعتبرني خائنا ، فجئت المدينة بما سرقت من أموال ، واختلست واحتلت ثم ندمت وتبت بعد أن سجنت بضع سنوات ، ولما خرجت بدأت حياتي من جديد ، فاشتغلت بالتجارة والبيع والشراء ، فكثرت أموالي ، وتعرفت على أخيك ثم زوجوني منك ، وكثرت الأموال ، وأصبحت من أغنى أغنياء المدينة ، نسيت أبي وأمي وأهلي ، المال غايتي ولا أشبع

منه ؛ وفجأة يظهر لي هذا الفتى ؛ ليأخذ أموالي بدون تعب وكد.. ويعيدني للقرية التي نسيتها وارتحت منها .. أيعقل هذا ؟ لا .. لا

فقالت أم جؤذر : وما فائدة المال وقد اختـفت جؤذر ؟ وستبقى حسرتها في قلبي ..أنت لا قلب لك يا فريد .. كنت تراوغ وتمكر..ستذهب أموالك للسلطان بعد موتنا إذا ماتت ابنتنا قبلنا.. أين ذهبت يا جؤذر ؟ .. أنا أحب سعادتك يا ابنتي .. فهمام شاب شجاع وشهم والـفقر ليس عيبا وهو من لحمك ودمك .. إن جؤذر تشك بإن لك يدا في جرح همام ، والله لو تتيقن من هذا لتبغضنك بغضا شديدا .

فعاد للصراخ والهياج فقال : ما أقسى كلامك أيتها المرأة ! أنت تعلمين كم أحبها ..وليس لي من الدنيا سواها ، وأنا رضيت بمنذر من أجل سعادتها ، فهو ثري وابن ثري .. قصور وأموال وعمه من قادة حرس السلطان.. كيف تعيش جؤذر مع الفلاحين والمرضى مع البراغيث والقمل؟!

فقالت : هارون ثري مثل منذر ولم تختره لها ؟

قال بحدة : هارون شاب جاهل لا يحسن تدبير نفسه ، وهو فقير بالنسبة لنا ، وهو يربطنا بأقاربنا الذين أجاهد لأنساهم ، ولولا الإحسان الذي كان يقدمه لي حمدان في السجن لـطردته شر طردة .

قالت الزوجة : كفاك أعذارا .. انهض من فراشك وابحث عنها .. أنا لا أستطيع الحياة بدونها أيها الرجل .

فقال : سيجدها همام سيجدها .

جاء الليل على قصر فريد ، ولم تعد جؤذر ، وقد خيم الحزن على المكان والخدم ، وارتسمت إمارات الأسف والحزن على الوجوه كلها ؛ فكأن السعادة رحلت عن القصر ؛ فكأن قمر المنزل رحل ولم يمر عليهم هذه الليلة ، وجاء همام طارقا البيت ليلا ، وفتح له البواب وهو يقول : هل وجدت سيدتي أيها السيد الكريم ؟

قال همام بحزن وأسف : أين سيدك ؟

فإذا بصوت قادم ومن خلفه أم جؤذر يقول : أين جؤذر يا همام ؟

فقال همام : ألم ترجع للبيت بعد ؟!

فقالت الأم بلوعة : همام ماذا تقول ؟! .. ألم تذهب خلفها .. ألم تجدها ؟

قال : لحقت بها ، وأدركتها في طريق المدينة فوعدتني أن تعود للبيت ، وتركتها في نصف الطريق وعدت للقرية ، وها أنا قادم منها لأرى جؤذر ألم تـعد بـعد ؟

قال فريد : لا ، لم نرها منذ خرجت .. همام ابحث عنها ، أشهد الله أني سأزوجك منها ، هي لك لا تحرمني منها يا همام .

ضحك همام قهقهة وقال بسخط : يا عماه! أنت حرمت نفسك منها .. أنت لا تشبع من المال تطمع أن تجمع مال العالمين ، وسوف أبحث عنها ؛ لأنها طيبة وتحب الخير .. آه يا عماه! لو رأيت الناس وهم يلهجون بالدعاء لها عندما قدمت لهم بعض الإحسان ، عندما تواضعت لهم وخاطبتهم بأدب وكلام حسن .. اذهب إلى القرية لتلمس محبة الناس لجؤذر .. مجرد حنوها عليهم في ساعة واحدة أحبوها ..سأبحث عنها ؛ لأنها تريدني أنا دون الناس ..سأبحث عنها ؛ لأن والديّ يحبانها كحبهم لي .. سأبحث عنها ؛ لأنها رضيت بي بعلا دون الآخرين وأنا على فراش الموت .. وداعا يا عماه .. إذا وجدتها سأرسل لك من يخبرك .

رجع للقرية فوجد ابنة عمه مع والديه ، فتعجب من مجيئها ، فقالت : لم تطاوعني نفسي ان اعود للبيت فتبعتك للقرية فقيل لي إنك عدت للمدينة فانتظرت .

فقال : جميل .. سنتزوج خلال أيام ايتها الحبيبة .. نحن خلقنا لبعض !



منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

جواهر القصص

جمال شاهين

همام وجؤذر

همام وجؤذر



قصص الزمردة
جلدالأسد
عمتي زاهرة
همام وجؤذر
سليم في الغابة المسحورة
نحيف وعريف
وسيم والأميرة المسحورة



سليم
في الغابة المسحورة

جمال شاهين



منشورات المكتبة الخاصة

جواهر القصص

الزمردة

٤

جمال شاهين

١٩٩٥

سليم في الغابة المسحورة

الفتى سليم

سليم فتى جميل وديع ، كان يحب والديه حبا كبيرا ، فهو عند كل غروب يقف أمام البيت مستقبلا والده العائد من عمله ، ذات حين هبط الظلام واحلولك ، ولم ير سليم أباه عائدا ، وطال الانتظار ، قلقت الأم ، بكى الأطفال وهم يصيحون : أين أبي ؟! أين أبي ؟!

ذرفت الأم الدموع بحرارة وخوف ، فهذه أول مرة منذ تزوجت محمودا يهبط عليها الليل ولا يكون محمود في البيت ، فهمست : ما الأمر ؟!

أمرت الأطفال بدخول البيت ، وأغلقت الباب عليهم ، وهي تقول لهم : يا أولادي يا أحبابي سأذهب إلى طرف الغابة أبحث عن أبيكم ..لا تبكوا ..لا تخرجوا من البيت ..انتظروني ريثما أعود بالخبر اليقين .

انطلقت الأم إلى طرف الغابة وغابت ساعات ، وعادت والدموع تملأ آماق عيناها ، وخيم الحزن على العائلة ، وفجأة تمالكت الأم نفسها ، فأطعمت غلمانها وأمرتهم بالنوم ، وهي تقول لهم : سوف يأتي أبوكم غدا ـ إن شاء الله ـ قد يكون تأخر مع بعض رفاقه ، ناموا أيها الأعزاء .

وكيف يأتيهم النوم ؟ وقد أدركوا أن أمرا قد حدث ، فهذه أول مرة يتأخر الأب ، ولا ينامون تحت رعايته منذ عرفوا الحياة ، الأم كلها قلق وتوتر ، الأفكار الموحشة تشرق بها وتغرب .. ما الذي أخرك يا محمود ؟! .. اللهم لطفك بنا في قضائك .. اللهم ارحم فتية صغارا.. اللهم ارزقنا الصبر ويسره لنا..يا كريم يا حليم ..

وهكذا قضت الليل وهي تناجي ربها ، وتفكر بالذي أخر بعلها ، ونام الأولاد بعد أن غلبهم سلطان النوم .

ومع شروق شعاع الشمس الأول استيقظت العائلة الصغيرة ، والكل على لسانه جملة " أين أبي ؟! "

عندما ارتفعت الشمس قال سليم : أماه ! ..أريد أن أبحث عن أبي .. لست صغيرا .. إنني أعرف الغابة جيدا ..كم مرة رافقت أبي إليها ائذني لي يا أمي ؟

وبعد تردد وجدل قصير ، قالت الأم : اذهب يا ولدي ..ولكن لا تتأخر علينا .. واعلم أننا في انتظارك .

خرج الفتى اليافع ذو الاثنتي عشرة سنة إلى الغابة ، وبعد ساعة من الزمان دخلها سأل الحطابين عن أبيه الحطاب محمود ، فقال له أحدهم متفاجأ : ألم يعد والدك للبيت يا سليم ليلة أمس ؟! لقد كان معنا نهار أمس .

بكى الفتى سليم وهو يرد على رفيق والده : لا يا عماه ! ..لم يعد ليلة أمس ، لقد بتنا بدونه يا عماه .

فقال حطاب آخر : يا قوم عندما غادرنا الغابة وقد حمل كل منا حمله تركناه يستريح عند شجرة الجوز العالية .. وظننا أنه سوف يتبعنا بعد أن تقدمناه بخطوات !

ومشوا جميعهم حيث شجرة الجوز في وسط الغابة ، حيث تركوا محمودا ، وجدوا قربة الماء التي كان يحملها محمود ، فصاح أحدهم : هذه قربته ! .. جلس يستريح هنا ويشرب الماء فسبقناه.. هذا كيس طعامه .. أما هو فأين هو ؟!.. أين ذهب؟! لا تبكي يا سليم كن رجلا .. الرجال لا يبكون بسهولة .. اصبر أيها الفتى سنبحث عن والدك .. فهو أخونا وصديقنا وجارنا

وأعطى أحدهم سليما درهما وأمره بالعودة للبيت لتطمئن أمه عليه ، وسوف يأتون إليهم ليطمئنوهم على أبيهم ، وشكرهم الفتى سليم وودعهم ورجع لأمه وإخوته وقص عليهم القصة ، فقالت الأم : أمر غريب ! .

وقالت لنفسها : هل تعرضت له الوحوش بعد ابتـعاد رفاقه عنه ؟! .. ولكنهم لم يجدوا بقايا جثته وثيابه .

وفي المساء مر عليهم بعض الحطابين وأكدوا لهم اختفاء محمود العجيب ، ولم يدع وراءه شيئا يخبر عنه سوى تركه لقربة الماء وكيس الطعام .

ودفع إليهم بعض الدراهم وحثهم على الصبر وهو يعدها ويقول : سنبحث عنه يا أم سليم ..

فأمر اختفائه غريب ..لا ندري ما حدث له ..كنا معا ، وجلس يستريح ويشرب الماء وتابعنا العودة ظننا أنه خلفنا .. والأمر بيد الله .



وقضت العائلة ليلة أخرى موحشة ، وفي صباح اليوم التالي قال سليم لأمه : أماه ! .. لن يهدأ لي بال حتى أعرف مصير أبي ، سأبحث عنه في الغابة شجرة شجرة وصخرة صخرة أرجوك يا أماه أن تشجعيني على هذا البحث .

قالت والدموع الغزيرة في عينيها : أخشى أن أخسرك أيضا .

قال : لا تخافي يا أمي .. فالأمر كله بيد الله .. لا مذاق للحياة دون أبي ..أو على الأقل معرفة مصيره وما جرى معه .. السلام عليكم .

احتضنته الأم بكل حنان وقالت : اذهب يا ولدي ، وابحث عن والدك الغالي ، وعد بأبيك كلنا فدى لأبيك يا بطل !

انطلق الفتى إلى الغابة يبحث عن أبيه حتى وصل إلى شجرة الجوز الخضراء الفارهة الظلال ، وجلس تحتها وهو يقول : أيتها الشجرة العظيمة .. لقد جلس أبي تحتك يشرب الماء..أين ذهب أبي ؟؟ ..كلميني يا شجرة الجوز !

فسمع الشجرة تقول : يا سليم ..أتريد أباك ؟؟ .. هل تحبه كثيرا ؟؟

فرد قائلا : وكيف لا أحب أبي يا شجرة الجوز ؟! ..أرشديني إليه ..لقد جلس يتفيأ تحت ظلك

قالت : أبوك يا سليم ذهب للغابة المسحورة .

قال : الغابة المسحورة !! .. أين هي ؟ وكيف الوصول إليها ؟؟!

فقالت الشجرة : أتريد أن تذهب إليها ؟ ألا تخاف أن تسحر فيها ؟!

فقال بحدة وتحد : كيف أخاف ؟ وقد سبقني أبي إليها ..وهل للحياة طعم بدون أبي يا شجرة الجوز ؟!

فقالت : والأيتام ..كيف تكون حياتهم يا سليم الشجاع ؟

قال : يتألمون ويحزنون ؛ ولكنهم بقضاء ربهم راضون ، فهؤلاء موقنون بموت آبائهم ، أما أنا فلا ..سأبحث عنه فإن مات فسأصبر وأرضى بأمر ربي وقدره ..ولكنك قلت أنه ذهب للغابة المسحورة ولم تقولي بموته .

قالت : أحسنت يا سليم !..سأرشدك للغابة المسحورة .

فقال سليم للشجرة : بارك الله فيك أيتها الجوزة العظيمة !

فقالت الجوزة : أيها الفتى الجميل..تسلق على جذعي واصعد حتى القمة واجلس ، وستمر عليك جوارح الطير ، يأتيك الغراب فيسألك ماذا تفعل هنا ؟ لا تجيبه الزم الصمت إياك والكلام معه ، وعندما يفارقك سيقول لك جملة فاحفظها جيدا وإياك أن تنساها ، ثم يأتي بعد ذلك عصفور صغير يلقي عليك السلام ، ويقول لك : ماذا تفعل هنا يا فلان ؟ .. اصمت لا ترد لا تتكلم ، وعندما يودعك سيقول لك هو الآخر جملة فاحفظها تنفعك في إنقاذ والدك .. ثم ترد عليك حمامة وديعة ترحب بك وتسألك لا تتكلم معها البتة واحفظ الجملة التي تودعك بها أيضا ..وبعد ذلك سيطول انتظارك يا سليم الشجاع فتحمل ، ولسوف يأتيك نسر ضخم لا تخف منه سيحاول دفعك فتشبث بالأغصان جيدا إياك والسقوط والخوف ، ثم يكلمك فاسمع ؛ فإذا قال لك اركب على ظهري ..لا تفعل ؛ فإذا قالها في الثالثة قل "على بركة الله " أريد أن أصل للغابة المسحورة ، واركب ولا تخف ، وعندما تصل إليها لا تهبط إلا على شجرة صفصاف يسكن عليها طير يقال له "سلطان " فسلم عليه ، فإن رحب بك ، فأمر النسر أن يتركك عنده وهو سيخدمك .. إلى اللقاء يا سليم الوديع .

صعد سليم إلى أعلى الشجرة ، وجلس على غصن قوي ، ولم يكد يلتقط أنفاسه حتى أقبلت نحوه أعدادا هائلة من الطيور حامت حوله عدة مرات ، ثم اختفت فجأة وعلى أثر اختفائها ظهر غراب أسود ورفرف فوقه ، ثم وقف على غصن قريب منه ، وهو يقول : يا أيها الفتى الجميل ! ..ماذا تفعل على هذا الغصن العالي ؟ .. لماذا رقيت لأعلى الشجرة ؟؟ ما اسمك يا فتى ؟ هل تبحث عن أبيك ؟

كاد سليم أن يقول نعم ، ففتح فاه ؛ ولكنه تذكر كلام الشجرة فأغلق فاه ، فقال الغراب : نعم إنك قادم تبحث عن أبيك ذلك الرجل .. وثرثر الغراب بضعة دقائق ثم طار وهو يقول : إلى اللقاء يا فتى " لا تأكل من شجرة التفاح " ، فرددها سليم في نفسه مرات حتى حفظها .وبينما هو مشغول فيها رفرف فوقه عصفور صغير أزرق اللون، وألقى عليه السلام ،ثم وقف على فنن قريب منه وهو يقول : مرحبا بالفتى الناضج .. مرحبا بمن أقبل يبحث عن أبيه .. أتبحث عن أبيك يا فتى ؟ .. هل هو مفقود حقا ؟ .. ما أروعك ! ما أشجعك ! لماذا أنت صامت ألا ترد على تحيتي ؟ هل أنت أخرس ؟ ..أعرض عليك صداقتي .. سليم ما أجمل هذا الاسم ! لابد أن أمك تبحث عنك لقد تأخرت عليها كثيرا .. اذهب إليها وأخبرها بما جرى لك ..طمئنها على روحك ثم عد .. اسمع نصيحتي .



ولكن الفتى سليم أصر على الصمت التزاما بنصائح شجرة الجوز ، فحين يأس الطائر طار في

الهواء وهو يهتف : إلى اللقاء يا سليم " لا تشم الوردة الزرقاء "



طفق سليم يرددها في نفسه ، وبينما هو مشغول بحفظها رفرفت حول الشجرة حمامة حمراء ، ثم ألقت التحية ووقفت على غصن قريب من سليم وقالت : يا مرحبا بالفتى سليم .. الفتى الذي يفتش عن أبيه .. سلام عليك



يا شجاع ؛ ولكن أمك المسكينة ما يدريها أنك تبحث عن أبيك على ظهر شجرة .. لقد قدمت للغابة تبحث عنك وتسأل الحطابين والصيادين وعلا صراخها وهي تنادي ..سليم ..سليم حتى أغشي عليها ، ونقلها الحطابون للبيت ..وأنت تجلس على قمة هذه الشجرة .. أين اختفى والدك ؟..قد يكون الحطابون قتلوه وأخفوا جثته .. هل فكرت في ذلك تفكيرا جيدا ؟؟.. وثرثرت حتى أصابها اليأس ، وتيقنت أنها لا تستطيع دفع سليم للرد عليها وفشلت ، فصاحت : الحق أنك ولد شجاع ومطيع وقد سمعت كلام الجوزة ونفذته بدقة شكرا لك .

وكاد سليم أن يشكرها ؛ ولكنه أطبق فمه قبل أن يهمس بكلمة واحدة ، وحاولت مرة أخرى ، ثم طارت وهي تقول : سوف نلتقي أيها الفتى في الغابة المسحورة " احذر أن تشرب العسل الأحمر فهو السم الناقع " وطارت في أعالي الفضاء حتى اختفت عن عيني سليم .



شرع الفتى سليم يسترجع كلمات الطيور الثالثة ، الغراب قال" لا تأكل من شجرة التفاح " والعصفور قال :" لا تشم الوردة الزرقاء " والحمامة قالت :" لا تشرب من العسل الأحمر فهو السم الناقع " ثم عقب قائلا لنفسه : إن شاء الله لن أنسى هذه النصائح من أجل أبي .

وعند المساء اقترب نسر هائل المنظر من الشجرة وخيم عليها ، فحجب الشمس بجسمه

وأجنحته عن سليم ، وشجع سليم نفسه وتشبث بالشجرة بقوة ، وقد حاول الطائر الجارح عدة مرات إسقاطه من قمة الشجرة ، فكان يضربه بجناحيه ، وقد مالت به الأغصان من ثقل النسر وهجماته ؛ ولكنه ثبت ثبات الأبطال ، وظل متعلقا بالشجرة ، فلما رأى النسر شجاعته وإصراره وقف على غصن وهو يقول : لقد نجحت أيها الفتى بالامتحان .. ووعيت كلام الجوزة ..هل أنت حزين لفقد أبيك ؟ مسكين أبوك لو تعلم ما حل به .. أكلته الطيور ..فقد أصبح في حواصل الطير ..عد لأمك وعزها في أبيك واعتن باخوتك ..دعك من الغابة المسحورة ..كلها أشرار..كلها أسحار .. هل تذهب معي يا سليم ؟..تكلم .. لماذا لا تجيب ؟! أأنت أبكم ؟..ماذا أستطيع أن أفعل لك ؟ ..قل كلمة واحدة .. هل ترغب بالذهاب للغابة المسحورة ؟..هل أكلت منذ دخلت هذه الغابة ؟.. لا لم تأكل .. حسنا سأجلب لك طعاما لأنك جائع ..لا .. الأحسن أن تركب على ظهري.. لا تريد .. لماذا يا فتى ..؟ اركب على ظهري لا تخف لن أغدر بك ..ألا تريد أن ترى أباك ؟.. إن أباك لم يمت ؛ إنما أسخر منك .. هيا اركب على ظهري .

فصاح الفتى : على بركة الله .. أريد أن أصل للغابة المسحورة سلطان

فخضع النسر العملاق له ، فاعتلاه سليم وحلق وطوق بذراعيه عنق النسر ، فطار النسر.. وطار في طبقات السماء ، ودار في الفضاء الطلق حتى هبط في الغابة المسحورة على شجرة جوز ، فطلب الطائر منه الهبوط ، فرفض سليم وقال : اهبط بي على شجرة الصفصاف التي يسكنها المدعو سلطان .

فقال النسر: يا صاحبي انزل ، واذهب إليها ، فأنت فتى شجاع ، ودع عنقي فقد آلمتني .

فقال سليم بقوة : لا أنزل إلا على تلك الشجرة .

فعاود النسر الطيران به ، ثم أنزله على صفصافة ؛ ولكنه لم يترك عنق الطائر حتى سأل طائر

الشجرة عن اسمه فرد : أنا لست بسلطان .

فذهب النسر إلى غيرها حتى دار به على عدة أشجار حتى نزل على واحدة من شجر الصفصاف فقال طائرها : أنا سلطان ..انزل على الرحب والسعة .

فحياه سليم ، وتخلى حينئذ عن عنق النسر الضخم الذي ارتفع في الهواء واختفى ، واقترب سليم من طائر شجرة الصفصاف الذي رحب به ، ولما أخبر باسمه ، قال الطائر سلطان : أنت سليم يا مرحبا يا مرحبا ..

لقد عانيت اليوم ، لابد أنك جائع.



وصفق بجناحيه فحضرت مجموعة من الطيور الصغيرة الجميلة الألوان ، فطلب منها طعاما لسليم ، ذهبت ثم عادت وهي تحمل صواني مصنوعة من الجواهر عليها أصناف من الفواكه المثيرة والمهيجة للشهية والروح ، فتناول سلطان تفاحة ، وقدمها لسليم قائلا : كل أيها الفتى الجميل إنها تفاحة طيبة فواحة العطر ذات اللون الحسن .. ابدأ بها .

فاعتذر سليم وهو يتذكر قول الغراب " لا تأكل من شجرة التفاح " ، وذاك يكلمه بأروع الكلام المسيل للعاب المحرك لغريزة الجوع وشهوة الطعام ، ويحثه على أكلها ولو بأن يقضم شيئا يسيرا ، وسليم يرفض بشدة ، فقال سلطان : كما تشاء يبدو أنك لا تحب التفاح .. خذ هذه الموزة .

وكان الطائر قد أعاد التفاحة للصينية وتناول موزة فأخذها منه سليم وأكلها وأكل ثانية ، فعاد سلطان يقول وهو يقدم له بعض التفاحة : كل نصف تفاحة .. هذا التفاح أحلى من العسل المصفى .

فقال سليم رافضا : لا أحبه يا عزيزي .

فقدم سلطان له خوخا ، فأكله ، وكلما يدفع له صنفا يحاول إغراءه بأكل التفاحة حتى شبع من أكل أصناف الفاكهة ، وأحضر له ماء زلالا فملأ جوفه منه ، فعندئذ قال سلطان : أهلا بك في الغابة المسحورة ..لقد نفذت نصائح الشجرة بدقة ، فاعلم أنني الآن في خدمتك أنت السيد وأنا الخادم .

فقال سليم : اعلم أنني بحاجة للنوم .

فقال الطائر : حسن .. اتبعني .

ونزلا عن أعالي الصفصافة ، وقاده إلى غرفة جميلة الرياش والمتاع ، مما يفتن النفس ، وعلى سرير من البلور ألقى سليم جسده المتعب، وكانت أرض الغرفة من الزجاج الذي يجري تحته الماء ، فقال الطائر : نم نوما هنيئا وهادئا ، وأنا حارسك الليلة أقف أمام باب الغرفة ؛ فإذا احتجت شيئا فاطلبني فأكون بين يديك على الفور .. فأنا خادمك المخلص .

كان سليم متعبا من جلوسه طول النهار على الشجرة ، ثم ركوبه متن النسر في طبقات الجو ، فما وضع نفسه على السرير حتى راح في سبات عميق .

على زقزقة العصافير وتغريد البلابل وتنفس الصبح نهض سليم من نومه العميق فتح عينيه وأدار رأسه يمينا وشمالا ، ثم رفع الغطاء الناعم عن جسده وجلس ، كانت غرفة ممتلئة بأريج الأزهار والورود ، نظر إلى جدول الماء الذي يسير من تحته ، ثم تذكر أنه في الغابة المسحورة ، فنادى على سلطان فأقبل على الفور وحياه تحية الصباح وقال : يا صاحبي أرغب بالحمام .

فقاده إليه واغتسل ولبس ثيابا موشاة بالذهب ، ثم فطن أنه قادم للبحث عن والده ، فطلب الإفطار ، ولما أحضرت المائدة ، قدم له سلطان كأسا من العسل الأحمر ، وهو يقول : اشرب من هذا العسل الطيب ، لا أظن أنك شربت منه في سنواتك الخالية .

فتناوله سليم وقربه من فيه ، ثم حدق النظر في عيني سلطان ، ثم أنزله عن فمه وقال : لا أحبه هات غيره .

لقد تذكر نصيحة الحمامة " احذر أن تشرب العسل الأحمر فهو السم الناقع" ، وأخذ سلطان

يذكره بحسنات العسل ولذته وحلاوته ، وأنه يزيد الجسد صحة ونضارة وشبابا ، فأصر سليم على الرفض ، وأكل من الأصناف الأخرى ، فلما حمد الله على الطعام والشراب سمع سلطان يقول : سليم .. ألا تريد أن تتفرج وتشاهد الغابة في هذا النهار الجميل ؟ تمتع بصرك بالأشجار والأزهار والوحوش ، ففيها من جميع أنواع العصافير والكناري والببغاوات والحمام بأزهى الألوان ، وهنا الطواويس والغربان والصقور والعقبان والنسانيس والقرود ، ما أجمل حدائق الأزهار ! الفل والياسمين والورود البيضاء والزرقاء والحمراء والنرجس والسوسن وشقائق النعمان .. دعني أريك هذه الأشياء حتى عندما تعود لوالدتك المسكينة تروي لها عن كل هذه الأشياء الجميلة عن الفهود والنمور والظباء أم أذهب بك للبحيرة لترى الأسماك ذات الصور المختلفة .

فعندئذ تكلم الفتى فقال: يا سلطان أنا لم آت لهنا للغابة المسحورة لأشاهد هذه الأشياء الحسنة كما تقول وهذا الجمال ، فأنا قدمت لحاجة مهمة ، حاجة واحدة أن أرى أبي .. أبي فقط .. أعرف مصير أبي .. هل سمعت يا خادمي الأمين ؟

فقال سلطان : معك حق .. اتبعني حتى أدلك على أبيك يا سيدي الشجاع .

مشى سلطان وخلفه سليم ، ولما اجتازا مئات الأمتار التفت سلطان لسليم وقال : سنذهب إلى قصر ملك الغابة ، فهو الذي سيرشدك ويدلك على مكان أبيك .

وبينما هم سائرون مروا من حديقة مليئة بالورود ذات الأشكال والألوان والروائح ، فقطف سلطان وردة زرقاء من حوض الورد الأزرق ، وقال ببساطة وطيبة : سليم انظر إلى هذه الوردة الجميلة .. أمسك بها واستنشق أريجها ..آه .. ما أحسنه وألذه !

رسم سليم ابتسامة على وجهه وأخذ الوردة وقال : آه يا سيدي .. لقد أوصاني العصفور الأزرق ألا أشم من الورد الأزرق ..فلن أشمها أبدا ..هل تسمع ؟ وألقى بها بعيدا.

فتوقف سلطان عن المشي وقال : إنك فتى فطن وصبور أتريد الوصول لأبيك ؟ .. تعال اسمع حكاية والدك.. تعال نجلس تحت هذه الشجرة إنها زيتونة مباركة .

فلما جلسا بجوارها قال سلطان: سليم.. انظر إلى هذا الدرج المرتفع أمامنا

فقال سليم : نعم

فقال سلطان : على رأسه مدخل قصر ملك الغابة ساحر هذا الغابة .. انظر إلى الباب جيدا .. هناك على مدخله فاران كبيران ..هل رأيتهما ؟



فأشار سليم برأسه أن "نعم" ، فقال سلطان متابعا : أنا هنا آخر المطاف بي ، لا أتحرك إلى الدرج ألبته ، فعليك أن تنتظر وتراقب حتى ينصرف الفاران ، ويحضر الغرابان أحدهما أسود والآخر أبيض ، لا تنسى ذلك ، فإذا حضرا فاصعد الدرج ولا تكلمهما بكلمة واحدة فإن سألاك شيئا فقل " سلطان " فقط ، وادخل ولا تخف .. امش خمسين خطوة للأمام فسيقابلك بابا ضخما فاطرقه ثلاث مرات ، لا تزيد ولا تقل ، فسيطل عليك أحد الحراس ؛ فإن وجدت في الحراسة الحمامة الحمراء التي رأيتها على الجوزة فاستأذن بالدخول ، وأما إن كان الغراب أو النسر فلا تدخل يا صاحبي ، وإذا شجعاك على الدخول فلا تفعل ؛ لأن سيد الغابة يكون مستيقظا ، وأما إن كانت الحمامة أو العصفور الأزرق فيكون سيد الغابة نائما فيمكنك الدخول بلا خوف ، ولما تدخل من الباب قل لها : ما كلمة السر لدخول قصر السلطان ملك الغابة ؟ فاحفظه جيدا ، وعندما تصبح داخل القصر سوف ترى حشرات وأفاعي وعقارب ونملا وعناكب لم تر لها مثيلا ، فهي بأعداد هائلة لا ترتعب منها ، وظل ماشيا ، ولا تتكلم مع أحد قد يعترضك طيور أو وحوش .. الزم الصمت وابحث عن غرفة ملك الغابة ، ولسوف تجد على بابها أسدين هائلين مرعبين ، فقل لهما كلمة السر فقط ، ولا تتحدث معهما غيرها ، ولا تسمع لهما ، فلما يفتحا الباب ادخل فستجد ملك الغابة نائما ، فانزع عن رأسه الريشة الحمراء وعلقها في الباب ، انزعها بسرعة ولا تعدها له ، فسوف يستيقظ ويصرخ فيك .. لا تخف ، فإذا قال لك اعطني ريشتي وأعطيك ما تشاء لا تطعه ، اطلب منه أن يترك سريره ، وأن يذهب ليأخذ الريشة بنفسه ؛ فإذا فعل ذلك ، فارفع وسادته بسرعة وستجد تحتها صندوقا أخضر صغيرا ، فاخطفه بسرعة قبل أن يضع الريشة

على رأسه ، وافتحه فسترى فيه عصفورا صغيرا ، فاقبض عليه جيدا ، فهذه هي روح ملك الغابة المسحورة ، فاطلب منه حينئذ أن يعيد أباك والناس الذين سحرهم إلى ما كانوا عليه ، فإذا فعل فاقتل العصفور فورا وابحث عن أبيك بين الخلق ، ولن تجدني بالطبع بعد ذلك ، فها أنا قد كشفت لك السر ، لا تنسى كل ما حدثتك به يا سليم ، إنقاذ هؤلاء الناس اليوم برقبتك كثير من الناس وصلوا إلى هنا ؛ ولكنهم فشلوا ، فمنهم من أكل من التفاح ومنهم شرب العسل الأحمر ومنهم من شم الوردة الزرقاء ، ومنهم من دخل والجرذ على الباب ، ومنهم من اجتاز ذلك ونسي كلمة السر عندما رأى السباع ، ومنهم من ضعف في غرفة الساحر ..ملك الغابة .

فقال سليم بكل ثقة وقوة : إن شاء الله تعالى سأنتصر على هذا الساحر .. قل لي كيف سقط أبي في فخ الساحر وكيف أتى هذا المكان ؟!

قال سلطان : سأرويها لك لتزداد قوة وحماسة يا سيدي الشجاع .. جلس أبوك كما ذكر لك الحطابون تحت شجرة الجوز العملاقة ليستريح ويشرب قليلا من الماء ، فكلمته الشجرة كما فعلت معك ، ففرح وحفظ تعليماتها وصعد لأعلى الشجرة فمر عليه الغراب والعصفور والحمامة ثم النسر حتى وصلني كما وصلت أنت ، ثم أكل وشرب ونام ، وكان مما أكل التفاح المسحور ، فأخبر هذا التفاح الساحر بدخوله الغابة فحضر جنود ملك الغابة أثناء نومه وأخذوه للساحر ، وهناك سحره الساحر قد يكون أفعى أو عقربا أو ضفدعا لا أدري ، فعندما يسقط المغامر أو زائر الغابة لا نعلم ما يحوله الساحر .. وداعا يا سليم انتبه حتى تأتي الغربان أحدها أبيض والآخر أسود .. وداعا يا صاحبي .

ابتعد الطائر سلطان وترك سليم لقدره ، وتابع الفتى التحديق والنظر إلى أعلى الدرج ، فعند الظهيرة انصرف الجرذان الكبيران وحل مكانهما غرابان أبيضان ، وقضى سليم ليلته تحت شجرة الزيتون ، وقد أحس بالجوع فصبر عليه حتى أصبح الصباح ، ولما نظر أعلى الدرج رأى الفارين عادا من جديد ، فبحث في البستان عن طعام فوجد ألوانا من الفواكه فأكل منها حتى برد جوعه ، وعاد إلى الزيتونة يراقب الباب وعند الظهيرة حضر غرابان أحدهما أبيض والآخر أسود ففرح الفتى ، واستعد للمعركة الحاسمة ، فصعد الدرج رويدا رويدا ، فلما شاهده الغرابان صاحا به ونهراه عن الدخول ؛ ولكنه هتف : سلطان .

ودخل وتابع مسيره ماشيا على ممر ذي رخام ثمين ، محلى برسوم الشجر والطير والزهر حتى وصل لباب ضخم الذي ذكره له سلطان ، فطرقه ثلاث مرات ، فطل عليه غراب ، فلم يكلمه فأغلق الغراب الباب وصبر الفتى ساعة ثم طرقه ثلاثا ، فطل عليه النسر ، فلم يكلمه ، فقال النسر : أهلا بسليم ..أتذكر لما التقينا عند شجرة الجوز ؟ يا مرحبا بك وصلت إلى هنا أتحب أن تدخل ؟ .. ادخل ولا تتردد ..ماذا حدث معك ؟؟.. أرأيت أباك ؟ آه .. أنت فتى لا يحب الكلام حسنا .

وأغلق الباب بغضب ، فصبر سليم ساعة أخرى وطرق الباب ثلاثا ، ففتح له العصفور الأزرق فدخل مسرعا وهو يقول : ما كلمة السر يا عصفوري الجميل لدخول حجرة ملك الغابة .

فهمس العصفور الأزرق قائلا : القمر يا قمر .

فحفظها سليم ، وتقدم إلى حجرات القصر يبحث عن الأسدين ، وأثناء بحثه شاهد الأفاعي والعقارب والعناكب ، فكان يقول في نفسه : هؤلاء كلهم أناس مسحورون سحرهم الساحر اللعين لا لشيء إلا لحبه الظلم والعدوان .. إلا لغروره وتكبره ، فإنه يسحرهم حشرات وثعابين لا لشيء إلا لحقده على البشر والخير .. من هو يا ترى أبي بينهم ؟

فسلم عليه عصفور فلم يرد ، واعترضته حية فلم يكلمها ، وتابع سيره ، ووقف على رأسه

صقر فلم يجفل منه ، قفزت أمامه ضفدعة فتجنبها ، وظل يسير ويبتعد عما يقع في طريقه ، ولم يحفل بصراخ هذه الحيوانات والحشرات ، وصعد على الدور الثاني يبحث عن حجرة ملك الغابة فوجد الأسدين بهيئتهما المرعبة يربضان أمام إحدى الحجرات ، فزمجرا عليه فلم يخف منهما وذكر لهما كلمة السر " القمر يا قمر " فصمتا لحظات عصيبة ، وقال أحدهما : ماذا تطلب من الملك الساحر ؟ نحن في خدمتك ..هل نوقظه لك ؟ ..كيف وصلت إلى هنا أيها الإنسان ؟

لزم سليم الصمت ، وفتحا له الباب فزلف سليم لداخل الغرفة ، فإذا هي غرفة واسعة عالية السقف ، ينام في أحد أركانها ملك الغابة على سرير من الذهب والياقوت ، ويتدثر بفراش من الديباج والحرير الموشى بالخيوط الذهبية ، وشخيره يملأ الغرفة رعبا ، فأسرع الفتى الشجاع نحو سرير ملك الغابة ، وشاهد رأسه الكبير وقد غرز فيه ريشة حمراء ، فنزعها بقوة وعجلة وجرى نحو الباب وعلقها بالباب ، وأثناء ذلك سمع صراخا مرعبا جلجل في المكان ، وصياحا يقذف الرعب في قلوب الرجال ، وزمجرة شديدة من الأسود ، وهي تحاول فتح الباب واعتدل الرجل الوحش جالسا على سريره ، وجهه على هيئة وجه بومة مخيفة ، وعيناه كالجمر تقدحان نارا ، وهو يصيح : ريشتي ريشتي ..من أنت ؟ .. ماذا تفعل أيها الغلام في حجرتي ؟!.. بل كيف دخلت إلى هنا ؟ نجوت من كل الأسحار والعقبات التي وضعتها في الطريق ويحك .. ماذا تريد مني ؟ اعطني ريشتي وخذ ما شئت من أموال وأشياء .

فقال سليم : خذها يا سيدي الملك ..إنها معلقة بالباب ..لا أستطيع مسها لقد آلمتني عندما نزعتها من رأسك الكبير .

فصاح الرجل : يا غلام إنني متعب ضعيف سقيم هاتها سأعطيك الدنيا

رد سليم : لا أستطيع لمسها مرة ثانية .

وتحول الرجل إلى بومة كاملة وطار إليها ، فقفز سليم بسرعة إلى مخدة الساحر ، ومن تحت الوسادة أخرج الصندوق الأخضر ، وفتحه وقبض على العصفور الذي بداخله ، وهو يقول بصرامة وتحد : الآن سيطرت عليك أيها الساحر .. أين أبي محمود ؟؟



ولما غرز الرجل الريشة في رأسه ، كان سليم يقبض على روحه ، فارتجف الساحر ، وقال بصوت ناعم : يا بني أتريد أباك ؟

فقال سليم : أجل ، وليس أبي وحده ، أريد أن تعيد كل هؤلاء المسحورين إلى هيئاتهم الحقيقية .

فقال الرجل البوم : وإن فعلت أتعيد إليّ روحي ؟

فقال سليم : أفعل .

فقال الرجل : أعدك أن أعيدهم لحياتهم الطبيعية إن أعطيتني روحي ، ولن أغدر بك.

قال سليم متحديا: لا أثق بك وبكلامك .. فأنت ساحر مكار ظالم .. عندما أرى الناس قد رجعوا لصورهم الحقيقية أرد لك روحك .

قال الساحر : أخشى غدرك ومكرك .

وقال سليم : وأنا أخشى غدرك ..

وضغط على عنق الطير قليلا فصاح الساحر : قتلتني ويحك لا تضغط .

قال سليم : نفذ الأمر ، عندما أرى الناس أدفع إليك روحك الخبيثة .

فقال الساحر: وإن لم أفعل .

فضغط سليم على عنقه مرة أخرى ، فصاح البوم : إنك تؤلمني وتقتلني لا تضغط على روحي أرد لك أباك ، وأعطيك هذه الغابة وأعطيك من الذهب ما يغنيك الدهر كله

فضغط سليم بشدة أكثر وازدادت حشرجة البوم وقال: ارحم يا فتى واعف.

ابتسم سليم وهو يرى اهتزاز الساحر وارتجافه وقال : ولكنك لم تعف عن هؤلاء المساكين الذين زلت بهم القدم ، ودخلوا غابتك ، لم تغفر لهم .. هيا ارجعهم إلى صورهم التي خلقهم الله عليها .

حام البوم عدة مرات ثم وقف وقال : سليم ..أرد لك أباك اطعني ولو مرة واحدة .

صاح سليم : أيها البوم الوحش إنك تماطل .. نفذ صبري.

فرد البوم مظهرا عدم المبالاة : اقتلني أنت بحاجتي .. لن أطيعك .. أموت ولن تفك سحر هؤلاء ويبقى أبوك مسحورا .

أجابه سليم : الله الذي ساعدني على الانتـصار عليك ، سوف يساعدني على فك سحر هؤلاء أيها الظالم الخبيث .

فعاد البوم مساوما يقول: ألا تغدر بي ؟..عاهدني ألا تقتلني إذا رددتهم لحياتهم الطبيعية .

قال سليم : أعاهدك على ذلك .

فقال البوم مستسلما : أنت عاهدتني أيها الصديق .. سأردهم كما تريد ، وإذا وفيت لي بالعهد سأغنيك غناء إلى أبد الآبدين .

رد سليم : لقد طال الحوار بينا ، أعد الناس إلى صورهم الإنسية ودعنا ننصرف بسلام.. ماذا سحرت أبي أيها الساحر .. بل أين أبي الآن ؟

قال الساحر : سحرته ذبابة كبيرة ، فاقبل اعتذاري أيها الفتى ، هو الذي اقتحم عليّ مملكتي ، وأكل من تفاحي الخاص .

وفتح البوم الباب ثم نادى الأسد قائلا : اذهب إلى حظيرة الذباب فهناك ذبابة صفراء فأتت بها .

رجع الأسد وعلى مقلته ذبابة صفراء ، فلما دخلت الغرفة طارت على رأس سليم وهي تطن طنينا عجيبا ، فقال سليم صارخا : هذا ما فعلته بأبي يا ظالم .. عجل بفك سحره .

فقال البوم : تنـفذ وتفي بالعهد .

رد سليم : أنا عند عهدي.

صاح البوم بغضب وهو ينزع الريشة الحمراء عن رأسه : سأفعل . . سأغامر .

وأخذ ينتف الريشة ريشة ريشة ، وهو يقول : يا أفاعي عودي بشرا .. وكلما يقطع ريشة يقول : يا عناكب عودي بشرا .. يا طيور عودي بشرا يا وحوش ويا طيور عودي لغاباتك ويا وحوش

عودي لمواطنك .. يا .. يا .. يا ذباب عد بشرا.

فتحولت الذبابة الصفراء إلى بشر إلى محمود والد سليم ، واحتضن ولده وهو يبكي : ولدي سليم ! .. يا حبيبي .

فصاح البوم : هات روحي يا فتى .. ها هو أبوك أمامك .. لم يبق أحد مسحورا من إنس أو طير أو حيوان أو شجر ، فاسمع ضجيج الناس وصراخهم وفرح الطيور وزعيق الوحوش دع لي حريتي .

فقال سليم : أبي! هل أرد له روحه ؟

قال الأب : لا تفعل يا ولدي ، سيغدر بنا ، من جُبل على الغدر واللؤم لا يمكن أن ينصلح ويعود انسانا سويا صالحا .

فقال البوم : العهد يا سليم !

فقال الوالد محذرا لولده من الضعف : لا عهد لمجرم .. تخلص منه .. أو دعني أقتله أنا جزاء ما فعل بي .. سحرني اللعين حشرة !

صاح البوم : العهد يا سليم أين قسمك وعهدك ؟

صرخ محمود : من الضعف الوفاء لك بعهد .. الساحر والظالم لا أمان له .. هات يا ولدي .

فتباكى البوم وهو يرى روحه تكاد تنتقل إلى والد سليم ؛ ولكنّ سليما تذكر فجأة قول سلطان اقتله .

فقال : لا يا أبي ..تذكرت قول سلطان اقتله .. لن يموت إلا على يديّ .

فصاح البوم : ويلاه هلكت !! .. ليتك دفعتني لأبيك لنجوت وأهلكتكم جميعا ..إنك غلام ذكي وفطن !..فاعلم أن موتي على يديك فاقتلني الآن .

فضغط الفتى على عنق الطائر الصغير ، ثم قطعه ، فرأى سليم وأبوه أن البومة قد انقطعت من العنق ، ثم خرج سليم من غرفة الساحر ووراءه والده ، وهو يصيح : أيها الناس أنتم أحرار ! لقد هلك الساحر ..مات الساحر .. مات ساحر الغابة !

غردي بحرية أيتها الأطيار

افرحوا أيها الناس بالحرية

هكذا مصير الظالمين

هيا يا أبي نعود لأمي ..أمي التي تمزق فؤادها علينا .. لا نعلم ما حل بها لفراقنا .

فتقدم منهما جوادان فقالا : اركبا لنوصلكما لبلادكما جزاء إنقاذكما لنا من خدمة هذا الساحر القاسي القلب .. هذا البوم الظالم .

فركب سليم جوادا ووالده الجواد الآخر ، وإلى بلادهما انطلقا ، والفرح يملأ صدريهما ، والشوق يتدفق من قلبيهما .

تمت بحمد الله تعالى

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

جواهر القصص

جمال شاهين

سليم في الغابة المسحورة

سليم في الغابة المسحورة





نحيف وعريف



جمال شاهين



جواهر القصص

الزمردة

٥

جمال شاهين

١٩٩٥

نحيف وعريف

الرفيقان

كان يا ما كان في قديم الزمان شاب في الثلاثين من عمره ينادى بـ " عريف"، وقد ضاقت به الدنيا بما رحبت في موطنه ، فنصحه أحد الناس بالسفر و الرحيل ؛ لـعل الأحوال تتحسن وتتحقق الآمال والأحلام ، فشد زوادة في كيسه وعلقه على كتـفه ، وخرج من البلد غير آسف على شئ .

وانطلق يقطع الجبال والوديان حتى أشرف على طرف مدينة من مدن ذلك الزمان ، فاختار شجرة وجلس تحتها ليستريح من التعب والإرهاق ، ثم أخرج الطعام من كيسه وبدأ الأكل ، وبينما هو في هذا الحال سمع أصواتا مختلفة .. أصوات خيل .. بغال .. جمال ورجال ، ورأى غبارا يرتفع إلى عنان السماء ، فأعاد الطعام والماء لكيسه ، وتسلق الشجرة على الفور كما تفعل الفهود ، واختبأ بين أوراقها الكثيفة ينظر ويراقب فشاهد فرسانا وخيولا تقترب منه ، فأدرك أنه جيش يتحرك إلى هدف ما ، فقبع بين الأغصان وأمسك أنفاسه ، فقد خشي أن يروه فيصنعوا به العجاب إن لم يفتكوا به ، فكمش وأخذ يتابع حركة الجيش الزاحف ، فرأى الخيالة تحيط بعربة تجرها الخيول الشهباء ، ثم شاهد المشاة وهم يحملون الرماح الطويلة ، ورأى الخدم وحملة الخيام والطعام ، ومر الجيش من منطقته بسلام ؛ ولكنه لاحظ في آخر الحملة العسكرية رجلا يمشي وحده ، وقد تظاهر هذا الرجل المتخلف بأن نعله قد تعطل وأصابه عطب فجلس يعدله ويصلحه ، ثم شاهده يتوارى خلف إحدى الصخور ، فأدرك عريف أنه يحاول الهرب والتخلص من هذه الحملة ، فانشغل بمتابعته ، وعندما ابتعد الجيش تيقن له أن الرجل قد نجا ورآه يهرب نحو الجبال فتابعه ببصره ، فشاهده يختفي في كهف من كهوف الجبال .

فصمم عريف أن يلحق به ويعرف سره وسر هذا الجيش ، فهبط الشجرة وتسلق الجبل إليه ، ولما اقترب من المغارة المختفي فيها الرجل تلفت فيها فلم يجد أحدا ، فأدرك أن الرجل أحس به وخبأ نفسه فصاح عريف : يا هذا أنا صديق .. أخرج لا تخف ، لقد رأيتك وأنت تهرب من هؤلاء القوم أنا صاحب لست جنديا.



فخرج الرجل من جوف الكهف وهو يقول: أمان أمان .. من أنت؟

فقال عريف وهو يجلس على أرض الغار : أنا عريف ، رجل ضاقت به الدنيا والأحوال ٠٠ فخرج من بلده باحثا عن سعة في الرزق في أرض الله الواسعة ٠٠ وأنت يا أخي ما قصتك ؟

فقال الرجل : يا عريف كيف عرفت أنني هارب من هذا الجيش ؟!

فحكى عريف له الحكاية فابتسم نحيف ؛ وكأنه اطمأن للرجل قال: سأقبل صداقتك يا عريف واعلم أن أمي سمتني نحيفا ٠٠ فأنت عريف وأنا نحيف اسمان جميلان ، لعل الله يجمل أيامنا أيها الصديق ، وأما قصتي فهي تتلخص فيما أقول ٠٠ أنا رجل قليل العمل ٠٠ أعمل يوما عند فلان وآخر عند فلان ٠٠ لا زوجة ولا ولد ولكن لي أم عجوز ٠٠ ولبلدنا أمير جبار ذو قوة واقتدار ؛ ولكنه ظالم لا يخشى الرحمن ، يعتدي على جيرانه ، ويأخذ منهم الأموال ، لا صديق له إلا المال ..وقد خطب فتاة لابنه من أحد الأمراء ، فأبى والدها ، فغضب أميرنا ، وصمم على غزو بلاد ذلك الأمير الرافض ، فجهز هذا الجيش من الفرسان والمشاة ٠٠ ومن عادة أميرنا وسادة البلاد عندما يجردون حملة للغزو والنهب أن يلملوا الشباب من الأسواق ويأخذوهم غصبا عنهم لخدمة الحملة ٠٠ ومن سوء حظي أنني كنت في السوق ذلك اليوم فحملوني إلى معسكر الجيش ، ودونوا اسمي في دفتر الحملة ، وأمروني بالاستعداد لمرافقة الحملة والجيش المحارب ، ولو تخلفت ورفضت يقتلونني على الفور ، فوضعت خطة للهرب أثناء خروج الجيش من البلد ٠٠ فإن فقدوني في الطريق أصبح محكوما عليّ بالموت ، وإن لم ينتبهوا لفراري واشتبكوا مع جنود الأمير الرافض وحدث بينهم قتل فسوف يعتبرونني قتيلا وبطلا ٠٠ فهذا ما جرى معي أيها الصديق ، واعلم أنني في كلتا الحالتين لا أستطيع العودة لمدينتي ٠٠ولست آسفا على ذلك ، إنما الذي يحز في النفس يا صاحبي هو تركي لأمي العجوز .. ولكن أمي لا

تحب لي الموت والقتل في خدمة هؤلاء اللئام ، والموت في معركة لا ناقة لي فيها ولا جمل كما يقول المثل ٠٠ فالهرب هو الحل الأمثل ٠٠ أليس قولي حقا يا صاحبي ؟

فقال عريف : معك حق .. إذن لنتصاحب وندور في الأرض سوية ؛ لعل الله يهيئ لنا رزقا حسنا .

وتعاهد الرجلان على الصداقة والاخوة والوفاء ، وأخرج عريف الطعام من كيسه وبدآ يأكلان وبينما هما يمضغان الطعام والسرور مرتسم على وجهيهما سمعا سائلا يقول : من ؟! إنني أرى في كهفي ضيوفا ٠٠ من أنتم ؟!

التفتا إلى حيث الصوت ، فشاهدا رجلا قصيرا ؛ كأنه قزم بل هو قزم ففزعا منه ثم قال عريف : غريبان مارّان يا صاحب الكهف ٠

فقال القزم : ما أمركما ؟ واصدقاني الحديث .

فروى كل منهما حاله للقزم الذي قال بعدما سمع كل شيء : حسنا أيها الضيفان العزيزان !٠٠ امضيا ليلتكما هذه في كهفي ٠٠ وغدا ـ إن شاء الله ـ سأكرمكما جزاء لجوءكما إلى كهفي كهف الأمان والسعادة واحذرا من إزعاجي الليلة ٠٠ ولسوف أيسر لكما سبيل السعادة فأنا رجل الخير والأحلام .

وتركهما وانصرف في جوف الكهف واختفى ، فأصابهما القلق والتوتر ، وفكرا بالهرب ؛ ولكنهما تذكرا كلمات القزم المطمئنة ، فشجعا أنفسهما على الصبر والانتظار إلى صباح الغد وهذا ما كان ولما استيقظا من نومهما وجدا أمامهما مائدة عليها من أطايب الطعام والشراب ، ووجدا القزم جالسا وهو يبتسم لهما ، فأشار لهما بالأكل فطلبوا منه أن يشاركهم فأبى وقال : أنتم ضيوفي تمتعوا بهذه الطيبات ٠٠واشكروا الرب عليها .

ولما شبعا وامتلأت بطونهما ، فشكرا الرجل القصير وأثنيا عليه الثناء الحسن ، فقال لهما : لقد حللتم ضيوفا عليّ ٠٠ فوجب إكرامكما أيها الصديقان ٠٠ فبما أنكما تعاهدتما على الصداقة كما سمعت منكما أمس ٠٠ سأعطيكما هدية

تنتـفعان بها معا ؛ فإذا فسدت صداقتكما فسدت فوائد هديتي لكما .

ثم شاهدا القزم يخرج من وسطه كيسين أحدهما أحمر اللون ، والثاني أصفر اللون ، وفتح القزم الكيس الأحمر فأخرج من جوفه كرة صغيرة من الجلد حمراء مثقوبة من جهة واحدة ، فملئها بالماء فانتفخت فأصبحت بحجم بيضة الدجاجة ثم ضغط عليها فأفرغت الماء ووضعها في الكيس الأحمر وقال : هذه البيضة الحمراء لك يا عريف .

ودفعها ليد عريف الممدودة إليه ، ثم أخرج من الكيس الأصفر كرة أخرى صفراء مثقوبة فملئها بالماء حتى انتفخت وأصبحت مثل بيضة الدجاجة ، ثم أفرغها من الماء وأعادها لكيسها الأصفر وقال : هذه لك يا سيد نحيف .. خذها .

فتناول نحيف الكيس الأصفر من يد القزم ، ثم قال القزم : أيها الصديقان هاتان البيضتان الحمراء والصفراء متى دخلهما الماء ثم أفرغ منهما معا في إناء واحد أصبح دواء ؛ فإذا شربه إنسان مريض مرضا صعبا أو حتى حيوان أو نبات وقد عجز الأطباء والحكماء وأهل الخبرة عن مداواته تعافى بإذن الله ، ماء البيضتين الحمراء والصفراء معا هو الدواء ، واحدة وحدها لا تشفي العليل ٠٠ فعندما تجدان في تنقلكما بين المدن والقرى مريضا عجز عن علاجه الأطباء وتعسر أهل الدواء عن وصف دواء له تملئا البيضتين بالماء ثم أفرغا الماء منهما في وعاء وأسقياه للمريض فيبرأ بمشيئة الله ، فمن كان غنيا فخذا منه مالا ، ومن كان فقيرا فسامحاه ، وذلك صدقة عنكما ٠٠ فهذه هي هديتي لكما وأرجو أن تظلا شريكين واحذرا الطمع والغدر بينكما وحافظا على البيضتين واحذرا اللصوص والطامعين ٠٠ حافظوا على الهدية ولسوف تغنيان وانصرفا الآن ولا تعودا لهذا المكان البتة ، فأنتما الآن من أمهر الأطباء في الدنيا فحافظا على كنزكما ، وإذا التقينا ثانية سأسترد هديتي منكما .

فقاما وقبلا أيدي القزم ، وغادروا الكهف مسرورين ، يحلمان بالثروة والغنى ، ولما ابتعدا عن الكهف قليلا نظرا إليه فلم يجداه ؛ كأن الأرض انشقت وابتلعته ، فقال عريف : ما تقول بما سمعنا من هذا السيد العجيب ؟! ٠٠ هل صدق بما قال عن فوائد البيضتين السحريتين أم

خدعنا ليتخلص منا ؟؟

ابتسم نحيف وقال : ويحك يا عريف! بل نحن كنا خائفين منه٠٠ ألم تر أنه يأتي فجأة ويختفي فجأة في ظلمات الكهف ؟ فمهمتنا الآن أن نبحث عن مريض ذي مرض شديد ونسقه من ماء البيضتين ، ونرى ما يصيبه بعد ذلك من الشفاء والصحة ؛ لنتأكد مما قاله



القزم ؛ فإن شفي نبدأ بالمداواة في المدن والممالك الكبيرة ٠٠ ثم نبني لنا قصرا كبيرا فريدا من نوعه ، ثم نتزوج يا عريف من فتاتين جميلتين من بنات حواء ٠٠ونعيش سعداء بما معنا من المال ٠

فقال عريف : يا إلهي معك حق أيها الرفيق !٠٠ فلنتعاهد من جديد على الصداقة والوفاء والإخلاص لبعضنا ٠٠ آه ! ! لو صدق القزم فيما قاله عن فوائد البيضتين ، قد نصير من السادة مثل الأمراء والملوك ٠٠ لا نبني قصرا واحدا بل قصورا ٠٠ونتزوج أجمل النساء ٠٠ ونملك الجواري والغلمان ٠٠ ونصبح مثل السادة الكبار أصحاب الجنان والرياض ٠٠يا صديقي يا نحيف ٠٠هل يحق للفقراء مثلنا أن يحلموا ويسعدوا بمثل هذه الأحلام ؟!

قال نحيف : علينا يا صديقي الطيب عندما نصل إلى إحدى المدن أن نشترى جرابين كأجربة العشابين والحكماء ؛ لنبدو أمام الناس ؛ كأننا من أبناء صنعة الطب ، ومن ثم نسير بين القرى والمدن نبحث عن المرضى ونداويهم ، ونكسب منهم الأموال لنحقق أحلامنا المتواضعة في هذه الدنيا ٠

فقال عريف فرحا حالما : يبدو أن الدنيا بدأت تصفو لنا أيها الصديق الرفيق ، فعلينا أن نحسن الشكر لله مولانا العظيم !



واستمرا يحلمان وهما يقطعان الجبال والوديان حتى هبطوا على إحدى القرى الصغيرة ، وطلبا الضيافة من أهل القرية ؛ فلم يرحبوا بهما ، ولم يقبل ضيافتهما سوى فتى صغير ، فقال لهما بحزن : أيها الضيفان أنا أرحب بكما ، وسيسر والديّ بروءيتكما .

فضحك أهل القرية من نخوة وكرم الفتى ، وقال أحد الناس ساخرا : حزنون الفقير الذي ليس عنده قوت يومه يستضيف الغريبين يا للكارثة يا للمصيبة !

فأخذ القوم بالضحك والسخرية من الفتى حزنون فقال عريف بصوت عال : لقد قبلنا ضيافتك أيها الغلام الكريم الشهم .

وقادهما حزنون أمام سخرية الجميع إلى بيته الصغير ، وتبعاه وهما متئلمان لبخل أهل هذه القرية ، وأثناء المسير قال لهما حزنون : لا تغضبوا أيها الضيفان من أهل قريتي ، فهم قوم لئام لا يحبون الضيف .. يبخلون عليه ببيضة دجاجة يطعمونه إياها ، وأنا أقول ذلك عنهم وكلي ألم لشحهم وبخلهم ، ولسوف يسر أبي بكم ..فأبي رجل طيب يحب الخير والعمل الصالح ، وهو يحب إكرام الضيف والغريب ، ولا يبخل عليه بشيء من نفسه وماله ، ومثله أمي الصابرة ، لقد سقط أبي ذات يوم عن إحدى الأشجار العالية فكسر عموده الفقري فأصبح عاجزا مشلولا عن العمل ، فأقوم أنا ابن العشر سنوات على إعالته بتأجير نفسي لهؤلاء اللئام ، وتخدم أمي في البيوت حتى لا نمد أيدينا لهم ، وهكذا ندبر أمورنا فدعوتكم على الميسور ، فمن أجل ذلك يسخر مني أهل القرية عندما رحبت بكما ٠٠ يسخرون من فقرنا .. لقد آلمني وأحزنني بخلهم أيها الضيفان .

أثنى عريف والجندي نحيف على الغلام اليافع ، ومدحا صبره وشجاعته وكرمه ، وسعدا بمقابلة الأب المريض والأم الصبور ، وتعشيا مع الأسرة الصغيرة ، وقبل أن يتـفرق القوم

للنوم ، قال عريف : يا أبا حزنون هل عرضت نفسك على حكيم ليعالجك ؟

فقال الأب : هنا في هذه القرية لا يتعاطى أحد هذه الصناعة ، والمدينة الكبيرة بعيدة جدا يحتاج الوصول إليها عددا من الأيام والليالي ؛ ولكن حدث أن مر بقريتنا طبيب جوال فعرضوني عليه فوصف لي أعشابا ، وقال لي " إن داءك عسير ، ولا أمل لك في العافية ؛ لعل هذه الأعشاب تخفف من آلامك " فحمدت ربي وصبرت .

فنظر نحيف إلى عريف ثم قال نحيف : يا أبا حزنون ! نحن نتعامل بالطب ، ووهبنا الخالق سبحانه القدرة على المداواة ، ولدينا دواء فرخص لنا أن نجربه عليك ؛ لعل الله يجعل فيه المخرج مما أصابك من البلاء والشدة .. فغدا صباحا إذا وافقت فسوف نرى نتائجه فلن تخسر شيئا ، ونكافئك على كرمك وإحسانك إلينا .

فقال الأب : لا أدري ما أقول لكما ..فرغم أنّ ذلك الطبيب قال " لا أمل لي بالشفاء " ؛ ولكنني سأسمح لكما بتجربة دوائكما عليّ فالشافي هو الله ..فالحياة بدون أمل لا لذة فيها ..على بركة الله يا إخواني .

فقال عريف : في الصباح الباكر أيها السيد الكريم نسقيك الدواء وبإذن الله تشفى وتعود لك صحتك وقوتك كما كنت ، ويفرح حزنون وأمه بشفائك ، وسنمكث هنا حتى تسترد عافيتك ولن نثـقل عليكم بالطعام فمعنا بعض الدراهم نشتري بها من أهل القرية .. لا تغضب منا يا أبا حزنون ، فنحن نعلم حالتك وحاجتك ونعلم كرمك وشرفك ، وبارك الله فيكم كلكم .

وأخذهما حزنون لفناء البيت الصغير ليرقدا على نور القمر والنجوم في فلك السماء ، ودفع لهما غطاءه ، فرداه وقال نحيف : تدثر به أيها الفتى .. فنحن منذ زمن نتدثر في ثيابنا نفترش الارض ونتغطى بالسماء .

وأمام رفضهما الشديد قنع حزنون وتدثر بغطائه ، وقد طرحه على جسده وتظاهر بالنوم ، فلقد ظل ساهرا على ضيفيه من عوادي الليل من كلاب أو ضباع أو ذئاب .

وحمد الفتى الله كثيرا عندما أشرق الصباح ، ولم يحدث لهما أذى ، فأعطياه درهما ليشتري لهم

طعاما ، فرفض الغلام ؛ ولكنه أمام قسمهما أخذ الدرهم واشترى أزكى الطعام ، ثم أكلوا جميعا وبعدئذ أحضر لهما حزنون الماء ليبدأ بعلاج والده .

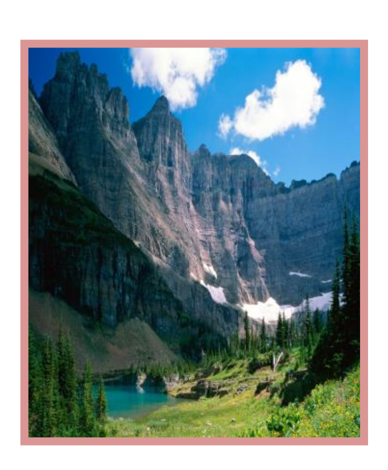


أخرج عريف من كيسه الأحمر البيضة الحمراء ووضع في جوفها الماء حتى انتفخت وأصبحت كالبيضة الحقيقية ، ووضع نحيف الماء في بيضته الصفراء حتى انتفخت بالماء وأصبحت كالبيضة الحقيقية ، ومكثا بضع دقائق كما علمهما القزم ، والقلق يسيطر عليهما ، فهذه أول تجربة لهما مع هدية القزم ، والقلق أيضا من الأمل الذي تعلق في نفوس هذه الأسرة الفقيرة ، وكان حزنون قد وضع أمامهما وعاء من الفخار ، فقاما بإفراغ الماء من البيضتين في القدح الصغير ، وأمام دهشة الأسرة طلبا من أبي حزنون شرب الماء المفرغ من البيضتين كله ، وهما يدعوان الله تعالى أن يعافي الرجل من سقمه ، وأن يكون ما قاله القزم صدقا ولا يفضحهما أمام هذه الأسرة المسكينة التي تعلقت آمالها بهما .

تناول الأب القدح من يد عريف ، وشربه على دفعات سريعة ، وبعد ساعة من الوقت والانتظار والتوتر الشديد على أعصاب الجميع أحس والد حزنون بآلام قاسية ومؤلمة جدا ؛ ولكنه شعر بعد خفتها بأن قدميه يتحركان ، وارتعش جسده كله ، فصاح من شدة الفرح : لقد برأت يا ولدي .. الله الله !!.

فأوقفوه شيئا فشيئا ثم أجلسوه ، وتنفس عريف ونحيف وحزنون الصعداء ، والفرح يغمرهم جميعهم ، وحمدوا الله كثيرا ، وعانق حزنون الرجلين وهو يبكي من شدة الفرح ، وبكت الأم وهي تلهج بالحمد لله وتدعو للرجلين بالتوفيق والسعادة ، وتمدح براعتهما بالطب ، وكان الأب في هذه اللحظات من أسعد الناس ، ثم أخذ الأب يصيح من الفرح ومن عودة الحياة إلى جسده المحبوس منذ سنوات ، حتى أن أهل القرية فزعوا على صياحهم وفرحهم ، وكانت مفاجأة

لأهل القرية ، ولقد كان من السعداء في تلك اللحظات أيضا عريف ونحيف ، وقد بدأ خيالهما يصور لهما تحقيق الأحلام الكبيرة التي كانوا يحلمون بها عندما سمعوا كلام القزم عن فوائد البيضتين ، فلما رأوا النتيجة بعد نجاح هذه التجربة ، تأكدت لهما أحلامهما من القصور والزوجات الحسان والمال الوفير ، ومكثوا أياما في القرية ليطمئنوا على شفاء أبي حزنون ، ولما تيقن لهما برؤه ، ودعوا القرية وهما في غاية السعادة والأحلام ، ومع الفرح الظاهر على أنفسهما تسرب القلق والخوف لقلبيهما على الكنز المنتظر ، وعلى البيضتين أن تسرقا أو تفقدا .



شراء القصر

قادتهم أقدامهم إلى مدينة من مدن الدنيا العامرة في ذلك الزمان ، ولما دخلاها لم يبق بحوزتهما طعام ولا مال ، وقد مسهما الجوع بأنيابه فبحثا عن خان ، وقال عريف لصاحبه : فلندخل هذا الخان فقد طال وقوفنا أمامه ، ونحاول مع صاحبه ؛ لعله يقبل بقاءنا عنده حتى يتيسر الحال .



وتشجعا ودخلا الخان ، وقال أحدهما لصاحب الخان : يا هذا نحن غريبان ، ولا حول لنا ولا قوة ، وانقطعت بنا السبل ، وليس لدينا مال ولا طعام .

فقال لهما بجفاء : وما المطلوب مني ؟!

فقال نحيف : يا سيدي ..اقبل ضيافتنا حتى نلتقط رزقنا ، ولسوف ندفع لك حقك كله لا ينقص درهما واحدا ، والله شهيد على قولنا

فقال الرجل : وما صنعتكما أيها الغريبان ؟؟

فرد عريف : يا أيها الرجل الفاضل نحن نداوي المرضى ، بل المرضى الذين يعجز الأطباء عن مداواتهم ، فاقبل صحبتنا ، ولن تندم ألبته .

فقال صاحب الخان لنفسه : لولا أنهما ماهران في الطب ما جاءا لهذه المدينة الكبيرة وتركا أهلهما وبلادهما مع أن الثياب التي يرتدونها لا توحي بذلك .

ثم قال مخاطبا لهما : حسنا أيها السادة ! سأقبل ضيافتكما ثلاثة أيام فقط ، وبعدها أطلب منكم الأجرة وإن لم تدفعوا أدفع بكم لرجال الشرطة رجال الأمير .. واعتبركما محتالين هل توافقان ؟

فقالا : نعم ، أيها السيد الكريم !ونحن لك من الشاكرين .

ونزلا في خان " مخروم " وأكلا من طعامه ، وفي الصباح أخذا بالتجوال في الشوارع والأحياء ويدللان على طبهما ، ويبحثان عن مريض يعالجانه ويمنحهما بعض المال ، وبعد تعب شديد

من الـفر والدوران ساقتهما أرجلهما إلى قصر قديم ، كان يجلس أمامه شيخ كبير ذو لحية بيضاء وبين يديه غلمان ، وكان اليأس والملل قد دب في قلبيهما ، فاقتربا من الشيخ يسألاه عن شربة ماء ، فلبى الشيخ طلبهما وأرسل أحد غلمانه ليحضر لهما الماء البارد والطعام الطيب عندما لاحظ حاجتهما ، ثم أخذ يرحب بهما ثم سألهما عن حرفتهما ، فحدثاه عن صنعتهما وقدرتهما على معالجة المرضى ، فلما شربا وأكلا ، قال لهم الشيخ : لقد أتى الله بكما إليّ .. لي ولد شاب مريض منذ ما يزيد عن عشر سنين ، وأحضرت له أمهر الحكماء والعشابين في المدينة ؛ بل من المدن المجاورة ، وما نفع معه دواء وعشب ، فإذا شفي على أيديكم فلكم عندي ما تريدون وتشتهون .

فقال نحيف : أيها الشيخ المحترم إذا عالجناه وبريء بإذن الله تدفع لنا ألف درهم كاملة .. أمـعك هذا المبلغ ؟

ابتسم الشيخ لهما ونظر إلى قصره وقال : مبلغ كبير ! ولكن والذي خلق الأنس والجن إن طاب الفتى وتعافى من الداء فلكم مني ألفي درهم بالتمام والكمال ، وجملة من الثياب الحسنة .

فقال عريف وقد سال لعابه لهذا المال الذي ما حلم به في الأحلام : ألفا درهم أيها السيد الكريم !. . نحن نملك ألفي درهم ! ..دعنا نرى مريضك يا شيخ الخير والسعادة .

فقال الشيخ مداعبا : يبدو أنك لم تر هذا المبلغ في حياتك يا سيد عريف مع قولكما أنكما ماهران في الطب ..أليس كذلك يا نحيف ؟!

رد نحيف : نعم نحن ماهران في الطب ؛ ولكن هذا المبلغ أول مرة يعرض علينا .

فنهض الشيخ عن كرسيه وأمر الغلمان بإدخال أواني الطعام والماء ، وقادهما الشيخ إلى غرفة ولده المريض ، وشرح لهما قصة سقمه ، وتبين لهما أنه مصاب بمس من الجنون أدى به إلى الضعف والهزال ، فطلبا ماءً ، ولما جيء بالماء أفرغاه في البيضتين حتى امتلأتا وانتفختا ، وأبقيا الماء في جوفيهما قليلا كما علمهما القزم ، ثم دلقا الماء الموجود في جوف البيضتين في وعاء ، وأسقوه للشاب الهزيل السقيم أمام نظرات الشيخ الحائر والمستغرب لطبهما ، وكذلك رئيس

الغلمان في القصر شاركه الدهشة والحيرة .. هل يشفى الفتى من كوب ماء !

وقال عريف : يا سيدي الشيخ ابنك بعد حين سيحدث له ألم شديد ، ثم على أثره يتعافى بإذن الله تعالى..وسنعود لك غدا ـ إن شاء الله ـ لنرى النتيجة يا مولانا الشيخ .. فالظلام قد أوشك أن يملأ الدنيا .

وكان الشيخ متشككا من علاجهما فأصر على ضيافتهما والمبيت عنده ، فاعتذرا واعتبرا تصرفه معهما إهانة لهما فتأسف لهما ، وأمر رئيس خدمه أن يوصلهما إلى الخان الذي ينزلان فيه ففعل فاستقبلهما مخروم صاحب الخان ، وقال لهما : لعلكما وفقتما في علاج مريض ؟

فقصا عليه حكاية الشيخ وولده المريض المجنون ، فقال لهما بعد سماعها متهكما: وهل سيدفع لكم ذلك السيد ألفي درهم..إنه مبلغ كبير فعلا يا صاحبيّ ؟!

فقال نحيف : فإذا تعافى الفتى ـ إن شاء الله ـ نستلم المبلغ أيها الصاحب فنعطيك حقك .

فتركهما صاحب الخان وهو في دهشة من حالهما ، ويحدث نفسه قائلا : آه !..إنه مبلغ كبير جدا ! .. هذان الصعلوكان يمتلكان ألفي درهم ، فإن ثيابهما البالية يبدو لي أنهما لم يخلعاها عن أجسادهما منذ سنة .. لنصبر ونرى ما هو دواؤهما السحري ؛ ولكني أخشى أن يلقى بهما في السجن غدا فأخسر ما أنفقته عليهما من ماء وطعام ومنام ! وألحظ أنه لا شيء لديهما يمكنه أن يعوضني عن الخسارة التي ألحقاها بي ..إن غدا لناظره قريب .

وما أشرقت الشمس وسطعت بنورها الذهبي الرائع حتى هرع الصاحبان لقصر ذلك الشيخ قبل أن يأتيهما رئيس الغلمان بالبغال لأخذهما ، فوجداه في انتظارهما على الباب ومعه شاب جميل الهيئة ، فلما التقيا أخذهما بالعناق والتقبيل والثناء على طبهما والاعتذار عن شكه في فعلهما وقدرتهما ، ثم فعل الشاب مثل والده ، ثم قال الشيخ : الحمد لله على شفاء ولدي أيها الماهران على أيديكم المباركة ، وجزاكم الله خيرا ، فها هو ولدي المريض قد نهض من فراشه ، وحللت القيد عن ساقيه ، وقد بدأ يعود لحيويته التي أعهدها فيه منذ سنوات خلت .. فشكرا شكرا لكما .

وأولجوهما البيت وأكرموهما غاية الإكرام ، وساقهما رئيس الخدم إلى أحسن حمام في المدينة وأوصى الحمامي عليهما ، ولما استحما وجدا في انتظارهما أحسن الثياب فارتدياها ، ثم رجع بهم الغلام للقصر ، وتناولا الغداء مع الشيخ وولده ، ثم دفع لهما الشيخ أكياس المال وهو في غاية السرور ، وحين انصرافهما قال : إذا احتجتم لشيء أيها السيدان في هذه المدينة فأنا رهن إشارتكم وفي خدمتكم ، وهل ستبقيان نزيلان في الفندق ؟

رد نحيف وكله سعادة وبشر : في الوقت الحالي نعم .

فقال الشيخ مودعا لهم : لا بأس ، فأنا أعرف هذا الخان وصاحبه .. فاحذراه يا صاحبيّ فهو رجل معروف بالجشع ، واحرصا على أموالكما جيدا .. لا تخلو مدينتنا من اللصوص والمحتالين ووودعوا الشيخ وولده وهما في غاية البشر والحبور للمال الكثير الذي حصلا عليه لأول مرة في حياتهما من هدية القزم لهما ، وهرعوا للسوق واشتروا جرابين كأجربة الحكماء والعشابين في تلك الأيام ، ثم عادوا للخان ، وكم سعد صاحب الخان وهو يقبض منهما أجره وقال : لقد أصبحتما من الأثرياء سأخصكما بأجمل حجرة في فندقي حجرة تليق بمقامكما أيها الطبيبان الماهران .

فقال عريف: بوركت يا سيد مخروم ، وهذه خمسون درهما هبة منا إليك جزاء تحملك لحاجتنا وغربتنا .

وتناول مخروم المال من يد عريف وهو يقدم شكره الجزيل لشخصيهما ، وقدم إليه نحيف ثوبا ثمينا هدية منهما ، فقال مخروم : لقد غمرتموني بكرمكم الكثير .. إنكما تستحقان السعادة والهناء ففي صدوركم قلوب رحيمة ومشفقة .

وذاع خبر الطبيبين في المدينة وقدرتهما الفائقة على مداواة الأمراض المستعصية ، فهرع إليهما المرضى من كل حدب وصوب ، وضاق الفندق بالنزلاء من المرضى وذويهم ، فيقوم عريف ونحيف بمعالجتهم ، فيأخذان من الغني ويدعان الفقير كما أوصاهما القزم الغريب صاحب البيضتين السحريتين ، فكثرت الأموال بين أيديهما ، فاشتريا صندوقا واسعا ليضعا فيه المال ،

فأصبح الفندق مع الأيام ؛ كأنه مشفى ، وقد استفاد مخروم من مهارة الطبيبين ، وكثر ماله بسببهما ، فذات مساء قال لهم صاحب الخان : يا سيدان أنتما بحاجة لمن يحرس لكما مالكما الذي يزداد كل يوم ، فاستأجرا فتى جريئا يقوم على حمايتكم من لصوص المدينة ، فهم كثر في مدينتنا ، والعسعس مقصرون في المحافظة على أمن ومال الناس .

فقال عريف: يا سيد مخروم .. نرغب في شراء قصر في هذه المدينة الكبيرة .. فانظر لنا في ذلك ولسوف نكرمك .

فحك مخروم رأسه عدة مرات ثم ابتسم وقال : حسنا أيها الأصدقاء ! سيكون لكم بعد أيام أجمل قصر في هذه البلدة .. سأبذل قصارى جهدي في تحقيق حلمكما في السكن في قصر كبير ويليق بطبكم وثروتكم العظيمة .

وما مضت أيام يسيرة حتى أتاهما مخروم وبصحبته رجل يلبس ثيابا براقة جميلة من الحرير الخالص ، ويداه مزينة بالخواتم الثمينة مما يوحي لمشاهديه وناظريه بأنه رجل ثري صاحب أملاك ، فقال لهما مخروم وهو يشير للرجل : هذا الشاب لدى والده قصر يريد بيعه ويطلب فيه مبلغ خمسين ألف درهم.

فرحبا بالشاب ، وانطلقا معه إلى قصر والده في قلب المدينة ، وشاهداه وتفرجا على غرفه الواسعة وحدائقه الرائعة مما أسال لعابهما على امتلاكه وشرائه ، ثم رجعوا للخان والشاب يقول لهم: هذا هو القصر الذي يملكه والدي ويرغب ببيعه ؛ لأنه قد بنى قصرا جديدا أكبر منه ، وبعد شرائكما لهذا القصر سأدعوكما لزيارة قصرنا الجديد والغداء مع والدي .. وما عليكما أيها الحكيمان إلا أن تؤثثاه وتشتريا خدما وحرسا للقصر فتصبحان من السادة الأغنياء حقا .

وكان صاحب الخان قد أمر بإعداد مائدة فخمة تليق بضيفه الثري ونزيليّ فندقه عريف ونحيف وعلى المائدة المعدة تم الاتفاق ، وقبض الشاب المال المقدر ، وأخذ الصاحبان منه المفتاح الكبير وهو يلهج لهما بالدعاء والهناء بسكنى القصر الجميل ، وأختـفى بعد الأكل ، وقد تبعه مخروم

مسرعا .

واتفق عريف ونحيف أن ينتقلا صباح الغد لقصرهما الجديد ، فلما استقرا في حجرتهما وجدا أنه لم يبق لديهما من المال سوى خمسة آلاف ، وهي لا تكفي لتأثيث ذاك القصر الواسع وشراء خدم وحرس ، فقال عريف : نشتري بعض الأثاث لبعض الحجرات ونصبر قليلا ثم نفرشه بأجمل الرياش والمتاع بعد حين .



ولكنّ الصباح كان يحمل لهم عددا من المفاجآت ، فأول هذه المفاجآت أنّ صاحب الخان قد اختفى من ليلة أمس ، وقد باع فندقه منذ أيام فتعجبا من الأمر ، فأخذوا أشياءهم على عربة من عربات الفندق وتدرجوا نحو قصرهم ، وهنالك لقد كانت في انتظارهم المفاجأة الثانية ، فلقد وجدوا رجلا يجلس أمام القصر ، وعلما منه أنه حارس القصر الخالي ، فرويا له قصتهما ، ووصفا له الشاب فتعجب الرجل وقال : لابد أنكما محتالان .. لم يشتر أحد القصر !

فأعادوا على مسمعه القصة وأخرجا له المفتاح ، فتناوله الحارس وأخذ ينظر إليه ويقلبه ، ثم جربه بالباب ففتحه ، ثم قال : هذا القصر معروض للبيع فعلا .. وللحق زارني شاب من يومين أوصافه قريبة مما وصفتموه ، وبين لي رغبة أبيه في شراء القصر ، ومنحني مائة درهم وأخذ مني هذا المفتاح ـ وأخرج مفتاحه ـ ومفتاحكم شبيهه ، وطلب مني أن أترك حراسة القصر نهار أمس حتى لا يثرثر والداه معي عند حضورهما لمعاينة القصر ، فنفذت رغبته ، ثم عاد مساء أمس ورد لي المفتاح ـ وحرك الحارس المفتاح بيده ـ وقد قال لي " إنّ والديه لم يعجبهما القصر ، وأعطاني مائة درهم أخرى اعتذارا عن إزعاجه لي ، فأرى أنه ماكر قد سخر منا جميعا وأن صاحب الخان متأمر معه فاحتالوا عليكم وفرا معا ، فاذهبا لرئيس الشرطة ، وقدما شكوى ولسوف أشهد معكم إن صدق وقبل الرئيس شكواكم .

ولما تذكرا أن صاحب الخان قد باع فندقه خفية عنهم ، فأيقن عريف ونحيف أن صاحب

الخان احتال عليهما ودبر لهما هذه المكيدة مع ذلك الشاب الكاذب المزور ؛ فلذلك باع خانه دون أن يشعرهما بذلك ، فذهبا إلى زعيم الشرطة وقدما شكوى بمخروم وصاحبه المخادع ، ثم مضيا كاسفين البال يبحثان عن فندق يناماان فيه بعد خسارتهما ذلك المبلغ الكبير ، ومكثا ثلاثة أشهر في المدينة يتحسسان عن المحتالين ، والشرطة بدورها لم تصل إليهما ، ودخل اليأس قلبيهما من العثور عليهما واسترداد مالهما فجمعا ما بين أيديهما بعد تلك النكسة فإذا هو ما يقارب عشرة آلاف درهم ، ثم غادروا المدينة إلى مدينة أخرى .

شقاء أخر

وفي المدينة الجديدة استأجرا بيتا لممارسة العمل ، ولم يكد الناس يعلمون بقدرتهما على المداواة حتى عمّ صيتهما في أنحاء المدينة الكبيرة ، وبدأت تتوافد عليهما جموع المرضى للاستشفاء ، وكنت ترى الفقراء والأغنياء على باب المنزل للعلاج ، وكانا يمارسان عملهما في النهار فقط ويستريحان ليلا ، واستمر هذا الحال عدة شهور إلى كان ذات ليلة حدث .

فبينما هما منهمكان بإحصاء وحساب ما جنياه خلال النهار ، طرق الباب ، فنهض نحيف لينظر الطارق في هذا الليل فقال : من بالباب ؟

فجاءه صوت غلام صغير يقول : يا سيدي ..افتح أنا إيهاب .

فتح نحيف الباب فإذا الفتى يقول : من منكم الحكيم المداوي ؟ .. فجدي مريض وحالته يرثى لها ، وهو بحاجة لطبكم ، وقد أخبروا جدي عن مهارتكما ، فأرسلني إليكم لتذهبوا إليه ، وهو رجل ذو مال جسيم ، فابشرا بالغنى والعز الكبير إن تعافى جدي على أيديكم المباركة

فقال نحيف : أيها الفتى قل لجدك الطيب نحن لا نعمل في الليل ، فعد إلينا غدا صباحا .. أين يسكن جدك يا إيهاب ؟؟

فرد الفتى بحزن : جدي يسكن في وسط البلدة وهو سيد ميسور يدعى أبا السر ، وهو معروف عند كل الناس .

وكان عريف قد خرج من الغرفة ليرى من الذي يتحدث مع رفيقه فقال : أيها الغلام .. ارجع صباحا وسترى ما يسرك من شفاء جدك أبي السر .

فقال الفتى : لا أستطيع الرجوع بدونكما ؛ فإن جدي لا يصدق أنكما اعتذرتما فقد يضربني أبي ، أرجوكم لا تكونوا سببا في إيذائي .. أمرني جدي ألا أعود إلا بكما ، فإن كنتما قلقين أو خائفين فليذهب معي أحدكما ؛ ليطمئن الجد والوالد أني جئت إليكما ، ثم لتأتيا غدا لعلاجه .

وبعد تهامس بين الصديقين قال عريف : سأنطلق معك أيها الغلام الصغير ! لقد رققت قلبي نحوك ، سأذهب معك لأطمئن جدك وأعرف البيت هيا امش أمامي.

وظل نحيف وحده في البيت ، وما كادت خطوات عريف تبتعد عن البيت حتى سمع نحيف قرعا على الباب ، فظن أن عريفا قد رجع فصاح : ما بالك قد رجعت ؟!

ولكنه سمع صوت طفل يقول : افتح أيها السيد أنا حيدر أرسلني أبي إليكم ، فهو مريض ، ولا يستطيع السير على قدميه ، وبيتنا قريب فنحن جيران .

فقال نحيف لنفسه : ما الأمر ؟ الفتيان الصغار يقرعون بابنا الليلة ! وتقدم وفتح الباب ، وقبل أن يتكلم مع الطفل انقض عليه عدد من الرجال ، وهم ملثمون فأوثقوه بعجلة قبل أن يستيقظ من المفاجأة ، وأخذوا صندوق المال والجرابين واختفوا في ظلام الليل ، وبعد حين دخل عريف فوجد الباب مفتوحا ، فأسرع بالدخول فلقي صاحبه مقيدا في الحبال ، فخلصه من القيد وهو يقول : ما الأمر أيها الصديق ؟!

فأخذ نحيف بالبكاء وقال : بعد ابتعادك بقليل دق صبي آخر الباب ، فلما فتحته هجم عليّ رجال أشداء فكتفوني وسلبوا صندوق المال والجرابين وهربوا ، وأنت ماذا جرى معك ؟



فأخذ عريف هو الأخر يبكي ويقول : إنها مكيدة كبرى يا صديقي ! تعرضنا لمكر كبير ! سرت مع الفتى الصغير حتى وصلنا إلى منزل فدخله ، وأمرني بالانتظار ليستأذن لي ؛ ولكنه دخل ولم يخرج ، فطرقت الباب عدة مرات لا أحد يجيب ، فدرت حول المنزل ، فتبين لي أنه بيت مهجور ، فعدت إليك وأنا أحس بقلق عليك ، وصدق حدسي ، فهناك من تآمر علينا وطمع في أموالنا ورسم هذه الحيلة .. تنهد عريف ثم قال : علينا العمل الآن لاسترداد البيضتين ..آه ! .. لقد دمرنا تماما يا صديقي ، فنحن مغفلان وطيبان ، ولم نأخذ جانب الحيطة والحذر مع أننا سخر منا سابقا العم مخروم .. حسبنا الله ونعم الوكيل .

فقال نحيف : من حسن الحظ أنّ اللصوص تركوا لنا بعض المال ، فهم لم يأخذوا سوى المال الموجود في الصندوق لاعتقادهم أن كل أموالنا فيه ثم رفع صوته متحديا وقائلا : سندافع عن

مالنا ، وعن كنـزنا ، لا طعم للحياة الآن بدونه .. سنترك هذا المنزل ، ونسكن غيره ، ونتنكر ونتخفى ، ونبحث عن اللصوص ، فلابد للسارق من أن يحاول الاستفادة من البيضتين فيداوي الناس بهما فنسمع به .

فقال عريف : نعم ما قلت يا صديقي ، المال يحتاج إلى قوة لتحافظ عليه ، كثير من الناس أشرار والحسد يملأ نفوسهم .

رحلا لمسكن جديد ، وغيرا من هيئتهما ، وصاروا يتنقلون في أحياء المدينة يبحثان عن طبيب جديد ، ولم يطل انتظارهما ، فقد ظهر الطبيب الجديد في أحد الأحياء فتحسسا عنه ، فتأكد لهما أنه غريمهما وضالتهم المنشودة ، وعلما أنّ حوله أعوانا وحرسا، فرسما خطة محكمة للوصول إليه واسترداد البيضتين السحريتين منه .

فتنكر نحيف بثياب تشبه ثياب حرس السلطان في تلك المدينة ، وذهب إلى بيت السارق ، وأخرج كيسا حريريا ممتلئا بالدراهم ، وألقاه أمام الطبيب وقال بخشونة ؛ كأنه جندي قديم : هذا الكيس فيه مائة درهم ، ولك عشرة أمثالها إذا تعافى مريضي ، فلقد وصفوك لنا خير وصف

وأمام إغراء المال نهض الطبيب على الفور ، وتبع الجندي السلطاني ، فقاده نحيف إلى بيت أعد لتنفيذ الخطة ، وهو يقول : ادخل أيها الطبيب الماهر ..فالمريض في انتظارك .

والتفت نحو رجال الطبيب الذين حضروا مع رئيسهم قائلا : أما أنتم أيها الأشراف فانتظروا أمام هذا الباب حتى ننتهي من العلاج .

وأغلق الباب في وجوههم ، وقاد الطبيب حيث يرقد المريض المتمارض عريف ، وتحدث الطبيب السارق مع عريف متظاهرا بأنه طبيب ماهر ، فأخذ يسأله عن سقمه ، ثم طلب الماء ليصنع الدواء ، وعندما ملأ الرجل البيضتين بالماء ، وتأكد لهما أنهما هدية القزم لهما ، انقض نحيف على الرجل بسرعة البرق وكتم أنفاسه وصرعه أرضا ، وقام عريف بإغلاق فمه وتربيطه بالحبال المعدة لذلك ، وأخذوا البيضتين وتسللا من باب خلف المنزل ، وأسرعا إلى بيتهما الجديد الذي استأجراه بعد أن سرقا من قبل هؤلاء الرجال ، وأما رجال الطبيب المحتال فبعد صبر

وملل تسللوا إلى الداخل ، وكانت في انتظارهم مفاجأة قاسية ، فكما احتالوا وسرقوا البيضتين احتيل عليهم ، فأصابهم الجنون وحب الانتقام ، وأمرهم الزعيم بالانتشار في المدينة والبحث عنهما ، وأما عريف ونحيف فقد ظلا ملازمين البيت عشرة أيام يخططان للهرب من المدينة وهما يقولان : هذا المال متعب لنا حتى جعل الأشرار يطمعون بنا ، فكيف العمل ؟! نخشى أن نخسر أرواحنا مع هؤلاء الأشرار .

ثم رحلا عن المدينة خلسة واستقرا في مدينة أخرى ، واتفقا على توخي الحذر الشديد في تعاملهما مع أهل هذه المدينة ، وكتم أسرار مهنتهم عن أعين الناس وملء البيضتين خفية عن أعين الناس ، ووضع المال في مكان أمين ، فترتب على هذه الأفكار استئجار مكان لممارسة العمل ، ومكان للمنام وحفظ المال .



ولم يمض سوى أيام قليلة حتى انتشر خبرهما في المدينة الجديدة ، فتهافت عليهم المرضى من كل أحياء المدينة ، ومع جريان المال بين أيديهم نسوا ما جرى لهم سابقا ، وما تعرضوا له من خطر وشر ، وذات مساء وهما يستعدان لمغادرة مكان العمل ونقل المال إلى بيتهم الذين يبيتون فيه ، وقف على باب العمل رجل يعتلي متن جواد وهتف قائلا : يا سادة ..أنا شفيق ابن الوزير الكبير لهذه البلاد ..ووالدي الوزير مريض وهو بحاجة لدوائكما ..هيا اذهبا معي فورا واعلما أن والدي أرسلني إليكم ، ولم يرسل الجند لإحضاركما تكرمة منه لكما ولطبكما .

فقال عريف بفرح ظاهر :آبوك الوزير أيها الفارس ؟!

فقال الفارس : نعم ، وهو مريض مرضا صعبا ..ولقد تشجع أبي على إرسالي إليكم لشفاء المرضى على أيديكم الكريمة ، واعلموا إن تعافى والدي الوزير مما ألم به من سقم وألم فلابدّ أن يضمن لكم الغنى والثروة ، وقد يجعلكم من زمرة أطباء السلطان .

فقال نحيف : يا سيدي العزيز ألا تؤجل لقائنا بوالدك الفاضل إلى صباح الغد ؛ فإن دواءنا لا ينفع إلا في النهار .

فقال الفارس بحدة : ويحكما قد يموت الوالد الليلة ! فيحل عليكما مولانا السلطان .. حاولا معه الليلة وأمضيا ليلتكما في القصر .. هيا لا ترددا ، وإلا أرسلت لكما الجند يجرجرونكما لقصرنا جرا .

فقال عريف : حسنا أيها الفارس ! سأذهب معك أنا .. وانتظرني يا نحيف في البيت سأقابل الوزير إن شاء الله .

ثم همس في أذن نحيف : هذه فرصة العمر أيها الصديق أن نتـصل بالوزراء!

وتناول الجرابين وركب خلف الفارس على حصانه ، وأما نحيف فإنه أخذ الأموال وهو في قلق وخوف على صاحبه عريف ، وقفل عائدا لبيتهم الآخر .

وأما عريف فقد واصل المسير مع الفارس حتى أدخله منزلا كبيرا ، فإذا هو في غرفة واسعة

جميلة مفروشة بأجمل الأثاث ، ولما جلس واستراح قليلا قدم له خادم طعاما وماء ، فلما أكل وشبع نام سريعا .



ولما استيقظ من نومه وجد نفسه مطروحا في الصحراء تلفحه الشمس بحرارتها ، فظن نفسه للوهلة الأولى في حلم يفيق منه ، فبدأ يفيق لحظة فأدرك ما جرى له ، وأنهم سقوه مخدرا واستولوا على الجرابين ، فانطلق إلى البيت بيت النوم ، فوجد نحيفا في انتظاره وهو في غاية الخوف والتوتر ، فقص عليه الكارثة .

فقال نحيف : علينا يا صديقي أن نلزم جانب الحذر ، فكما تعلم ، لقد قلدت بيضة تشبه بيضتي السحرية ، وهي التي أضعها في جرابي ، وأما البيضة الحقيقية فكنت أخفيها في سروالي حذرا من الغدر ، ولما سحبت الجرابين لم أنبهك ؛ لأن قلبي لم يطمئن لهذا الفارس ، فقد ساورني قلق منه ؛ ولكنك أصررت يا صديقي على مصاحبته ، ولم يكن أمامنا وقت لمزيد من الحوار .. والحمد لله على سلامتك .. واعلم أنّ هؤلاء اللئام سيكتشفون أننا خدعناهم ، وسوف يطاردوننا ، ويقلبون الأرض بحثا عنا .

فقال عريف : أريد أن أعرف الوزير وابنه المحتال واسترد البيضة السحرية .

فتنكرا بعد دفن كنزهما ، ونزلا أحد الخانات ، وهما يتظاهران بأنهما غريبان قادمان من سفر بعيد ، وهدفهما الوصول للبيضة الحمراء لمغادرة المدينة للبحث عن الأمان في بلاد أخرى ، وقد تعبا من التفتيش والاستخبار ، ولما سألا عن الوزير علما أنه لا ابن له إنما له ابنة واحدة ومتزوجة من السلطان ، وحاول عريف الوصول للبيت الذي تناول فيه الطعام ، فلم يتعرف عليه ، وفي ليلة جلس الشابان في حجرتهما في الفندق يتناجيان ، فقال عريف بعد تنهد عميق : أين القصور التي بنيناها ؟! ..أين الزوجات اللواتي تزوجنا بهنّ ؟.. أين الأولاد اللذين أنجبناهم ؟.. أين الغلمان والخدم ؟وأين الأحلام التي حلمناها أيها الصاحب ؟! .. لقد تعبنا قبل أن نجني قصرا واحدا .

قال نحيف : يبدو أن أمي غاضبة عليّ ..لا أدري ما حل بأمي في أرض الوطن ـ يا عريف ـ بعد هذا الغياب .. لقد حلمنا كثيرا ..آه ! .. عندما كنا فقراء محتاجين كنا مرتاحين من الجمع والحساب والخوف وننام براحة ونأكل عن جوع .. أما اليوم فنحن في خوف وقلق نخاف على أنفسنا ونخاف على المال من الفقدان .. كم هو رائع الغنى ؟! وأحيانا أرى أنّ الفقر فيه الراحة والسكون ؛ ولكن الجوع مؤلم أكثر يا عريف !

فقال عريف : أين تكمن السعادة ؟! أنا تركت بلادي وأهلي لضيق ذات اليد ، وأنت خرجت من بلدك هاربا من الموت ، فذقنا طعم المال والطعام اللذيذ ، فعلينا أن ندافع عما تحقق لنا بكل قوة وحيلة نملكها ، فلا ندع اليأس يحطم أحلامنا ، ولا ندع الأشرار يهزموننا ، والحياة لا تسير حسب رغباتنا ، فالحياة تحتاج لكد وتعب وفرح وبكاء ، يجب أن نبحث عن كنزنا ومالنا ، لقد غلبت علينا الغفلة أكثر من اللازم ، ننسى الأشرار ونحسن الظن بكل الناس ، فالطمع والشر موجودان بين العباد وغير منقطعين إلى يوم الحساب .

وفي الصباح الباكر استيقظا على طرق الباب فقالا : من الطارق ؟!

فجاءهما صوت صاحب الفندق : أنا صاحب الخان .. ضيف يرغب بلقائكما ، ها هو يقف بجواري افتحوا الباب .

فتوترت أعصابها وظنا أمرا خطيرا واقعا لا محالة ، ونهض عريف وهو يقول : لا مفر من فتح الباب ، ثم صاح : من هو هذا الضيف ؟

فرد صاحب الخان : افتح الباب ، وسوف تراه.

وفتح عريف الباب ، فقال صاحب الخان ، وهو يشير للضيف : هذا الرجل القصير يسأل عنكم ثم خاطب القزم قائلا: هذان هما الرجلان اللذان وصفتهما لي. وانصرف

فهتف عريف بدهشة : من ؟! صاحب الكهف ..صاحبنا القديم .. يا مرحبا .

واعتنقه وهو يقول : حياك الله .. ادخل .. هذا صاحب الكهف يا نحيف .

وأسرع نحيف يرحب بالقزم ، وهما في دهشة من وجود القزم في هذه المدينة ؛ بل من ظهوره

ومعرفته مكانهما ، فقال القزم وهو يدرك الاستغراب الذي حل عليهما من ظهوره بينهم : كيف حالكم ؟ .. ما أخباركم ؟ ..لقد تركت كهفي لأطمئن على أحوالكما .

فرويا له الحكاية منذ فارقاه حتى استصبحا به ، فقال القزم : لقد قلت لكما إنكما ستتعبان مع الناس رغم العمل الطيب الذي تقدمونه للناس ، وحذرتكم من غدرهم ، واعلموا أن الذي جاء بي إليكم أنه قد وصلتني البيضة الحمراء فأدركت أنكم في ضيق ، فجئت باحثا عنكم وراجيا منكم أن تردوا لي البيضة الصفراء ، وكفاكم ما وجدتم من شقاء وتعب ، ويكفي ما جمعتما من مال .. هيا نفذا ما أمرت ، وكما وعدتكم وقلت لكم سوف أعود يوما واسترد الأمانة ولكنكما لم تحافظا عليها .

وتناول البيضة الصفراء من الجندي القديم نحيف وهو يقول : وداعا أيها الصديقان ، وحافظا على المال الذي معكم ، وحققوا بعض أحلامكم ، وانتبهوا من غدر الغدارين ، واعرفوا الخير والشر والطالح والصالح وداعا أيها الطيبون .

{ تمت الحكاية }



منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

جواهر القصص

جمال شاهين

نحيف وعريف

نحيف وعريف


قصص الزمردة
جلدالأسد
عمتي زاهرة
همام وجؤذر
سليم في الغابة المسحورة
نحيف وعريف
وسيم والأميرة المسحورة



وسيم والأميرة المغرورة

جمال شاهين



منشورات المكتبة الخاصة

جواهر القصص

الزمردة

٦

جمال شاهين

١٩٩٥

وسيم والأميرة المغرورة

ظل يمشي وحده حتى كلّ من التعب ، فنظر حوله باحثا عن مكان يستظل به من شدة التعب والحر ؛ ولكنه يسير في فلاة خالية من العمران والأشجار ، ومع هذا لمح صخرة ضخمة على يساره فتحرك نحوها ، وهو يسحب قدميه على الرمال سحبا من شدة التعب والإرهاق ، فلما وصلها حتى كان على آخر رمق من العطش والنصب ، فرمى نفسه في ظلها ، وذهب يبكي بدمع غزير ، ومن غزارة الدمع بلل شفتيه من العطش ، ثم ذهب في نوم عميق ، لم يصحُ منه إلا مع الغروب ؛ فإذا بطائر عملاق يقف على الصخرة ، الدماء تنزف منه ؛ فكأنه خاض معركة مع طيور السماء ، فأخرج وسيم الشاب الصغير منديله وربط جرح ساق الطائر وهو يتمتم : عافاك الله أيها الطائر من الألم .. فهذه عصابة ؛ لعلها تساعد في وقف الدم النازف من جرحك

فقال النسر العملاق : جزاك الله خيرا يا وسيم الطيب .. اعتبرني صديقك ، وتمنى عليّ ما تشاء أنت إنسان طيب يتألم ويشعر مع الآخرين .

قال الفتى وسيم : أيها الطائر العزيز أتمنى أن تهبني جناحين كجناحيك أطير بهما في أفق السماء.

فقال النسر العملاق : انتظرني هنا .. سأعود إليك عند نصف الليل بجناحي نسر كبير وماء وخبز ، لابد أنك شديد الجوع بعد قطعك كل هذه المسافة من الصحراء القاسية .

قال وسيم : صدقت أيها النسر العملاق .. أكاد أهلك من الجوع والعطش .

طار النسر وحلق في الجو ثم اختفى عن ناظري وسيم ، فحاول وسيم النوم ثانية رغم شدة جوعه وعطشه ، فقضى ساعات يحلم بلذيذ الطعام والشراب والفواكه ، واستيقظ من أحلامه على رفرفة الطير ، فتناول منه سلة الطعام ؛ فإذا فيها منديل جميل وجناحي نسر وذيله وطعام وماء ، فشكر النسر وأثنى عليه وانشغل بالأكل ، واختفى النسر في عتمة ليل الصحراء .

أكل وسيم وشرب حتى شبع وارتوى ، ثم خلع ملابسه ولبس ثياب النسر ثم لبس ثيابه

عليها ، ومكث حتى لاح نور الصباح فتابع المسير سيرا على الأقدام حتى وصل لنهر عظيم ؛ كأنه البحر الكبير ، فجلس فوق بقعة من الحشائش ، وأخذ في البكاء من جديد ، ثم نام ولما صحا من نومه رأى بالقرب منه حوتا صغيرا تـنـزف منه الدماء الغزيرة ، فنهض نحوه ووضع المنديل هدية النسر على جرح الحوت وضغط عليه ساعة من الزمن ثم قال : أيها الحوت الوديع اصبر قليلا فلسوف يقف النـزف عافاك الله من الألم أيها الحوت الوديع فهذه عصابة توقف النـزيف إن شاء الله .



قال الحوت :جزاك الله خيرا يا وسيم الجميل اعتبرني صديقك وتمنى عليّ ما تشاء فأنت إنسان طيب ، يشعر ويتألم مع الآخرين .فقال وسيم : أتمنى أيها الحوت الوديع أن تهبني ثوب حوت إذا لبسته أستطيع أن أسبح في البحر ، ولا أخاف من حيوان البحر .

فقال الحوت : حسنا يا صديقي وسيم امكث هنا الليلة حتى ارجع إليك بما تمنيت وأحضر لك من أزكى طعام البحر .

وودع الحوت وسيما وغطس في أعماق النهر الكبير ، وراح وسيم في نوم عميق لم يستيقظ منه إلا على صوت الحوت الذي أحضر له سلة طعام ، فـتناولها وسيم فوجد فيها منديلا جميلا وثوب حوت صغير وطعاما وشرابا ، فأظهر وسيم شكره للحوت الذي ودعه وغطس في النهر من جديد ، فأكل وشرب وأمضى ليلته عند النهر ، ثم لبس جلد الحوت وأغلقه على نفسه ، ثم نزل الماء وقطع للجهة الأخرى من النهر ، ثم خلعه ولفه على وسطه وتابع المسير حتى أدركه الظلام عند أحد الجبال العظام ، فبحث عن مغارة يأوي إليها ، فلما وجدها وجد فيها رجلا مصابا ، فسلم عليه وسأله عما أصابه ، فأشار الرجل إلى سهم في فخذه .

وقال : لقد رمى عليّ أحدهم هذا السهم وأحس بأنه مسموم يا فتى .

فقام وسيم إلى حيث السهم ، ووضع عليه منديل الحوت بعد أن نزعه رويدا رويدا ، وهو يقول : عافاك الله أيها الرجل اصبر قليلا وسوف يخف النـزيف بإذن الله . فرد الرجل وهو يضغط

على أسنانه من شدة الألم : جزاك الله عني خير الجزاء يا بني العزيز .. ليس عندي ما أكافئك به على إحسانك إلا هذا السيف العزيز المثال ورثته عن آبائي فهو هدية مني إليك لعله ينفعك في رحلتك هذه .

وأمضى الشاب الصغيروسيم ليلة مع الرجل ،

وما ظهر الصباح حتى كان الرجل الجريح يفارق الدنيا، فقام وسيم بدفنه في نفس المغارة وتابع المسير .

اجتاز وسيم الجبل العظيم ، وظل يسير حتى أطل على بحر هائل فهبط إلى شاطئ البحر ، وظل هناك حتى أقبلت سفينة فلوح لها بخرقة معه ، فاقتربت السفينة الصغيرة منه ، ونزل منها رجل ضخم الجثة يصيح بقوة : أين أنت مسافر أيها الفتى ؟

فصاح وسيم بأعلى صوته : إلى بلاد " ألواح ماح " بلاد الثعابين احملني معك أيها الرجل المحترم .

فأشار له الرجل الضخم بالصعود فانتقل من الأرض إلى السفينة ، ثم تحركت السفينة الصغيرة من جديد ، وأخذ البحار منه درهمين ولم يكن يملك سواهما ، وبعد ليال وصل الفتى الشجاع وسيم إلى شاطئ بلاد " ألواح ماح " بلاد الثعابين ، فهبط من السفينة وشكر الربان وزبانيته ومشى نحو البلدة وهو يسأل عن بيت العجوز أم المحاسن ،كما أوصاه الشيخ الخفي ، وصل بيتها مع حلول الظلام فطرق عليها الباب ، ولما عرفها بنفسه ، وأنه قادم إليها من طرف الشيخ " وهيب الزمان " ، رحبت به وأنزلته في بيتها ضيفا عزيزا مكرما ، فصنعت له الطعام والشراب ، وقالت له بعد العشاء الطيب : أيها الشاب الجميل .. أين التقيت بالشيخ وهيب الزمان "؟!

فبكى وسيم بكاء أليما ثم قال من بين دموع وزفرات حارة : يا سيدتي أم المحاسن أنا من قرية حلت بها كارثة عظمى ، كنت أرعى بضع غنيمات لأهلي مع رعاة البلدة ، ولما عدنا للقرية وجدناها قد أصابتها زلزلة شديدة لم تبق أحدا من أهلها إلا من كان خارج القرية ، فقد انشقت

الأرض وابتلعت الناس عن بكرة أبيهم ، فأصابني الحزن القاتل والبكاء الأليم ، وأصبحت وحيدا في هذه الدنيا ، فقد هلك أبي وأمي وكل إخوتي وأصدقائي ، فقضيت أياما أقف على مكان بيتنا أبكي بكاء تتفطر له الجبال العاليات ، ولا آكل الطعام لما حل بأهلي من الدمار والهلاك وبينما أنا ذات مساء أجلس على صخرة كالكرسي أناجي أبي وأمي رأيت الشيخ يقول : يا وسيم لا تحزن .. هذا حال الدنيا موت وحياة صحة ومرض.. أنا الشيخ "وهيب الزمان" الشيخ الخفي .. أعرف ما حل بك من المصاب ؛ ولكن أيها الفتى هنالك في بلاد بعيدة .. بلاد الأميرة المغرورة .. هنالك قدرك .. عليك أن ترحل لتلك البلاد وتتزوج تلك الأميرة ؛ لتصبح أميرا من أمراء الزمان .

ثم تابع الكلام فقال : ثم اخبرني أنني احتاج لأيام وأيام حتى أصل لتلك البلاد ، فقطعت الصحراء والنهر العظيم والجبل الهائل والبحر العظيم حتى وصلت إليك ؛ لأنني سأقتل ثعبان الثعابين ؛ لأنه سيموت على يديّ كما أخبرني الشيخ الخفي ، وقد طلب مني أن أنزل عندك وأستعين بك وبأغنامك لأدخل حمى الثعبان الكبير وأقتله وآخذ قلبه معي لبلاد الأميرة المغرورة ولما أصرع الثعبان بإذن الملك العلام سيطلب مني أهل القرية تخليصهم من الفيل العملاق حامي حمى الغابات السبع ، ثم آخذ قلبه لبلاد الأميرة المغرورة ، فهذه قصتي وغايتي من المجيء إليك يا جدتي أم المحاسن .

قالت العجوز مرحبة : مرحبا بك يا ولدي .. لقد أخبرني الشيخ الخفي بأن الثعبان الظالم مقتله سيكون على يد فتى من بلاد بعيدة ، فأنت هو الفتى فارس الميدان ، فمرحبا بك في بيت خالتك العجوز أم المحاسن .. لقد آن للظلم بالزوال .

ومكث الليل ضيفا مكرما عند أم المحاسن ، ومع بزوغ الفجر أخذ غنيمات العجوز ، وانطلق مع رعاة الحي حيث المراعي ، ثم سألهم عن مرعى ثعبان الثعابين ، فجفل السامعون من سؤاله ولما طمأنهم بحسن الكلام دلوه على المرعى ، وهم يحذرونه من الهلاك والتورط بدخول مرعى الثعبان ، فقال لهم : لا بأس عليكم ، فما أرسلني الله إلى هذه القرية إلا لأخلصكم من هذا

الثعبان الظالم .

فتعجب الرعاة من كلامه وتمنوا له التوفيق في مهمته ، ومضى نحو حمى الثعبان ، والرعاة في خوف عليه من غدر الثعبان الطاغية ، ودخل المرعى بقلب أقوى من قلب الأسد الضاري وبحفظ من رب العباد الباري ، فرعى الغنمات حتى رتعت وشبعت ، ثم عاد مع المساء للقرية والرعاة يعجبون من عدم تعرضه لخطر الثعبان ، وروى للعجوز ما جرى له فقالت : احذر غدر الثعبان، فلابد أنه لم يكن داخل الحمى اليوم .

ومع الصباح الباكر أخذ غنيمات العجوز وانطلق نحو حمى الثعبان ، وقد دخل الحمى متحديا والرعاة قد تجرأ بعضهم واقترب من الحمى يتفرج على الراعي وسيم ، ومضى يومان وثلاثة وغنمات العجوز ترتع في الخيرات ، وانتشر الخبر بين الناس أن الفتى وسيما يقتحم مرعى الثعبان ، ولم يجرؤ الثعبان على التصدي له ويؤذيه ،وجبن عن الظهور له ، فبدأ أصحاب الأغنام يشجعون رعاتهم بدخول مرعى ثعبان الثعابين ، وبدأ بعضهم يتشجع ويدخل مع وسيم ليرعى داخل الحمى ، وهم يعجبون لإختفاء الثعبان الظالم ، فقد كانوا يسمعون صراخه وفحيحه عند أول وهلة تقترب فيها غنم من حماه إن لم يفترسها قبل أن يسمع صوته .. بل كم من الرعاة قتلهم بسُمه لإقترابهم من حماه ، فيسألون وسيما عن السر الذي يملكه ويحميه من الثعبان فيجيب : لقد قدمت من بلاد بعيدة للفتك به ؛ فكأنه عرف سري .



فيصيب الناس العجب لهذا الكلام الغريب ، وذات ضحى والرعاة قد دخلوا عرين الثعبان ، سمع الرعاة زمجرة وفحيح الثعبان من بعد وهو يصيح : أيها الرعاة اخرجوا من حماي قبل أن افتك بكم جميعا .

فهرب الرعاة بجلودهم على الفور ، وتركوا أغنامهم خوفا من بطش الثعبان الوحش ، وقد سمعوا وسيما يصيح : أين أنت يا ثعبان الثعابين ؟! لي أيام أرتع في مرعاك ، ولا أسمع فحيحك

وصياحك .. ألا ترحب بضيفك ؟ أنا وسيم حامل سيف الانتقام .. إليّ أقبل ..



فقال الثعبان الضخم بكل هدوء : أنا أعلم لماذا جئت يا وسيم ؟! .. أتريد قتلي وإنقاذ الناس من شري ؟! فاعلم أنا لست شريرا ، فهذه الأرض لي ، هذه مملكتي ، فأنا أحميها ، فمن أجل ذلك منعت الناس من دخولها ، مَن آذاني آذيته ، هل في هذا ظلم وعدوان ؟! أتحب أن يعتدي أحد على أملاكك وحماك وأرضك وبيتك ؟

رد وسيم قائلا : حق ما تقول أيها الثعبان .. ولكنك نسيت أمرا مهما وجليلا ، وهو أنك سلبت هذه الأرض من أهل القرية وفتكت بأصحابها ، فلم تكن الغابة والحقول هذه ملك لك ولا لأبيك ، إنك اعتديت على أصحابها ، وأصاب عدوانك الرعاة والأغنام ، فكم من راع قتلته ؟! وكم من نعجة أهلكتها ؟! وأنت تثير الخوف والرعب بين أهالي القرية ، وتمنعهم من الرعي في أراضيهم ألا يعتبر هذا ظلما وعدوانا ؟!

قال الثعبان : أيها الفتى! .. أنا أرضى بحكمك بيني وبين هؤلاء الناس .

فقال وسيم : أنا لست حاكما لأحكم بينكم ، أنت خصم لي وعدو ، وأنا قادم للفتك بك وأخذ قلبك معي لبلاد الأميرة المغرورة ، فعليك أن تصارعني إما أن تنتصر عليّ وتظل سيدا وملكا في حماك ، وإما أن أصرعك وأخذ قلبك للأميرة المغرورة .

فرفع الثعبان من صوته لما استوعب كلام وسيم فقال : وسيم البطل ..اعلم أنني غضضت الطرف عن اقتحامك حماي كل هذه الأيام ، ومع ذلك سأسمح لكم بالرعي من أجلك أنت لنبقى أصدقاء .

هزّ وسيم سيف الانتقام بيده وقال : أنا ذكرت لك الغاية من مجييء لهنا .. فأنا سيف النقمة والقصاص .. فقلبك أريده فلا مناص لك من محاربتي .

قال الثعبان بوجل واضح : وسيم البطل .. أهبك كنوزي كلها على أن تعود لبلادك ودعك من

الأميرة المغرورة .

قال وسيم وقد هز سيفه يمينا ويسارا فازداد لمعانا مع بريق الشمس : أيها الخصم دافع عن نفسك حان وقت القصاص .

فتحرك الثعبان يمينا وشمالا عدة مرات وقال : لابد من القتال .. إنك ترفض صداقتي ، وعليّ أن أدافع عن كرامتي وهيبتي وملكي ..تذكر أنك أنت الآن أصبحت ظالما معتديا .

قال وسيم وهو في غاية الانتباه والحذر : أنا أريد أن أقتص منك للذين ظلمتهم وأكلتهم فاستعد للعراك .

ونشبت بينهما معركة حامية الوطيس ، كان يقاتل فيها الثعبان باستماتة ويأس حتى تمكن وسيم من ضربه بسيف النقمة على رأسه ، فانفلق وخر الثعبان صريعا يتخبط بدمه يصيح : اضرب رأسي مرة أخرى .

فرد وسيم وهو نشوان : أوصاني الشيخ الخفي أن لا أفعل .. ضربة واحدة على الرأس بسيف ذلك الرجل الذي أهلكتموه في الجبل .. ألم ترسل من يغتاله يا غدار ؟ حتى لا يصل سيفه إليّ وأقتلك فيه كما هو مقدر ، فلقد وصلت إليه قبل أن يموت وأخذت السيف السحري منه وعرفت أسراره قبل أن تأخذوه .. كم صخرة دحرجتم نحوي وأنا صاعد في الجبل .

عندئذ شهق الثعبان نفسه الأخير ومات ، فشق وسيم صدره وأخرج قلبه ووضعه في كيس ، ثم قطع الرأس وخرج من الحمى وهو يصيح على الرعاة : لقد مات الظالم! جاءه يومه .. هذا هو رأسه أيها الناس .. أين حمى الفيل ؟؟

هجم الرعاة على وسيم يعانقونه ويهنئونه على سلامته ويمدحون شجاعته وقوة قلبه ، وانصرف الناس إلى المدينة وهم يتحدثون عن شجاعة وسيم وبسالته ، وأخذ وسيم رأس الثعبان وانطلق مع بعض الرعاة نحو غابة الفيل ، وقد أوصى أحد الرعاة بإعادة غنمات أم المحاسن إليها حتى يرجع من غابة الفيل ، ولما وصلها علق الرأس على عصاة طويلة على مدخل الغابة ، وكروا راجعين للمدينة ، وعند بيت أم المحاسن وجد الناس مجتمعين ليتفرجوا عليه على البطل الذي

خلصهم من عدوهم الثعبان ، فشكر الناس ووعدهم وبشرهم بقتل الفيل الضخم ليتمتعوا بخيرات بلادهم وحدهم دون غيرهم ، ثم أقبل رجال القصر وهنئوه على انتصاره الرهيب على الثعبان المرعب ، وشجعوه على تخليصهم من الفيل العملاق فقال : ابشروا بالذي يسركم اليوم أرسلت له رسالة علقت رأس الثعبان على مدخل حماه غدا ـ إن شاء الله ـ سأقتحم عرينه .

فقال وفد القصر : إن الأمير السلطان راغب بلقائك والاجتماع بك .

فرد بلطف : سأفعل لما أقتل الفيل العملاق حامي السبع غابات .

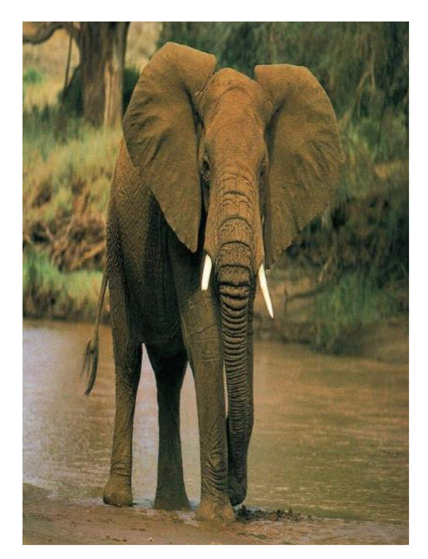
فدعوا له بالتوفيق والنصر المؤزر ، وتفرق الناس نحو منازلهم .



الفيل العملاق

ولما أصبح الصباح أخرج وسيم غنمات أم المحاسن من زريبتها ، وسار إلى الغابات السبع حيث يسكن الفيل العملاق ، فلم يجد رأس الثعبان معلقا ، وعلقت على العصا راية سوداء ، فدخل الغابة مع غنيمات العجوز وكان يصيح : أيها الفيل العملاق ! .. اظهر ها أنا أرتع في غابتك جئت لرؤيتك وتحيتك .

فما كاد وسيم يتم كلامه حتى كان الفيل يبرز أمامه كأنه الجبل ويصيح : أيها الفتى الغبي ! .. ما الذي رماك عليّ ؟! .. إنهم يريدون قتلك والحاقكك بأهلك ..هل ظننت أنني جبان كالثعبان الكبير ؟ .. لا .. لا .. لا .. أنا الفيل العملاق قاهر الحساد والأعداء .. اسمع نصيحتي وارجع لموطنك قبل فوات الأوان .. يا أيها الفتى الغبي ! عد لوطنك ودعك من الأحلام الكبيرة التي تراود خيالك .. فالحصول على الأميرة المغرورة دونه المفاوز والصعاب .. عش في بلادك ودعك من المعالي فاسمع نصيحتي وارحل بسلام .



رد وسيم وابتسامة جميلة ارتسمت على محياه : أيها الفيل العملاق ! ..أنت مغرور ومخدوع بقوتك وضخامتك .. سمعت كلامك ووعيته ؛ ولكني مرسل للقضاء عليك وأخذ قلبك الضخم لبلاد تلك الأميرة وإنقاذها من الغرور والشرور وقتل سيدك الساحر " فلول " ، هذا وعد وعدني به الشيخ الخفي الشيخ "وهيب الزمان".. وأنت طغيت وتجبرت وحرمت الناس والبشر من خيرات هذه الغابات السبع .. الثمار تذهب هدرا ، والأعشاب لا تنتفع بها أنعام القوم ، وفوق ذلك كم من الناس آذيت وقتلت لدخلوهم الغابات جهلا أو نسيانا ؟ كل هذا طاعة لسيدك الساحر ..ما ذنب هولاء الخلق الصرعى سوى أن زلت بهم الأقدام ودخلوا أرضك ؟.. حان وقت القصاص والخلاص منك أيها الظالم ..

فهذا يومك .. الحق له حين ورجال ..فبدأت النهاية لك ولسيدك الساحر اللعين ـ وأخرج وسيم السيف من غمده وصاح ـ دافع عن نفسك أيها الفيل المغرور !

التزم الفيل الصمت والهدوء برهة من الوقت ثم قال : سمعت كلامك ووعيته .. لا أدري هل تقتلني حقا أم أسحقك كما سحقت غيرك ؟ .. ولكني أول مرة أشفق على إنسان يدخل غاباتي.. فقد عطفت عليك أيها الغلام الغبي .. فعد لوطنك ودعك من المعارك .. ولماذا أرسلك الشيخ " وهيب الزمان" ؟ أم أنه خائف على روحه ؟ ويريد أن يقدمك على مذبح رعبه وخوفه .

هز وسيم السيف عدة مرات وقال وهو يتقدم نحو الفيل بخطوات ضعيفة : لن تشغلني بالكلام دافع عن ملكك وروحك .

فهاج الفيل هيجانا عظيما ، واشتد الغضب في قلبه ، فحرك خرطومه الطويل في الفضاء عدة مرات ، فكان له صوت رهيب ، واندفع على وسيم اندفاع النمر الضاري ، فانزاح وسيم من طريقه بخفة الريم ، ودارت معركة مرعبة ومطاردة مخيفة ، فتمكن وسيم من قلع إحدى عينيه فزاد هيجانه فأصبح كالمجانين ، وانطلق يقصف الأشجار والأغصان ، وهو يهدر هدير البحار، ثم ينقض على وسيم من جديد الذي كان له بالمرصاد ، ولم تزعجه قوة الفيل وهيجانه المرعب، وحافظ على هدوء أعصابه حتى قلع عينه الأخرى ، ثم ضرب خرطومه فقطعه ، فانطلق الفيل يصيح ويركض في الغابة على غير هدى ، ووسيم خلفه حتى اصطدم بشجرة ضخمة شقت رأسه فوقع أرضا ، وهو يصيح : وداعا أيتها الغابات .. وداعا أيتها الأشجار الجميلة .. لكل حي نهاية مهما امتدت به الأيام .

ثم قتله وسيم حتى خمدت أنفاسه ، ثم استخرج قلبه ووضعه في كيس خاص ، ثم قطع رأسه العجيب وسحبه حتى مدخل الغابة وهو يصيح : أيها الناس .. لقد مات الفيل العملاق وانتهى ظلمه فارتعوا بنعم الله .. واعلموا أن لكل طاغية وظالم نهاية وزوال .. واشكروا واحمدوا ربكم الذي أنقذكم من الفيل والثعبان .

وكان أكثر أهل القرية في انتظار نهاية المعركة ، فهنئوه على السلامة ، وابدوا امتنانهم لفعله وانتصاره الكبير على الفيل العملاق حامي السبع غابات ، وقاده الأمراء والسادة إلى قصر السلطان ، وجرى له عرس كبير في البلد حتى أن السلطان عرض عليه منصب الوزير ، فاعتذر لهم وذكر لهم الغاية من قدومه لهذه البلاد ، وهي إنقاذ العباد من الثعبان والفيل والمسير بقلبيهما لبلاد الأميرة المغرورة ، وإنقاذها من غرورها وساحر الرعب فلول .

فمكث ضيفا عندهم بضعة أيام ، ثم أوصى السلطان على العجوز أم المحاسن ، وودعهم وتابع الرحلة إلى بلاد الأميرة المغرورة ، فنزل في فندق قديم لا ينزل فيه إلا الفقراء والمساكين ، واستأجر غرفة وحده ، وقضى بضعة أيام يتفرج على البلد وأهل البلد ، فتعرف خلالها على أحوال الشعب ، فوجد أن أكثر حديث الناس عن الأميرة المغرورة وحكايات غرورها وزهوها على خلق الله ، وعلم أن اسم هذه الأميرة " شمهدان ابنة الملك رمح السماء " ، وعلم أن الأميرة تزدري الفقراء والمساكين وتسيء إليهم وتذلهم ، وعلم أن والدها ترك لها حرية العبث في المدينة ، تقتل من تشاء تذل من تشاء تنفي من تشاء تحرق من تشاء تدمر ما تشاء ، لا أحد يسألها أو يحاسبها ، تيتم الأطفال ترمل النساء تغرق من لا يطيعها في البحر .. إنها وحش رهيب في صورة إنسان ، فأخذ وسيم البطل يتحين الفرصة ليشاهد الأميرة شمهدان ويجتمع بها، فعلم أنها تتردد على تاجر من تجار الثياب الجميلة يجلب الحرير والسندس من أقصى الدنيا ، فعرض نفسه للعمل عنده بقوت يومه ، فوافق تاجر الحرير سماق ، ويوما ما قال لوسيم وغلمانه : لقد وصلت مساء أمس ثياب جديدة .. سأذهب إلى قصر الأميرة شمهدان .. من منكم يحب أن يرافقني في هذه الزيارة ؟

فقال وسيم : أنا يا معلمي إذا أذنت لي .. فأنا كما تعلم غريب عن هذه البلاد لعلي أحظى برؤية هذه الأميرة الجميلة .

رد التاجر الكبير : استعد يا وسيم .. هذا المساء لمرافقتي إنك فتى شجاع .. هؤلاء الغلمان لا يحبون صحبتي عند الذهاب إلى قصر الأميرة .. فهم يخافون بطشها وغرورها .. فكم أهلكت

لي من الغلمان لأتفه الأسباب ؟! ولكنها تندم فيما بعد وتدفع لي ثمنهم ؟

فقال وسيم : ولماذا تقتلهم يا معلمي ؟

فابتسم التاجر : لعلك خفت من لقائها .. أحيانا لا يحسن الغلمان الأدب أمام الأميرة .. تراهم مشدوهين في حسنها وفـتنتها .. وأحيانا لا يحسنون الكلام معها .. فهم لا يحسنون الإجابة من الخوف والارتباك أو الفتنة .. فتغتاظ منهم فتهلكهم .. فهي مغرورة .. فيا بني عندما تقابل الأميرة لا تنظر إليها حتى لا تنبهر بجمالها ، فيضيع عقلك فهي باهرة الحسن ، وقد تكون أجمل امرأة يقع عليها بصرك .. فلذلك اغضض بصرك بقوة .. وإذا كلمتك تكلم معها بكلام موجز واضحا، ولا ترفع عينيك إليها فتـفتنك فتتلعثم بالإجابة ، وإن لم تحسن الكلام فقل بكل أدب سيدي سماق أمرني بالسكوت .. الآن انصرف واسترح وعد مساء قبل الغروب ؛ لأننا قد نمكث عندها طول الليل أي في القصر حتى يؤذن لنا في عرض بضاعتنا .

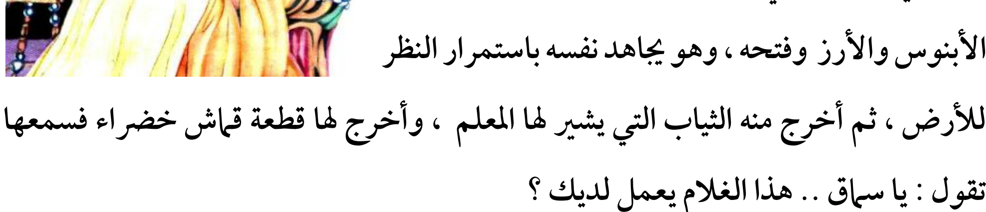
جاء وسيم مغربا وقد استعد لصحبة التاجر سماق في عرض بضاعته الجديدة على الأميرة قبل أن يعرضها على الناس ، كما هو متفق مع الأميرة شمهدان ، وحملت صناديق الثياب على ثلاث بغال جميلة ومزينة بأحسن زينة ومدهونة بأطيب عطر ، وقام وسيم بقيادة أحد البغال وتبعه الآخران ، وكان التاجر قد اعتلى بغلة بيضاء عليها من الثياب والألوان ما يبهر الناظرون ، وقد لبس التاجر ووسيم ملابس حسنة بهجة للناظرين ، فكان من يراهما من رجال السوق يدرك أنهما سائران لقصر الأميرة المغرورة ، وسار الموكب الصغير نحو قصر الأميرة ، ولما شاهدهم حرس الأبواب رحبوا بهم ـ فهم يعرفون السيد سماق حق المعرفة ـ وبعد أن أذن لهم دخلوا القصر ، وتقدم عدد من الغلمان فحملوا صناديق الثياب والقماش ، وقام آخرون بنقل البغال حيث اصطبلات الأميرة ، ولحق وسيم وسماق الغلمان الذين حملوا الصناديق ، ورأى الفتى من الجمال والألوان والورود والأزهار والروائح والجواري والخدم والبسط والشموع الملونة ما يفتن الإنسان ، ويثير شهوة الشعار البارعين في وصف الحدائق والجنان ومجالس الأنس والفرح ، ومن دهليز إلى دهليز ادخلوا التاجر غرفة واسعة مفروشة بسجاد من بلاد الأعاجم ووسائد

غريبة الأشكال والأحجام ، وهناك وضعوا الصناديق الثلاثة وقال رئيسهم : امكث هنا يا سيدي سماق ريثما تأتى الأميرة المبجلة مولاتنا شمهدان .. فهي كما أخبرتني الجواري في صحبة أمها الملكة .. فعندما تخرج ستخبرها الجارية بوجودك .

فقال سماق بصوت ناعم هادئ : حسنا أيها الأبطال نحن بالانتظار ، فقد قدمنا بأروع وأجود الثياب والقماش التي وصلتنا من أقصى الدنيا .



بعد ساعة من الزمن أقبلت الأميرة الجميلة شمهدان وبين يديها سبع وصيفات ؛ كأنهن شمس بين سبعة بدور ، فنهض التاجر عند دخولها محييا ، ووسيم قد ضل عقله من بديع صورتها ؛ ولكنه تدارك نفسه بلمح البصر ، ونهض مقلدا التاجر ، فرآه قد تقدم من الأميرة التي وقفت في نصف القاعة وهي ترحب به ، فقبل التاجر يدها ، وفعل وسيم مثله وهو في غاية الانبهار ، وأخذ التاجر يمدح بضاعته ، ووقف وسيم بجوار أحد الصناديق منتظرا الإشارة لفتحه ، وكان ينظر للأرض ومن طرف خفي يمتع نظره بالنظر لهذه المخلوقة التي حدثه الشيخ الخفي بأنها ستكون حليلته ، ويقول في نفسه : إنها فاتنة حقا ..هذه هي الأميرة التي ساقترن بها بمشيئة الرب العظيم .. هذا ما قاله الشيخ الخفي .. ستبدأ المعركة بعد قليل .



وبينما هو مسترسل في أحلامه سمع المعلم يقول : افتح الصندوق يا غلام

رفع وسيم الصندوق الذي أشار إليه التاجر سماق ووضعه بين يدي الأميرة التي كانت تجلس على عرش من خشب الأبنوس والأرز وفتحه ، وهو يجاهد نفسه باستمرار النظر للأرض ، ثم أخرج منه الثياب التي يشير لها المعلم ، وأخرج لها قطعة قماش خضراء فسمعها تقول : يا سماق .. هذا الغلام يعمل لديك ؟

فقال سماق بقلق وبطء: نعم يا مولاتي.. غلام جديد أكرمني الله به .. وهو خادمك الأمين

أمسكت الأميرة بقطعة الثياب . وقالت : ما اسمك أيها الفتى ؟

قال وسيم وهو يحدق النظر في الأرض : مولاتي .. اسمي وسيم .

فكأن الأميرة جفلت قليلا فرمشت عيناها وقالت: وسيم .. رائع ! اسم جميل وحسن أيها الغلام !

فقال بصوت هامس : نعم .. أيتها الأميرة العزيزة .. أنا وسيم .

أخذت الأميرة تقلب الثوب وقالت : أيها الشاب .. أنت غريب عن هذه البلاد ؟

نظر وسيم للتاجر فرأى في عينيه أجب فقال : نعم ، يا سيدتي الأميرة .. أنا يتيم .. لا أب لي ولا أم .. تنقلت في البلاد حتى وصلت إلى هذه المدينة الجميلة والتحقت بالعمل عند السيد سماق بقوت يومي .

كاد سماق أن ينفجر غضبا من ثرثرة وسيم وخشي عليه الهلاك ، وسمع الأميرة تقول وهي ما زالت تتفرج على الثوب المنشور بين يديها : هل أنت قوي يا وسيم ؟ .. مالك تنظر لسيدك ؟ انظر إليّ أنا !

فرد قائلا : قوي ! .. ماذا تقصدين بقوي يا مولاتي ؟

فقالت : أتحسن ركوب الجياد واللعب بالرمح والسيف ؟ .. وارفع عينيك وانظر إليّ !

فقال المعلم وقد رجح لديه تعرض الفتى للأذى : لا تخف يا بني ارفع عيناك وأنظر في وجه الأميرة ، لقد أذنت لك وأجب على أسئلة الأميرة .. ولا تخف .

أمعن وسيم النظر إلى عيني الأميرة بقوة فقالت الأميرة : أيها الفتى إن في عينيك لسحرا .. أجب على سؤالي .. هل تحسن ركوب الجياد وضرب السيف ؟

فقال وهو مازال محدقا فيها ولم يطرف له رمش : أركب الخيل يا مولاتي ؛ ولكني لست من الفرسان ، أما السيف فإني أجيد حمله والطعن به .. وقد مررت على بلاد الثعابين وهناك لقيت ثعبانا كبيرا هائلا يمنع الناس الرعي من سنين ، ففتكت به وخلصت الناس من شره .

فصاحت الأميرة فجأة صيحة اهتز لها المكان وقالت : ماذا قلت أيها الفتى ؟

واخرج وسيم من وسطه كيسا كان يخفيه ، وأخرج منه قلب الثعبان الملفوف بمنديل جميل وفتحه وقال للأميرة : انظري يا مولاتي ! .. هذا هو قلب ثعبان الثعابين .

وبسرعة أخرج قلب الفيل وقال وهو ينشره أمامها وأمام دهشة التاجر والوصيفات : وهذا هو قلب الفيل حامي الغابات السبع أيتها الأميرة ، لقد أرديته ميتا وخلصت الناس من شره .. وأنا قادم إليك لأنقذك من الساحر فلول .. وأتزوجك فاطمئني لي وثقي بالله العزيز القدير وأنا

عملت مع التاجر سماق لأصل إليك واجتمع بك فاعتمدي عليّ أيتها الأميرة سأنقذك من الساحر فلول . وأخرج سيف النقمة وهزه بالفضاء حتى سمع القوم أزيزه وقال : أنا وسيم الذي تنتظرينه .. وعدني الشيخ الخفي بالزواج منك أنت قدري .

التاجر سماق قد فقد صوابه لما سمع هذا الكلام ، وظن أن فتاه أصابه مس من الجنون من شدة حسن الأميرة ، وكانت الأميرة بعد تلك الصرخة الحادة عادت تنظر في قلبي الثعبان والفيل وتسمع كلمات وسيم ؛ وكأنها في عالم آخر ولما صمت الشاب ، أشارت للقلبين المطروحين أرضا ثم قالت بصوت ضعيف جدا : أحقا هما قلبي الفيل العملاق وثعبان الثعابين ؟!

وأمام دهشة السامعين اقترب الفتى من الأميرة ، وربت على كتفها ؛ كأنه يعرفها منذ سنوات : مولاتي دعيني أنقذك من الساحر .. تعاوني معي أيتها الأميرة .. سنعيش سعداء .. سنفرح ونتزوج ويفرح أهلك وأهل المدينة .. سيسر الخلق عندما تعودين أميرة لطيفة .. أميرة تحب الخير للآخرين .. سيغفر لك الناس ما ارتكبتيه في حقهم من العبث والظلم والغرور .. سيعلمون أن هذا كله من تأثير الساحر فلول .. تعاوني معي أيتها الحسناء .. فنقتله بهذا الحسام الذي لا يخيب حامله أبدا .. فهو سيف من صنع السحرة القدماء .. ففي ضربة منه خر الثعبان صريعا ومثله الفيل العملاق .. عمل الخير جميل وممدوح ورائع ويستحق التضحية أيتها الأميرة الشر نهايته شر وظلام .. السعادة في الخير والإحسان للضعفاء والمحتاجين .

كان سماق مدهوشا مما يسمع من غلامه وازداد دهشة عندما سمع الأميرة الصامتة تقول : أحقا يا وسيم تستطيع إنقاذي من ساحري ؟!

فهتف الشاب بفرح ومشجعا للأميرة : من أجل هذا جئت أيتها الأميرة .. ومن أجل ذلك دخلت عليك بهذه الطريقة حتى لا يعلم الساحر بوصولي وبمقابلتك ، ومن أجل ذلك جئت بقلبي الثعبان والفيل لتتشجعي وتثقي بي .. تعاوني معي .. أوصليني إليه وسوف ترين كيف أفتك به .. الحرية .. الحرية .. تحرري من الأسر .. من الغاصب .

فقالت بهمس ضعيف وخوف: وسيم عندما سمعت اسمك من الساحر توسمت فيك الخير

والشجاعة وأحببت لقياك ..ولكني خائفة منه .. فهو ساحر لئيم .. دعني أيها الصديق وعد لوطنك .. دعني لقد سيطر عليّ اللعين بسحره .. فعندما يسألني عند الفجر .. سوف أعترف له بوجودك .. لا أستطيع أن أخفي عنه اجتماعي بك .



أخرج وسيم منديلا وهو يقول :هذا المنديل ضعيه في ثيابك فلن تكشفي له أمري وستخف سيطرته على أسرارك ، فهو منديل من مناديل الحيتان .. وعندما تركبين على متن الساحر فليبق في ثيابك ، وسأكون أنا في البحر في ثياب الحوت ، ومن رائحة هذا المنديل سأتبعك ولا تخافي وإذا دخلت قصر الساحر اتركي الباب مفتوحا وسوف أدخل وأفتك به .. أنا مستعد للمعركة يا شمهدان تعاوني معي .

قالت وما زال الخوف في نبرات صوتها : أخاف أن تفشل فنموت معا .. إنه يقتلنا شر قتلة .

تبسم البطل ابتسامة تشجيع وقال : يا أميرة الزمان .. أنا مستعد للمعركة .. وإن فشلت فلن يؤذيك إلا ببعض الشتم والسب ، فسيضع نقمته عليّ فهو عاشق لك ولهان .. المهم أن تحتفظي بالمنديل جيدا في مكان خفي بين ثيابك التي تلبسينها ، واحذري أن يسقط منك أو يراه الملعون حتى أتمكن من السير وراءك .. ودعي الباب مفتوحا والباقي عليّ إن شاء الرب العظيم .

فعندئذ قالت الأميرة أمام دهشة السامعين : حسنا أيها البطل سأستسلم لك وأطيعك وأنفذ رغبتك ، كما قلت لابد من التضحيات للنجاة من سحره وشروره .. لقد ضقت ذرعا من طغيانه آه يا وسيم أتمنى من كل كياني أن أتخلص منه .

وبعد فترة صمت وقد خيم السكون على الغرفة قالت الأميرة بهمس : سأدخلك حجرتي المطلة على البحر ..فهو يأتيني بعد نصف الليل فيحملني على ظهره إلى قصره في جزيرة داخل البحر وقبل شروق الشمس يعيدني لغرفتي .. وأنت يا سماق اقض ليلتك هنا مع هؤلاء الوصيفات

وفي الغد سأنظر في ثيابك .

وتركت الغرفة وخلفها الشاب الصغير وسيم ، وأدخلته غرفتها وفتحت نافذة وقالت : من هنا يأتي .. وذا البحر .

فأخرج وسيم منديلا وأعطاه للأميرة ، ولبس ثياب الحوت وقفز إلى الماء ورقد تحت النافذة ، ولما جاء نصف الليل فتحت الأميرة النافذة ، ولم يطل الانتظار جاء الساحر فسمعه وسيم يخاطب الأميرة قائلا : كيف حال أميرتي .. مالي أراك حزينة وناعسة ؟

فقالت بحزن وتعب : إنني متعبة ومريضة يا سيدي الساحر .. لقد أتـعبني سحرك .. ألم تجد أميرة غيري تعشقها ؟ .. ألا تريد أن تعتقني بعد كل هذه السنوات ؟!

فرفع نبرة صوته فقال : مالك تشكين ؟ .. هيا اركبي .. هناك سوف أداويك وأعالجك .. لا خلاص لك مني .. أنت روحي الموجودة في جسدي .. أنا سيدك الساحر .. ألا يوجد عندك أخبار ؟.. هل التقيت بوسيم ؟ .. لقد وصل لهذه المدينة وبحثت عنه فلم ألقاه بعد .

فقالت وكلها خوف ووهن : آه .. لقد شوقتني لرؤية هذا الرجل يا سيدي الساحر .

ضحك الساحر بصوت عال وجنون ثم قال وهو يضحك : علمت أنه سيتزوجك .. ورفع من ضحكه وتابع : لا .. لا يمكن أن يتزوجك وأنا حي .. هيا اركبي .. آه لو يقدر لي قتله .. وقتل سيده " وهيب الزمان " .. أنت لي وحدي أيتها الأميرة .. أنا الذي سيتزوجك عندما أخلص من هذين الشريرين .. الوغدين !

صعدت الأميرة على كتفيه فقال لها : مالك مضطربة ؟! .. إن جسدك ينتفض أيتها الأميرة ؟

فقالت : ألم أقل لك أنني متعبة ومريضة ؟ .. ما رأيك أن تعتقني الليلة من الذهاب معك ؟

فصاح : لا ..وألف لا .

وطار بها في الجو فوق مياه البحر ، وتبعهم الحوت وسيم على أثر رائحة منديل الحوت وبعد ساعة دخلوا جزيرة الساحر فلول ، وخرج وسيم إلى البر وخلع ثياب الحوت، وقد شاهد قصر الساحر بأم عينيه ، فكان قصرا عتيقا فزحف نحوه بكل ثقة وأمان ، وتنقل في غرفه حتى وصل للحجرة التي يجلس فيها الساحر مع الأميرة ، وهي تسقيه الخمر وهو يصيح ويعربد ، وهي تغني له بصوت رخيم ، وهو يشتد طربا وأحلاما ويشتم وسيما ووهيبا .



فتفقد وسيم السيف السحري ، وحاول دفع الباب فوجده مغلقا فتعجب من الأمر ، فتابع المراقبة والتنصت من ثقب الباب، ولاحظ أنه كلما تحاول الأميرة النهوض لفتح الباب يمنعها من القيام ومن ترك الغناء والعزف ، واقترب الفجر ولم تتمكن الأميرة من فتح الباب فتفقد وسيم السيف السحري ، وحاول دفع الباب فوجده مغلقا فتعجب من الأمر ، فتابع المراقبة والتنصت من ثقب الباب، ولاحظ أنه كلما تحاول الأميرة النهوض لفتح الباب يمنعها من القيام ومن ترك الغناء والعزف ، واقترب الفجر ولم تتمكن الأميرة من فتح الباب

فانزوى وسيم في إحدى الغرف حتى خرجت الأميرة على ظهر الساحر وطار بها .



فمكث وسيم في قصر الساحر يفكر وينتظر عودة الساحر ، وهو يخشى أن تضعف الأميرة وتقر بما جرى الاتفاق عليه .. أشرقت الشمس ، ولم يرجع الساحر وأحس الفتى بالحاجة للطعام ،

فأخذ يبحث في الغرف عن مخزن القوت ، ودخل غرفة في أسفل القصر .. غرفة كبيرة وفي وسطها موائد جميلة .. ووضعت عليها أوعية وظروف الطعام المغطاة .. ففتح أحد الصحون فوجده ممتلئا بالطعام المطبوخ ، فأغلقه ونظر إلى بقية الصحون فوجدها كلها ممتلئة بالطعام المطهو ، فاحتار في تفسير ذلك فقال : عجيب ..كأنها قاعة ولائم !.. هل يسكن أحد مع الساحر ؟ .. هل آكل منها أم اصطبر ؟

سمع أصوات قادمة وأحس أنها تقترب من الغرفة ، فأخفى نفسه في زاوية المكان ، وكم كانت دهشته عندما شاهد مجموعة من الحسناوات الجميلات يزلفن الغرفة ويجلسن على مقاعد المائدة وسمع إحداهن تقول : ما أخبار ساحر الأميرة شمهدان ؟ .. فهو سيد هذا القصر في الليل ونحن سادته في النهار .

فردت عليها أخرى : ما زال يعذبها فتقوم على خدمته فتسقيه الخمر وتغني له وتطعمه ..حتى الفجر وهو يتوعدها بالزواج .

فقالت ثالثة : وما الذي يحجزه من الزواج منها ؟

فردت رابعة : هو خائف من فتى اسمه وسيم .. لقد أخبره الشيخ الخفي "وهيب الزمان" أن مصرعه سيكون على يد ذلك الفتى ..فهو يأمل بموت الشاب وسيم ، ثم يتخذ من الأميرة المغرورة زوجة .

قالت خامسة : ساحر البحر ساحر شرير .. ولكنه حزين هذه الأيام .. لقد علم بمقتل ثعبان الثعابين والفيل العملاق على يد الفتى وسيم كما أخبره "وهيب الزمان" قديما .. مما يدل على أن وسيما ظهر على مسرح الحياة ، ولابد أنه آت للانتقام منه ، وإنقاذ الفتاة من شروره رغم أنفه كان هذا الحديث يدور بين الفتيات وهن يأكلن الأطعمة الشهية ، ووسيم يسمعه حيث توارى عن أبصارهن ، فسمع أيضا إحداهنّ تقول : سمعت الشيخ وهيب يحدث أبي بأن وسيما سيتزوج الأميرة شمهدان .. وأنه قادم لهذه الجزيرة .. وسيفتك بالساحر فلول .

قالت ثانية : ولكن كيف سينتصر عليه ؟ وكلنا يعلم أن فلول ساحر رهيب .. فأبوك الأمير يا

قطر الورى يخاف منه ويحسب حسابه ويصمت على شروره .

ردت بنت الأمير : حق ما تقولين .. فلول ساحر كبير وخطير ولا رحمة في قلبه ، فكثير من ملوك الجآن يخافونه ويتقون شره .. فقد نال السحر عن أكابر سحرة الجآن في زمانهم .. ولكن الشيخ "وهيب الزمان" .. أعلم أبي بأن زمان موته أهل واقترب .. وأن وسيما الفتى الشجاع دخل بلاد الأميرة شمهدان وأن الملحمة قادمة .. هيا نخرج للعوم قبل أن نعود لمدننا وممالكنا .

ثم نهضن عن الطعام وإحداهن تقول : سوف تأتي خادمتي نورا اليوم لتنظيف المكان فقد أمرتها بذلك .

وتركن قاعة الطعام سريعا ، وانطلقن نحو البحر ، فخرج وسيم من مخبئه وهجم على الصحاف يلتهم ما فيها من قوت ؛ وفجاءة إذ به يفاجأ بفتاة تنظر إليه ، وهو يبتلع لقمة كبيرة فكاد يشرق ثم سمعها تقول : من أنت ؟؟!

فقال وهو ينظر إليها : لا تنذعري يا فتاة .. ما بك فاغرة الفم ؟ كأنها ترى شبحا يريد أن يبتلعها

فقالت ببطء : من أنت يا هذا .. إنسي أم جني ؟

فقال : بل إنسي .. ماذا تريدين ؟ !

قالت : نسيت شيئا فعدت استرده .

فقال : تعالي فخذيه .. أنا وسيم هل سمعت باسمي يا فتاة ؟

فازدادت دهشتها فكل حديثها ورفيقاتها على مائدة الطعام قبل قليل كان عن وسيم والساحر و "وهيب الزمان" فقالت : حقا ما تقول أيها الفتى .. أنت وسيم صاحب شيخ الزمان وهيب ؟!

رد قائلا : أجل .. أخبريني ما قصتك أنت وهؤلاء الفتيات؟ لقد سمعت حديثكن رغم أنفي

فقالت : أجئت لتقتل الساحر فلول ؟.. كيف وصلت ؟ بل كيف عرفت هذه الجزيرة ؟!

فقال بهدوء أعصاب تعود عليه منذ بداية هذه الرحلة العجيبة ، منذ اجتياز الصحراء والنهر والبحر والجبل : أتيت أيتها الحسناء لإنقاذ الأميرة شمهدان بنت السلطان رمح السماء ، وكذلك

إنقاذ الناس والخلق من شرور الساحر فلول .. فلكل شر نهاية ولكل ظالم ساعة .

أخذت الأميرة حاجتها وهي تقول : أخشى أن أتأخر عن صويحباتي فيفتقدنني واعلم أن خادمة الأميرة قادمة .. سوف تراك .

قال : حسن ؛ ولكن اكتمي أمري ، الليلة ـ إن شاء الله ـ اجتمع بساحر البحر فلول .

خرجت الجنية واستمر وسيم بمضغ طعامه حتى شبع ، ثم صعد للغرف العليا في القصر يشاهد الفتيات وهن يلعبن بالماء ، ثم رأهنّ يلبسن ملابس الغربان ويطرن في عنان السماء ، ثم تفرقن اثنتين اثنتين أو واحدة واحدة ، ولما حل الليل كان وسيم قد اتخذ قرارا بالاختفاء في غرفة سهر الساحر ؛ ولكنه اكتشف أنها مغلقة . فقال :سوف استقبله وعندما أراه يهبط على الأرض أرديه قتيلا .. لا .. أريد أن أعرف كيف أفك سحر الأميرة منه قبل موته .

اختفى في غرفة بعيدة من غرف القصر ونام فيها ، ولما نهض من النوم تفقد السيف الذي وهبه له قتيل الجبل والخنجر المعلق على وسطه ، وانتقل إلى غرفة الساحر يرقبها وينتظر ، وكالمعتاد قبل الفجر بساعات يسيرة أتى الساحر وعلى ظهره الأميرة ، وهبط بها على ظهر القصر ، ثم هبطا نحو الحجرة وهو قابض عليها ؛ كأنه خائف عليها أن تهرب ، وسمعه يقول : مالك منهكة القوى أيتها الأميرة ؟!.. منذ أمس وأنت ضعيفة وأمورك مزعجة لي .. ماذا أصابك ؟ فصرخت بوجهه : تعبت منك .. لقد أهلكتني بسحرك .. أنا مريضة .. فكني من سحرك .. سأطيعك سأكون جاريتك .

فقال قلقا منزعجا: شمهدان .. آنت حقا مريضة ؟! .. فوجهك أصفر .. وليلة البارحة لم تأكلي جيدا ، ولم تشربي الشراب المنعش الذي أحضره لك من بلاد الماح .. أروع شراب ! شراب ملوك الجن النادر .. ما بك يا أميرة الدنيا ؟ .. ألم أمنحك أثمن الجواهر ؟ .. وأندر الأثواب .. اصبري قليلا ، عندما أتخلص من أعدائي الكثر سأفك سحرك .. لا تبكي .. لا تبكي .. لا تؤثر بي الدموع والتوهات فقلبي قُد من الصخر .. اعلمي أيتها الأميرة .. أنت أخطر شيء على حياتي فعن طريقك سيصل وسيم اللعين إليّ .. فأنت حياتي .. هيا ندخل الغرفة .. بل اسبقيني حتى

أجلب الطعام من قاعة الطعام ، وفتح لها الغرفة وهو يقول : اصبري يا أميرتي .. وخذي هذا الشراب الرائع شراب ملوك الجن السبعة . أمسكت الأميرة المنهكة القوى الزجاجة ، ودخلت الحجرة ، وذهب ليأتي بالطعام ، وطرق وسيم الغرفة وهمس: أنا وسيم .. لا تخافي ـ ودخل بسرعة ـ إنك ضعيفة يا أميرة .. قبل شروق الشمس سيموت .

وشد على أسنانه بقوة وقال : لقد سمعت حديثكما وكنت أريد الفتك به ؛ ولكني أريد معرفة فك سحره لك .. اثبتي .

فقالت بخوف : إنه قادم .. ألا تخاف منه ؟!

قال مشجعا : لقد علمني الشيخ الخفي الشجاعة والإقدام .. حاولي جره لكشف أسرار سحره لك . وخبأ نفسه بالغرفة الواسعة .

وأتى الساحر يحمل سفرة الطعام خروفا مشويا ، قد جهزته له خادمة القصر نورا ، ثم ذهب وأتى بقوارير الخمر .

وبدأ الأكل أكلت الأميرة لقيمات ، وتظاهرت بالضعف ، وقامت بسكب الخمر له أكثر من مرة فقال لها وبين فكيه فخذ خروف : مالي أراك مضطربة ومتوترة أيتها الحسناء ؟! .. أتخافين وأنت في حضرة الساحر فلول الذي يحسب حسابه كل ملوك الجن ؟ .. أنا تلميذ الساحر "راب نال" أعظم سحرة بلاد الماح .. هيا أخرجي عودك الجميل وغني لي بصوتك الشجي

فقالت بتأوه وألم : آه منك يا فلول! .. لم تذكر لي يوما كيف استطعت سحري ؟ .. وأنا طفلة صغيرة .

قهقهه الساحر طربا وقال : ذكريات!.. ذكريات يا شمهدان .. إنك أميرة فاتنة جدا ! أجمل صورة وقع عليها نظري .. القمر الجميل في ليالي الصيف الحارة يخجل من حسنك !.. قال لي ساحري الكبير ذات يوم عندما رأيتك لأول مرة .. أنا وإياه في ذلك المساء الذي كان يحتفل أهلك بك في القصر..وكنا من الذين قدر لهم أن يشاهدوا تلك الحفلة الملكية برفقة كاهن

والدك ، فكنا في جملة الكهنة ، ويومها قال لي الساحر الكبير :" هلاكك يا فلول على يد هذه الأميرة .. وقتلك لها لن ينجيك من الموت .. فهناك فتى من بلاد بعيدة سيتزوجها .. فدافع عن نفسك .. هذه كانت البداية يا شمهدان .. أنت موتي .. فالمحافظة عليك هي حياتي .. فصنعت لك سحرا في بلاد الماح .. أتذكرين يوما كنت فيه محمومة ؟ وصنع لك الكاهن شرابا خاصا لشفائك ، فقمت بإبداله بالشراب المسحور .. شراب من عصير الليمون .. ثم تعافيت وسر الملك وقومك بشفائك وأثنى على كاهنه ، ومن يومها أصبحت تحت سيطرتي .. وأصبحت صفحة بيضاء أمامي لا تخفين عني شيئا .. حتى كبرت وبلغت سن الرشد ، فظهرت لك وأصبحت معشوقتي المفضلة ساقيتي الخمر مغنيتي الحسناء .. فسكنت هذا القصر المهجور ، فأحضرك فأمتع عيناي بالنظر إلى جمالك الفاتن وأشرب الخمر من بين يديك .. وأطرب على صوتك الساحر وأحلم بالزواج منك ؛ ولكن بعد موت ذاك الفتى .. فأنت سري وسر حياتي فهذه الذكريات والبدايات يا أميرة القلب .

فقالت كأنها عاتبة : ولكنك جعلتني شريرة .. مجرمة .. مغرورة لا يعجبني شيئا .. أفتك بالصغار قبل الكبار .. أحب الشر وأفرح له .. لقد كنت قاسيا عليّ يا فلول الساحر .. حسنا يا سيدي الساحر ، فهل عندما تقتل غريمك وسيما ستعالجني من السحر وأعود فتاة طيبة ناعمة تحب الخير وتطيع والديها وتحبها ؟ .. بل كيف ستعالجني من السحر ؟!

قالت ذلك وهي تتظاهر ببراءة الأطفال، فأخذ الساحر بالضحك بأعلى صوته ؛ وكأن مسا ألم به ويقول : ويلاه!.. عندما أتخلص من أعدائي .. ستكونين أسعد أميرة في الدنيا .. سوف آتيك بشراب يعيدك فتاة خيرة .. تعودين آنسة محبوبة تحب الخيرات .

فقالت بلهفة وهي تقدم له كأسا أخرى من المنكر : من أين ستحضره ؟ !.. من بلاد الماح ستأتي به يا سيدي الساحر .. ليتني أعرف الطريق لبلاد الماح هذه .

فقال بحدة ؛ كأنه صحا من سكره : مالك متلهفة لمعرفة سر شفائك وعافيتك ؟!

ونهض واقفا وهو يصرخ : أيتها الأميرة إنني أشم رائحة الغدر .. ويلك إن تآمرت عليّ ..

سأقتلك رغم تحذير ساحري الكبير لي عن قتلك .. هل التقيت أيتها الأميرة بوسيم ؟ .. تكلمي .. أول مرة تخفين عني أسرار روحك ..

واقترب منها وأخرج من صدرها منديلا فأخذ يتشممه وهو يقول : ما هذا يا شمهدان ؟! .. هذا منديل مسحور .

فقالت وقد امتقع لونها فأصبحت صفراء الوجه كأنها تموت : نعم .. هذا منديل أعطانيه إنسان يدعى وسيما .. قال لي وسيم احفظي هذا بين ثيابك فلا يستطيع الساحر فلول .. معرفة أسرارك

فقطع عليها الكلام والاعتراف وزاد صراخه : ويحك يا خائنة ! .. لقد التقيت به إذن ولم تخبريني

فقالت : وعدني بالنجاة منك وإنقاذي من شرك وسحرك ، فذكرت له ضعفي أمامك وأنني لا أستطيع اخفاء شيء عنك ، فدفع لي هذا المنديل يحميني به من الضعف أمامك .

فقال الساحر وقد بلغ منه الهياج مبلغا عظيما : ويحك يا غادرة ! يا خائنة !

وهم بصفعها بكل قوة ؛ فإذا بسيف وسيم يفلق رأسه ، وصوت وسيم يقول : خذها من الفتى اليتيم وسيم !

فسقط الساحر أرضا وقال : اضرب يا وسيم لم أمت بعد .

فصاح وسيم وهو متوتر الأعصاب : لقد أوصاني الشيخ "وهيب الزمان" بضربة واحدة .. مت أيها الجبان الغادر .. ولكن أطلب منك قبل موتك أن تعمل خيرا ولو مرة واحدة .. كيف نفك الأميرة من سحرك ؟

فقال وهو يحتضر : لقد صدق الشيخ وهيب عندما بشرني بالموت على يدك أيها الشاب .. ولقد صدق ساحري "راب نال" عندما أخبرني أن هلاكي على يد الأميرة شمهدان .. فظننت أني بسحرها وجعلها تحت سيطرتي أحمي نفسي من المقدر .. لقد كانت غلطة كبيرة دفعت ثمنها حياتي ؛ بل كان عليّ أن أهرب وابتعد عن طريقها .. حتى لا أعرفكم ؛ ولكن ولات ساعة مندم أتريد أن تسعد بها أيها الغلام .. أتريد أن تفك سحرها ؟؟

فهمس وسيم : تكلم اعمل خيرا تذكرك به .. تسامحك وتعذرك به .

فقال الساحر : مع أنني لا أحب الخير ، حياتي الفساد والفتنة والشر ؛ ولكني في هذه الساعة سأعمل خيرا يا هذا .. سأعمل خيرا لقاتلي .. فاعلم أن فك سحرها في بلاد الماح .. هناك صنـعت لها الشراب المسحور .. فإن كنت ترغب في تخليصها من السحر فاذهب إلى هناك عند الساحر " عظمة " تجد الجواب وداعا أيتها الأميرة . وأسلم الروح الخبيثة .

بعدما لفظ الساحر أنفاسه الأخيرة نظر وسيم في عيون الأميرة الباكية وقال : هنيئا لك يا شمهدان .. لقد مات معذبك .. ولسوف آتيك بشراب العافية من بلاد الماح .

مسحت الأميرة دموعها المنهمرة كالنهر ، واقتربت من وسيم وقبلته من جبينه وهي تقول : الحمد لله والشكر لله .. ثم الشكر لك يا سيدي الشجاع .. لقد كنت أعيش في كنفه حياة مرعبة ولدت من جديد .

مسح الفتى دموعها بمنديله وقال : سأجز رأسه ، وأسير به نحو بلاد الماح ، وأقابل أكبر ملوك تلك الدنيا ..واعلمي أيتها الأميرة أنه ستقدم إلى القصر عند الشروق أميرات من الجن يتناولن الإفطار فسوف أعرفهن بأمري وأسألهن عن بلاد الماح .

قطع وسيم رأس الساحر ، ووضعه في منديل كبير يحمله وقال : لنخرج من هذه الغرفة ننتظر قدوم الفتيات .. أو الغربان السود .

واستمعت الأميرة لحكاية وسيم من البداية للنهاية ، فسرت من حديثه وأعجبت بشجاعته وطمعت برؤية الشيخ الخفي " وهيب الزمان " فقال : سوف نراه ليلة زفافنا إذا رضيت بي بعلا .

فقالت : سبحان الله .. وهل أرفض بعد كل هذه المغامرة ؟!

وحدثته عن نفسها وكيف سحرها الساحر واسترقها ؟ فعقب وسيم هامسا : الفرج قريب .. ستعود السعادة لوجهك الحسن أيتها الأميرة .

ولما دخل الفضاء وملأ الكون بالضياء أقبل من جهة البحر سرب من الغربان وهبطن على شجرة عملاقة ، فقال وسيم : هذه هي الغربان التي ننتظرها يا شمهدان .. فلنصبر حتى يخلعن ثياب الريش وأكشف لهن أمري .

نزلت الطيور على الأرض ، ثم قمن بنزع ثياب الريش ، فأصبحن فتيات جميلات بثياب زاهية تمتلئ نحورهن بالقلائد والعقود اللؤلؤية والجواهر الباهرة وأخذن بالزحف نحو القصر .

وفجأة ظهرا أمامهنّ فجفلن وأردن التقهقر للوراء ؛ ولكن إحداهن صاحت : هذا الفتى وسيم وهذه الأميرة شمهدان .



وذكرت لهنّ قصة لقائها به عندما ذهبت تبحث عن خاتمها المفقود في قاعة الطعام .

فقال وسيم : لا تخفن أيتها الجنيات أنا وسيم وهذه الأميرة شمهدان بنت الملك رمح السماء .. لقد صرعت الساحر فلول ، وأنقذت العباد من شره وشروره .. وهذه الأميرة شمهدان أريد إنقاذها من السحر الذي سحرها به لتبقى تحت سيطرته .. فأطلب معونتكن ومساعدتكن .

فلما اطمأنت الجنيات لهما قالت إحداهن : الحمد لله على سلامتك أيتها الأميرة .. فلول ساحر شرير تحسب حسابه الجآن لشره ومكره .. وأنا والدي ملك عظيم من ملوك الجآن ، وسوف يساعدك في الوصول للساحر" عظمة" وهو من كبار سحرة الجن "وعنده بذرة خير.

فقال وسيم : سأحمل رأس فلول لوالدك الملك ليطمئن ويثق بي وأنني قد قتلت الساحر الطاغي فلول .

فقالت الأميرة : ولكن أيها البطل كيف ستنتقل لبلادنا فأنت تحتاج لثياب طائر ؟.. سأدبر الأمر أنا بنفسي .. انتظرني في الجزيرة .

رد عليها وسيم : لا تذهبي معي ثياب نسر .. ألا تدعوننا لطعامكن ؟!

فأبدين ترحابهن بهم ، وقال وسيم بعد الطعام : ستبقى الأميرة في الجزيرة حتى أعود من بلاد الماح بقارورة الشفاء .. هل تبعد بلادك عن هذه الجزيرة كثيرا ؟

قالت الأميرة : بلادنا وراء هذا البحر .. فهو بحر كبير .

لبس وسيم ثياب النسر وانطلق مع بنت الملك ، وهو يحمل رأس فلول الساحر ، وكان قد حث شمهدان على الصبر والانتظار ، وطلب من إحدى بنات الجآن أن تمكث معها ريثما ينهي مهمته

بسلام ، وتبع وسيم الأميرة الجنية حيث بلادها ، ثم استأذنت على والدها له ، فقام الملك مرحبا به أحسن ترحيب ، وهنئوه على قتل الساحر ، وأمر الملك بأن يعلق رأسه على أحد أبواب المدينة ليعلم الناس أن الظالم لابد له من نهاية مهما طال ظلمه وأرشده الملك إلى حيث يسكن الساحر عظمة ، الساحر الذي صنع الشراب المسحور للساحر فلول ، وقام عظمة بتلبية رغبة ملك الجن والبطل وسيم ، وصنع له الشراب الذي يبطل مفعولية الشراب الأول ، وأسف على مقتل فلول الساحر ، وعاد وسيم بالشراب إلى الجزيرة ، وأسقى الأميرة الشراب الدواء فبرئت بإذن رب الدواء ، وبعد ساعات وساعات أخذت الأميرة تتعافى شيئا فشيئا من السحر ، ثم أصابها وجع شديد وصداع أليم وصراخ ملأ الجزيرة حتى ظن وسيم أن الساحر عظمة خدعه ؛ ولكن لما جاء الصباح الجميل كانت الأميرة قد تخلصت من آثار السحر الذي لازمها سنوات وسنوات ، وعادت لطبيعتها البشرية ونضارتها وحيويتها ، وحضرت الجنيات وفرحن لنجاتها ، ولبس وسيم ثياب النسر وحملها على ظهره بعد أن ودعوا الجنيات ، وحلق بها في الفضاء ، ثم طار بها نحو بلاد أبيها ، وهو يهمس قائلا : اليوم يحملك على ظهره زوجك المحب وليس الساحر المنحوس .. هنيئا لك يا شمهدان السلامة .



وعلى ظهر قصر الملك رمح السماء هبط بها ، وكان والداها وأهلها بقلق شديد على غيابها ، وظنوا أن الساحر قد خطفها وهرب بها ، فلما رآوها عادت إليهم البسمة والفرحة ، وعندما علموا ما جرى للساحر ، عانق الملك وسيما عناقا طويلا ، وكذلك فعل إخوتها ، وأعلن الملك الأفراح في البلاد وتوزيع الأموال على الناس ، وإقامة الولائم بمناسبة شفاء الأميرة وموت الساحر فلول ، وعلم الناس بما جرى للأميرة ، وأنها كانت تحت سيطرة ساحر عنيد ، وأن الفتى وسيما قضى عليه ، وأن ما أصابهم منها كان بسبب وقوعها تحت سحره ، ففرحوا لزوال هذه الغمة عنهم ، وكان من أكثر الناس سرورا التاجر سماق الذي ذهب بدوره لقصر الأميرة ،

وهنأها بسلامتها وأبدى حبوره بعافيتها ، وأخذ وسيما بالعناق والتقبيل ، وهو يقول له مازحا : اتخذتني سلما يا سيد وسيم .

ولما انتهت الأفراح الكبيرة بنجاة الأميرة من شرور الساحر فلول ، أعلنت من جديد أفراح اقتران الأمير وسيم على ابنة الملك شمهدان ، وبعد سبع ليال من الاحتفالات تزوج الأمير الشجاع من عروسه الحسناء ، وبدأ الأصحاب والمحبون يأتون للتهنئة والتبريك ، وكان من جملتهم الشيخ الخفي " وهيب الزمان " الذي عانق الأمير وسيما عناق محبة وقال : هنيئا لك يا وسيم ، لقد قمت بالمهمة على خير ما يرام .. ونفذت الخطة بالتمام والكمال .. ولولا شجاعتك وذكائك ما نجحت .. مبارك عليك الأميرة .. وحمدا لله على سلامتك أيتها الأميرة

ولما علمت الأميرة أنه الشيخ وهيب نهضت تقبل يديه وهي تقول : بوركت سيدي الشيخ العجيب .. لقد سخرتك العناية الربانية للمحافظة عليّ وحمايتي من الساحر .. لقد كان يخافك بشدة .. وذكرك دائما على لسانه .

فعندئذ تشجع وسيم وقال : الآن يا سيدي الشيخ الخفي .. ما حكايتك مع هذا الساحر اللعين الشرير الفاجر ؟

فابتسم الشيخ وهو يقدم هديتين لهما ، فأعطى وسيما قلنسوة مطرزة باللؤلؤ والزبرجد والأميرة عقدا من خرز اللؤلؤ والياقوت النادر ، وقال : يا بني لذلك قصة طويلة .. لقد كنا أصدقاء في أيام الشباب ونتاجر معا ونركب البحار معا، فقذفتنا الأمواج لبلاد الماح فالتحق بالساحر "راب نال" ، وعملت أنا في خدمة أحد ملوك الجآن ، ثم أصبح فلول ساحرا يحب الشر ويعشقه ، ونهيته عن ذلك فلم ينته فأصبح لي عدوا مبينا ، إلى أن علمت بسحره للأميرة شمهدان فنهيته عن ذلك فأبى وأصر على الكفر والعناد ، وعلمت من سيده راب أن شفاء الأميرة على يديك ونهايته كائنة على يديك ، فأخذت في البحث عنك في البلاد حتى وجدتك تبكي على أهلك في تلك الحال ، فرتبت الأمور معك ، وأقول لكما أخيرا حافظا على النعم التي وهبكم إياها الرحمن .

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

جواهر القصص

جمال شاهين

وسيم والأميرة المغرورة

وسيم والأميرة المغرورة



الزمردة

قصص الزمردة

جلد الأسد

عمتي زاهرة

همام وجؤذر

سليم في الغابة المسحورة

نحيف وعريف

وسيم والأميرة المسحورة





حجر القمر



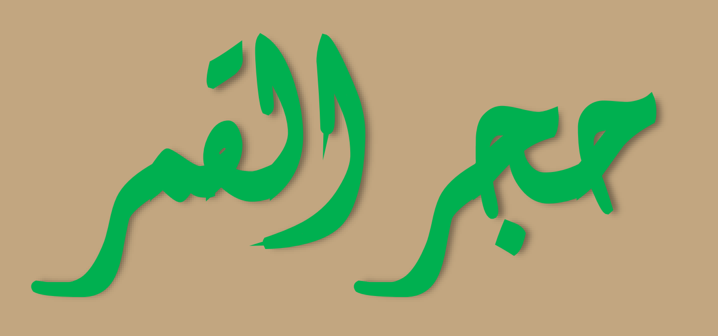
جمال شاهين



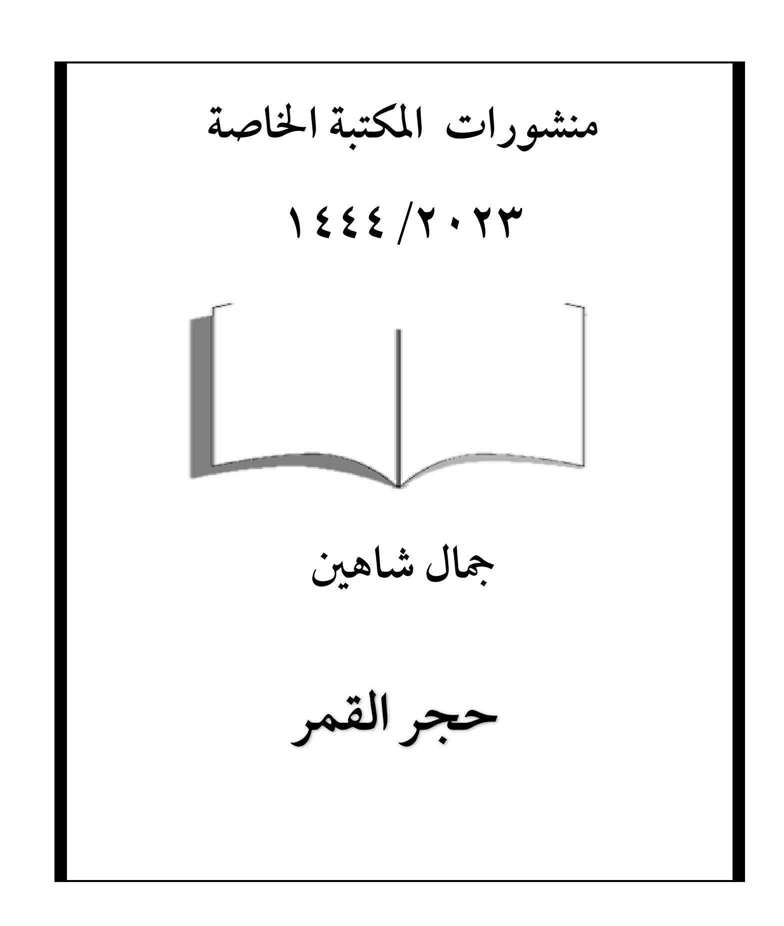
منشورات المكتبة الخاصة

جواهر القصص

جمال شاهين



١– ٧



منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

جمال شاهين

حجر القمر



حكاية حسن وحليمة



جمال شاهين



منشورات المكتبة الخاصة

جواهر القصص

حجر القمر

١

جمال شاهين

٢٠٢٠

حكاية حسن وحليمة

الأميرة حليمة

حليمة أميرة من قبائل الطير الخضر في بلاد الطيور الخضر ، بلغت سن السابعة عشرة سن الزواج في تلك البلاد ، في هذه الديار على البنات عامة الاقتران برجل ، فقانونهم يبدأ سن النكاح من أربعة عشر ربيعا ، وفي العام السابع عشر تجبر الإناث على الزواج ، واذا البنت بلغت العشرين دون الزواج ينكحن إجبارا وكرها من عبيد الجزيرة ورقيقها ، فكيف بابنة أمير الجزيرة في بلاد وديار الطيور الخضر ؟!

فقال والدها أمير البلاد الحارث :كبرت يا بنية فحان وقت الزواج.

قالت : لا أرغب فيه .

فقال : كلنا نحبه.

قالت : لم أجد من أحبه من أمراء البلد أيها الأمير!

قال مستغربا : عجيب ! لابد من الزواج .. وسأطلب من وزيرنا الحارث بن غبار أن يطلب من الأمراء الشباب بعرضهم على عليك لتختاري منهم فارسا يليق بك.

قالت : هذا الأمر صعب على قلبي .. وأخشى أن لا يهفو قلبي على احد منهم.. فقد عرفت بعضهم ولم يرقوا لي .

زاد تعجبه من كرهها للزواج فقال : كل الأميرات يتزوجن في مثل سنك.. وكل شقيقاتك الأكبر منك تزوجن .. أنت ابنة الأمير ، وقد يصير أبوك ملك هذه الجزر كلها يا حليمة.

قالت مصرة : أعرف يا أبي الشجاع!

فقال محبطا : حسنا فكري بما اقترحت !

قالت بدلال : سأفكر يا مولاي!

قال : أنا في الانتظار .. من العيب أن يتأخر زواج ابنة الأمير.. الكل يهمس بذلك.. الأمير لم يفرح بفتاته .. الأمير لم يجد لها قرينا .. الأميرة تؤخر زواجها ؛ لتتزوج عبد من عبيد أبيها.

كان في المدينة شاب اسمه حسن مشهورا بين الشعب ، وفي الأحياء الفقيرة ، شجاعا قويا ،

وصيادا ماهرا ، وهذا الذي شهره بين العوام ، وعرف بمساعدة الفقراء والضعفاء والإحسان ويلقب بحسن الماهر ، وهو معروف في وسط الأحياء بين عموم الشعب ، وغير معروف لدى النبلاء والسادة الكبار ، فهؤلاء يحيون حياة كلها حفلات وسهرات ورفاهية ، فهم أصحاب الأراضي والحدائق والرياض ، ولا يعرفون أحوال المحتاجين وظروفهم .

وحسن معروف لدى الصيادين سواء صيادين الماء أو البر والغابات ، فهو الفاتك بالضباع والأسود ، وهو الصائد لكل الطيور ، وهو المحترف في صيد البحر.

لم يتزوج بعد ، ولم يرغب فيه ذلك الحين ، الناس تحب الشجاعة والشجعان ، وتمدحها وتمدحهم، وتفخر بها وتفخر بهم . وكثير من رجال الصيد والمراكب يرحبون بصحبته في رحلات الصيد البحرية والبرية ، فهو من أفضل الصيادين وأصبرهم وتحملهم في الجزيرة والديار والنزهات للغابات والمخاطر والأخطار .

كانت أمه تخشى عليه غدرات الزمان وتقلباتها وحسد الحاسدين ، ومما يعمل ويصطاد من صيد الوحش ، فيقول إيمانا بربه : الموت واحد يا أمي ! ولا بد منه فهل اذا بقيت هنا نجوت منه ؟ أحب الشجاعة والفروسية والصيد سواء في الماء أو الأدغال والغابات والجبال والوديان .

فقالت : ليس لي إلا أن أدعو الله مالك هذه المخلوقات إلا أن يحفظك ويحميك .

قال: بارك الله فيك يا أماه ! وأبقاك لي في صحة وعافية.

ردت : بوركت يا ولدي ! كم أنا في شوق أن أراك زوجا ووالدا.

قال : إن شاء ربي ذلك يا أم الحسن ! سيكون كله بأمره ، وبدعائك يتحقق الأمر



السباق

حين قدم الأمير الحارث بن بجعة شبان الأمراء للأميرة لم تر فيهم رجلا مناسبا ، فهم كل بضع سنين تراهم ينكحون أميرة أخرى ، حب جديد ، طلاق أميرة ، ترمل أميرة .. مع الزمن قد تصبح تعيش مع أربع نسوة ، هذا ديدن الأمراء فوالدها نكح عددا كثيرا ، ولديه أربع سوى الجواري .. يطلق وتأتي الرابعة ، ولولا الشريعة لجمع ما جمع سليمان ﷺ .

لما راجعها الأمير بأمر الزواج بعد استقبالها أكثر من مائة أمير ، اقترحت أن ينشأ سباق بين الأمراء الشبان وعامة الناس ، وتحضره لترى المقدم عليهم ، ويكون زوجها المختار ، يعني القصد رغبتها بزوج من العامة حتى لا يتزوج عليها اذا مد لها في العمر، لا ترغب بأن يكون لها ضرة أو أكثر . بعد مشاورة الوزير ، أعلن في المدينة عن سباق على الأقدام بين الأمراء والنبلاء وشبان من عامة الشعب ، وسيحضره أمير البلاد والأمراء .

وكان الوزير حذرا فقال : أخشى أن يتقدم العامة على الأمراء؛ فيكون ما ليس بالحسبان

قال أمير المدينة : الأمر صعب على النفس .. والتقرب من الشعب لا بأس به .. وهل يتفوق فتيان الشعب على الفرسان والأمراء ؟ .. فهذا يقرب القلوب بين العامة والنبلاء .. تريد زوجا من الشعب كما قلت قبل أيام .. لا تريد أميرا قد يتزوج عليها ؛ كما هو معروف من طبقة الأمراء .

قال الوزير : لنرى .. قد يكون ذلك خيرا من العنوسة أو الزواج من العبيد .

قال : نعم ، إنها تقترب من العشرين .

تقدم شباب النبلاء للسباق الملكي ، وكذلك أبناء الشعب ، وشجع الشباب حسنا الماهر للخوض والتقدم على علية القوم ، بما أنه من الشجعان ، ومعروف عنه السرعة ومسابقة الظباء والخيل والطير ، فهو عندما يصيد ظبيا أو طيرا يسبق إليه قبل أن تنهشه الوحوش والصقور . وتقدم حسن السريع على كل المتسابقين كما هو معهود عنه ، وفرح رفاقه بتقدمه المتوقع ، وصح توقعهم بتفوقه ، وكسب الهدايا التي قدرت للفائزين ، وصافح الأمير والوزير بهذه المناسبة.

كتبت الأميرة حليمة بنت أمير الجزيرة بعد السباق رسالة للشاب حسن الماهر تبدو إعجابها به عن سائر الفائزين ، وتعجب من سرعته وهيئته ، فقد رأته عن قرب حين تقدم لتحية والدها ووزيره وأبدت له رغبتها باللقاء به سرا ، وأوحت في الخطاب أنها قد تتخذه زوجا .

تلقى حسن الرسالة بواسطة أحد غلمان الأميرة ، وقرأها بتعجب ودهشة ، ودفعها لصديقه الأهم معتز الرملي الذي هتف بدوره متعجبا من بعد الاطلاع عليها، فقال غير مصدق : فتحت لك ليلة القدر .. الأميرة حليمة بنت أمير البلاد أعجبت بشخصك يا حسن! .. وتدعوك للقاء خاص .. عظيم ! ستصبح من الأمراء والنبلاء اذا حدث الاقتران .. آه .. كم ستفرح أمك وأهلك! ليتني حسنا يا أسرع حسن !

لم يقابل حسن فرحة صديقه بسعادة وفرح وحبور ؛ بل قال : أنا قلق من هذا اللقاء!

وقال للرسول : سأرد على الأميرة قريبا . وانصرف الغلام.

ازداد معتز استغرابا من رد حسن وقلقه ، وتحاور الشابان ، وذكرا قصة حب بين أميرة وشاب منهم قبل عهد ليس ببعيد .. كيف تزوج الشاب من الأميرة ؟ ثم غدروا به وقتلوه، لما تغير هوى الأميرة إلى رجل آخر ، واعترض الشاب على فعل الأميرة ، فما كان منها وحبيبها الجديد إلا التخلص منه بإغراقه بحيلة في البحر ، وظهرت جثته للعيان بعد حين يسير ، وتحدث والده أن الأميرة الزوجة خانته وغدرت به بالاتفاق مع عشيقها ، وكان الشاب قد كشف لوالده وعمه الخطر المحدق به ، واضطرت الأسرة لمغادرة الجزيرة إلى جزيرة لفشلهم بتحقيق العدالة ونفيهم من البلاد لطلبهم العدالة .

ذكروا هذه الحكاية التي شاعت في الجزيرة أكثر من غيرها ، وذكر حسن مصير زوج الأميرة ، ورفضه لأي علاقة شائنة لها مع العشاق ، خشي أن يكون مصيره مثل هذا اذا اقترب من الأسر النبيلة وحاشية الأمير والوزير ، وخشي معتز هذا المصير لأعز الأصدقاء، وانشغل قلباهما بهذا الهاجس والمصير المعتم .

فزارا الحكيم شفري المعتكف في صومعته البعيدة عن أهل الجزيرة ؛ كما طلبت منه أمه ، وسماع

نصحه ، فذهبا إلى صومعته في جبل كاف الطير الخضر ، وأراه حسن رسالة الأميرة حليمة ، فنصحه الحكيم بالخروج من بلده ، وذكره أيضا بقصة ذاك الشاب وفساد طبقة الأمراء ، وضعف الغيرة بينهم ، والرسالة تدل على ذلك ، وأن هذه الطبقة الحاكمة اذا أعجبت الفتاة بأحد سيبقى مجرد زوج ، وربما اذا أعجبت بغيره تهجره ، ويبقى بلا زوجة ؛ لأنهم سيمنعونه من الزواج على الأميرة ابنة سيد وملك الديار ، وبين لهما أن بعض الأميرات يرغبن بنكاح أبناء العامة خشية أن يتزوج الأمراء عليهن ، ويصبح لهن ضرة أو أكثر ، أما العامي فلا يسمح له قانون البلاد بالتعدد .. فالملل والفتور يصيبان البشر ، فاقتنع الشاب الصياد بإرشاد شفري عاكف جبل كاف ، وكتب رسالة اعتذار لابنة الملك أمير البلاد ، وذكر عجزه أن يعيش في طبقة لم يتعود عليها ، ولا يحب التقرب من طبقة الامراء والنبلاء؛ لسرعة تقلبهم وتغيرهم ، وبعثها مع معتز الرملي.



حين قرأت حليمة رسالة الاعتذار استشاطت غضبا وسخطا من صراحة الشاب، فقالت: هذا الصعلوك الحقير يرفض اللقاء بي أنا ابنة الملك ! يا له من حقير ! ولسوف يرى .. فهو يزعم أنه يخاف من النبلاء والأمراء وتقلبهم وتغيرهم .. وهو من العامة حثالة الناس .. الوغد لا يصلح لمصاهرة الملوك والجلوس معهم .. وما هو إلا مجرد كلب صياد . وذكر لها قصة الشاب الذي غدرت به زوجته الأميرة . مما زاد من حقدها وجنونها وقالت لجواريها وقيمتهن: وإنني سأخونه كما فعلت تلك الأميرة .. يا لها من مقارنة بشعة !

وقالت لنفسها :أو ليس هذا ما يحدث في هذه القصور يا حليمة؟! لا يكاد يمض أسبوع حتى تنتشر فضيحة وقصة .. السعيد من اتعظ بغيره.. لن أقبل هذه الإهانة أيها الصعلوك! سينتشر خبر هذه المراسلة والاعتذار .. لن تقتل كما فعلت تلك الأميرة .. ستسجن حتى يتعفن جلدك وتموت عشرات المرات.. يرفض حبي أنا حليمة بنت الحارث .. يرفض لقائي هذا الصعلوك القذر .. هكذا يكتب ويرد على الأميرة .

لما علم الملك بالمراسلات بينها وبين حسن الماهر غضب والدها منها وعلى حسن ، وطرد معتزا من القصر طردا ، فولى هاربا وهو يخشى على حياته ، وخاطب الأمير ابنته بحدة : ما كان أن تكتبي له .. كان عليك دعوته لمقابلة والحديث معه ؛ فالآن سيقول الناس والنبلاء ابنة الأمير سيد البلاد تراسل شابا عاميا وتزعم حبه .. وتطلب منه زواجها.. أهذا فعل بنات السادة ؟!

تنهدت وقالت بسخط : كنت أظن أنه عندما يقرأ الخطاب ، سيأتي متلهفا ويقبل قدميّ.. فهل يحلم سوقي بنكاح ابنة سيد الجزيرة ؟! أنا ما زلت دهشة من رفضه لي زوجة .. وهو لم يرني في حياته .. ولا أدري هل عرفني يوم السباق ؟!

قال : عليك بالإسراع والتوافق للزواج من أحد أمراءنا يا حليمة!

أما معتز فذهب مسرعا لحسن قائلا : يا حسن عليك أن تخرج من المدينة .. فهم سيقتلونك.. أدرك روحك .. فودع أمك ..ليتك سمعت نصح الحكيم ، ولم ترد كتابة .. أي أدب ينفع معهم

ردد همسا وحيرة : أمي أمي يا معتز !

أجاب معتز : حياتك أهم لأمك من اغتيالك .. سنهرب معا.. ما صدقت ونجوت من غضبة الملك .. فكيف مثلك يرفض لقاء بنت الملك وحبها؟! .. ويذكرها بقصة ذاك القتيل.

قال حسن محتارا : علينا ألا نعجل بالهرب .. ونصبح مطاردين .. وكيف يصح أن ادع أمي الأرملة وحدها .

قال : لا تنسى .. أخوك سعد سيهتم بها أو تتزوج بعد سفرك .

قال حسن : فلماذا تتزوج؟!

قال معتز : الأرامل يتزوجن .



حبس حسن

حضر رجال شرطة الأمير ليلا وقبضوا على حسن بناء على غضب الأمير الملك والأميرة حليمة عليه ، وقيد للحبس مكبلا مقيدا أمام أنظار الجيران ، وعلم الناس بالقصة ، وانتشرت في المدينة كسرعة انتشار النار في الهشيم والعشب المصفر اليابس ، وزاد حبهم لحسن لما علموا رفضه الزواج من ابنة الأمير الكبير ، وحتى أن كل عزباء صبية تمنت الزواج منه ، وأن يكون حظها وقدرها .

ذهبت الأرملة أم حسن لديوان الأمير الحارث تتشفع في ولدها حسن ، ولم يسمحوا لها بالدخول إلى ديوان الحاكم ، فاتجهت إلى ديوان الوزير الحارث ، فاعتذروا لها عن عجزهم بمساعدتها ومعاونتها ؛ لغضب الحاكم على ابنها وتطاوله على المقام الأميري ومراسلة الأميرة حليمة ، وكذلك نقمة الأميرة وغضبها منه ، حتى افتضحت في البلاد وبين العباد والأميرات وذهبت لقصر الأميرة وبنات الحاكم لتشفع لابنها وتعفو عنه وتصفح ، فرفضت الفتاة استقبالها والترحيب بها حتى ولو وافق وقبل حسن الزواج منها ، خاصة بعد انتشار الخبر بين الناس الكبراء والحقراء ، وأخبرت أن ولدها سيبقى محبوسا حتى يموت .. وقالت إحدى جواري حليمة : هل هناك عاقل يرفض لقاء الأميرة والزواج منها؟!

تذللت أم حسن قائلة : قولي لمولاتك ابني صغير .. شاب طائش .. لا يحسن التفكير . وترجت وبكت لا أحد يسمع ويشفع ، وقضت أياما تتردد على القصور والدواوين دون فائدة ترتجى ، فمشت للقاضي الأكبر ، وشكت ظلم الحاكم وابنته ، فصرفها القاضي بعطف وشفقة ، وعبر لها عن عجزه عن مساعدتها وعونها ؛ ولكنه أعطاها تصريحا وإذنا لزيارة ولدها السجين وقتما تشاء .

استطاع حسن بمساعدة من معتز وبعض الرفقاء الهرب من الحبس بعد شهور قضاها ، وكانت أمه ساعدت بتصريح الزيارة نقل المعلومات لحسن ، وتنفيذ خطة الهروب وترتيب الإخفاء ؛ حيث نقله الشباب نحو البحر ، وركب مركبا أعد لذلك إلى أقرب مدينة أو جزيرة في البحر

وبعد حين رحل إلى مدينة أخرى بأمان .

كان أحد حراس السجن تواطأ معهم عطفا وشفقة ؛ لأنه ابن أرملة مثله ، فأحس بلوعة الأم وحزنها على بكرها وترملها ، وبعد حين أخبر عن اختفاء السجين حسن ، فظنوا أنه هرب من وقت قريب يسير ، وبحث الحرس وقائد السجن وتقصوا ، وأخبر القاضي باختفاء السجين حسن ، وأنكرت أم الشاب علمها بشيء ، وأنها مشت للسجن لزيارته بعدما أعدت الطعام كالمعتاد فهم يسمحون لها كل أسبوع ونصف برؤيته ، فأخبرت بهربه من سجنه، واتهمتهم بقتله والزعم بهربه ، حتى أعلمها القاضي بحقيقة الأمر، وزعيم العسس أكد هربه وتظاهرت أنها مصدقة زعمهم وقولهم .

علم الملك والوزير وحليمة بهرب السجين فصرخا وصاحا وهددا وتوعدا الهواء ، حث الحاكم زعيم الشرطة على القبض على السجين بسرعة أو حتى قتله ، ومعاقبة المقصرين ، ووضعت الجوائز للإيقاع بحسن، وأنكر حراس السجن معرفتهم بالحيلة التي هرب بها من السجن ، ومن قاموا بمساعدته من الداخل والخارج.

قال الحارس المتواطئ : ذهبت لمحبسه كالعادة لأقدم له الطعام الذي جلبته أمه ، فلم أجده .. لقد اختفى ، وكان قد تناول العشاء في محبسه .

لم يكشف رجال الملك الحيلة إلى التي هرب بها من السجن ، وقيل ربما قفز للبحر ، ومضت الأيام دون ظهور بدنه ميتا أو حيا .. وأين ذهب بعد هربه راقبوا منزله حتى يئسوا من ذلك ، وتركوا الأمر للزمن .. والغيظ يملأ أجوافهم وبطونهم .. ونجا حسن من ظلمهم وطغيانهم .



حسن

استقر حسن الماهر في إحدى المدن الكبرى ، وصحبه الصاحب معتز لحين حتى ينسى أمره حكام جزيرة الطيور الخضر كما أعلم حسنا ، واشتغلا صيادي بحر، صيد السمك وحيوانات البحر ، وعملا عند كبير الصيادين في جزيرة السمكة الحمراء الصياد الشيخ سامع ولما عرف الشيخ سامع بعد وقت همتهما ونشاطهما وشجاعتهما أنكحه إحدى بناته ؛ فأصبح صهرا لكبير الصيادين ، وتزوج معتز ابنة أخ سامع شقيق سامع البحار شامخ .

وكان الصياد سامع وبعض إخوته شركاء في الصيد وحملاته البعيدة في أعماق البحر ؛ حيث يغيب عماله أسابيع وشهور في بعض الأحيان ، فهناك الكثير من الجزر والمناطق بكر ، لا يسكنها أنس ؛ وربما جان أيضا ، وقد أبدع حسن ومعتز في الوصول لتلك الجزر البعيدة قبل مصاهرة سامح وشامخ .

وكان سامع شيخ الصيد وشقيقه شامخ في الجزيرة يصيدان بعض الحملات لولي عهد الملك الأمير الشاب ثعلب ؛ فأصبح حسن ومعتز معروفين للأمير ثعلب بحكم السيد المشترك .

خرج حسن في رحلة طويلة خدمة لسامع والأمير ، تعرض المركب الكبير لعاصفة بحرية وتكسرت مركبهم وضاعوا في البحر ، ومنهم من غرق ، ولم يستطع النجاة من هول العاصفة وأغلبهم نجا ، ورمتهم الأمواج على شواطئ الجزر ، وكان بينهم حسن الذي رماه البحر في جزيرة بعيدة عن جزيرة السمكة ، فتأخر في العودة لخلو الجزيرة من البشر.

استطاع حسن بعدما نجا من الغرق هو وبعض الصيادين ، وبمساعدة صيادين من المدن والجزر الأخرى ، وذلك بعد أسابيع أن يعودوا سالمين لجزيرة السمكة جزيرة الأمير سعيد وابنه ثعلب.

وفرح الناس بعودتهم أحياء بعد أن غلب على ظنهم أنهم من الصيادين الهالكين كما قال الناجون .

وكان أسعدهم معتز رفيق حسن في المنفى الاختياري، وكذللك زوجته ووالدها سامع كبير

الصيادين ، رغم حزنهم على من مات ، سعد صهره بعودته واحتفل بذلك ، فقد كتبت لهم الحياة من جديد ، وصنع وليمة ذكرت في تاريخ الجزيرة .

واستقبلهم الأمير الكبير ، وولي عهده ، وشكر الله على نجاتهم ، ونقله الأمير ثعلب للعمل في مراكبه الملكية مع صيادي الملك والأمير خاصة ، وكانت مراكب الملك من أجود المراكب ، وظلت علاقته مع حماه طيبة ، ويرافقه في بعض الحملات ، فصار يعمل للفريقين ، ولما هلك رئيس مراكب الملك عين حسنا الرئيس الكبير ، فصار معروفا لدى طبقة الأمراء ، وصار من حاشية الأمير بلا منازع ، ومقربا من العرش ، فكلما رجع من الصيد يستقبله الأمير وأعوانه ويسمع منه أخبار الرحلة وكمية الصيد وأنواعه .

خرج الصياد حسن في رحلة جديدة ، وأثناء هذه الرحلة كان الأمير سعيد وابنه ثعلب في زيارة لجزيرة الطير الخضر ، وخطب الأميرة حليمة بعد أن ترملت التي كانت قد تزوجت أميرا بعد اختفاء حسن الماهر الذي رغبت به زوجا .

ولما ترملت كان الملك سعيد في زيارة لملك بلد الطيور ، والتقى بالأميرة لما أتت مع الأميرات ترحب بالأمير ونسائه ، ولما قدمت له أحب أن ينكحها لولي عهده الذي أبدى إعجابه لأبيه بحسنها وفتنتها ، ففهم سعيد رغبة ابنه ، فطلبها لولي عهده زوجة ثالثة؛ لتقوية أواصر المحبة بين البلدين ، فرحب الحارث بهذه الرغبة والغايات ، قبلت الأميرة الانتقال لمدينة سعيد .

ولما رجع حسن من صيده الأخير مسرورا بما حمل من السمك الوفير ، وعلم من هي زوجة ولي العهد الأخيرة أصابه قلق وخوف وانزعج ، وخشي على نفسه من حقدها ، ومن عاقبة هربه من سجن أبيها ، وخشي على صداقته وعمله مع صيادي الملك وابنه ، فحدث والد زوجته بقصته القديمة قبل أكثر من عشر سنوات ، وذكره بسبب هجرته ومعتز لهذه البلاد ، فقال البحار مهونا من الأمر ومقللا من الخوف والقلق : أنت لا شأن لك بالأمر !

فقال حسن لمعتز : أعلمت أن أميرنا طلب يد حليمة بنت الحارث .

قال : سمعت وانزعجت مثلك ، وحدثت والد قرينتي بقصة هربنا .

فتعجب من قدر وقدرته ، وقال: لا أعتقد أن يقبل الأمير الكبير تسليم حسن للحارث.. ولا يستساغ فعل ذلك عرفا ومرؤة.

قال حسن : للأمراء والسادة تقاليد سيئة يا صديق العمر .. ما أخبار البلاد؟

قال : قضى موسى أخي ردحا من الحين ضيفا .. ورجع للديار .. وخشي أن تطول غيبتك .. فدفعت له الهدايا لأمك البطلة الغالية وشقيقك .

قال حسن : أكرمك المولى في علاه .

ذهب ثعلب بن سعيد بحاشية من الأمراء والفرسان والمراكب البحرية الأميرية للزواج من حليمة أميرة بلاد جزيرة الطير ، وبعد زواجه والخلوة بعروسه بأسابيع رجع قافلا بها لبلاده ، وقد رافقها بعض غلمانها وجواريها ، ونزلت القصر الملكي الكبير .

وتقبل الأمير التهاني باقترانه بها من سادة وأمراء جزيرته وأصدقائه من أهالي الجزيرة ، وانشغل بها بضعة أسابيع آخر ، وسارت الأمور دون أن يلتقي خلالها حسن بالأميرة ، وكان حسن حريصا ألا يلتقيان خشية أن تتذكره ، وساعده على ذلك رحلات الصيد المتكررة .

وذات يوم لما دخل القائد حسن بعد رحلة صيد ناجحة استقبله الأمير كالعادة ؛ ليسمع منه أخبار الرحلة ، وكانت الأميرة الجديدة بصحبته واستقباله ، ولما تأملته عرفت من هو القائد حسن فرف قلبها ودهشت ، وتذكرت يوم السباق عندما تقدم على الجميع ، رجعت بها الذكريات فورا لتلك الأيام للوراء ، وكيف اعتذر عن اللقاء بها ؟ والزواج منها .. وذكرت هربه من سجن أبيها فشاركت بالترحيب به والثناء وجعلت نفسها ؛ كأنها لا تعرف شخصه فهزت رأسها باحتقار، ووجدته محبوبا ومقربا من زوجها ، وأنه مسؤول الصيد عند الأمير ، فأخذت تفكر وتدبر للقضاء عليه والانتقام ، فهي لم تنس الجرح الدامي في قلبها، وأدرك حسن بحسه واختلاس نظرتها إليه أن حقدها وبغضها ما زال في بطنها عليه ، فتوجس خيفة منها ، وفكر بترك خدمة الأمير في أول فرصة تتاح والرحيل لموطن جديد ؛ اتقاء لشرها وغضبها وهمس : ألم تلق بي في السجن ظلما عدونا !

أدرك حسن الماهر أن الأميرة عرفته فور رؤيته ، وأنها لابد أنها تذكرته دون مواربة فانزعج واحتار ، ولم يطل الانتظار والحيرة ، فجاءته رسالة تزعم أنها ما زالت محبة له ، وأن الحب عاد إليها ، وأن هواه لم يذهب من قلبها ، رغم كل هذه السنوات من البعد والفراق ، ولما رأته تجدد الوجد في وجدانها ولواعج العشق في بدنها ، وتود الالتقاء به للحديث والعتاب ، ولتعرف كيف هرب من سجن أبيها ؟ وقد غلب على ظنهم رمي نفسه في الماء المجاور للسجن ، وليصبح من المقربين منها ومن حاشيتها ، وستحقق له كل أحلامه وأمانيه اذا اقترب منها .

ولما علم الرجل فحوى الرسالة ، اخبر والد زوجته بالكارثة ، فاحتار كبير الصيادين بالخلاص فمصارحة الأمير قد تسيء للأمير والملك ، وغض الطرف خيانة ، والسكوت قد يطول فيتعرضان للأذى والاتهام ، وهرب الشاب تأكيد الأمر ، وترك زوجة وأطفاله ضرر وشر .

اعتذر الشاب للأميرة كما اعتذر قديما ، وأنه يرفض خيانة ولي أمره وصديقه الأمير ، وعليها أن تستسلم لقدرها ونصيبها . فزاد الحقد والثورة في قلب الأنثى ، واستطاعت إغراء أعوان حسن بالخلاص منه ، وأن عليهم قتله أثناء رحلة صيد ، عرف حسن بالكيد ، فلما كان موعد السفر تمارض وتظاهر بالعجز عن القيام بالمهمة ، فكلف بها نائبه ومساعده .

ولما علم ثعلب بمرضه أرسل إليه طبيب القصر والأسرة الحاكمة ، وتبين للطبيب أن مرض حسن خفيف ، ولم يكن بالمخيف والخطير، والمانع من السفر ، فاستغرب الأمير ، واستدعى كبير الصيادين في الجزيرة ، وسأله عن علة حسن ، وسبب تخلفه عن الرحلة ، فاضطر الصياد أن يصارح الأمير ووالده الحاكم بالمؤامرة التي تحكيها زوجته حليمة ضد حسن ، وأن بعض من كلف بها كشفها لحسن ، وأعطاهم رسالة الأميرة لحسن ، وحدثهم عن القصة القديمة التي دعت حسن أن يهاجر لهذه الجزيرة.

ولما اطلع الحاكم والأمير ثعلب على الرسالة القديمة والجديدة صدق القصة ، فجن جنونهما على الأميرة ، وغضب ثعلب عليها الغضب الشديد بعد غضب وسخط أبيه ، وصارح الأميرة فأنكرت بشدة ، وقالت : أنا أحب مثل هذه الصعلوك .. وأكتب له هذا .. كذب وجنون!

فروى لها حينئذ قصة السباق والحبس ، وأن والده أرسل رسولا لوالدها ومدينة الطير ؛ ليعرف الحقيقة ، وأنه تأكد من سعيها لقتله ، وإغواء عدد من البحارة بالقضاء عليه .

فقالت : ولماذا أقتله وأنتم تزعمون أني أحبه وأهواه ؟!

صرخ قائلا بغيظ : انتقاما وحقدا !



النهاية

لما علم الملك بهذه الحكاية وصدق حسن وحميه طلب منه تطليقها فورا ، وأن تغادر لبلاد أبيها مع رسول يشرح للملك الأسباب والقصة .

وأمر الملك بنفي حسن ، خشية عليه من الاغتيال من رجال الأميرة نفسها والأمير الحارث بعد معرفتهم بمستقره .

وعجب الصياد من هذا الحكم ، وتفهم غاية الحاكم ورأى صوابها ، وأدرك واستوعب أن حياة صهره في خطر أكثر من الأميرة المطلقة والمطرودة.

وغادر الصياد الكبير بمراكبه إلى جزيرة أخرى ، فقد خشي على حياته وحياة أسرته من غدر الحارث وابنته عندما يعلم التفاصيل كلها ، فرأى الملك سعيد أن هذا أمر جيد حتى لا تلوك الألسن القصة ، وينشغل الناس بأمر الصياد حتى تنسى الحكاية .

ولما علم والد الأميرة بعودتها مطلقة وفضيحتها الجديدة جن جنونه عليها ، وعلى حسن .

وقال: عندما قلت لك تزوجي من الأمراء .. قلت السباق .. أريد شابا من عوام الشعب .. ولما ترملت ضمك الملك سعيد لزوجات ابنه .. وعدت للفضائح ولحسن.

دافعت عن نفسها بقوة وأنها ستطارده حتى يموت ، وستطارده بنفسها ، فرفض والدها هذا الاقتراح والانتقام وقال : لسنا بحاجة لفضائح جديدة .

وكان لها ابن عم قد ترمل حديثا أثناء وجودها وعيشها في جزيرة السمكة ، فحدثها عنه ؛ فرحبت وقبلت اذا قتل حسنا ؛ ليموت حبه في قلبها ؛ كما زعمت لأبيها والأمير الأرمل ، وكان هذا الأمير يعرف بالقصة التي شاعت قبل سنوات طوال ، ومكاتبتها لحسن الصياد ؛ ليكون قرينا لها في قصة معروفة ، لم ينسها الناس بعد .

قبل الأمير ابن العم شرطها على أن ينفذ القتل بعد الزواج ، رفضت ذلك ، وقالت مستهزئة : لن يحتاج الفتك به لزمان !

رد على تهكمها فقال : أعرف أنك من أحمق النساء !

هاجت قائلة : أنا حمقاء ! لماذا ؟!

قال باسما : لماذا ؟! سأقول لك لماذا ؟ عندما عرض عمي الأمير الحاكم عليك اختيار أمير للزواج منه رفضت بحجة أنك لا تريدين أن يكون لك ضرة كما هو شائع في جزيرتنا .. فأقام والدك سباقا لتري أبناء العامة من الشعب .. ولا حرج في ذلك ؛ إنما الحرج والحمق أنك كتبت رسالة لذلك الشاب : فكان يمكنك أن تستدعيه وتلتقي به مشافهة ، ولما رفض أنكرت الخطاب .. فهذا حمق.. وفعلت ذلك مرة أخرى وأنت غريبة عن أهلك وعشيرتك.. فماذا تسمين كل هذا ؟ وأنا لي ثلاث زوجات .. ماتت واحدة ، وبقيت أخرايتان .. وقبلت بك ليس حبا وغراما بك يا حليمة ! قبلت ضمك لنسائي لحب والدك ذلك .. ثم احتد صوته وهو يقول : ومع ذلك سأزيل حسنا من حياتك خشية أن تريه في يوم ما ويعود الحب المزعوم يا حليمة !

خرج الأمير وغلامه لمدينة الأمير سعيد ، فوجده راحلا ومهاجرا ، ثم تبعه للجزيرة التي رحل إليها ، وسعى للعمل والصيد معهم ، وفطن حسن وحماه للخطر ، فطلبا من أحد الخدم المراقبة له والتجسس عليه .

ولما حاول الغدر بحسن ، تم اعتقاله ، وقدم لملك الجزيرة الملك قبس البرق ، فسفك دمه بعد اقرار غلامه بالمهمة التي جاءوا من أجلها.

ولما علم الملك بمقتل ابن أخيه وتآمره مع حليمة أمر بحبسها حتى تموت ، ورفض الشفاعات فيها حتى يكبر أبناء الأمير ويحكمون عليها ، وقد رفض الأبناء والأخوة العفو والصفح عنها ومكثت في السجن حتى هلكت ؛ كما يهلك كل البشر .. وهذه حكاية حليمة بنت الحارث ، وقيل ظلت حية حتى بلغت من العمر عتيا ، والله أعلم .



منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

جواهر القصص

جمال شاهين

حكاية حسن وحليمة


حجر القمر
حكاية حسن وحليمة
حمار مسحور
وحش الغابة
الدنيا الساحرة
المغارة السحرية
حفيد الهدهد
كفر الذرة



حمار مسحور



جمال شاهين



منشورات المكتبة الخاصة

جواهر القصص

حجر القمر

٢

جمال شاهين

٢٠٢٠

حمار مسحور



الحمار المسحور

كانت ساحرة تعيش في مدينة الشمس ، ولها قصص مزعجة للناس خاصة الرجال ؛ فإذا عشقت رجلا ظلت تطارده حتى يقبل بها قرينة وحليلة ، وبعد سنة أو أكثر بقليل يختفي الرجل من المدينة ، ولا يعرف أبناؤه وزوجته وأقاربه قبل خطفه علنا من قبل الساحرة أين اختفى ؟ ولما يشتكي أهل الرجل للشرطة تخبرهم الساحرة أنه ذهب في تجارة ولم يعد ، وعندما يسأل رجال القوافل التجار عنه لا يذكرونه، فتزعم وتكرر لهم أنه خرج في تجارة خاصة بها ، وهذا معروف عنها ، فهي بين الحين والآخر تستثمر بعض مالها في التجارة .

ضاق الناس بها ذرعا ، وأصبح من الصعب أن يقبل بها أحد كزوجة من أهل المدينة ، فعمدت إلى الزواج من رجال أغراب عن المدينة ، وعندما يختفون لا يهتم باختفائهم أحد ظانين أنها طلقتهم، وعادوا لبلادهم ،فتركها الناس وشرورها.

ولما كانت تصطاد ذكرا كان الناس يحذرونه من سحرها وظلمها وكذبها ، ومن يصدق ينجو من براثنها وفتنتها ؛ لأنها كانت تظهر أمام فريستها بأجمل هيئة ؛ وكأنها فتاة صغيرة ، ولما ير الخطيب عقود الذهب والجواهر التي تزين نفسها بها والغنى الذي ينتظره يقع في غرامها ويزيغ فؤاده ، ويقع في شبكة العنكبوت فينسى أم أولاده وأولاده .

دخل المدينة شاب جميل سمع عن جمالها وشبابها من أحد غلمانها ، فقرر الإتيان لمدينة الشمس والالتقاء بالساحرة ليمونة.

وكانت تستعد لهذا اللقاء ، فكانت بأبهى زينة وتبرج ، واستقبلته في قصرها الجميل ، فلما رآها لم يقدر على فراقها لهفة ورغبة ، فقبل بها زوجة ، ولم يسمع نصح ناصح ، ولم يصدق أنها تزوجت عددا من الرجال ، وعاش في القصر في غاية السعادة والحب ، طعام شراب خدم .

كان الناس بعد زواج الساحرة من الشاب لهفان في غاية الاستغراب بعد صبرها عليه ثلاث سنوات ، وكان يبدو للناس سعيدا بها ، والنساء يزعمن أنها قنعت به ، ولم ترغب بغيره من الرجال ؛ كما اعتادوا ذلك.

وكانت تقول لهن : إنه أفضل رجل التقت به ، وإنها تحبه حبا جما.

هذا ما لاحظه الناس والجيران من سعادتها ، وكان الشاب لهفان دائم المدح والثناء على زوجته ويزعم أنها لم تغدر بأي أحد ممن تزوجته ؛ إنما كانوا يهجرونها ويهربون منه ، ويختفون من حياتها بإرادتهم ومللهم .

ذات يوم زار رجل غريب بيت الساحرة ، وعرف الناس أن هذا الزائر شقيق لهفان وأنه قدم لأخيه يطالبه بزيارة أمه التي أصبحت على وشك الموت ، ولها شهوة ورغبة برؤية ابنها قبل فراق الدنيا ، ورفضت الساحرة سفر زوجها مع أخيه ، وأنها لا تستطيع فراقه، وقد بليت بهواه ، وأعاد لها حياة الشباب ، وحتى ورفضت السفر بمعيته .

وحل الحزن الشديد بقلب الزوج لرفضها طلب أمه ، فبدأت المشاجرات والشكوى من تجبر زوجته به ، وأنها تحرمه من أمه ، وأقنعت النسوة الساحرة بالسفر معه حتى تضمن عودته ، وغادرا المدينة معا ،وقد استسلمت الساحرة للوم المقربات .

وبعد شهور غياب عن مدينة الشمس رجعت الساحرة بدون لهفان ، وعلم الناس منها بموته بعد مرض ، لم يمهله طويلا .

أكثر الناس لم يصدق موت لهفان ؛ بل اتهمها بعضهم بقتله والخلاص منه ؛ كما تخلصت ممن تزوجتهم قبله ؛ لأنه أجبرها على السفر لمقابلة والدته ،وأشاع بعض آخر همسا بأنه طلقها ، وأنها تزعم موته .

كان ضفير فلاح صغير يملك حقلا صغيرا أو أرضا صغيرة يحرثها ، ويزرع فيها الحبوب وبعض أنواع الخضار ، وكان لديه جحش اشتراه منذ أيام بدلا من الحمار الذي هلك من عهد قريب، فكان هذا الجحش يقوم بحراثة الارض ونقل البضاعة الى سوق البلدة ، وكان هذا الحمار دائم البكاء والدموع مما أزعج ضفير حتى أنه فكر ببيعه والخلاص منه ، رغم تعلقه به حتى أن زوجته تقول هذا حمار خجول يا ضفير !

قال : كيف هو خجول؟ إنما هو حمار !

قالت : عندما أذهب لأضع العشب والعلف أمامه يبتعد عني ، ويظل يراقبني بطرف عينه حتى أخرج من حظيرته ، ثم يزحف للطعام ، واذا عدت يهرب لداخل الحظيرة .

قال : حمار عجيب !

قالت : نعم ، لا يحب أن يأكل وأنا معه في الحظيرة .

قال بضجر : أما أنا فيزهقني بكثرة دموعه، ونهيقه المحزن ؛ كأنه طفل يبكي!

فهتف الزوجة : فعلا عندما أسمع نهيقه أظنه يبكي !

فقال : لعله رجل!

هتفت بعجب وحيرة : رجل وحمار!

فقال محتارا مثلها: فكرت ببيعه ، فهو رغم شبابه يتعب بسرعة ؛ ليس كالحمار الذي فقدته ، كان حمارا قويا وجبارا .

قالت مذكرة زوجها عن الحمار الهالك : لا تنسى أننا اشتريناه صغيرا يا ضفير ! وترعرع هنا ، مع الزمن سيُصبِح مثل قرينه.

تنهد بعمق وقال : نعم ، لا أنسى .. متى سيأتي ضيوفنا؟

اجابت : خلال هذا الشهر بمشيئة الرب تعالى .

قال مرحبا : على الرحب والسعة.

تمر الايام والفلاح الشاب ضفير يعاني من الحمار ، ومن ضعفه وهزاله ، لم يعد يأكل بصورة جيدة وخشي عليه الموت كحماره السابق ، فنزل به السوق حيث تباع الحمير والحيوانات الانسية ، وبعد جهد جهيد قبل به أحد الناس.

وبعد يوم واحد تفاجأ به ضفير يقف أمام منزله راغبا بإعادة الحمار ، وأخذ الثمن وفي بداية اللقاء رفض ضفير الغاء البيع ، ثم لان عندما أخبره الرجل أن هذا حمار ضعيف على وشك الموت .

وفي الصباح ساقه ضفير الى السوق من جديد ، وبينما هو يدلل عليه اقترب منه رجل شيخ في السن، وقال ويحك أهذا الحمار لك ؟!

رد ضفير بأسى : نعم ، يا أخي ! وثمنه بخس اذا كنّت به راغب.

قال الشيخ : إن نهيقه ليس بصوت حمار ! إنه يبكي أيها الرجل ؛ لعلك تتعبه.

قال : لا ، بستاني صغير ، وقد ابتعته من عهد قريب.

قال الشيخ : هذا أيها الفلاح ما هو بحمار!

ضحك ضفير وقال نكدا : لعله قرد أيها الشيخ!

قال الشيخ : هذا إنسان مسحور!

قال فزعا : مسحور!!

قال الشيخ : نعم ، هذا رجل تعرض للسحر .

قال : عجيب !!

قال الشيخ : أنا واثق أنه مسحور .. انظر أنه يكاد ينطق ويقول لنا : أنا إنسان !

وكان الحمار يهزّ رأسه بقوة كأنه يقول : أنا بشر مثلكم.

وقال الفلاح وهو غير مصدق : ومن سحره وغير صورته؟!

تحدث الشيخ مع الحمار ، ثم قال : هل سحرتك زوجتك؟

فصاح الحمار مصدقا ومهتاجا ، فقال الشيخ للفلاح : أرأيت ؟

قال : كيف عرفت أنه مسحور؟

قال الشيخ : أنا لي زمن أبحث عنه أنا شقيقه.

قال : شقيقه ! أنت شقيق هذا الحمار ! وهل أنت سحرته؟!

قال الشيخ بهدوء مدرك صدمة الفلاح : لا ، سحرته زوجته ، لقد تزوج ساحرة فاجرة ، لما زرته في قصرها عرفت الأمر منه ، ومن الناس ، وسعيت لإنقاذه من براثنها ؛ ولكنه كان متعلقا بهواها وغرامها، وأنا عرفت ذلك لما زرته لرغبة أمي برؤيته قبل موتها ، ولما جاء إلينا لمشاهدة والدته

المحتضرة ، جاءت معه الساحرة ، وعرفت أنني أسعى في طلاقها ، وإنقاذه منها ، وأثناء العودة لمدينة الشمس بعد زيارة أمي تشاجرا في الطريق لرغبته بالبقاء معنا حتى وفاة أمنا ، فاحتالت عليه ورجعت به لبلادها ، وقبل أن يصل لهفان سحرته ، وزعمت للناس في المدينة أنه مرض ومات متأثرا بسقمه ، وذهبت لزياته وإخباره بوفاته أمه ، وقد أوصت بأن يطلق الساحرة ، فعلمت ما قيل من أهل الحي والجيران ، وعلمت منها بأنها صورته وحولته لحمار لما هددتها بالموت والقتل ، فأخذت بالبحث عنه في أسواق الحيوان في المدن والقرى التي بين مدينتا ومدينة الساحرة اللعينة.. فهذا قصة الحمار المسحور.

قال : وكيف ستعيده لصورته الاولى؟!

قال الشيخ : سأشتريه منك ، وأذهب به لافك سحره .

وعانق الحمار وهو يبكي ، فقال الرجل : عليّ أن أصدق هذه الحكاية !

وابتاع الشيخ رزق الحمار ، ومشى به نحو بلاده ، وكان يهتم به ويرعاه ، وأفرد له حجرة نظيفة ، ويضع أمامه أجود الشعير والخضار ، مما أدهش الأسرة والأقارب من أفعاله والاهتمام الزائد بهذا الحيوان حتى أن زوجته قالت : إنك تعامل هذا الحمار أفضل مني !

فيقول الشيخ : هذا أخي العزيز لهفان .

فقالت وقد ظنت خبل زوجها : هل أخوك أصبح حمارا؟!

فيجيب بـنعم: هذا الحمار هو أخي لهفان .

فتسخط وتقول : إنك تسخر مني يا رزق!

فيقول لتصدقه : لا أسخر منك.. انظري إليه كيف يتحاشى النظر إليك ؟ هل يفعل الحمار ذلك؟

قالت غير مصدقة : وهل يفهم الحمار؟!

فصاح : هذا أخي! قد سحرته زوجته اللعينة إلى حمار.

قالت : تلك المرأة الشريرة التي زارتنا قبل سنة !

هتف فقال : نعم ، إنها ساحرة خبيثة النفس ، رغبته بنفسها ، ولما تزوجها ملّت منه وسحرته ؛ وربما سحرت غيره من الازواج ؛ كما علمت من جيرانها أنها تزوجت عددا من الرجال .

قالت بشك وريب : وماذا فعل أهلوهم؟!

قال الشيخ : لا شيء ، هم أغراب عن بلدها ، وتزعم للناس أنهم ماتوا وهلكوا في تجارة لها .

فقالت للحمار : أأنت لهفان؟!

فنهق بحزن وهزّ رأسا أكثر من مرة ؛ كأنه يقول : نعم ، أنا لهفان حبستني الساحرة بصورة حمار.

وقالت لزوجها شبه مصدقة : وما العمل يا رزق لفك سحره؟

قال الشيخ بحيرة : لا أدري ! لحد اليوم أفكر بالبحث عن ساحر أقوى منها.. أفكر بقتلها إن لم ترفع السحر عنه .. أفكر بالزواج منها لاستدراجها بكشف السحر.

فقالت بقلق : أخشى أن تفعل بك ما فعلت بأخيك ، وتحولك لقرد أو حمار.

قال الشيخ برعب : هذا ما أخشاه! إنها تصنع مركبات وطلاسم عجيبة ؛ كما يخبر من حولها.

قالت : ولماذا لم يقتلها أمير تلك المدينة؟!

قال الشيخ مجيبا : هي تتهم بالسحر والقتل السري ، لا أحد يثبت عليها الجرم .

قالت : إنها ساحرة فعلا ! وماذا سنفعل لهذا الحمار المسكين ؟!

قال الشيخ : هذا ما أفكر بحله ، أنتظر عودة شقيقك ملاك ، فهو رجل خبير وكثير السفر؛ لعله يرشدني لساحر أعظم وأقوى منها .

قالت : ملاك له مده خارج البلاد ، طالت سفرته هذه السنة .

قال الشيخ : أعرف ، وأنا في انتظاره منذ وجدت أخي عند أحد الفلاحين ، يحرث عليه حتى هزل وضعف ، وأشرف على الموت .

قالت : يا للمسكين!!

قال الشيخ معتذرا عن الفلاح : هو اشتراه على أنه حمار ؛ ولكنه لا يستطيع بالقيام بواجبات الحمار الحقيقي ؛ فكان يقع كثيرا على الارض ، ويهزل ، فذهب به للسوق لبيعه ، وهناك وجدته

فعرفته .

أقبل ملاك شقيق زوجة رزق من رحلته وسياحته ، ولما علم بما حصل من السحر للهفان تألم كثيرا ، وأخذ يشحذ ذهنه ليتذكر رجلا أو إنسانا قادر على إنقاذ الشاب الجميل لهفان ، وتذكر بعد زمن يسير الحكيم نادر في مدينة الشفق ، فساق الحمار المسحور ورزق إلى مدينة الشفق ؛ حيث الحكيم نادر ، ولما وصلا قصره رحب بهم ، ونظر الحمار بعين العطف والحزن ووعد بالمساعدة ، وفك السحر الذي أصاب الشاب المسحور لهفان .

وبعد تفكير عميق قرر الذهاب لبلاد الشمس والتعرف على الساحرة ، ليعرف المواد التي ركب منها الداء والسحر ، وطلب من ملاك ورزق والحمار العودة لبلادهم حتى اذا تمكن من معرفة الدواء ، أتى إليهم ، فهم توجهوا لبلدهم ،وهو ركب بغلته البيضاء ، وحمل جراب الطب لمدينة الشمس لمقابلة الساحرة ليمونة .

ولما التقى بها بعد عقبات لا تذكر كشف له أمره ، وأنه حكيم مدينة الشفق وتوعدها بسحرها وتحويلها لدابة اذا رفضت كشف السحر الذي فعلته بزوجها لهفان ، فرفضت الاعتراف بحياته وأنها سحرته ، وأمام عنادها واصراها غادر المدينة إلى جبل الحكماء ، والتقى بكبيرهم ، وقص عليه قصة الشاب المسحور لهفان ، فقبل الحكيم الكبير مساعدة الحكيم نادر .

الساحرة لما تركها الحكيم نادر رغم تعجرفها واستكبارها شعرت بالخوف ، فهي تعرف الحكيم نادر ، فغادرت المدينة سرا ، وذهبت تبحث عن لهفان ؛ حيث باعته ولما وصلت بيت الفلاح ضفير الذي ابتاع الحمار منها بعدما سحرته ، أخبرها أن الحمار كان رجلا مسحورا ، أخوه أخذه منه، فقالت بخبث : أنا جئت لأني علمت ذلك.

ومشت إلى مدينة رزق ولهفان ، ثم علمت من زوجته أن الحكيم نادر أتى وأخذه لجبل الحكماء لعلاج من سحرها، وقامت زوجة رزق وأقاربه بالاعتداء عليها بالضرب ورميها الحجرة ، وهي تتوعدهم بالويل والثبور .

ولما خرجت من المدينة تنفست الصعداء ، وتفقدت جسمها ومسحت الدماء التي سالت من

رأسها ، وتخلت من البحث عن الحمار المسحور ، وبينما هي تتجول في المدن تقدم منها رجلان وأوثقاها وحملاها على بغلة شهباء إلى جبل الحكماء .

ولما التقت بالحكيم الكبير أنبها وأهانها وأذلها وأمر بحبسها حتى يشفى لهفان ويعود لحياته الإنسية ، ولما انتهى العلاج والدواء ، وعاد الوعي للرجل قابل زوجته في سجنها ، وأعلن طلاقها وعاد لبلده مع أخيه وصهر أخيه نادما على ما سببه لهم من نصب وتعب ، وأظهر ندمه على تصميمه من الزواج من ساحرة .

ولما استقر في المدينة ، وتعافى كليا من آثار السحر والسقم تزوج امرأة من وطنه وحمد الله على نجاته وشفائه .

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

جواهر القصص

جمال شاهين

حمار مسحور


حجر القمر
حكاية حسن وحليمة
حمار مسحور
وحش الغابة
الدنيا الساحرة
المغارة السحرية
حفيد الهدهد
كفر الذرة



وحش الغابة



جمال شاهين



منشورات المكتبة الخاصة



حجر القمر

٣

جمال شاهين

٢٠٢٠

وحش الغابة



وحش الغابة

الطيبة مدينة فعلا اسم على مسمى ، كما يقال الحب والود شائع بين الناس، الصغار يحترمون الكبار ، والكبار قدوة الصغار ، الأمن سمة البلاد ، والغني يشفق ويساعد الفقير ، والضعيف لذلك لو حدث مصيبة في المدينة الطيبة يتأثر بها كل أهل المدينة ، وينزعجون ويفزعون لحلها أو التخفيف من آثارها وحدتها.

وهذا ما حدث عندما كان شهاب الدين عائدا من زيارة شقيقته ذات ليلة ، وكان يصحبه زوجته وطفليه ، وكان وقت دخوله المدينة عند أول طلوع الفجر ، وما زال الليل قائما عندما لمح جسما ممددا في دربه .

فقال لزوجه بقلق فطري مشيرا للجسم الملقى على الارض : لماذا هذا الانسان نائما في الطريق؟!

فقالت واجست خيفة : [illegible] اغمي عليه!

فقال مضطربا :وماذا يفعل [illegible] الوقت؟

اقتربوا من الجسم ؛ فإذا [illegible] نادى شهاب : يا هذا ! يا رجل !

دنا منه أكثر وحدق فيه و[illegible] كأنه ميت !

حركه فلم يتحرك فقال [illegible] دماؤه تملأ الارض [illegible] العمل ؟!

قالت باضطراب شديد : عليك بإخبار العسعس!

فقال : أين سأجد العسعس ؟ وكيف سأترككم ؟!

قالت : أنت سر لبيت العسعس ، وأنا أسير إلى بيتنا .

أقر قائلا : نعم ، لا يمكنك البقاء مع هذا الميت.

حضر العسعس للمكان ، وتأكدوا من موت الرجل ، وتبين أن أحد الوحوش تعرض له ، وقتله ؛ ولكنه لم يأكل من جسده قطعة ،فقال لشهاب : فقد هرب ؛ ربما لما شعر بكم اختفى.

فقال شهاب بتردد : وحش مفترس يترك فريسته بعد أن قتلها ؛ ليهرب منا .. نحن لم نسمع همهمة أو خيال حيوان.. ولماذا لم يهجم علينا ؟ ولماذا لم يعد لفريسته عندما ذهبنت إليكم ؟

قال العسعسي : المهم أن الرجل ضحية ذئب أو ضبع .. علينا أن نعرف أسرته وأقاربه.

شيعت المدينة الضحية إلى قبرها ،وحزن الناس على الرجل ، ولم يكد الناس يفيقون من صدمة موت الرجل طحلب ، حتى اكتشف الناس ضحية جديدة امرأة شابة تأخرت في العودة لبيت والدتها ، فصرعها وحش من عنقها ، كانت عائدة لبيتها بعد وقت العشاء بزمن يسير ؛ كما روت أمها ،لأنها خرجت لقضاء حاجة عاجلة وتعود .

كان اغتيال المرأة محزنا ومؤلما لأهلها والجيران ، وسخط الناس على الشرطة من عدم كشفهم الحيوان الذي قتل طحلب ، ولو أنهم طاردوه ، وبحثوا عنه لما حصلت هذه الجريمة الوحشية ، وما قتلت رحمة .

الأهالي لهم سنوات وسنوات لم يسمعوا عن وحش يعتدي على أهل المدينة الطيبة فمن أين جاء هذا الوحش ؟ حتى رواة [illegible] صيادين وحطابين لم يحدث لهم قتل واغتيال ، زعم بعض الشباب والصيادين رؤية [illegible] ضباع في عمق الغابة أو قرب عين الغابة ؛ ولكن لم يخبر أحد أنه اصطاد حيوانا منها ، [illegible] الذئاب لتقتل بشرا ؟!

فقيل وقيل ، فزعم البعض [illegible] في أحد البيوت ، وأنه يغافل صاحبه ويخرج يتجول ليلا في شوارع وأحياء المدينة [illegible] الناس ترقد مبكرا في هذه المدينة الطيبة .

ولكن هذه الإشاعة لم تثبت ، لا أحد يعرف شخصا يملك مثل هذه الحيوانات بعضهم لديه كلاب صيد أو كلاب ماشية ورعي.

ذهب الهدوء والتسامح بسبب هذين الحادثين ، وقبل أن يعالج الناس الجرائم قتل طفل أثناء عودته بعد غروب الشمس بقليل ، ذهب بطعام لبيت شقيقته المتزوجة في نفس الحي أعدته أمه ولما قفل راجعا التقى بالوحش الخفي وعضه حتى مات ولما تأخر في العودة خرج شقيقه يرقب الطريق ، ثم سمع صراخا ، ثم تجمهر الناس ، فذهب نحو الجمهرة فوجد أن شقيقه أسعد مضرجا بدمه ، فهرعت الأسرة إليه باكية صارخة .

وحضر زعيم الشرطة وعلى نور المشاعل نقلت الجثة لبيت الأسرة ، وأصاب الشرطة الوهن

والدهشة حتى وصل الأمر لوالي المدينة الذي سخط على رئيس شرطته ، وطلب الامير ربيعة الذي كان سيد الشرطة قبل عشرات السنين ، وقص عليه حكاية الجرائم الثلاثة.

فقال الرجل : ثلاث جرائم قتل خلال أسبوعين في بلد كبلدنا ! هل مواقع الجرائم متقارب يا أيها الوالي؟

رد رئيس الشرطة : حدثت في أماكن قريبة في الجهة الشمالية القريبة من الغابة ولكن لم تأكل هذه الحيوانات المفترسة شيئا من أي الجثث .. قتل بالأنياب فحسب كما بان على الجثث ، لم تقتل لتأكل.

قال ربيعة مستفسرا : وهل يفعل المفترس ذلك؟!

رئيس الشرطة : هذا ما يحير !

قال ربيعة مقررا : إذن القاتل [illegible] وهذا ليس فعل الحيوان الغريزي .

رئيس الشرطة مؤكدا : [illegible] هذا بين يا سيدي ربيعة!

عاد ربيعة يقول : معنى [illegible] هذا الوحش يعمل كوحش الصياد يصيد لصاحبه ..فهل لدى الصيادين فهود للصيد ؟

رئيس الشرطة مجيبا : حسب [illegible] أن صيادي المدينة لا يصيدون بهذا النوع من الحيوان ، يصيدون بالباز والصقر .

قال ربيعة : وما الغاية من هذه الجرائم العنيفة؟

رئيس الشرطة بحيرة : لم نعرف غاية أيها السادة!

قال ربيعة : عليك بمضاعفة العسعس في تلك المنطقة من المدينة طوال الليل .

وأكد الوالي بعد سماعه الحوار بين قادة الشرطة على تنفيذ ذلك ، ومضت أسابيع دون وقوع أي حادث قتل في المنطقة والمدينة ، وسبب ذلك المزيد من القلق والرعب للسكان ، وأكد أن عدوا يتربص بهم من داخل المدينة .

كان السخط والغضب يعم المدينة ، فكيف يسقط ثلاث ضحايا ؟ ولم يعرف الجاني القاتل كل

هذا الزمن ، أمام هذا الرعب المخيم على المجتمع تعهد ثلاثة شباب بالبحث عن الوحش ، ومعرفة المكان الذي يأتي منه لداخل المدينة ، وقاموا بهذا التعهد بينهم ، فأخذ هؤلاء الشباب يتمشون ليلا في المنطقة التي حدثت فيها الأحداث ، وبعد مرور عدة أيام من السهر والتعب لمحوا شبحا يخرج من الغابة فكمنوا له ، ورأوا رجلا يقود كلبا أسود ضخما ، ورأوه يدخل أحد الطرق ، وظل يتمشى ساعة من الزمن، ثم عاد للغابة ، فتبعه الرجال عن بعد ، ولما أصبح في وسط الغابة اختفى عن أعينهم ، وظلوا يرقبون المكان، ولم يظهر الرجل ذو الزِّي الأسود والكلب الأسود ، وعند الفجر رأوا رجلا يدخل الغابة ، وهو يتلف قلقا فاستيقظت حواسهم ثم اختفى الرجل دون أن يعرفوا مكان اختفائه .

فقال عصر : هنا مكان خفي ، فالرجل الأسود اختفى هنا ، ثم هذا الرجل الذي اعتقد أنه أتى من المدينة.

راقب الشبان الثلاثة عمق [illegible] عدة ليالي ، وعرفوا بيت الرجل الذي يزور الغابة عند الفجر ، وعلموا أنه تاجر جوال [illegible] الرجل طحلب الذي قتل رفيقه في التجارة ، وهم يأخذون البضاعة ويذهبون للقرى [illegible] المجاورة ، وعلموا أن بينه وبين القتيل نزاع على بعض المال ولم يكن نزاعهم داخل [illegible] ترجح لديهم أنه هو الذي تسبب في سفك دمه بواسطة رجل وكلب الغابة .

وعلموا أن السر وراء هذه الجرائم عند وحش الغابة صاحب الكلب ، وأن عليهم أن يوقعوا بوحش الغابة ؛ لعله يعترف لهم .

وضعوا خطة لصيد رجل الغابة ، وهي مراقبة بيت التاجر السواح ، ولما قدم رجل الغابة ليقابله تبعوه ، وهو يدخل البيت بعد أن وضعوا للكلب مخدرا في قطعة لحم ثم تسللوا لحجرة اللقاء واقتحموا الغرفة بدون إذن ، وتم تربيط الرجلين قبل أن يستيقظا من دهشتهما ، ولم كمل ذلك ، قال عصر : الآن عليكما بشرح جرائمكم.

قال التاجر : أي جرائم ؟!

قال عصر : جريمة قتل صاحبك .

قال التاجر : أنا لم اقتله ، ولم يقتله أحد منا ، الكلب اعتدى عليه ومات.

قال عصر : من دفع الكلب للاعتداء عليه؟

قال التاجر : كنّا نسهر معا ، ولما عاد لبيته تعرض له الكلب دون علمنا فألقيناه في الطريق ، وخشينا إخبار الشرطة ، واهله ، هو ليس له أهل هنا ، هو غريب عن المدينة ؛ ولكنني أعرف أخته فنبأتها بموته.

قال عصر : والمرأة !

قال التاجر : كان صاحبي هذا قادما لزيارتي فتصادف ذلك بوجودها ، فلم ندركها الا بعد أن قتلها الكلب .

قال عصر : والطفل حد[illegible] حدث للمرأة !

قال التاجر : صحيح .

قال عصر : لكنكم لم تعت[illegible] ذلك ، وسكتّم عن الامر .. ومالي أرى صاحبك صامتا هل هو أخرس؟!

رد صاب الكلب بحدة : [illegible] أيها الشاب ! من أنتم ؟ !

قال عصر : نحن لنا زمن نراقبكم ، وعرفنا مكانك في الغابة ، وعلاقتك بهذا السيد.

قال التاجر الكهل: أنا لم أقتل أحدا ؛ إنما فعل ذلك الكلب.

قال عصر : كان عليك قتل الكلب لما اعتاد على ايذاء الناس، وإبلاغ الشرطة عن شخصية القتيل .

قال التاجر : هل أنتم من رجال الوالي؟

قال عصر : نعم ، نحن من أعوان الوالي ، ولسوف يحضر قائد العسعس لاستلامكم منا ، وسنذهب إلى الغابة لأسر الكلب وإعدامه .

قال شبح الغابة: الكلب قد مات .

قال عصر : مات ! وكيف هلك ؟

قال شبح الغابة : هلك ؛ كما تنفق المخلوقات كلها.

قال عصر : يعني أنك لم تفتك به.

قال شبح الغابة : هلك من نفسه مرض ، ومات.

قال عصر : ليس مهما ، سنذهب إلى مكان اختبائك ، ونريد ان نعرف لماذا أنت تعيش في الغابة ؟

قال شبح الغابة : طول عمري أعيش في الغابة منذ كنت طفلا .

قال عصر : وكيف تعرفت على هذا الخائن؟

قال شبح الغابة : حضر للغابة وأعطاني ثيابا ، وهو يفعل ذلك من زمن وعهد بعيد وحدثني قبل أسابيع عن مشاجرته [illegible] ورغبته في الخلاص منه

فصاح التاجر: لا تتكلم [illegible]

قال شبح الغابة : لن أتحمـ[illegible] وحدي .

قال التاجر : إنهم يسخرو[illegible] من الشرطة.

صفع أحدهم الرجل ، و[illegible] أيها الخائن ، نحن نعلم بغدرك لصاحبك جاره نفيس في بلدته حدثنا عن ذلك ، وصرح بأن صاحبه أخبره أنه اذا قتل غدرا أنت الفاعل يا جعلان ؛ ولكن الذي ساعدك على عدم القبض عليك أنه قتل هنا ولم يتعرف عليه أحد إلا أنت ، وزعمت أنه تاجر مثلك ، ولا تعرف مسقط رأسه تكلم يا جسار بما تعرف .

قال شبح الغابة : المهم أن الرجل طلب مني المساعدة ، ورسمنا قصة مصرعه بواسطة الكلب الأسود ، ونجح الكلب بعضه حتى مات.

قال عصر : والمرأة لماذا قتلتموها؟

قال شبح الغابة : رأتنا وهي عائدة لبيتها ، كنّا نتحدث أو قل نتشاجر ومرت بالقرب منا خفنا منها ، وآثار هذا الرعب منها في قلبي ، فأطلقت عليها الكلب فصرعها واختفينا .

قال عصر للتاجر : وأنت لماذا قتلتها ؟

قال التاجر : كما قال صاحب الكلب كنّا نتشاجر أثناء قربها منها ، فوقفت تتسمع علينا مما آثار خوفنا ورعبنا كان حديثنا بصوت عال.

قال عصر : والطفل الصغير.

قال التاجر معترفا : جريمة تجر لجريمة ، القاتل يرغب بقتل كل الناس حتى يحمي نفسه ، لما اضطررت لقتل شريكي أخذ هذا الصعلوك يطلب المزيد من المال والاشياء ، وكثرت لقاءتنا ، وكنت منتظرا له ذات ليلة ليأخذ بعض المال ، ولا أدري إلا أنه قال لي لقد اعتدى الكلب على شاب صغير دون اراداتي ، فغضبت من جنونه وطردته حتى نرى ردة فعل الناس ، ثم زارني طالبا للمزيد من المال ، وأن [illegible] الغابة ، ولما زرته دفعت له ، وقتلنا الكلب ، قد أحضرت له طعاما مسموما فمات [illegible] ، وجاء اليوم يطلب ثمنه أيها السادة ! وعلينا أن نسلم أنفسنا لكم .

فهذه قصة وحش الغابة [illegible]

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

جواهر القصص

جمال شاهين

وحش الغابة


حجر القمر
حكاية حسن وحليمة
حمار مسحور
وحش الغابة
الدنيا الساحرة
المغارة السحرية
حفيد الهدهد
كفر الذرة





الدنيا الساحرة

جمال شاهين



منشورات المكتبة الخاصة



حجر القمر

٤

جمال شاهين

٢٠٢٠

الدنيا الساحرة



القرية الوادعة كان يقابلها جبلا عاليا ، وكان يُرى على أعلاه قصرا تتلألأ منه الأنوار الرائعة ، عندما يبدأ غروب الشمس ودخول الليل ؛ كأنها نجوم الليل في يوم صيف حار ، كان الفضول المغروس في الناس في تفاوت ودرجات ، يثير الشهوة والرغبة بمعرفة صاحب هذا القصر الجميل اللامع من انعكاس الشمس نهارا.

من صاحب ومالك هذا القصر الأبيض ؟ من شيده على هذه القمة العالية في عنان السماء ؟ كيف بني ؟ ومن يسكن فيه؟ هل هو ملك ؟ هل هو ملكة؟ هل هو وزير ؟ من ؟!

لا يخلو مجلس من مجالس أهل القرية من الحديث عن هذا القصر الغامض ، وكيف تكون الحياة فيه ؟ ماذا يشربون؟ وماذا يطعمون؟

سمع أوس حديث الكبار عن غرابة هذه القصر وغموضه ، فاشتاقت نفسه الفتية لصعود الجبل والوصول للقصر ، ويعرف من أهله وسكانه؛ ولكنه سمع من بعض الكبار أن الذي يدخل القصر أو يقترب منه لا يرجع لقريته ومدينته ، وما سمعوا برجوع أحدهم ؛ فليس المهم الوصول إليه ، المهم العودة وإخبار الناس بما حدث ، هل يقتل من يقترب منه؟

اشتاق أوس للمغامرة ، واشتد به الفضول والرغبة لمعرفة أسرار القصر ، فهمس لصديقه بلال بهذه الرغبة والشوق.

فتجهز بالزاد والماء ،ومع تباريح الفجر انطلق ، رافقه بلال عدة أميال ، وتابع أوس رحلته الغامضة صعودا ، ورجع بلال للقرية منتظرا عودة أوس.

وبعد مسير ليالي وأيام صاعدا الجبل التقى بشاب مثله اسمه عصام راغبا مثله في معرفة سر القصر ، وهو من قرية أخرى ، وعنده ما عند أوس من الفضول والرغبة لمعرفة أخبار وأسرار قصر الجبل .

ولما صعدوا بضع ساعات التقوا بامرأة عجوز في طريقهم ، وبعد التحية والسلام عرفوا أن مقصدها نفس مقصدهم ، وأنها مفتونة مثلهم بهذا القصر العجيب ، وأن أتت من قرية بعيدة

رغم كبر سنها ، ولها أيام وأيام تسير حتى وصلت إلى حيث التقوا.

وبعد حين وجدوا فتاة شابة تسبقهم في طريقها للقصر الأبيض ، وأنها من كثر سمعت عنه من أمها وأبيها وصديقاتها لم تستطع المقاومة والثبات في بلدها وأخفت أمرها عن الجميع ، وغادرت المدينة للقصر الأبيض.

تابع الجمع وغيرهم السير إليه ،وكلهم ينتابه الشوق والامل بالوصول للقصر الغريب القريب البعيد ، وكان الشابان أسرع مشيا من العجوز والفتاة فسبقوهما بساعات .

تعب عصام فجأة ، وطلب من صاحبه تركه ومتابعة سيرة ، فقد حل فيه المرض وسيحتاج لوقت حتى يتعافى منه ، فاعتذر أوس منه لما عرف عذره ، وبعد أيام وصل أرض القصر ، ولم يجد أمامه جند أو حرس ، واقترب من بوابة القصر العالية والأسوار العالية في عنان السماء قرع الباب ، وبعد حين فتحت طاقة او نافذة وسمع صوتا يرحب به ، ولما عرف غاياته قال : سأسمح لك بدخول القصر وتحل علينا ضيفا ثلاثة أيام ، وتأخذ منه ما شئت من المال ؛ ولكن سوف تخرج من باب آخر.

فقبل أوس الشرط ، ومن أجل ذلك ترك القرية والفلاحة ،وادخل للقصر وبهره الجمال والزينة التي تغمر القصر والأضواء والأرض المفروشة بالياقوت والأحجار الكريمة ، واستقبل في جوف القصر ورأى الاثاث والمفارش والرياش والأواني والأكواب من اللؤلؤ والذهب والفضة والخدم بأحلى الثياب ، وسيق إلى جناح خاص به ، وكان مبهورا بما فيه من الاثاث والزينة والسرير الذهبي والفرش من الحرير والذهب ، وقدم له أجمل الطعام حتى كاد يذهب عقله مما رأى وشاهد واستمر يستمع بهذه الاشياء ثلاثة أيام ، ثم ساقه قيم القصر إلى مخزن المال فرأى أنواع الجواهر والاموال والدواب والنعم ، فأخذ من الذهب والدراهم وجوادا لا نظير له في القرية ، وساقه الخدم إلى بوابة القصر الاخرى ، وقالوا له: انطلق وتنعم بما كسبت من جواهر وثياب ومال وخيرات.

وحين تعافى عصام تابع السير للقصر الأبيض ، وتم الترحيب به وضيافته الايام الثلاثة ، وحمل

بالمال والجواد وغادر القصر إلى بلدة جديدة ، ولما حل فيها اشترى أرضا ، وأخذ بزراعتها ، وتزوج امرأة حسناء.

ولما وصلت العجوز سكنت القصر الليالي الثلاث وانطلقت بمال وجواهر وسكنت في نفس المدينة التي يسكنها أوس وعصام ، وحصل لزهرة الفتاة الطيبة ما حدث لرفاقها وغيرها من البشر .

أصبح أوس رجلا ثريا وتزوج امرأة ثرية من نساء المدينة ، وأصبح لديه الخدم والجواري ، ووهب البنين والبنات ، وكان يوصف بالشح والبخل من معارفه وأهل زوجته ، ولا يحب الصدقة ، ولا يعرف الزكاة ، ولا يساعد الضعفاء ، كان اذا حدث عن ذلك يزعم أن المال قليل والحاجات كثيرة ، والذي ينفق على البيت زوجته التي كانت أسخى منه حتى أنه كان يضيق من جودها ، وتشاجرا كثيرا ، ولما أعطت أرملة شقيقها مبلغا كبيرا من المال ، طلقها من الغل والقهر ، وعادت لبيت أسرتها ، وشيدت قصرا صغيرا .

وأما عصام المزارع فقد أصبح من أكابر الملاك والفلاحين في المدينة ، وتزوج امرأة ثانية على أمل أن تنجب له بعد أن فشلت الاولى ، ثم ترك الاولى ، وتزوج الثالثة وأيضاً لم تتمكن من الولادة وأخيرا اقتنع أن العقم من جهته ، وأخذ بالعلاج والدواء على أمل الخلفة ، ومضت السنون دون تحقق الغاية والهدف ، وأصابه الياس من الذرية .

أما العجوز التي دخلت القصر تزوجت شابا فقيرا بقوة مالها ، ولما تحصل منها على بعض المال هرب من بيتها ، وأمضت حينا من الزمن تبحث عنه ، ولما يئست منه مكرت برجل آخر أكبر سنا من زوجها الهارب ، وقضت معه سنوات ،قبل ان تتبين أن له زوجة أخرى ؛ وإنما طمع في ثروتها ، ويأخذ منها لينفق على أسرته ؛ كما فعل الشاب الذي سبقه ، فطلبت منه لما اكتشف الامر طلاق زوجته .

فقال لها : كيف أفعل ذلك ولي منها ولدان؟!

قالت : ولكنك تزوجتها بمالي وبدون علمي.

قال: أنت عجوز كبيرة لا تلدين ، وأنا أريد الذرية، ألا يكفي أني قبلت ربط نفسي وسمعتي بك؟

صرخت : لا ، أنت غدرت بي ، وخنتي ، لم تأخذ الإذن مني ، وفضحتني أمام صديقاتي الطيبات .

قال بهدوء : وهل الزواج فضيحة ؟! ومن أخبرك بذلك ؟

قالت : إنك تنفق عليها من ثروتي.

قال بهدوء : أليس المال لنا جميعا ؟ ونحن فيه شركاء.

قالت : أنا وأنت فحسب ؛ أما زوجتك وولداك فلا حظ لهم بمالي .

قال: إذن علينا أن نخرج بمعروف ؛ كما دخلنا بمعروف ..أنت ترفضين حياتي معك .. فخذي مالك معك إلى القبر .. فالقبر أولى به.

قالت : خير من أن أنفقه على ضرة لي.

حدث الانفصال ، وقضت زمنا لم تجد من يتزوجها إلا رجلا أكبر منها سنا ، فلم تَر صواب ذلك ، فهو رجل مريض عليل ، وظلت تحلم بزوج شاب ، وخلال ذلك كانت تراود زوجها الثاني بالعودة إليها ، ويرفض إلا اذا أعطته كل ما تملك وكانت أيضا تبحث عن فتاها الاول الذي أوقعته بشبكتها عندما دخلت المدينة أول مرة .

وأما زهرة الشابة الصغيرة فعملت بما نالته من القصر الأبيض متجرا للتجارة واستأجرت أجيرا يعمل به ، وابتاعت أرضا للزراعة ، وأشرفت عليها بنفسها مع بعض العبيد والإماء ، ولم استقرت الأمور معها فكرت بالبحث عن شريك لها وعن طريق النساء التي تعرفت عليهن وجدت شابا اسمه بلال قبل بها ، وطابت لهما الحياة ، وكان بلال لا يقل عنها مالا وثروة ، فاشتغل هو في متجرها كشريك وكان بلال رجلا ذكيا ومحبا للأعمال الصالحة ومقدما للصدقة والاحسان على الضعفاء والفقراء ، وكانت زهرة مسرورة منه وتشاركه العمل الصالح وكان يقول: لا يدوم إلا العمل الطيب ، وهو الذي ينتفع به يوم القيامة .

كانت زهرة سعيدة بزوجها ، وقد أنجبت له خمسة أطفال ، ولما حدثها عن العمل الصالح ،

وأنه العمل الحقيقي للإنسان ، وانه هو الذي يرجو ثوابه ، وهو ما حثته عليه أميرة القصر الأبيض .

قالت لزوجها : اليوم التقيت بامرأة عجوز خبيثة النفس ، لقد طلبت منها بعض المال لبعض الفقراء الذين نرعاهم ، ونهتم بهم ، زعمت أنها فقيرة ومحتاجة ، وأنا أعلم أنها غنية ، وأعرفها حق المعرفة عندما ذهب وإياها للقصر الأبيض يبدو أنها لم تعرفني.

قال : أنت تعرفين القصر الأبيض ؛ فإني أعرفه وزرته ، وهذا المال الذي معي حصلت عليه منه.

قالت : حقا ! هذا نحن سواء ، وأنا غادرت أهلي من كثر ما سمعت عنه ؛ لأعرف سره وغموضه ، وهناك بقيت أياما ، ثم خرجت لهذه الدنيا .

قال بهدوء : أنا ذهبت إليه يا عزيزتي بحثا عن صاحب لي ، سمع هو الآخر عنه كثيرا ، وأحب أن يعرف أسراره مثلك ، ولما طالت غيبته ، وقبل أن أكشف سر اختفائه عن القرية لأهله ، صممت أن أبحث عنه ، ولما وصلت إلى القصر لم أجده ؛ ولكني أكرمت في ذلك القصر ، وحملت رزقي ، وخرجت إلى هذه الدنيا الجديدة ، وكانت أوسع من تلك الدنيا في القرية ، ولما جئت هنا التقيت به ، فلم يعرفني ، وأنكر معرفته بتلك الدنيا ، وزعم كما زعمت عجوزك أن المال ورثه كابرا عن كابر ، ولم يكن فقيرا في يوم من الايام ، ولا يعرف القصر الأحمر ، ولا الأبيض ، وهو شحيح النفس ، ولا يعرف الصدقة ، وأنه ليس من مهامه مساعدة الفقراء والضعفاء ، ويجمع المال للمال ، وماذا سيفعل به بعد الموت ؟ الانسان عجيب لما ينسَ ضعفه وفقره وحاجته ، وأن الله سخر له من يرعاه جنينا ورضيعا وصغيرا ، وحثثته على الاحسان وألا ينسى نصيبه من الدنيا ، وأن الدنيا زائلة.

قالت : هذا حاله كحال العجوز التي رافقتني لذلك القصر ، تزوجت شابا صغيرا وبعد حين هرب من خبثها وجوارها ؛ كما علمت من صديقاتها ، وما زالت تبحث عنه ، وعن السعادة التي عاشتها وإياه ، ثم اقترنت برجل أكبر سنا منه ؛ كما خبرت ، وعاش معها ردحا من الأيام والسنين ، وتزوج عليها سرا امرأة ولدت أطفالا ، وكملت سعادته التي لم يجدها عند العجوز ،

ولما علمت بذلك ضغطت ؛ ليطلق ضرتها التي حققت له السعادة بالبنين ، وترك السعادة بالمال التي كانت تنفقه عليه ، فاضطر أمام ضغطها ؛ ليطلقها هي ، واختار أم ولده وأولاده ومازالت تحاول إعادته لحظيرتها ، وهو يرفضها ويرفض مالها.

قال : وتعرفت على رجل يا زهرة ، وأنا في طريقي للجبل التقى بصاحبي أوس أثناء صعوده لمعرفة السر اسمه عصام ، وكان أثناء الرجلة قد مرض وعجز عن الوصول للقصر مع صديقي أوس.

قالت : إني أعرفه التقيت به أنا والعجوز في صعودنا للقصر الأبيض ، وفعلا كان مريضا ؛ ولكنه نجا من الموت والمرض يومها ، هل التقيت به هنا ؟

قال : نعم ، التقيت به غنيا ؛ ولكنه محروم من الذرية ، وتزوج مرات ومرات، وهو سيّء الخلق لا يعمل الصالحات والطاعات ، ويلهو بالخمر والفواحش ، ولم ينفعه نصحي ، ويزعم أنه يفعل ذلك لحرمانه من الذرية .

قالت بدعاء : اللهم ثبتنا على العمل الخير والصالح.

قال بهدوء : هذا حال الدنيا يا زهرة الرائعة ! منا السعيد ومنا الشقي ، والقصر هو الرحم الذي نخرج منه إلى الدنيا ، لا يبقي إلا العمل الصالح والكلم الطيب يرفعه الحق تعالى .



منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

جواهر القصص

جمال شاهين

الدنيا الساحرة


حجر القمر
حكاية حسن وحليمة
حمار مسحور
وحش الغابة
الدنيا الساحرة
المغارة السحرية
حفيد الهدهد
كفر الذرة

المغارة السحرية

جمال شاهين



منشورات المكتبة الخاصة



حجر القمر

٥

جمال شاهين

٢٠٢٠

المغارة السحرية



زوار المدينة

دخل ثلاثة رجال أغراب المدينة ذات ليلة حالكة السواد ، وكانوا يلبسون ثيابا متشابهة ، وليست مما يرتديه ويلبسه أهل المدينة ، فلما رآهم صاحب الخان أدرك أنهم أغراب، فرحب بهم ، واعتقد أنهم من بلاد الغرب ، وبعد أن دفعوا لصاحب الخان أجرة المبيت في الخان ، سألوه عن فلاح اسمه عنان بن إبراهيم.

فقال متفكرا ومجيبا : أعرف الكثير من الفلاحين ، وينزلون هذا الخان إذا طرقوا المدينة ؛ لكن لم يمر عليّ صاحب هذا الاسم .. ما هو لقبه كنيته ؟!

قال أحدهم : لا نعلم كنيته ولا لقبه .

قال صاحب الخان مدهوشا : وكيف عرفتم اسمه ؟!

رد آخر : من أحد معارفه وأصدقائه .. التقينا برجل ، ونحن في بلاد الغرب استلف منا مالا .. ولما احتضر وحضرته الوفاة ، ذكر اسم هذه المدينة "دلالة" واسم صاحبه عنان بن إبراهيم ؛ لنأخذ حقنا منه إذا مات قبل أن يرد لنا حقنا .. ولما جئنا هذه المدينة جئنا نطلب ديننا .

قال : ما اسم هذا الرجل المدين لكم ؟! أله أهل هنا ؟!

قال ثالث : الميت اسمه خليل بن لبيب ، وهو تاجر جوال بين المدن الكبيرة .

قال صاحب الخان : لا أعرف تاجرا بهذا الاسم كذلك !

قال الأول : هو ليس من تجار هذا البلد ؛ إنما الفلاح عنان صديقه منها ، وهو الذي يورد له الثمار والحبوب ، فعنان من أهالي المدينة التي نتحدث فيها الآن .

قال صاحب الخان : حسنا ! في الصباح سأدلكم على بيت ودكان شيخ الحي ؛ لعله يرشدكم للفلاح عنان المجهول الاسم .. ولا أدري كيف سيثق بكم ويدفع لكم ؟!

تبسموا من تعقيب مالك النزل ، وقال أحدهم مؤكدا : سيدفع عندما نذكر له بعض الأشياء الخاصة بصديقه خليل .. ويتأكد بأننا نعرف خليلا كما يعرفه هو .

ساقهم في الصباح صاحب الخان إلى شيخ أحد الأحياء ، فرحب بهم الرجل ، ولما عرف مطلبهم

ساومهم على أجرة البحث عن عنان صاحب التاجر خليل .

كان شيخ الحي من وظيفته معرفة جميع أفراد الحي الذي يقطنه ، يعرف الشباب والكهول والشيوخ، ويعرف الأهالي الأصليين والأهالي الغرباء .

فبعد عشرة أيام كان أحد غلمان شيخ الحي يقودهم إلى خارج المدينة حيث المزارع والبساتين إلى أرض الفلاح عنان الذي استقبلهم بقلق وانزعاج لما علم بأنهم يبحثون عنه من شهور وأيام ..

ولما سألوه عن المغارة السحرية التي جاءوا المدينة من أجلها رفض الإفصاح عن موقعها ؛ لأنهم لم يحضروا معهم التاجر خليلا فاستغش منهم ، وتشكك في أمرهم ومقصدهم من اللقاء به .

فقال لهم بصراحة : لا يمكن أن أثق بكم بدون ذات خليل .. أخشى أن يكون قد مات وغدرتم به .

فأخبروه بموته ؛ كما قالوا لصاحب الخان . فقال مكذبا لهم : أرفض أن أصدق ذلك ! لعلكم قتلتموه أو حبستموه !

قال أحدهم نافيا قتله : لم نقتله يا عنان .

قال ثاني : جاءنا وحدثنا عن المغارة السرية الغامضة .

قال ثالث : وطلب مساعدتنا في دخلوها وفتح بابها.. ولا أحد يعلم بأمرها إلا نحن وأنت وخليل .

قال عنان : لا أستطيع مساعدتكم دون أن أتيقن من حياة شريكي .

قال : هل تذهب معنا لرؤية جثته حيث دفن ؟

قال : لابد من ذلك .. ولكن كيف أثق بكم ؟!

قال آخر : دعنا ندخل المغارة يا عنان ، ولما نر ما فيها نعود لمدينتنا وترى قبر صاحبك وجثته .

قال : أنا لا أصدق بموته إلا إذا قتلتموه وجئتم من أجل رؤية المغارة !

قال واحد منهم : كيف نقتله ونحن بحاجة إليه ؟! هو الذي أخبرنا عنها .

قال أحدهم :كيف تثق بنا أيها الإنسان ؟! كيف تريد أن تثق بنا ؟ نحلف لك بأعظم الأشياء

بأعظم المقدسات التي تعبدها ؟

قال عنان : عندما أرى خليلا بيننا أثق بكم ..أنا لا أصدق موته !

قال أحدهم : كلنا يموت، لا أحد يعلم متى سيموت ؟

رد عليهم : كلنا سيموت لا أحد مخلد فيها ..ولكننا لم نسمع بموته .. ذهبت كثيرا لمدينته خلال هذه الشهور ، لم يتحدثوا عن موته .

قال أحدهم بيأس : إذن لابد من رحيلك معنا يا عنان .

قال : لابد من ذلك ؛ لأنه لو مات كما تقولون وتزعمون لدفع إليكم بإمارة بيني وبينه.

قالوا بدهشة وحيرة : إمارة !!!

تبسم ضاحكا : نعم ، بيني وبينه علامة .. أنتم لم تقدموا تلك الإمارة .. فهو حي أو مقتول .. أنتم غدرتم به !

حينئذ لقد أدركوا أن الرجل أذكى منهم ، فهم لم يأتوا بالإمارة المتفق عليها بينه وبين خليل .

فقال أحدهم : إذن علينا أن نرحل لقبر خليل .. هل أنت جاهز ؟!

قال منتشينا بنصره عليهم وإرباكهم : لا ، لست جاهزا اليوم .. بضع ليال وأكون جاهزا .. كم تبعد بلادكم عنا ؟

قال : أكثر من مسير عشرة أيام

قال عنان : لابد من السفر أيها الناس ! عليّ أن أقبل الرحيل معكم لمعاينة قبر ورمس صاحبي خليل .. عودوا للمدينة وانتظروني بضعة أيام .

فقال أحدهم بتذلل وتمسكن : ألا يوجد لنا مأوى في هذه الأرض ؟

نظره عنان بتفكر وقال ببطء : أتقبلون العيش مع الفلاحين وأكواخهم ؟

قالوا : نقبل ..وهل هناك أحلى من العيش معهم ؟!

قال عنان : حسنا ! .. ونادى على رئيس الفلاحين وطلب منه أن يسمح لهؤلاء الضيوف الغرباء المبيت مع الفلاحين أو الرعاة .

بعد مضي يومين على وجود الرجال الثلاثة أصبح رئيس الفلاحين ولم يجد عنان ولا ضيوفه ، اختفى السيد عنان والرجال الثلاثة من المزرعة مما أثار دهشة زعيم الفلاحين والفلاحين أنفسهم .. أين ذهبوا ؟! كان عنان قلقا وخائفا من وجودهم كما فهم الزعيم سالم من تصرفاته معهم ؛ ولكنّ الرجل لم يحدثه عن مخاوفه وقلقه وعن سر هؤلاء الرجال ، ولم يفصح عن غايتهم من زيارته .. وهم كما فهم ليسوا تجارا وأهل تجارة ؛ إنما هم غرباء قدموا إليه برسالة من الشيخ خليل المعروف لهم خاصة سالم ، فهو التاجر الذي يبتاع منهم قبل أن يختفي من سنة أو أكثر .. لم يعودوا يرونه في المزرعة ، ولا في دكانه ومتجره في المدينة المجاورة لمدينتهم .. ففهم سالم القيم أنهم من طرف خليل لسيده عنان .

لما مضت أيام ثلاثة على اختفاء الفلاح عنان ذهب سالم للمدينة وقابل شقيق عنان الشيخ مراد ، وأنبأه باختفاء أخيه فجأة دون إخبارهم .. وقص عليه زيارة الغرباء الثلاثة ، فمشى مراد للمزرعة وقام بالتحقق من كلام سالم ، وفتش في أراضي المزرعة ، وسمع من الفلاحين ، ثم عاد للمدينة وذهب لرجال الشرطة ، وبلغ عن اختفاء أخيه دون سابق إنذار .. ولم تستطع الشرطة بأدواتها كشف سر اختفاء الرجل والغرباء الثلاثة ، ووصلوا لشيخ الحي الذي أرشد الغرباء لمزرعة عنان وصاحب الخان الذي بين أنهم دخلوا المدينة ليلا يبحثون عن عنان ، ويحملون له رسالة شفوية من صديق له اسمه خليل توفي في بلدهم ، وهو لا يعلم من أي بلد أتوا ، وباتوا عنده ليله واحدة ، ثم دلهم على الدلال شيخ أحد الأحياء ، والدلال أخبر بأنه بحث عن عنان الفلاح ، وأخذ أجرته وانصرفوا للمزرعة .

ذهب مراد مع بعض المزارعين إلى بلدة التاجر خليل ، والتقى ببعض أسرته ، وأخبروه أنه مفقود من سنوات ، خرج في تجارة جهة طرابلس الغرب وتونس الخضراء واختفت أخباره وما زالوا في انتظار عودته ، رجع شقيق عنان خائبا من بلدة خليل .

ولما التقى بسالم حاول أن يعرف سر العلاقة بين أخيه وخليل قبل ضياعها ، فحدثه سالم مضطرا عما يعلمه عن المغارة السرية التي كانت تشغل بال عنان وخليل مما أثار دهشة وفضول الشيخ

مراد ؛ ولكنّ سالما لم يكن يعرف الكثير من المعلومات عن المغارة السرية ؛ لأنهما كانا يتكتمان الحديث عنها أمامه وأمام الفلاحين ، ولا يعرف مكانها ، وما تحويه هذه المغارة من كنوز وأسرار ، وأن رحلة خليل لطرابلس الغرب وإفريقيا كان من أجل معرفة المزيد عن المغارة الخفية .

ولما وصل مراد لطريق غامض ومسدود عن شقيقه عنان أوصى سالم على تدبير أمور المزرعة حتى يجد جديد ، وأنه سيمر عليه بين الحين والحين لتفقد المزرعة والعمل ، ويدفع أجرة الفلاحين والخدم .

ظهر عنان بعد شهر في المزرعة فجأة ؛ كما ظهر دون سابق إنذار ، وفرح سالم والأعوان من عودته سالما ، وحضر مراد لمقابلة شقيقه عنان ، وسأله عن سبب غيابه كل هذه المدة دون أن يترك خبرا عند سالم .. وسأله عن قصة الرجال الأغراب الثلاثة .. وقصة المغارة وأسرارها مما أغضب عنان من قيم مزرعته لإفشائه سر المغارة .

فقال لأخيه : هذا صاحبي خليل سافر في تجارة للغرب ، وتعرض للأذى فأرسل لي هؤلاء الضيوف لإخباري فسافرت إليه ، واطمأننت على حياته وعافيته ، وعدت ، ولم يكن أمامي وقت لإخبار سالم وغيره .. فالسيد سالم تصرف من نفسه واجتهاده .. ولما يتعافى التاجر خليل سيأتي برفقتهم .. وأما المغارة فهي قصة لم يسمعها سالم جيدا .

قال مراد : وما هي قصتها يا أخي ؟

تمهل عنان في الإجابة وفكر قبل أن يرد قائلا : سأقول لك شأنها .. هذا صاحبي خليل وجد كهفا في مدينته في أحد جبالها .. وظن أن فيه كنزا مسحورا .. فحدثني عن ذلك فأرسلته إلى تلك البلاد باحثا عن شخص له باع في الكشف عن الكنوز .. وقبل أن يصل للسيد دينار تعرض لعصابة من اللصوص ، فأرسل ورائي فذهبت إليه فهذه قصة المغارة .

قال : هل رأيت المغارة ؟

أجاب عنان : الحق أنا لم أرها ، ولا عرفت مكانها ؛ لأن خليلا لم يدلني عليها .. هو طلب مساعدتي فحسب .. واتفقنا أن نحضر الساحر دينارا ؛ ليفتح لنا الباب المغلق ، وندخلها سوية

، ونقتسم كنزها إذا كان هنالك كنز .

كان مراد مهتما بالمغارة السحرية فقال بعد حين : وكيف عرف صاحبك بوجود الكنز ، وهو لم يدخلها ؟!

أجاب عنان ضجرا من فضول شقيقه : هو غلب على ظنه وجود الكنز .

قال : أنت الآن بانتظار مجيئه .. هل سيطول مجيئه ؟

قال : تركته معافيا ومتابعا للسفر للبحث عن دينار .

قال : ألا تشركوني معكم ؟!

هذا ما كان يتوقعه عنان ، فللكنوز مذاق خاص لدى الناس ، فقال بعد سكوت طال قليلا : لا أعتقد أن يقبل خليل .

انتظر عنان عودة الصاحب خليل ، فالأمر يحتاج إلى فطنة وصبر ، وجاء خليل البلاد وحيدا بدون الساحر الذي أمضى شهورا في البحث عنه واللقاء به ، والتقى بصديقه عنان وقال مبشرا وآملا : سيأتي الساحر دينار .. وأنت كيف نجوت من الغرباء الثلاثة ؟

قال : توجست خيفة منهم !.. ولم يطمئن قلبي لهم ..ولكنهم على معرفة بأمر المغارة .. بعد أيام من مجيئهم للحياة معي ، ولمعرفة مكان المغارة خطفوني ذات ليلة .. وخرجنا من بلادنا .. وأقسمت لهم عشرات الأيمان أنني لا أعرف مكانها .. وأنك الوحيد الذي يعرف المغارة .. وهم اعترفوا لي أنهم التقوا بك وعرفوا غايتك من الرحيل لتلك البلاد .

قال خليل متذكرا : نعم ، كنت مريضا لما التقيت بدغل اللعين ، ووثقت به وقلت له إني غريب عن هذه المدينة وأرغب بلقاء الساحر دينار ؛ ليفتح لنا مغارة الكنز .. كنت أظن الموت قريبا مني .. وأن عليه أن يأتيك مخبرا بموتي قبل لقائي بالساحر .. ولم أذكر له كلمة السر التي بيننا .. وتركني معتقدا أنني سأموت خلال أيام .. واتفق مع هذين الرجلين على الاتصال بك ظنا منهم أنك تعرف مكان الكهف ، وسيسعون على فتح المغارة المسحورة لأنفسيهم .. ولما عرفوا أنك لا تعرف موقعها تركوك ، ورجعوا إليّ .. وأنا عرفت من دغل الصديق الطماع أنهم رحلوا

إليك .. وحاولوا الاستيلاء على الكهف وما فيه .. ولا يدركون أن خطابا وصلني منك قبل وصولوهم بما فعلوا معك .. ثم أرشدوني لبيت الساحر أو مكان اختفائه .. وسرنا إليه فهم من أتباعه .. وهناك ذكرت له قصة المغارة المسحورة ووعدني باللحاق بي .

قال : هل اقتنع بوجود الكهف والباب المغلق ؟

قال خليل : تردد الرجل في البداية بتصديق وجود اسمه على باب المغارة السرية .. لكن الطمع والغرور والفضول كل هذا دفعه لتصديق حكاية المغارة .. ولاحظت أن تفاهما بينه وبين دغل ؛ فلعله هو الذي بعثه إليك ؛ ليتأكد من وجود الكهف ويرى باب المغارة واسمه المرقوم عليه .

قال عنان : وقد يكون دغل طمع بالمال وحده معتقدا أنك ميت لا محالة من المرض الذي أصابك .

أقبل الساحر دينار للمدينة وحل ضيفا عند خليل ، ولما جاء عنان بناء على رسالة من خليل .. سار بهم خليل التاجر إلى جبل الكهف المسحور ، وبعد صعود استمر لساعات وقفوا على باب الكهف السحري ، فقال الساحر بحيرة : كيف عرفت هذا المكان يا خليل ؟!

قال خليل كأنه كان مستعدا لهذا السؤال : أصدقك الحديث حدثني عنه أحد الرعاة الذين أشتري منهم الخراف والألبان ؛ كما أبتاع من صديقي عنان الخضار والثمار والأجبان والزبدة .. وطلبت من الراعي ألا يقربه ، ولا يحدث عنه أحدا ، وأعطيته ما فيه النصيب .. ثم قمت بزيارته طمعا بفتحه ومعرفة أسراره وأمواله .. فقرأت على هذه الصخرة الموجودة على الباب لا يفتح إلا على يد الساحر دينار من أهالي بلاد الغرب .. فحدثت صاحبي عنان فأرسلني للبحث عنك .. فهذه قصتي مع الغار .

صدق الساحر بكلام خليل وبدأ يعمل ، وقرأ الساحر أورادا من العلم والسحر ، فانزاحت الصخرة ببعض الجهد المبذول من الرجال .. وأشعل الساحر المصباح الذي أحضروه معهم ، واجتاز الفتحة ، وتبعه عنان وخليل .. وتقدم الرجال إلى جوف الكهف على نور المصباح .. وبعد ساعة من السير في جوف الكهف وجدوا بابا معدنيا مغلقا ، وظنوا أن غرفة الكنز وراءه

وأن رحلتهم انتهت .. وبعد معالجة أخذت وقتا فتح القفل فزلفوا منه ، ولم يجدوا حجرة ؛ بل وجدوا الكهف ممتدا أمامهم .. واستمر هذا الحال عدة ساعات ، ولا نهاية للنفق في الكهف فقال الساحر وقد أخذ منه التعب والضيق : يبدو أن الرحلة طويلة هل نستمر أم نعود ؟

بعد صمت وتظاهر بالحيرة والتردد ، قال عنان : علينا أن نتابع الأمر ما دمنا قد غامرنا وقطعنا كل هذه المسافة .. ما تقول يا تاجر خليل ؟

وافق الساحر وخليل وتابعوا المشي ؛ ربما أكثر من يوم عندما حتى وصلوا نهايته ووجدوا أنفسهم في صفحة جبل ..لم يكن هناك كنز أو غيره فظهرت الخيبة على الوجوه ، فقال الساحر دينار : أين الكنز ؟! .. أين المال ؟!..ولماذا كتب اسمي ونحت على الصخرة ؟! ..إني في استغراب أيها الناس ؟ .. أين نحن الآن ؟!

قال عنان متظاهرا بالدهشة : نحن في صفحة جبل ..وأسفل منا الوادي .. وأرى راعيا وغنما .

فهبطوا إلى أسفل الوادي ، ووجدوا راعيا فحدثوه عن أمرهم ، فأعلمهم أنهم أصبحوا قريبا من مدينة الملك شهاب ، وأنهم لا يستطيعون الخروج منها إلا من النفق أو تفتح لهم الأبواب .. فالمدينة محاطة بالأسوار وعليهم الذهاب إلى قصر السلطان ليسمح لهم بالخروج أو العودة من النفق .

وصلوا قصر السلطان ، واعلم الأمير في المدينة بدخول أغراب من الكهف السري ، وأرسلهم إلى قصر الضيوف للراحة والطعام .. وكان لهم ذلك .

ولما مضت أيام الضيافة قادهم أحد الجند إلى قصر الأمير على أمل مقابلة الأمير أو الأميرة ، وبينما هم يجلسون في غرفة ينتظرون الإذن باللقاء دخل عليهم رجل ، فلم يكد الساحر دينار يراه حتى غاض وجهه بالصفار والخوف والدهشة ، وبعد حين يسير قال الرجل للساحر : كيف حالك هل عرفتني يا دينار ؟

فقال : لا أذكر أني رأيتك من قبل .

قال الرجل : لا تذكر ..حسنا .. أنا سأذكرك .. لقد كنت يوما في مدينة يونان عندما التقيتك..

أتعرف هذه المدينة ؟

تجاهل الساحر معرفته بتلك المدينة : سمعت بها .

ضحك الرجل وقال : سمعت بها .. أنت تعرفني ، وتعرف مدينة يونان حيث التقينا .. لا تتظاهر بالجهل والدهشة .. وقد قمت ورجالك بخطف الفتاة التي كانت معي الفتاة الجميلة التي استحسنتها وطمعت نفسك بها .. هذا يا خليل ويا عنان الرجل الذي مكر بي وسرق مني زوجتي .. أين زوجتي الآن ؟!

قال الساحر مصدوما وقد أدرك الحيلة التي وقع فيها : أتعرف هؤلاء ؟!

قال : إنهم أصدقائي وساعدوني في الانتقام منك .

قال غضبا وسخطا : لقد سخرتم مني !

قال عنان : أنت خائن مجرم .. كيف تخطف زوجته منه ؟

قال : وقعت من نفسي وهويتها .. ورفض طلاقها لأتزوج منها .

قال خليل : أين هي بحثت كل بلدك أيها الساحر ولم أجدها ؟

قال بحزن واضح : ماتت ! ماتت في يونان .. مرضت وماتت .. وأنت كيف عدت للحياة ؟

قال الرجل : من كلفتهم بموتي قبلوا المال .. دفعت لهم ورحلت كما اتفقت معهم .. وأين دفنت زوجتي ؟

قال : رفضت السفر معي إلى بلدي . قال : فقتلتها !

قال الساحر : لا ، قتلت نفسها ، رفضت أن تكون زوجة لي كما كانت زوجة لك ...وما هي إلا جارية !

صرخ الرجل : أعتقتها أيها الشيطان وتزوجتها برضاها .. لماذا لم تشترها من التاجر ؟!

لم يجيب بل سأل : ماذا أنت فاعل بي ؟

قال مجيبا : الأمير صديقنا .. ورتبوا هذه الحيلة لجلبك إلى هنا ؛ لعلمنا بجشعك وطمعك في الكنوز والمال .

قال مغلوبا على أمره : ماذا أنتم فاعلون بي ؟!

سعيد من مدينة الأمير شهاب هو تاجر ابن تاجر ، وكان يعيش في مدينة يونان كتاجر كبير ومستقر في المدينة من أكثر عشر سنوات ، وكان من أهم أعماله إرسال البضائع إلى بلاده وغيرها عن طريق البحر والبر ، وكان يستقبل ويرحب بتجارة ورجال بلده في مدينة يونان العظيمة التي هي من أكبر مدن الزمان تلك الأزمان .

فكان سعيد يتاجر بالرقيق والحرير والقماش والتوابل والجلود ، وكان سعيدا وغنيا ، وله أصدقاء وأحباب وعملاء في عدد من المدن ، منها مدينتي خليل وعنان ، وكان يستقبل تجارتهم ، ويورد لهم ، فهو تاجر كبير .

اشترى يوما جارية شابة حسناء من تجار الرقيق اسمها ليان ، وأحبها حبا جما ، وقدمها على كل حريمه إلى أن تفاجأ يوما برجل اسمه دينار يزعم أنه أحد السحرة الكبار العظام في مدينة الغرب ، وزعم هذا الساحر أن الجارية ليان فتاته ، وسرقت من بيته ، ووصلت إلى سعيد ، وله زمنا يبحث عنها حتى علم بوصولها إليه ، وأنه يريدها.

فأخبره سعيد قطعا لطمعه فيها ؛ بأنه أعتقها وتزوجها طمعا بذرية منها .. فغضب الساحر من رفض سعيد ، وأصر على عودتها إليه ، واعترفت الفتاة بأنها تعرف الساحر ؛ ولكنها لم تكن جارية له ؛ بل لصديق له ، ولما علم صديقه بهواه لجاريته خشي عليها منه فباعها سرا عن دينار ؛ لأنه كره أن يمتلكها الساحر ، وأعلمت الفتاة سيدها ببغضها له .

ثم تفاجأ سعيد بعد أيام بخطف ليان وهي في طريقها إلى حمام النساء العام والاعتداء على جاريتها ، فغضب أشد الغضب على الساحر ، وصمم على قتله واغتياله والانتقام لنفسه ، ولم يستطع معرفة بيت وسكن الساحر رغم تنكره ودخوله مدينته خفية ، ولما يئس من ذلك عاد لمدينة يونان يحلم ويأمل بالانتقام وعودة ليان إليه.

أما الساحر فلما رأى رفض الجارية وسيدها له خشي أن تضيع منه من جديد ، فرسم على سرقتها وخطفها ، وأخذها لبلاده ، وخشي أن يتبعه سعيد وأعوانه ، فقرر أن يعيش في مدينة أخرى .

استعان الساحر ببعض أصحابه في يونان على خطفها والاحتيال عليها ، ولما كانت في طريقها للحمام العام في المدينة خدعت وخطفت وفي مركب صغير رحلت لمدينة الساحل ، ودفع الساحر للخاطفين أجرتهم ، ونقلت الفتاة لبيت أحد أصدقائه في تلك المدينة حسب اتفاقه مع الرجل . ولما عرفت الفتاة خاطفها ، ورأته هددته بقتل نفسها إن لم يبتعد عنها ، فلم يهتم بتهديدها ، ولما عرف صديق دينار قصتها أشفق عليها ، ووعد بمساعدتها بالهرب والاختفاء . ولما جاء دينار لأخذها من بيت صديقه حسب الاتفاق بينهم ، لم يجد صديقه ولا الجارية ، وعلم من أهل البيت أن الرجل خرج بها إليه.

ولما التقى بصاحبه أخبره الصاحب بأنها هربت من البيت ليلا ، وتبعها فرمت نفسها في البحر وقتلت نفسها ، وغرقت في البحر ، وساقه إلى مكان الحادث ليثبت له غرقها .

فتقبل دينار الأمر في ريبة وشك ، ولم يفقه دوافع صاحبه منها ، وظن أن صاحبه عشقها وغرم بها مثل تاجر يونان ، وكما حصل معه لما رآها في بيت صديقه جندوب ، وراقب بيت صاحبه عدة شهور ، ثم اقتنع بموتها بعد هربها ، وأن صاحبه صدقه الخبر .

أما سعيد فبعد ضياع وخطف زوجته الجديدة من قبل دينار أصابه الغم والحزن حتى كان يوم والتقى بخليل التاجر ، وكشف له سبب غمه وحزنه ، فوعده خليل بالانتقام ومعرفة مصير الجارية . وكان سعيد قد حدث خليلا قديما عن النفق بين المدينتين ، فتذكره خليل لما علم أن الخاطف يتعاطى السحر والشعبذة ، ورسم حيلة لاصطياد الساحر ، واستعان بعنان وتلك الحيلة التي تحدثنا عنها في الصفحات الماضية .

ظل خليل يبحث عن دينار عن طريق أصحابه ، ومنهم دغل ، وصنع له تلك الحيلة ، وكتب على تلك الصخرة التي أغلق بها مدخل الكهف اسم الساحر دينار ، وسافر حتى التقى بدينار وحدثه عن ذلك الكهف الغامض وقد حفر اسمه على مدخل الكهف ، وكان الساحر دينار من السحرة الذين يهتمون بالكهوف والدفائن والكنوز فصدق كلام خليل بعد فشل رفيقه دغل بالوصول للكهف دون معاونة خليل .. وذلك عن طريق عنان ، ثم تبين لهما عدم معرفة عنان

بالكهف ، فوافق دينار على الرحلة لذلك الجبل والمغارة ، وهو لا يكاد أن يصدق أن اسمه منحوت على باب الكهف .

ولما أتم خليل الحيلة أخبر سعيد ، وطلب منه العودة لبلاده والتنسيق مع الأمير شهاب لاستقبال الساحر دينار ، ومضت الحيلة كما رسمها خليل وبمعاونة عنان .

وكانت المفاجأة الكبرى لدينار وسعيد ظهور الجارية ليان حية ، وبين يديها طفل ولدته من سعيد .. فقد اكتشفت أنها بعد خطفها بزمن بأنها حامل .. وكان صاحب دينار لما عرف بخطفها من زوجها تضايق من فعل صديقه دينار ، وأعطاها بعض ما يملك سوى ما معها من جواهر وعاشت في مدينة صاحب دينار حتى ولدت ، وخشيت من العودة لسيدها فيخطفها دينار ثانية ، وفرح بحياتها سعيد وحزن بظهورها دينار .

****

دخل الأمير وأعوانه والقاضي فسمعوا قصة خليل وعنان وسعيد بحضور دينار .. وأمر القاضي بحبس الساحر حتى الموت .

وغادر سعيد وزوجته وطفلها المدينة إلى مدينة يونان ، وغادر قبلهم خليل وعنان إلى بلديهم وهم سعداء بما فعلوه لصديقهم سعيد وجاريته .

ولما وصل عنان لمزرعته وجد شقيقه مرادا في استقباله ، وبعد الترحيب والعناق قال : ما أخبار الذهب والكنوز ؟!

غرق عنان بالضحك للحظات ثم أجاب أخاه : عليّ أن أعترف لك بكل الحقيقة والقصة .. نعم ، وجدنا الكنز الخفي ، وعاد سعيد لزوجته ليان ، ووقع الساحر في كيده ، وأصبح سجينا في مدينة الملك شهاب .

دينار

صبر دينار على مر السجن بضع سنين ، والأيام تنسي الناس الأحداث والأشخاص ، ونسي الحراس جريمة دينار ، فاستطاع إقناع أحد الحراس بمساعدته على الهرب بمقابل خاتم من

الجواهر . وأسرع إلى المغارة التي دخل المدينة منها ، واجتازها قبل اكتشاف أمره من قائد السجن ، ونجح باجتيازها واجتاز المدن حتى وصل لبلده بعد رحلة شاقة ، ووجد دغلا مستوليا على منزله وبيته . واعتذر له دغل ، وظن أنه هلك ؛ لأنه قابل خليلا بعد طوال غيبته فاخبره أنه مات .

ترك دغل بيت دينار معتذرا له عن الاستيلاء عليه كل فترة غيابه معتقدا أنه هلك اثناء البحث عن كنز المغارة

اخرج دينار بعض أمواله المخفية وأعاد ترميم مسكنه ، وخرج لمدينة الساحل حيث التقى بصاحبه الذي اخفى عنده ليان لما خطفها ، فقال له الرجل : قلت لك غادرت البيت ليلا أنت لم تطلب مني حبسها ، ولما عرفت بهربها تبعتها وعلمت من بعض الشهود أنها ألقت نفسها عن تلك الصخرة المرتفعة بالماء بماء البحر يا دينار !

قال: علمت أنك خنتني.

قال: أنا لم أخنك ، اجتهدت على رعايتها حتى تعود لتأخذها ؛ كما اتفقنا ؛ ولكنك أنت خدعتني ، وعلمت فيما بعد أنك خطفتها ، ولم تكن صادقا معي يا دينار ! وأنك أقحمتني في جريمة خطف ؛ وليس امتلاك جارية ، ولو علم الأمير احمد بأمري وأمرك لسفك دماءنا وخاصة أن السيد سعيد تاجر يونان صديق للأمير.

عاد دينار لبلده مفكرا بحيلة وطريقة لخطف ليان وإيذاء سعيد ، فهو يعلم عظم صدقات سعيد مع رجال وسادات المدن ؛ لأنه من أكابر التجار في مدينة يونان وهداياه لهم ، ولنسائهم لا تنتهي .

زار دغل سيده دينار فأخبره دينار بأنه راغب بخدماته وعونه في الانتقام من خصومه وخاصة التاجر سعيد ، وقبل الرجل العمل معه مقابل المال ، وكلفه دينار بمهمة السفر لليونان وجمع معلومات عن سعيد وعن الجارية ليان لخطفها من جديد . وبعد تردد وأمام اغراء المال والثروة وافق على السير إليها ومعرفة أحوال سعيد وليان وتحركاتها.

خرج دغل ورفيق له الى مدينة يونان لمراقبة سعيد وبيته لتنفيذ خطة دينار في الانتقام من سعيد فقال رفيق السفر : ألم تعرف ماذا حدث له خلال هذه السنوات وكيف نجا؟

قال: لم يكشف شيئا ؛ ولكنه مجروح ويتفوه بحقد وبغض على عدد من الأشخاص منهم سعيد صاحب مدينة يونان.

فقال رفيق السفر : ألم يحدثك رجل مدينة خليل أنه مات؟

قال: هذا ما اخبر به ، هو غادر البلد لجلب كنزا من تلك المغارة التي حاولنا معرفة مكانها هذه قصة غامضة وغريبة .. كل هذه السنوات وهو يفتح مغارة !

فقال رفيق السفر : لقد أصابه أذى كبير من خليل وعنان وسعيد ؛ بل من جندوب صاحبنا في مدينة الساحل.. وما المطلوب منها في مدينة يونان؟

قال دغل : معرفة أخبار التاجر سعيد وزوجته التي خطفها يوما ، وهربت أثناء وجودها في ضيافة جندوب.

وصل رسول إلى التاجر خليل معلنا اختفاء دينار ، ورشوته لحارس خائن ، وهربه من نفق المغارة كما تبين من خطوات البحث عنه، انزعج خليل لهذا النبأ ، وأدرك الخطر المحدق به وبعنان وسعيد فلذلك أسرع بكتابة رسالة سريعة للتاجر سعيد ومثلها لعنان ليحتاطوا لأنفسهم.

لما رجع رسوله من يونان ارتاح قليلا من تبعات هرب دينار ، وأخذ يفكر كيف سيكون انتقام وثأر دينار ؟ فهو لن يستسلم للهزيمة والمكر والكيد الذي أصابه منه .. من سيبدأ به في انتقامه ؟ كلهم في خطر ، وليان في خطر لعشقه لها ، وهي سبب نزاعه وصراعه معهم .. وهل سيستطيع سعيد حمايتها والمحافظة عليها من غدر دينار وأعوانه ؟ فكر بأن يجعلها طعما للإيقاع بدينار ؛ ولكنه خشي عليها من ضربة غادرة حاقدة .. عشرات الأسئلة تحركت في ذهنه .. هل سينتقم اللعين أم يلزم الهدوء ؟ هو رجل حقود وحذر وماكر .. هو اعتدى علينا وخطف ليان ، ثم استطعت تحريرها وإنقاذها وإعادتها لزوجها ، لم يقتل أحد منا لنقتله ، دخل السجن للإيذاء الذي أصاب سعيد وزوجته منه ، أرى أنه لابد من مراقبته والبحث عنه، قضيت شهورا حتى تمكنت من اللقاء به واغراءه بالكنز والذهب والمغارة ، بماذا سأقنعه هذه المرة ؟ وهل سيدع لديّ

روحي بين جنبي ؟ هل سيتعاون معي صاحبه جندوب في مدينة الساحل ؛ كما تعاون معي في المرة الماضية ويدلنا على بيته أم عاد لبيته القديم ؟ كيف سنتقابل ؟

وبأي صفة سألتقي به ؟ هل أخطأت المرة الماضية بالإيقاع به ؟ نحن عاقبناه لخطفه زوجة سعيد التاجر الصديق ، والزوجة اليوم عنده وقد ولدت له اكثر من ثلاثة أطفال وهما يعيشان في سعادة ووئام.. أين الخطر؟ أين سيكون المكر ؟ هل سيعمل عنان معي هذه المرة ، كما تعاون معي سابقا ؟ هل سعيد مستعد للقتال والدفاع عن نفسه؟ هل سينتقم منا اللعين ويغدر بنا؟ وكيف سيكون انتقامه وخبثه؟ عليّ الرحيل ولقاء عنان والتشاور معه قبل السفر ولقاء سعيد وليان.. هل يقبل اللعين المال والابتعاد عن هواه وغرامه بليان ؟ أين يمكن إخفاؤها حتى لا تقع في براثنه ومخالبه؟ هل أستطيع فعل شيء للنجاة والخلاص من ضرره ؟ ظننت أنني نجوت منه ، وساعدت صديقنا سعيدا وزوجته الأسيرة .

رحل خليل متخفيا إلى مدينة عنان ، ولما وصل المزرعة اخبره سالم بمرض سيده ، وهو يتعالج في المدينة ، فخاف وقلق خليل أن يكون لدينار يد في سقم عنان ، وعلم أنه لم يمرض إلا من عدة أيام هل دس له سما وكيدا ؟

فرجع للمدينة وزار عنان في بيته ؛ حيث يسكن مع أشقائه وعشيرته ،وكان في وجع شديد وحمى قوية، رحب عنان بصديقه الكهل خليل ، وقال :وصلتني رسالتك وتحذيرك.

قال: أرجو ألا يكون ما حل بك من داء من ذلك اللعين!

قال: لا أظن ذلك أيها الصديق.

قال: لماذا؟

فسر قائلا: لم أطعم شيئا ليسبب لي ذلك ، كنت بكامل صحتي بفضل الله تعالى؛ ربما البرد وقلة الطعام في الايام الأخيرة تسببت بهذا الوجع .

فقال: الحمد لله والشكر لله.

قال: ولماذا قدمت بنفسك لتحذيري؟

رد باسما قائلا: أحببت أن أتأكد من وصول الخبر إليك ، وأؤكد عليك بأن تحذر هذا الحاقد الناقم ؛ لأنني سوف أختفي وأسافر لليونان ، وأبحث عن الساحر ، وأعلم نواياه نحونا وتجاهنا ، وأخشى على ليان زوج سعيد منه ، فهو كما تعلم واقع في عشقها ، والعشق سبب هذه المشكلة ، وغرامه بتلك المرأة ، وأنا ظننت بحبسه بموت هذا الحب ، وهو ما فعل من الهرب إلا للنيل منا ومنها.

قال: معك حق أيها الصديق ! وما الذي تستطيع فعله من أجلها وأجلنا؟

قال خليل : سأتخفى وأتابع فعله؛ فإن ادركت رغبته في الانتقام سأتحصل منه قبل أن يتخلص منها.

قال: لعلك تأخرت!

قال خليل : نعم ، تأخرنا فعلا ؛ لأنهم لم يكتشفوا هربه إلا بعد شهور ، لم يفطن أحد لهربه إلا بعد حين ، وهو خرج من المغارة النفق ؛ كما دخلنا ، ولم يقابل أحدا، وأنا اعتقد أنه هرب لبلده لتأمين نفسه وحاجته للمال.

قال عنان : إذن سترحل لتلك البلدة القريبة من مدينة الساحل .

قال خليل : نعم ،وسأمر على يونان ، وألتقي بسعيد ، وأطمئن عليه وعلى زوجته ، وكنت راغبا بمرافقتك معي ؛ ولكني لم رأيت سقمك وضعفك سأذهب وحدي .

قال عنان : لا بأس اذا شفيت قد ألحق بك؛ لنرى نهاية هذه القصة.

قال خليل : على كل حال اذا أحببت المساعدة ، ورأيت قوة وعزيمة اتبعني ، وكن متنكرا ومتخفيا ، ولسوف أترك له خبرا عند سعيد ؛ لأنني سأتنقل بينها وبين الساحل وبلدة دينار

رحل خليل متنكرا إلى يونان ، ولما استقر فيها تخفى بزي رجل الشرطة والجند ، وبعد مضي يومان زار سعيدا ، وعرف سعيدا بنفسه ، فدهش الرجل وفرح بحضوره ، وطمأنه على وصول رسالته التي يخبر فيها بهروب دينار من سجنه ، واتفقا أن يلتقيان في الميناء ؛ حيث ينزل خليل في فندق أو خان قريب منه.

وكان سعيد قد اتخذ ثلاثة من الشبان لحمايته وحراسته في المحل والبيت والمتاجر في السوق .

وكان خليل لا يثق بالحراس كثيرا ، فهم أسرع بيعا لصاحبهم، بقليل من المال ينسون سيدهم وتحدث بذلك مع سعيد عندما اجتمعا في الفندق البحري.

فقال: إنني أدفع لهم بسخاء.

قال خليل : المهم لابد من الحذر ، وماذا فعلت لليان وذريتها؟

فقال: لا شيء؛ إنما منعتها من مغادرة القصر .

قال خليل : وهل قبلت بحبسها في القصر؟!

فقال: على مضض ، وبدأت النساء تتجمع عندها .

قال خليل : علينا إخفاؤها يا سعيد ! حتى نعلم نوايا وحيل دينار .. أنا سأذهب لمدينته وأنظر حاله وهل قبل بالهدوء ورضي بالهزيمة؟

فقال: أرسلت صعلوكا إلى هناك منذ تلقيت خطابك ؛ ولعله سيعود قريبا.

قال خليل : جيد ! سأنتظر عودته قبل السفر إليه ، وأسمع نتائج مهمته.

فقال: وما المطلوب منا ؟! نحن لا نستطيع إعادته للسجن ؛ كما تعلم ولولا الحيلة التي دبرتها لما نلت منه شيئا.

قال خليل : صحيح هذا ، والآن أنا عاجز أن افعل معه شيئا ، فهو هرب من سجن الأمير شهاب، ولا حق لنا في حبسه، فهذا حق شرطة تللك المدينة.

فقال: هذا ما يربك ! وما العمل ننتظر ؟حتى ترتكب حماقة.

قال خليل : عليك الحذر.. سأسعى لمعرفة خططه وأتفاهم معه اذا كان ذلك ممكنا ومقبولا

فقال: اذا الرجل يريد مالا ، فأنا مستعد لدفع المال

قال خليل : أظن أنه لا يتطّلع للمال ؛ بل يتطلع للمرأة ، والخطر محدق بها اكثر منا

فقال: إنها اليوم أم لثلاثة أطفال.

قال خليل : وزوجة يا سعيد! ومبغضة ورافضة له.

فقال: الجنون وادعاء الهوى ، أنا لما قابلتها أول وهلة صعقت بها ، وفتنت ودفعت فورا ثمنها هو لم يفعل ؛ بل ترك صاحبه يبيعها

قال خليل : هذا اذا صدق في زعمه وهواه ، لابد لك من إخفاء ليان يا سعيد!

فقال: أين سأخفيها؟

قال خليل : عليك بامتلاك بيت خفي ونقلها إليه.

فقال: أتقبل يا تراها ؟

قال خليل : عندما تعظم لها الخطر ومكر الساحر ستقبل وترضى.

فقال: أتستطيع القيام بهذا المهمة؟

قال خليل : أستطيع ؛ لكن عليك أن تبدأ أنت أولا ، ثم يكون دوري.

غادر سعيد النزل ورجع لبيته المعروف، ولما سأل عن ليان وأولاده، اخبره الخادم أن امرأة جاءت ، وتحدثت مع زوجته ليان، وخرجت معها في عربة يجرها حصانان .

فقال: خرجت في الليل على عربة لها حصانان.

فقال خادمه : نعم ، نزل سائق العربة وتحدث معها وقالت إنها ذاهبة للقاء بك .

فقال: للقاء بي أين حرس البيت؟

فقال خادمه : جاء القصر قبل مجيء العربة رجل وأخبرهم أنك تريدهم في السوق وبعده بقليل حضرت العربة

فقال سعيد : يا لها من مكيدة!

لما لملم تفاصيل الحيلة رجع لفندق خليل وأطلعه على جلية الكيد والغدر .

قال خليل : نعم، بدأ الانتقام ، علينا أن نعرف صاحب الدواب ، وعلينا أن نذهب إلى الميناء ونسأل أصحاب المراكب.. أتعرف شيخ ورئيس السفن والميناء بحكم تجارتك عن طريق البحر ؟

تنهد فقال: نعم ، كلهم يعملون معنا ؛ لكني لا أعرف منازلهم.

قال خليل : من حمالين البحر تستطيع معرفة ذلك.

خرج سعيد مغموما وصحبه خليل جهة البحر حيث يكون التحميل والتنزيل للسلع والأشياء ؛ ولكن لمدينة يونان عدة موانئ بحرية من كل الجهات .

الساحر دينار كان همه الأول والأخير أسر ليان قبل أن ينتقم من الآخرين، فأرسل دغلا ونعمان لمراقبة ليان وسعيد ، واستوعب تحركات سعيد والحرس الذين يصحبونه ويحرسون البيت ، وعادا للساحر وأخبراه بما عرفاه ، وغادر بلده ليونان ، ومعه خمسة رجال من أتباعه وأعوانه ، تابع البيت والمحل ، ووضع الخطة ، ووافق الحادث ليلة ذهاب سعيد للميناء ، وغلب على ظنه أنه سائر للسمر والمتعة عند أحد التجار أو البحَّارة ، فتحرك رجلا من أعوانه لبيت سعيد ، وطلب من البواب الحراس الخاصين بليان الذهاب للسوق للقاء السيد سعيد وصدقوا ذلك دون تردد ، ولما ابتعدوا قليلا عن البيت ، تقدمت عربة ورجل زاعما أن سعيدا أرسله لأخذ ليان وأولادها لحضور حفلة عرس ، وهذا معتاد من قبل سعيد ، وصدقت ليان ذلك ، ولبست ثيابها ، وخرجت مع صاحب العربة ، وكانت قد علمت بطلب الحرس للقاء سعيد ، فلم تستغش في الأمر ، ونسيت الحذر ، والخطر المحدق بها .

ومشت المركبة نحو أحد الموانئ والمرافئ ، ولم تفطن للمكيدة إلا عندما هجم رجال على العربة وحملوها إلى مركب بحري ، وفرقوا بينها وبين أطفالها، وساقوهم إلى بيت خاص.

استطاع سعيد وخليل الوصول إلى صاحب المركب الذي استأجره دينار وأعوانه ، وأنهم سافروا به إلى مدينة الساحل لمدة أسبوع .

فقال خليل : هذا جيد يا سعيد ! فهم يرغبون ببقائهم أحياء سأسافر وحدي إلى هناك وسيساعدنا ذلك الرجل ؛ كما فعل معنا سابقا .

استأجر خليل مركبا صغيرا لمدينة الساحل بمبلغ مغر للمراكبي، ومع الفجر كان يدخل المدينة فهي ملاصقة لمدينة يونان وربما كانت جزءا منها في يوم من الأيام ، ومع شروق الشمس كان يزور صديق دينار القديم جندوب ويكشف له الأمر، فوعده الرجل بالمساعدة اذا اتصل به

دينار ، واستطاع خليل معرفة المكان الذي سيقت إليه ليان من الحمالين والعمال في الميناء ، واتفق خليل مع صاحب دينار على إنقاذ المرأة ، فاحضر الرجل بعض رجال الشرطة الذين يعرفهم واقتحموا البيت ، وألقي القبض على دغل وأعوانه، وأقروا بخطف المرأة لحساب دينار الذي تخلف في يونان مع أولاد سعيد لمساومة سعيد على حياتهم.

وقدم خليل الشكر والمال للشرطة وصاحب دينار ، واستأجر مركبا لتنقله إلى يونان ، وفي الليل كان يدخل المدينة مسرورا لإنقاذ ليان ، وحزينا على فقد الأولاد .

وفرح سعيد بنجاتها، وأخذ يبحث عن صاحب الدابة التي حملوا عليها، وبينما سعيد وخليل يحتفلون بعودة ليان اخبره البواب برجل على الباب، فخرج إليه سعيد ؛ فإذا هو دينار ، فرحب به ، وقال دينار :كيف حالك يا سعيد ؟

فقال: بخير.. أين الأولاد يا مجرم؟

قال دينار: الأولاد في أيدي أمينة يا سعيد!

قهقهة سعيد وقال: يدك أمينة! من أين أتتها الأمانة؟

قال دينار : لم تسأل عن زوجتك حبيبتك!

فقال: ولماذا أسأل عنها؟

وقال دينار : إنها مع الأولاد.

صرخ : كذاب يا دينا ر ! زوجتي نقلتها يا مجرم للساحل.

توتر دينار وقال: أتريد أولادك؟

فقال: ماذا تريد؟

قال دينار : ألف قطعة من الذهب.

فقال: سأدفع لك على شرط أن تنسى ما بيننا.

فقال دينار : إلا الجارية ليان.

فقال: إنها زوجتي!

قال دينار: طلقها.

فقال: أم أطفالي!

قال دينار :كثير من النساء تترك أطفالها يا سعيد! أنا سأدع لك حياتك وحياة صاحبك أنا ثأري عندكم جميعا.

فقال: أنت البادي والبادي أظلم !

وقال دينار : أنت سرقتها مني.

فقال: أنا ابتعتها من النخاس ؛ ليس منك ولا من صاحبك.

وقال دينار : أحببتها!

فقال: وأنا أحببتها وأعتقتها وتزوجتها.

وقال دينار: طلقها من أجل حياة أولادك.

حينئذ ظهر خليل وخلفه ليان ، فصاح دينار استغرابا وهو يردد : خليل! ليان! كيف عدتِ! قالت : عدت بفضل الله ،وبمساعدة هذا الشهم ـ وأشارت لخليل ـ أين خبأت أطفالي يا مجرم؟ جلس على الأرض مصدوما ، وطلب سعيد من أحد الشبان الحرس باستدعاء العسس للتحقيق ، فحاول دينار منع ذلك ، فأبى سعيد العفو، فلما حضرت الشرطة ، اعترف بمقر أطفال ليان وسعيد ، وذهبوا وحرروهم ، واقتيد دينار للسجن في مدينة يونان؛ ليعرض على العدالة والقضاة.

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

جواهر القصص

جمال شاهين

المغارة السحرية

المغارة السحرية



حفيد الهدهد

جمال شاهين



جواهر القصص

حجر القمر

٦

جمال شاهين

٢٠٢١

حفيد الهدهد

الأقصى تحت الاحتلال

" العدل قيمة إنسانية عالمية ، وهي مسعى لكل الأمم وسيلة وغاية ، والظلم لا ينتهي ، فالسلطان ياقوت ليبق عادلا في رعيته سمى مدينة حكمه مدينة العدل ، كان هذا السلطان جالسا في ديوان ملكه ، وبين يديه وزيره رشيق وقادته وأمراؤه ، وكانوا يتهامسون ويبتسمون وفجأة تنحنح السلطان ، فصمت القوم ولم تعد تسمع لهم همسا ؛ وكأن على رؤوسهم الطير فقد علموا بأن السلطان عنده كلام ، وقد طال الصمت برهة من الزمن ، ثم قال السلطان مخاطبا وزيره : يا وزيرنا .. يا وزير مدينة العدل .. تأخر وفدنا الذي بعثناه لمدينة السلام .. تلك المدينة المطهرة المباركة من رب السماء ..الوفد الذي أرسلناه لينظر الظلم الذي أصاب البلاد والعباد في تلك الديار .. لينظر ما فيه الناس من سجن وعذاب .. وخاصة تلك المدينة المقدسة .. بيت الله .. ما الخطب أيها الوزير اللبيب ؟



تردد الوزير الحكيم لحظات ثم قال : الخطب يا مولاي السلطان ! أن تلك البلاد احتلها عدو لئيم ، وقاتل مأجور لدول الاستكبار ، وجنس خسيس من إخوان إبليس اللعين .. عدو استغل لحظة ضعف أصابت أهل تلك البلاد ، وغدر بهم ونال منهم ، وأجرم في حقهم ، فشرد الآلاف ظلما وبغيا وعدوانا ، وقتل الكثير وما زال القتل في ذلك الشعب الغلبان .. ومع ذلك بقي الكثير صابرا متحملا الشقاء في موطنه محتسبا عند ربه .. وللأسف الشديد دول العالم الكبرى تقف مع الظالم ولا تنصف المظلوم .. فالوفد ذهب كما تعلم لمعرفة أحوال تلك البلاد ، وما يحدث من ظلم للمسجد المعظم مسجد الأنبياء .. ولكنّ هؤلاء الظلمة لديهم أفتك الأسلحة ، وأخطر الأدوات والمعدات التي قد تكشف من يدخل من جو السماء .

فقال الملك : أرجو لهم العودة سالمين، وأن يعودوا بخير ويقين ، وبخبر تلك المدينة المظلومة .

فقال الوزير : إن شاء الله أيها الملك السعيد !

وما كاد الوزير ينهي كلامه بين يدي السلطان حتى صاح حاجب الملك معلنا بصوت واضح للعيان : عاد الوفد يا مولاي السلطان !

فتطلعت العيون تجاه مدخل الديوان حيث رفرفت أربعة طيور محيية السلطان وحاشيته ، وجلست حيث يحق لها الجلوس .

وقال السلطان ياقوت : مرحبا ! .. يا مرحبا بوفدنا الشجاع القادم من أرض بيت المقدس .. الأرض المطهرة المباركة !

فلما أخذت الطيور مكانها في المقاعد المخصصة لها ضمن الحاشية الملكية ، وانتهى الترحيب والسلام وتقديم الاحترام لسلطان مملكة العدل ، قال الوزير رشيق : حمدا لله على سلامتكم بعد هذه الرحلة الخطيرة إلى بلاد المسجد الأقصى .. يا أهلا بالطيور الجميلة وفد السلطان .. أيها الهدهد حفيد هدهد النبي سليمان ﷺ سيد وملك تلك البلاد في غابر الأيام ماذا عندك من الأخبار ؟ وما حل بمدينة السلام بيت المقدس الذي جدد بناءه النبي سليمان بن داود عليهما السلام ؟

رفع الهدهد رأسه إلى السماء ، ثم خفضه ، وأخذ يمسح الدموع المتساقطة على وجهه حتى أبكى من كان جالسا في الديوان ، وأدركوا ما حل في البلدة من ظلم وعدوان وما أصاب المسجد الأقصى من ذل وهوان في زمن علو اليهود على أرض فلسطين المباركة ، ثم قال : يا مولاي الملك ويا سيدي الوزير ! فليحدثنا الطير أبو سعد عن المسجد الأقصى ومكانته وصفته ؛ ليعلم السامع أهميته وقيمته لنا عباد الله المسلمين قبل أن أعلمكم بما أجرم أعداء الله اليهود على ذلك البيت المعظم ، وما جنوا وظلموا ليدركوا عظم الكارثة والمأساة التي أحاطت بالمسجد وأهله الضعفاء .

فأشار الوزير لأبي سعد (اللقلق) أن يتحدث بما طلب الهدهد رئيس الوفد الذي زار الأرض المقدسة ، وهذا الهدهد حفيد هدهد سليمان الذي ذكره الرحمن في سورة النمل من القرآن ، وقد

بعثه سليمان بخطاب لملكة اليمن .

رفرف أبو سعد بجناحيه، وتلفت بوجه يمينا ويسارا ، وحمد الله وصلى على نبيه محمد ﷺ ثم قال : لكل أمه أماكن مقدسة تقدسها وتعظمها .. فكيف إذا كان المقدس المسجد الأقصى بتقديس الله ﷻ له فهو الذي ذكره في مطلع سورة الإسراء (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) وقد أسرى الرحمن بعبده محمد ﷺ من مكة المشرفة إلى بيت المقدس المبارك .. والأقصى اليوم أيها القوم .. مظلوم يعاني من جهل كبير من أمته ومن عدو أمته .. فهو محتل من عدو غاصب باغٍ في الأرض . واعلموا أيها الأخوة السامعون أن المسجد هو اسم لكل ما دار حوله السور ، الواقع في أقصى الزاوية الجنوبية الشرقية من مدينة القدس الشريف .. أولى القبلتين وثالث المسجدين فهو يشمل القبة " الصخرة المشرفة "القبة الذهبية الموجودة في وسط قلب المكان ، والمكان مليء بالمعالم الإسلامية التاريخية.. فهناك ما يزيد عن مائتين معلم تقع ضمن حدود المسجد الأقصى ففيه المساجد والقباب وسبل الماء والمصاطب والأروقة والمدارس والمحاريب والمنابر والمآذن والأبواب والمكتبات .. ويمثل المسجد الأقصى نحو سدس مساحة البلدة القديمة ، وشكله شبه مستطيل .. والقدس قائمة على عدد من الجبال جبل المكبر وطور زيتا وجبل المشارف وجبل موريا وهو القائم عليه المسجد الأقصى ويسمى أيضا جبل بيت المقدس وهناك جبل صهيون . والصلاة في المسجد الأقصى تضعف وتفضل على غيره من المساجد ما عدا الحرمين الشريفين المسجد الحرام بمكة ومسجد الرسول ﷺ بالمدينة المنورة .. وهو ثاني بيت وضع للناس في الأرض وقد بناه آدم أول البشر عليه السلام ، ثم جدد بناه يعقوب عليه السلام ، ثم بناه سليمان عليه السلام كما أخبر النبي محمد ﷺ في الحديث الصحيح عنه .

فقال الملك : ذكرنا يا وزيرنا بحديث بناء سليمان للمسجد الأقصى ، فاليهود يزعمون أن سليمان بنى هيكلا لهم .

قال الوزير : أمر مولانا السلطان . . كما قرأنا عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال : إن سليمان بن داود صلى الله عليه وسلم لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل خلالا ثلاثة ، سأل الله عز وجل حكما يصادف حكمه فأوتيه ، وسأل الله عز وجل ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه ، وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه . ومعنى ينهزه يدفعه .

فهتف السلطان غابطا الطيور : أوه ! لقد كسبتم الصلاة فيه في هذه الرحلة ، ونلتم تلك الفضيلة أكمل الحديث يا أبا سعد .

قال أبو سعد : أمر مولانا السلطان .. لم يبق إلا القليل أسرده على مسامعكم .. فتح المسلمون بيت المقدس في عهد الخليفة العادل عمر بن الخطاب ﷺ العام الخامس عشر من هجرة نبينا ﷺ وبقي في حوزة المسلمين إلا زمنا يسيرا عندما استولى عليه الصليبيون .

ويرجع بناء المسجد الأقصى كبناء إلى عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وأتمه ابنه الخليفة الوليد .. وأما القبة المشهورة فيه بناء مستقل عن بناء المسجد الأقصى .. وبنيت هذه القبة الصخرة في عهد الخليفة الأموي عبد الملك عام ٥٦٦ وكمل البناء في عام ٥٧٢ قام على بنائها المهندسان رجاء بن حيوة الكندي وهو من مدينة بيسان ، ويزيد بن سلام مهندس مقدسي .. وشيد مسجد الصخرة لعلاقة له برحلة المعراج النبوي إلى السموات العلى .. فهذه أهم معالم وأخبار المدينة المقدسة .

فأثنى القوم على الطير أبي سعد على ما قدم لهم من معارف ، والتفت الوزير لرئيس الوفد الهدهد الشجاع حفيد هدهد النبي سليمان ﷺ .. وقال : لقد سمعنا رسولنا أبو سعد أيها الهدهد معرفا لنا بذلك المكان المعظم في شريعتنا .. تكلم .

قال الهدهد الجميل الهيئة : نعم ، القدس بلد عظيم تعرض لكثير من الغزو والاحتلال .. وأشار أبو سعد لاحتلال الصليبيين له مدة من الزمان .. وهو اليوم معذب ، مضطهد من قوم يزعمون أنهم من أبناء يعقوب وأتباع موسى عليهم السلام .. وموسى بريء منهم .. الأنبياء لا يعرفون الظلم ، لا يعرفون المجازر الوحشية .. فبعد سقوط المدينة في يد جيش اليهود الصهيوني تعرض

المسجد لمئات الاعتداءات ، كان أسوأها الحريق الشهير عام ١٩٦٩ في شهر آب في اليوم الحادي والعشرين .. على يد دنيس مايكل روهان اليهودي الأسترالي .. فاحترق يومها منبر نور الدين زنكي وصلاح الدين ، منبر فتح بيت المقدس ، وامتد الحريق ليشمل ثلاثة أروقة قضى على أغلبها ، إضافة إلى سقف الرواق الشرقي الخشبي للجامع بالكامل وانصهر الرخام الذهبي عن الواجهة القبلية والمحراب .. واعترف الجاني بجريمته ، ثم زعموا أن الفاعل مختل عقليا فأخلي سبيله .. وللأسف يا مولاي كان رد فعل المسلمين ضعيفا لا يكاد يسمع البتة .

فقال الملك : حسبنا الله ونعم الوكيل .. وهل من مصائب أخرى حلت به ؟

قال الهدهد الحزين : أجل يا مولاي ! فقد صادر اليهود باب المغاربة بعد هدم حارة المغاربة ، وهو باب مؤد للحرم ، وبدأت الحفريات التهويدية من عام ١٩٦٨ حول الأقصى حفريات بمحاذاة الجدار الجنوبي ، وحفريات بمحاذاة الجدار الغربي وعلى شكل نفق ، فتصدعت نتيجة تلك الحفريات مبان تاريخية وأثرية ، وفي عام ١٩٨٢ قام الجندي الصهيوني ألن جولد مان بإطلاق النار داخل القبة فقتل اثنين من المسلمين وجرح ٤٤ آخرين ، مما دفع اليهود لإدخال قوة حماية داخل الحرم القدسي .. جرت محاولات نسف للمسجد بالمتفجرات ؛ ولكنها لحد الآن باءت بالخيبة والخذلان .. وتهويد المدينة قائم على قدم وساق .. والعالم الإسلامي يتفرجون لا يحركون ساكنا . وكذا الاعتداءات على مقبرة مأمن الله الإسلامية مستمرة ، أرأيتم يا قوم حتى مقابر القدس لم تسلم منهم ؟!

قال الوزير : بارك الله فيك ؛ ولكن الآن انتبهت أنكم أربعة ، والذين سافروا خمسة فأين الطاووس الأبيض ؟

ذرفت دمعة من عين الهدهد وقال : لقد اغتالوه يا مولاي ..!

سمع صوت همهمة ودهشة فقال الهدهد مبينا : أخطأ الطاووس الدرب ، وطار فوق منطقة عسكرية ، فحسبوه طائرة مقاتلة تريد أن تلقي عليهم قنابل ، كما يفعلون في البلاد المحيطة وغزة فسقط شهيدا كآلاف الشهداء .. حتى يتم أمر الله ﷻ .. والله غالب على أمره ، ولكن أكثر

الناس لا يعلمون .

قال الملك : بماذا تنصحنا يا أيها الهدهد الشجاع ؟

قال الهدهد : يقول الناس حائط المبكى والصحيح أنه حائط البراق حيث ربط النبي ﷺ البراق عندما عرج للسماء ، ويقولون هيكل سليمان والصحيح أن نقول المسجد الأقصى .. والقدس هي القدس .. وليس البناء فقط .



المسجد الأقصى أحد أكبر مساجد العالم ، وأحد المساجد الثلاثة التي يشد المسلمون الرحال إليها، وهو أيضًا أول القبلتين في الإسلام ، يقع داخل البلدة القديمة بالقدس في فلسطين . وهو كامل المنطقة المحاطة بالسور السليماني ، واسم لكل ما هو داخل سور المسجد الأقصى الواقع في أقصى الزاوية الجنوبية الشرقية من البلدة القديمة المسورة .

تبلغ مساحته قرابة ١٤٤,٠٠٠ متر مربع، ويشمل قبة الصخرة والمسجد القِبْلي والمصلى المرواني ومصلى باب الرحمة، وعدة معالم أخرى يصل عددها إلى ٢٠٠ معلم .

ويقع المسجد الأقصى فوق هضبة صغيرة تُسمى "هضبة موريا"، وتعد الصخرة أعلى نقطة فيه، وتقع في قلبه.

ذُكر المسجد الأقصى في القرآن : {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }

يُقدّس اليهود المكان نفسه ، ويطلقون على ساحات المسجد الأقصى اسمَ "جبل الهيكل" نسبة إلى هيكل النبي سليمان ، وتُحاول العديد من المنظمات اليهودية المتطرفة التذرع بهذه الحجة لبناء الهيكل حسب مُعتقدها.

للمسجد الأقصى أسماء أهمّها ثلاثة:

المسجد الأقصى: وكلمة "الأقصى" تعني الأبعد، وسُمِّيَ الأقصَى لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام، وكان أبعد مسجد عن أهل مكة في الأرض يعظَّم بالزيارة . والذي سمّاه بهذا الاسم وفقًا للعقيدة الإسلامية الله في القرآن، وذلك في الآية :التي سبق ذكرها { سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }البيت الْمُقَدَّس: وكلمة "المقدّس" تعني المبارك والمطهّر، وقد ذكر علماءُ المسلمين وشعراؤهم هذا الاسم كثيرًا، كما قال الإمام ابن حجر العسقلاني ، بيت الْمَقْدِس: وهو الاسم الذي كان متعارفًا عليه قبل أن يُطلق عليه اسم "المسجد الأقصى" في القرآن الكريم، وهذا الاسم هو المستَخدَم في معظم أحاديث النبي محمد ﷺ ، مثل ما قاله يوم الإسراء والمعراج» : ثم

دخلت أنا وجبريل عليه السلام بيت المقدس فصلى كل واحد منا ركعتين.

لا يُعرف بشكل دقيق متى بُني المسجد الأقصى لأول مرة، ولكن ورد في أحاديث النبي محمد ﷺ بأن بناءه كان بعد بناء الكعبة بأربعين عامًا، فعن أبي ذر أنه قال: «قلت: يا رسول الله! أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال : المسجد الحرام .قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى. قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة" ، وقد اختلف المؤرخون في مسألة الباني الأول للمسجد الأقصى على عدة أقوال: أنهم الملائكة، أو النبي آدم أبو البشر، أو ابنه شيث، أو سام بن نوح، أو النبي إبراهيم، ويرجع الاختلاف في ذلك إلى الاختلاف في الباني الأول للكعبة، وقد رجّح الباحث عبد الله معروف بأن آدم هو من بنى المسجد الأقصى البناء الأول، لرواية عن ابن عباس، ولترجيح أن يكون آدم هو الباني للكعبة، كما رجّحه الإمام ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري .ويُرجّح عبد الله معروف أن يكون البناء الأول للمسجد الأقصى قد اقتصر على وضع حدوده وتحديد مساحته التي تتراوح ما بين ١٤٢ و١٤٤ دونماً.

عندما تولّى الخليفة أبو بكر الصديق خلافة المسلمين قام بتسيير جيش أسامة بن زيد لفتح بلاد الشام عامّة ونشر الدعوة الإسلامية فيها، ، وما لبث أن تُوفي أبو بكر الصديق، فتولّى عمر بن الخطاب الخلافة، فكان أوّل ما فعله أن ولّى أبا عبيدة بن الجراح قيادة الجيش الفاتح لبلاد الشام بدلاً من خالد بن الوليد ، فوصل أبو عبيدة بن الجراح إلى مدينة القدس وكانت تُسمى "إيلياء" ، فاستعصت عليهم ولم يتمكنوا من فتحها لمناعة أسوارها، حيث اعتصم أهلها داخل الأسوار، فحاصروهم حتى تعبوا وأرسلوا يطلبون الصلحَ وتسليم المدينة بلا قتال ، واشترطوا أن يأتي خليفة المسلمين بنفسه إلى القدس ليتسلّم مفاتيحها منهم، فخرج عمر بن الخطاب من المدينة المنورة حتى وصل القدس، وذلك عام ١٥ هـ الموافق ٦٣٦ م، وأعطى أهلها الأمن وكتب لهم العهدة العمرية . وقد صحبه البطريرك "صفرونيوس" فزار كنيسة القيامة، ومن ثم أوصله إلى المسجد الأقصى، فلمّا دخله قال : الله أكبر، هذا المسجد الذي وصفه لنا رسول الله، وكان في تلك الأيام عبارة عن هضبة خالية في قلبها الصخرة المشرفة، ثم أمر

الخليفة عمر بن الخطاب ببناء المصلّى الرئيسي الذي سيكون مكان الصلاة الرئيسي في المسجد الأقصى، وهو موقع" الجامع القبلي"اليوم، ويقع في الجنوب في جهة القبلة، وكان المسجد في عهده عبارة عن مسجد خشبي يتّسع لحوالي ١٠٠٠ شخص، وبقي على حاله إلى زمن الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان .

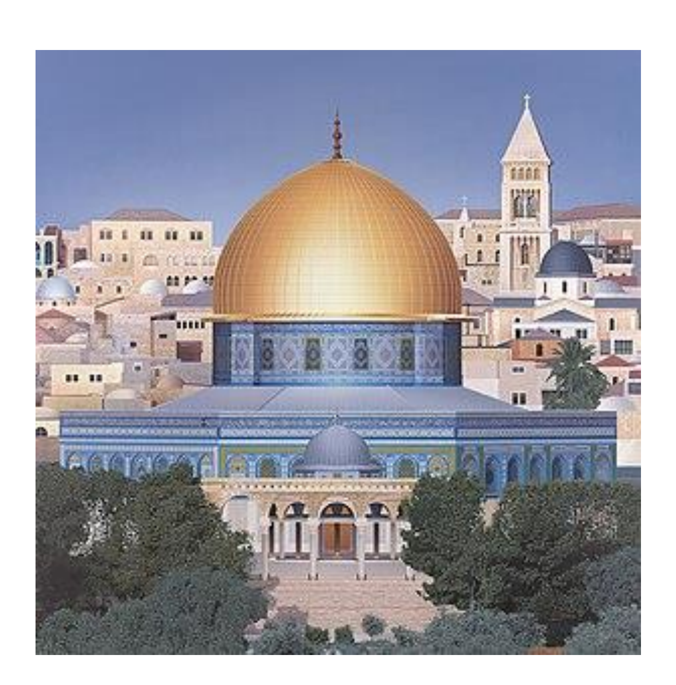
بعد قيام الدولة الأموية في عام ٤١ هـ الموافق ٦٦١ على يد معاوية بن أبي سفيان، قام بتجديد بناء المسجد القبلي داخل المسجد الأقصى الذي بناه عمر بن الخطاب، فجعل من الحجر بدلاً من الخشب ، ووسّعه ليسع ٣٠٠٠ مصلٍ .وقد ذكر بعض المؤرخين المسلمين في مذكراتهم مثل مجير الدين والمقدسي والسيوطي أن أوسع حركة تعمير للمسجد تمت في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان منذ عام ٦٥ هـ الموافق ٦٨٥ جنبا إلى جنب مع قبة الصخرة، وتواصلت في عهد ابنه الوليد بن عبد الملك حتى عام ٩٦ هـ الموافق ٧١٥ حيث بدأ البناء الأموي للمسجد الأقصى ببناء قبة الصخرة وهي عبارة عن قبة ذهبية فوق الصخرة المشرفة الواقعة في قلب الأقصى (في منتصف المسجد أقرب إلى الغرب قليلا)، والتي تمثل أعلى نقطة في جبل البيت المقدس، ويعتقد أن معراج النبي محمد ﷺ إلى السماء تم منها، لتكون قبة للمسجد كاملاً. وقبل الشروع ببنائها، أقيمت بجانبها قبة صغيرة في منتصف المسجد الأقصى تماماً، عُرفت بـ "قبة السلسلة"، لتكون مقراً للمشرفين على البناء للأقصى، وخزانة لجمع الأموال اللازمة لذلك، وقيل لتكون نموذجاً لقبة الصخرة.

الجّامِعُ القبليّ، أحد أهمّ معالم المسجد الأقصى المُبارك. وهو الجامع المسقوف الذي تعلوه قبّة رصاصية، والواقع في جنوبيّ المسجد الأقصى في جهة القِبلة، ومن هنا جاءت تسميته بـ "القِبلي". ويُعتبر هذا الجامع المصلّى الرئيس الذي يخطب فيه الخطيب في صلاة الجمعة، كما أنّه يُعتبر المصلّى الرئيس للرجال داخل المسجد الأقصى حيث يقف الإمام، وحيث يوجد المحراب والمنبر الرئيسان .والبناء الحالي يعود للعصر الأموي، حيث بَدأ العمل على تجديد بناءه الخليفة عبد الملك بن مروان، وأتمّه ابنه الخليفة الوليد بن عبد الملك بين عامي ٨٦

هـ ٩٦-هـ الموافق٧١٤-٧٠٥ م، وكان في الأصل مكونًا من ١٥ رواقًا، ثم أُعيد ترميمه بعد تعرّضه لزلازل أدّت لتصدّعه، واختُصِرت أروقته في عصر الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله إلى ٧ أروقة، وفي وقتنا الحالي يتكوّن من رواق كبير في الوسط و٣ أروقة في كل جانب. وللجامع قبّة مرتفعة داخلية مصنوعة من الخشب، تعلوها القبّة الرئيسة الخارجيّة والمُغطّاة بألواح الرصاص، وتبلغ مساحة الجامع حوالي ٤ دونمات، طوله ٨٠م وعرضه ٥٥م، على اختلاف يسير بين طول ضلعه الشرقي والغربي، وله ١١ بابًا، ويتّسع إلى حوالي ٥٥٠٠ مصلّ . وعندما سيطر الصليبيون على القدس قسّموا الجامع القبلي إلى ثلاثة أقسام: أحدها تحوّل إلى مكاتب، والآخر إلى سكن لفرسان المعبد، والثالث إلى كنيسة، وبقي الأمر كذلك حتى عهد صلاح الدين الأيوبي فرمّم المسجد عام ٥٣٨ هـ الموافق ١١٨٧، ثم توالت الترميمات في عصر الدولة المملوكية والدولة العثمانية لاحقًا وفي العصر الحديث، وبعد احتلال اليهود لفلسطين، بقي الجامع القبلي تحت تهديد اليهود، فعمدوا إلى أعمال حفر تحت أغلب الجدار الجنوبي للمسجد وتحت أساسات الجامع القبلي كلها مما هدّدت أساساته، كما تعرّض الجامع القبلي لحريق مفتعل وذلك يوم ٢١ أغسطس ١٩٦٩ على يد مايكل دينس روهن، فاحترق منبر نور الدين زنكي، وامتد الحريق ليشمل أغلب الأروقة الثلاثة الشرقية، بالإضافة إلى سقفه الخشبي.

مسجد قبة الصخرة: وتعتبر قبّته إحدى أهم وأبرز المعالم المعمارية الإسلامي، وأقدم بناء إسلامي بقي محافظًا على شكله وزخرفته في الأغلب. بنى هذه القبّة الخليفة عبد الملك بن مروان ، حيث بدأ في بنائها عام ٦٦ هـ الموافق٦٨٥ ، وانتهى منها عام ٧٢ هـ الموافق٦٩١ ، وأشرف على بنائها المهندسان رجاء بن حيوة الكندي، وهو من التابعين المعروفين، ويزيد بن سلام مولى عبد الملك بن مروان، وقبّة الصخرة عبارة عن بناء مثمن الأضلاع له أربعة أبواب، وفي داخله تثمينة أخرى تقوم على دعامات وأعمدة أسطوانية، في داخلها دائرة تتوسطها "الصخرة المشرفة" التي يعتقد المسلمون بأن النبي محمد ﷺ صعد منها إلى السماء في رحلة الإسراء

والمعراج، وترتفع هذه الصخرة نحو ١,٥ مترًا عن أرضية البناء، وهي غير منتظمة الشكل يتراوح قطرها بين ١٣ و ١٨ مترًا، وتوجد مغارة تُسمّى "مغارة الأرواح" أسفل جزء منها تعلوها فتحة، وتعلو الصخرة في الوسط قبّة دائرة بقطر حوالي ٢٠ مترًا، مطلية من الخارج بألواح الذهب، ارتفاعها ٣٥م، يعلوها هلال بارتفاع ٥م. ويعتقد بعض الباحثين أن بناتها خططوا لجعلها قبة للمسجد الأقصى كاملاً.



منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

جواهر القصص

جمال شاهين

حفيد الهدهد


حجر القمر
حكاية حسن وحليمة
حمار مسحور
وحش الغابة
الدنيا الساحرة
المغارة السحرية
حفيد الهدهد
كفر الذرة

كفر الذرة

جمال شاهين



جواهر القصص

حجر القمر

٧

جمال شاهين

٢٠٢١

كفر الذرة

كفر الذرة

كفر الذرة قرية ليست صغيرة ولا هي مدينة كبيرة وسكانها فلاحون ، منهم من يزرع القمح والشعير والذرة ، ومنهم من يهتم بالأشجار ، وبعضهم رعاة .

أما الحرف الصناعية لا محل لها في كفر الذرة ، انها يذهبون للمدينة الكبرى التي تبعد عنهم مسيرة نصف يوم لإصلاح أدوات الحرث والحفر والطبخ وشحذ السكاكين وشرائها وتصليحها وشراء المعادن والفخار والفوانيس والثياب والحبال .

والناس في القرية يتبادلون السلع تبادلا دون نقود .. النقود لا يتعاملون بها إلا في ذهابهم الأسبوعي للمدينة الحمراء سيدة القرية والقرى المحيطة بها .. هناك يذهبون لبيع الزوائد من الاجبان والألبان والحيوان والثياب .. فيعقد كل جمعة سوق كبير لأهالي القرى المجاورة يتوافدون اليه .. يتحرك أهل الريف لتلك المدينة قبل طلوع الفجر بساعات ، فبينهم وبين الحمراء نصف نهار .. وهذا كل سبعة أيام .

وهذه القرية كسائر القرى لا يوجد فيها مطاعم ولا فنادق واماكن لهو ؛ لكن شيخ القرية الكبير " العم خسة " جلب لقريته شيخا هرما يدعى الشيخ قمع ثرثار يروي الاخبار والاعاجيب والحكايات الغريبة وقصص الجان ، عرفه شيخ القرية في سوق المدينة ، وسمع بعض ترانيمه فأعجبه حكيه وقصصه فشجعه للإتيان للقرية يسامر أهلها ويحدثهم من اعاجيب حكاياته ، فمشى مع العم خسة ، واستوطن القرية وعندما يرجع الفلاحون من فلاحاتهم وزراعاتهم ليلا يتجمهرون في دار الضيافة عند العم خسة فيأتيهم قمع من خشته المجاورة لبيت خسة .. فيجد القوم قد اشعلوا النار واحضروا بعض الطعام والفواكه وتربع الشيخ قمع على مصطبة صغيرة وبعد أكله لشيء من الفاكهة يروي لهم حكاية من حكاياته واسطورة من أساطيره وخيالته مما تلذ له الآذان وتشتاق إليه النفوس غراما ، وكان يحضر مجالسه بعض الفتيان الصغار للسمر ولحبهم سماع القصص ، ولما يرجع الشبان والفتيان للبيوت يحدثون الفتيات والامهات خرافات قمع .. وقضى قمع هذا ثلاث سنوات بين أهالي قرية كفر الذرة يروي لهم الحكايات وخرافات

ملوك الجان والشياطين فقد سحر الشباب في تلك الروايات وسحر قلوب الكبار قبل الصغار فكان تسلية هامة لهؤلاء الفلاحين .

كان قرب كفر الذرة جبل شاهق لعنان السماء ، وشاق التسلق ، وكان يعلوه غابة سماها الناس لعلوها غابة الجن .. وكان قمع عندما يحدثهم عن الجن والعفاريت والشيطان يزعم لهم ان هذه الغابة في قمة الجبل مسكن لقبائل الجن العظام .. فتحمس بعض الشباب للوصول لغابة الجن من كثر ما أكد لهم قمع هذه الحقيقة ، ولكنهم ذهبوا إليها ، ولم يرجعوا ، فيزعم لهم قمع أن الحياة طابت لهم مع ملكات وأميرات الجن ، ونسوا أهاليهم.. وشاع بينهم أيضا أن الجن قتلتهم لدخلوهم ارض الجن المحرمة على بني الانسان .. وزعم البعض أن الجن ستعيدهم في يوم الايام . وكان في القرية ثلاثة شبان اعجبتهم حكايات الجن وارض الجن وملكات الجن فرغبوا بالصعود الى قمة جبل الجن .. وكانت أعمارهم دون العشرين ، وسمعوا كل حكايات قمع عن جمال وحسن وثراء الجن والجنيات ، فاشتاقت نفوسهم لاقتحام غابة الجن ، فاتفقوا على المسير للغابة معا ومعاشرة الجن بإحسان ، وهم لوز ، وبلوط ، وخوخ ، كان أهل القرية يسمون ذراريهم بأسماء النبات والشجر والفاكهة والحيوانات الاليفة لهم ، اتفق لوز وبلوط وخوخ على الصعود لغابة الجن ورؤية هذا العالم الخفي الذي اكثر قمع من الحديث عنه امامهم وامام سكان القرية من فلاحين ورعاة.. وكانوا متفقين على عدم أخبار أهليهم وأقاربهم عن هذه الرحلة الخطيرة حتى لا يحجبونهم عنها خشية ضياعهم كما ضاع الذين من قبلهم .

وفي الصباح عندما ذهب أهل القرية لمزارعهم وأشجارهم ودوابهم تحركوا الى الجبل، وقد تزود كل واحد منهم بطعام وماء ، وبدل أن يذهب كل واحد مع أهله للعمل اجتمعوا في درب يصعدون منه إلى اعلى الجبل .. ولما اشرقت الشمس كان يدرجون علوا لأعلى الجبل وبعد قطع مسافة صعودا ادركهم التعب ، فجلسوا يستريحون ويأكلون ويسمرون .. وبعد استراحة يسيرة تابعوا الصعود ، ولما غربت الشمس كانوا قد قطعوا نصف الطريق كما ظهر لهم فقد قربت منهم الغابة .. وبعد استراحة أخرى تابعوا الصعود واقتربوا من الاشجار العالية التي تملأ صفحة

الجبل .. ناموا بعض الوقت، ثم استيقظوا وساروا الى اعلى، وفي منتصف نهار اليوم التالي كانوا على قمة الجبل العالي ، والقوا أجسادهم المنهكة من الصعود تحت ظل شجرة ترتفع في السماء عاليا ، وذهبوا من التعب والوصب في سبات عميق .

لوز

لما استيقظ لوز من نومه أو غفوته بعد تعب الصعود لجبل الجن وجد نفسه في غرفة واسعة ذات الوان ساحرة ووجد نفسه نائما على سرير اصفر ونوافذ مغطى بستائر حريرية بل وجد نفسه مغطى بغطاء رقيق تفوح الرواح العطرية منه فاغمض عينيه من جديد معتقدا انه في حلم عجيب .ثم اعاد فتحهما من جديد وقال لنفسه " أين أنا ؟!"

همس محدثا نفسه : هذه غرفة جميلة وذا سرير لم أره في حياتي في بيت أبي ، هكذا كان يقول ، ازاح الغطاء عن بدنه وجلس وهو يعيد " أين أنا ؟.. ألم نكن نتسلق الى جبل الجن ؟ .. اوصلنا بلاد الجن ؟ .. يا الهي .. رحماك .. وجد مائدة صغيرة في الحجرة وعليها ابريق المشروبات والماء فمشى إليها مدهوشا .. ما ازكى رائحتها يا لوز !.. لابد أنك وصلت لبلاد الجن .. أين رفاقي ألم نطرح أنفسنا تحت ظل شجرة نائمين ؟ أين خوخ وبلوط ؟ .. تجرع كوب الماء " أنا عطشان " .. يا الهي ما الذ هذا الماء الفرات! .. عسل كأنني أشرب ماء بالعسل .. هذا عصير البرتقال واتبعه الماء .. ليت الكوب أن لا ينتهي .. ما هذا ؟ .. عصير توت لابد من توت .. شكله توت لكنه عصير من الجنة .. وهذا عصير الليمون .. وظل يشرب ويشرب حتى لم يبق في الأباريق شيئا وقال : لقد كان الجبل متعبا .. اين الرفاق ؟ لعلهم في غرف أخر .. مشى حيث النافذة وأزاح الستائر ورأى الشمس والفضاء وأشجار القصر الباسقة .. قصر .. أنا في قصر .. لمن هذا القصر أيها الإنسان ؟ .. ما اكثر الاسئلة ؟ أين أنت يا قمع ؟ ما احلى المكان !.. ها هي الطيور الملونة تتنقل على اغصان الشجر .. ها هو نسر يحلق في الافق ..يا الهي أهذه بلاد الجن يا عم قمع كيف يفكر بالعودة والرجوع للقرية من يعيش هنا ؟ أيترك الجنة إلى النار ؟ هل عاش قمع في هذا المكان ؟ ولماذا هجره ليعيش بين الفلاحين والرعاة؟! سمع طرقا على الباب ودخلت جارية

صغيرة في غاية البهاء الثياب والبدن فقالت : مرحبا بالسيد .. لقد دخلت بلادنا الجميلة .. وهذا قصر الأضياف فأهلا وسهلا .

ـ اين انا ؟

ابتسمت ابتسامة ساحرة وقالت : أنت ضيف في بلاد الجن .. وجدك الجن على جبل الجن فاتوا بك إلى هنا أيها الإنسان .. سأذهب بك الآن للاغتسال والتطيب ؛ لتذهب إلى حجرة الطعام لتأكل طعام الجن يا انسان .. هيا اتبعني .

تبع الجارية لدار الأضياف ؛ حيث الحمام لإزالة أوساخ الرحلة ، ومسك به غلام الحمام وقال له : مرحبا بضيفنا العزيز اذهب إلى ذاك المرحاض واقض حاجتك وعد اليّ .

ذهب للمرحاض وعاد للحمام فادخله الغلام ؛ حيث الاغتسال ، وجرده من الثياب ودفع إليه وزرة يغطي بها عورته المغلظة ، وقام بتنظيفه وتلميعه ساعة من الزمن ، ثم انتقل إلى مكان غسل بدنه وحده ، ثم دفعت له ثيابا لم ير مثلها في حياته ، ثم جاء خادم وأخذه الى مطعم دار الأضياف وقدم له ما تشتهيه النفس وتلذ له العين . ولما اكل ما لذ وطاب ساقه خادم إلى حيث كان في الحجرة التي استيقظ فيها وقال : " نم قرير العين" وكان الليل قد هبط ، وبعد ابتعاد الخادم وجد أن الباب مغلق ، فعلم أنه غير مسموح له التمشي في القصر ، واكتشف بابا خلف احدى الستائر المزينة الحجرة فدخله فقاده إلى مرحاض وغرفة صغيرة مليئة بالأطعمة والفواكه والماء وفي الصباح التالي جاءته الجارية وساقته الى مطعم القصر لتناول الإفطار ، ولما انتهى منه أوصلته للغرفة الخاصة به وقالت : وقت الغداء نلتقي .

ولما انقضت الايام الثلاثة في بلاد الجان ، ساقوه إلى محكمة الجن ، وهناك عرف أنه اعتدى على ارض الجن بدخول جبلهم ، فقضت عليه المحكمة الحبس في قصر الأضياف سبعة أشهر، ثم إعادته لكفر الذرة حيث بلاده التي ذكرها امام المحكمة ، اعيد لقصر الاضياف لقضاء مدة الحبس في ضيافة بلاد الجن . بعد حين راودته نفسه بالهرب من قصر الاضياف والاختفاء في مدينة الجن .

اما الرفيق الثاني الفتى بلوط فاستيقظ من نومة الغابة فوجد نفسه في قاع بئر جافة ، فدهش لما وجد نفسه في قاع البئر وعتمته ، وتذكر نومه تعبا في غابة جبل الجن ، ولما تمالك حواسه ادرك أن الجن حبسته في هذا البئر ؛كما كان يسمع العم قمع يخبر . تطلع إلى السماء فادرك أن الشمس على وشك الاختفاء خلف الجبال . فأخذ بالصياح والاستغاثة ؛ لعل احدهم يسمعه وينقذه ، فإن لم يخرج منه سيموت جوعا وعطشا ويا لها من موتة وخاتمة !

وبينما هو يصرخ ويولول ، وقد ضعف صوته سمع صوتا في اعلى البئر فقال : يا صاح انقذني بالله عليك .

رأى دلوا تهبط إليه وسمع صوتا يقول : هذا طعامك أيها الأنسي .

ـ ولما أنا هنا ؟! ماذا جنيت يا هذا ؟

ـ افرغ الدلو مما فيه .. سينظر في امرك القاضي بعد أيام .. أنت اعتديت على ارض وجبل وأملاك الجن . وابتعدت الأقدام ، وانشغل بلوط بأكل وبلع ما قدم من اكل وشرب الذي هو عبارة عن ماء وخبز يابس وجبنة يابسة أو قديمة .. ولما انتهى من الطعام وشرب القليل من الماء قال : ألا سبيل للخروج قبل المثول بين يدي قاضي الجن ؟ .. هل سيقتلونني لأني وصلت جبل الجن ؟ كيف سيقتلونني ؟ كيف سأخرج قبل فوات الوقت ؟ لماذا غامرت هذه المغامرة ؟ ألم أكن مرتاحا في بساتين أبي وأعمامي ؟ لعنة الله عليك يا عم قمع أنت السبب .. شوقتني للحياة مع الجن والجنيات والذهب والخيل الطائرة .. ها أنا اقبع في قاع بئر انتظر ما يحكم عليّ .. يا الهي رحماك !.. لقد جننت وطاوعت الشباب .. أين هم ؟ اجعل كل واحد في بئر ؟ الانسان يحب الطمع والمغامرة .. اشتد الظلام وزادت الحلكة في البئر .. وبدأت الوساوس السيئة تتوارد على ذهن بلوط والأوهام .. تخيل الافاعي تخرج من جحورها للنيل منه وابتلاعه .. شعر بالحشرات تتطاير من حوله .. ظهر صوت الصراصير حول البئر .. سمع عواء الكلاب وإنها تقترب من باب البئر .. قضى ساعات في هواجس رديئة حتى غلبه النوم وقال " هي موتة واحدة ولابد

منها "

وراح في نوم عميق فما زال تعب صعود وتسلق الجبل يتعبه ؛ كذلك خيالات الرعب والأفاعي أنهكته فلم يستيقظ إلا على صوت حارسه ينادي صائحا عليه ، فلما استيقظ انزل إليه دلو الطعام وقال : نصيبك هذا الصباح . ولما رفع الدلو اختفى الحارس سريعا ،وربما يلعن اسيره في سره الذي اقلق راحته وهو يقول لنفسه " متى اخلص منه ؟ ما الذي مكر به ليصعد الى جبل الجن الشاهق الى عنان السماء ؟ الانس لا يعجبه العجب ، يهوى التعب والغم والنكد . بعد مضي ثلاثة أيام بلياليها قضت محكمة الجن على الشاب بلوط بسبب دخوله جبل الجن بأن يكون رقيقا للحداد عسيران ، فاستدعي حداد الجن عسيران من محددته وابلغ بقرار القاضي ، والسبب أن هذا الحداد قد قدم طلبا للقاضي منذ عهد قريب بحاجته لعبد يعمل معه بعد هلاك رقيقه الحداد فاستلمه من القاضي شاكرا ، وممتنا له ، وأنه حقق وعده له بتقديم أول اسير من الانس ليعمل معه بدلا من معاونه الأنسي الهالك ، وبعد قبضه للأسير بلوط بيده قال الحداد للقاضي : كم سيمكث عبدا ؟

قال القاضي : حتى تموت أيها الحداد ؟

ـ سيقتلني يا مولاي ليسترد حريته .

ـ سيموت لو فعلها .. على كل مدة الاسترقاق متروكة لك على أن لا تقل عن عشر سنوات

فالتفت الحداد للأسير : أسمعت حكم مولانا القاضي ؟.. فأنا الذي أحررك وأعيدك لكفر الذرة .. اياك والهرب والا ستعود للبئر حيث كنت محبوسا.

قبل بلوط يد الحداد وقال : أنت سيدي ومولاي ، وأنا عبدك ورقيقك ستجدني لك طائعا ولأمرك ملبيا ومنفذا .

ربت الحداد على كتفه وهتف : نعم الفتى أنت .. هيا .

اخذه الحداد لبيته وأمر زوجته بإعداد الماء الساخن لأسيرهم الجديد ليستحم من قذارة البئر ، وشرح له دوره في الحياة ، وقضى ليلته الأولى ضيفا عند الحداد ، ومع طلوع النهار ساقه الحداد

الجني إلى مكان عمله وأمره بإشعال النار ووضع الحطب فيها .. وبدأ يشرح له ما عليه القيام به من صقل السيوف والمدى والدروع والزرد ورؤوس الرماح والفؤوس الحربية .. في الصباح حتى اول الليل العمل في المحددة ، وفي الليل في بيت الحداد في حجرة خاصة في بستان الحداد ، وكان شريكه فيها عامل البستان، وهو رجل انسي أسير مثله ، ووصل لسن الستين اسمه بهادور فهو من بلاد العجم . وعلم منه أنه كان خادما لوالد الحداد عند دخوله لبلاد الجن ، ولما هلك والد عسيران ورثه عنه فله أسير اكثر من ثلاثين سنة من أيام الشباب والمغامرة . نادت جارية للحداد على بهادور ، فقال لصديقه : هذا وقت العشاء .. فها هي الجارية دلال تنادي .. فذهبا وجلبا الطعام وعلى المائدة جلسا يأكلان ويتسامران ، وعلم بلوط من صاحبه أن للحداد بنتا واحدة ، وهو محروم من الذكور ، وله هذه الخادمة دلال وللسيدة الصغيرة جارية شابة مثلها اشتراها لها الحداد عندما ولدت ابنتها جمال السماء ، وهي اليوم شابة تقترب من العشرين ، وأن الحداد مغرم بها غاية الغرام ولا يفكر بنكاحها لحبه لها هو وزوجته . اشتاقت وهفت نفس بلوط لرؤية ابنة الحداد الجنية الصغيرة ، واعلمه البستاني أنه لا يستطيع ذلك إلا في النهار حينما تخرج للتنزه في البستان ،وتأكل وتلتقط الثمار عن الأشجار ، وبلوط يخرج قبل صحيانها ويعود في جنح الليل ، وقال له الشيخ بهادور : قد تسمح لك الليالي والايام برؤية تلك الجنية الفاتنة .

لقد أصبح لدى بلوط شوق لرؤية ابنة الجني عسيران ، لذلك كان يتحين فرصة تتاح ليمتع النظر من الجنية الصغيرة ، وكما علم من بهادور فمن الصعب مشاهدتها ليلا فهي لا تخرج خشية خطفها من احد فرسان الجن الذين يزيد انتشارهم في الليل .

تعلم الحدادة أو مبادئها الأولية ، وسر منه سيده عسيران وارتاح له وقال له مشجعا : اذا بقيت بهذه الهمة ستصبح معلما كبيرا ومهما في بلاد الجن .

ـ انت يا معلمي اين تعلمت هذه الحدادة ؟

ـ نحن نرث المهنة وراثة يا معلم بلوط .. وبما انني لم الد ولدا ذكرا يرث مهنتي سينتهي خبر سلالتي مع الحدادة .. إلا اذا تزوجت ابنتي الوحيدة من سلالة حداد وانجبت الابن الذكر

فيرث العائلتين .

ـ الا يؤذن بالزواج من نساء الجن ؟

ـ هذا صعب وفيه بأس على الذرية .. أين سيعيشون في بلاد الانس في بلاد الجن؟ .. لذلك لا تطمع نفسك بالاقتران ببنات الجن .. اذا صبرت معي ، وظللت عاقلا ، سأحررك عند العشر سنوات وتعود لبلاد كفر الذرة .

ـ سأصبر يا سيدي واكون التلميذ المخلص لك يا سيدي .

ـ ارجو لك ذلك .. لقد خان الكثير من الإنس عندما واطأوا بلادنا وتعرضوا للأذى من الجنون والموت .. فقضاتنا لا يرحمون الخونة ..

قال : سأبذل جهدي لأكون لك صديقا يا سيدي عسيران ! وارضى بقدري

ـ هذا خير لك ايها الشاب .. وخير لأهلك ، قد تعود لهم يوما من الايام .

قال : أتبعد كثيرا هذه البلاد عن بلاد الانس ؟

ـ قد تحتاج لسنوات للوصول لأول بلاد الإنس .. نحن لولا خفتنا وقدرتنا على الطيران كالطيور ما نصل لبلاد بني آدم .. لقد طلب منا قائد من قادة الجند صناعة ألف سيف يا بلوط وسيؤمن لنا معدن الحديد لصناعتها .. فأمامنا شغل جيد

قال : كم من الوقت تحتاج منا يا سيدي ؟

ـ حسب همتنا ، وأقلها ستة اشهر وعلى الاكثر سنة .. وسيكون لك مكافأة على كل سيف يتم إنتاجه .. واذا ابدعت سنكرر العمل مع قائد اخر .

قال : ستجدني كما تحب وترغب .. واصبر هذه السنين حتى ترد لي حريتي وتعيدني لبلادي واهلي .

ـ سأفعل اذا أحسنت صحبتي ، وكنت كما أرجو ايها الشاب الصغير .. كيف أنت وبهادور ؟

قال : هو رجل شيخ كبير .. وأنت تحتاج لبستاني أصغر سنا منه .. فالبستان يحتاج لشغل وتعب يا سيد عسيران

ـ أتطمع أن تعمل مكانه ؟

قال : لا أستطيع العمل في مكانين .. لكنني ادعوك للبحث عن اسير جديد ليساعده يا سيدي فهو قد بلغ من الكبر عتيا .

ـ قد لا يسمح لي القاضي بأسير آخر .

قال : عندي ترتيب اخر

ـ ما هو ؟

قال : أن تسمح لي بالعمل معه يوما في الاسبوع أساعده وأحفر معه وأسقي معه .. كل اسبوع يوم واحد .

ـ فكرة جديرة بالنظر ايها الشاب الذكي .

خوخ

استيقظ الشاب الثالث الغازي لجبل وغابة الجن فوجد نفسه طريح الصحراء ، فظن للوهلة الأولى أنه يستيقظ من منام ، ثم وعى للأمر وأنه في جوف الصحراء ، ووعى أن الجن انتقمت منه لاقتحامه الغابة مع رفاقه تطلع يمينا يسارا قريبا بعيدا باحثا لم يجد إلا نفسه .

فنهض قائما واتخذ دربا فإما أن يهلك ويموت عطشا وجوعا وإما تكتب له النجاة .. ومن حسن حظه وجد في قربته بقايا الماء فبلل شفتيه ، ومشى نحو المجهول ، وتابع المشي رغم دخول الظلام على الصحراء لكن ضوء القمر والنجوم ساعده في اجتياز مسافات حتى وجد نفسه قبيل الفجر عند بئر ماء ؛ حيث وجد الأغنام والرعاة فارتوى من الماء ، وملأ القربة وسأل الرعاة عن أقرب المدن لهذه الصحراء حتى أن احدهم قال : أنت لست من الجن ؟

قال : لا ، أنا من بني آدم أريد مدينة الجن .

ـ ولماذا أيها الإنسي ؟

قال : احمل رسالة لملكهم .. ألستم من رعاة الجن ؟

ـ بلى .

قال : أين أسير للوصول لمدينتكم ؟

قدموا له حمارا وقالوا : اركب هذا الجحش أيها الرسول وستصل لبلاد الجن .

شكره خوخ وارتقى على متن الحمار وتابع سيره وسمع احدهم يقول : كيف وصل لهذه الأرض غريب .. يبدو أن احد الجن تركه هنا ليدخل المدينة ماشيا على اقدامه .. هل سيعود حمارنا ؟

قال : اذا لم يتعرض للوحوش سيعود .. فسيمرون على طرف غابة عربان وهي لا تخلو من السباع .. نتمنى لهم النجاة والسلامة .

وظل الحمار يسير براكبه حتى دخل الليل وصلا اطراف المدينة ، والله سلم من لقاء الوحش .. وعند نصف الليل وجد خوخ نفسه في الاماكن المعمورة .. فنزل عن الحمار وساقه لعين الماء وشربوا جميعا ثم اخلى سبيله وكر الجحش عائدا إلى أطراف الصحراء حيث الرعاة .. الذين لما شاهدوا حمارهم حيا ادركوا ان صاحبهم نجا من غوائل الطريق للمدينة فحمدوا رب البرية على ذلك .

اما صاحبنا خوخ فقضى بعض الوقت نائما قرب العين حتى فاجأه رجل فايقظه فقال : ألا تعلم أنه لا يجوز الاستلقاء هنا ؟

قال : أنا غريب ، وجئت من بلاد الانس

ـ أنت إنسي وماذا تريد ؟

قال : ابحث عن عمل وشغل في بلاد الجن .

قال : أتعمل معي أيها الفتى ؟

قال : ماذا تعمل أنت ؟

قال : أنا فران وجئت اخذ بعض الماء للعجين .. ولدي مكان لعملك ومنامك

ـ سأجرب العمل معك أيها السيد .

قال : اسمي فلوان الفران ومخبزي قريب من هذه العين يا انسان

قال : وأنا اسمي خوخ من بلاد كفر الذرة

وقص عليه قصة قمع ومغامرة جبل الجن ، وحمل خوخ دلو الماء عن الخباز وتبعه إلى مخبزه القريب من عين الضبع .

لوز

تركنا لوزا وقد حكم عليه بالسجن في مدينة الجان وحبس في قصر الضيافة ريثما يرحل إلى احد سجون المدينة أو يسترق لاحد الأسياد ، قضى اياما في محبسه وهو يفكر بالهرب قبل ان يؤخذ من القصر .. فذات ليلة بعد معرفته للمكان بشكل جيد من خلال نافذة غرفته ..فبعد نصف الليل بوقت يسير هبط من النافذة بواسطة بعض الثياب التي وجدها في الغرفة وحولها لحبل ، ونزل بواسطتها الى ارض البستان وتسلل نحو الجدار المختار وتسلق على الأشجار ومنها إلى السور ثم تعلق بالسور وألقى بنفسه على الأرض وهو يحسن القفز والتسلق من صباه حيث الشجر ومطاردة الطيور .

وابتعد عن القصر مئات الاذرع ثم اخذ يركض في الظلام حتى دخل المدينة التي عرف مكانها من الخدم في قصر الأضياف ، وصعد أحد الجبال المطلة على المدينة ، وقرر الاختفاء بين الجبال والغابات بضعة أيام حتى يخف ويضعف الطلب عنه .

ونفذ ما خططه ثم مشى إلى احدى المزارع البعيدة وعرض نفسه على صاحبها أو وكيل صاحبها وزعم له أنه أتى من بلاد الانس للعمل في بلاد الجن ، فعجب الرجل من جسارته ورحب به ، وكساه ثياب الفلاحين ،وكلفه بالعمل معهم .

وقضى اشهرا يعمل مع عمال المزرعة ، وكان يساعد في رعي الاغنام وحلب الأبقار حتى أن وكيل المزرعة وعده أن يقدمه للأميرة لعلها تنقله للخدمة في احد قصورها ، ففرح لوز بهذا الامر واخذه الشوق والولهة لرؤية الاميرة الجنية .. وقد وجد بعض الانس يعملون مثله مع فلاحي الجن .. إما دخلوا بلاد الجن بالخطأ أو اعتدوا على أملاك الجن فجيء بهم إلى هذه المدينة اسرى ورقيقا أو خطفوا من بلاد الإنس رغم أنوفهم .

طاب له المقام في تلك المزرعة وزاد شوقه لرؤية مالكة هذه المزرعة وغيرها ، فاخبر أنها تأتي

المزرعة في الصيف لقضاء بضعة أيام ثلاثة أو خمسة ثم تختفي للموسم القادم ، ووكيلها هو الذي يرسل لها الفواكه وغيرها بالعربات ، وقد عرفها لوز وحمل الكثير منها ، وذات صباح طلب منه سيد المزرعة صحبة الرعاة لعدة أيام لأن موعد ولادة الكثير منها قد اقترب .. وليست هي أول مرة خلال هذه الأشهر يرافق الرعاة إلى حيث المراعي .. وقضى سبعة أيام بصحبتهم ، ولما قفلوا عائدين علم الشاب أن الأميرة زارت السيد واطلعت على نشاطه وجهده ،ولم تطل إقامتها يوم وليلة فقط .

فاغتاظ لوز من سيده وعاتبه بذلك فضحك الرجل : لم أعلم أن الأميرة ستأتي إلينا فبعد سفركم بيومين حضر رسولها ولم يكن لدينا وقت لطلبك وهي ايضا كانت في عجلة لأن أختها ستحتفل بزواجها .. سأسعى لك للعمل في قصر الأميرة إما مزارعا أو راعيا أو خادما .. فهي تطلب منا مثل ذلك .. بدل الذين يموتون يكبرون يضعفون بسبب المرض والسن والحوادث .. وأنت خير من يعمل في قصرها .. فاذا أرسلت في طلب أي صنف ستكون أولهم تابع عملك بنفس الهمة التي عهدتك عليها يا ولدي يا لوز .

ـ ابشر أيها السيد .

ارتاح الحداد عسيران للشاب النشيط بلوط ، واعجب بفكرته مساعدة البستاني بهادور يوما في الأسبوع ، وترك له اختيار احد أيام الاسبوع ليعمل في بيته وأرضه ، وشكره البستاني على هذه النخوة والهمة ، واعترف له بكبر سنه ووهنه عن الحفر حول الاشجار وزراعة الحبوب والبقول وبذل الشاب همته ونشاطه ، فهو فلاح قروي ابن فلاح ، فالزراعة حياته ومهنته منذ الصغر .

لقد رأى الجنية جمال السماء بنت الحداد عندما تنزل البستان آخر النهار للتفرج على الطيور والأشجار والأزهار والثمار ، ويقطف لها البستاني ما تختار من الاثمار .. وبعد تجوال تجلس تحت احدى العرائش ، وترافقها في بعض الأيام الجارية إن لم يكن لها عمل تلك الساعات في داخل البيت .. وبعد حين تعرفت على الشاب بلوط مساعد بهادور .. وهي تعرف بوجوده وأنه أسير والدها في دكان الحدادة ، وأعجبت بشهامته وحبه وشفقته على العجوز بهادور .. وكان العجوز

يرسله بأطباق وسلال الفاكهة التي استحسنها للسيدة ؛ حيث تجلس في عريشها ، وأحيانا يجد أمها تصاحبها ، فيدع الأطباق وسلال الفاكهة وينصرف سريعا جهة بهادور ، ومضى على هذا الحال شهور وشهور ؛ ولكنه بدأ يلحظ أن الفتاة الجنية كانت تحرص على النزول في يوم عمله للبستان ، وتطيل المقام على غير العادة كما فهم من بهادور .. وظل يمثل دور الجاهل والساذج ويقلل من الكلام معها .. حتى بدأت تأنس به ولوجوده حتى أن الحداد الجنى اخبره أن ابنته تطلب منه زيادة يوم آخر لمعاونة الشيخ بهادور .. فمنذ بدأ يعمل معه ضعفت همة الرجل عن العمل ..فاصر بلوط على العمل يوما واحدا في الارض وستة في المحددة .. فازداد الجنى له حبا لأنه من الصعب الحصول على أسير آخر تلك الأيام .

أصبح بلوط متقنا لعمله مع الجني ، ويعرف أهم الأعمال المطلوبة ، ومضت سنتان على هذا الحال ، وأخذ اسم بلوط يبرز بين الحدادين .. وزاد القرب بينه وبين ابنة الحداد ، ويطول بينهم اللقاء حول الزراعة والشجر والحدادة ، وأخذت تهتم بعمل والدها .. واخذ الجني يخشى من تطور الأمر بين وحيدته والأنسي ، ويتحسس ذلك ؛ ولكنه يهدأ لما تطمأنه الزوجة عن حسن سيرته ، ولم تلحظ بينهما أي ود فوق السيد وخادمه .. وكان الحداد يخشى تعلق ابنته ببلوط .. فهو يثق بغلامه ومن الصعب أن يتطاول على سيده ؛ لكن اذا فتحت فتاته المجال للشاب فربما يحدث بينهما ما لا تحمد عقباه ، ففتاته أصبحت في سن الزواج .. وأحس بأنه تسرع بنقل الشاب للعمل في البساتين فقد ضعف بهادور لآخر درجة ، فجل اعتماده على عمل بلوط وطابت له الراحة ، فكان بلوط يعمل عمل أسبوع من نشاط البستاني .

إذن هناك هواجس وقعت في قلب الحداد عسيران من تصرفات وحركات فتاته ، وكثرة حديثها عن بلوط ومدحه وذكاء الانس وفطنتهم واتقانهم للعمل .. حتى أنها صارحته ذات ليلة سائلة " لماذا لا يتزوج الجن من الإنس يا أبي ؟".. إنها تفكر كما تفكر الاناث .. وهي لا ترى من الرجال إلا هو والبستاني الهرم والشاب بلوط .. فيبين لها اختلاف جنس الجن عن جنس الانسان كما لا يتزوج الانسان والجن من الحيوان كذلك لا ينكح الانس الجن .. وأخذ عسيران

يفكر بزوج لها قبل حدوث عشق بين فتاته وأسيره .

كان بلوط متعلقا ببنت الحداد ؛ ولكنه كان يعيش بين الخوف والصبر، ويرى صعوبة الزواج منها قبل أن تبدأ هي .. فهي جنية ووحيدة الأب وهو عبد أسير لأبيها .. فترك الأمر للأيام واحس بأن الفتاة تميل إليه ، وهي مثله قلقة ومترددة في عشقه والغرام به رغم ما تتكلم به العيون وبعض الكلام .. فهي لابد أنها تخشى على حياته من غدر أبيها .

الأميرة

كان الشاب لوز متلهفا لرؤية الأميرة التي يعمل مع أعوانها زاعما الطمع للعمل في قصرها والقرب منها ؛ لعلها تعطف عليه بالعفو وتخرجه من مدينة الجن أو ترخص له بالزواج من نساء الجن بسلام وأمان ، لذا حينما حضرت للنزهة وقضاء أيام في قصر البساتين ، كان قيم الأراضي يرسل لوزا بالفاكهة لقصر الأميرة ، ولما انتهت المدة استطاع الشاب أن يلحق بها لحاجتها لأسرى يخدمونها في قصرها في المدينة ، وفتن الشاب بالقصر والجواري ، وحلم بأن يكون زوجها فهي من غير بعل .

بعد حين زاراها شقيقها الأكبر نور الدنيا ، وبصحبته الأمير شمس الأسمر ابن عم لهما ، وتبين لها أنه قدم ليخطبها ويتزوجها، فرحبت به ، وبشفاعة شقيقها الأكبر ، وطلبت مهلة للرد .

فقال الشقيق : أيتها الأميرة بلسم الزمان حبيبك نور الليل تزوج الملكة شفق السماء ، ولم يرفض عرض الملكة ونسيك .. وابن عمنا شمس الأسمر قبل بك لصداقتنا ومصالحنا

قالت : نعم الصديق أيها الأمير ! لم اشف بعد من خيانة نور الليل ، ومع غدره يتودد إليّ يا ابن أبي فهو قد ندم من تركي وهو عبد ذليل للملكة شفق فلها عشاق وزعم أن الملكة أجبرته على نكاحها وهددته بقتلي ولم ترحم وتشفق على حبنا

قال شمس بحدة : كذب أيتها الأميرة ! قارن بين ملكة ومجرد أميرة .. هفت نفسه للملك وأن يقال زوج الملكة .. أمير قبيح .. لها عشاق.. أين أسرتها؟

قال نور الدنيا: هذا كلام الغادر لم نسمع به

قالت : هذا ما اخبرني به من عهد قريب

قال شمس : احذري أن تعلم الملكة بتودده إليك

قالت : افكر بالرحيل إلى قصري وأرضي

نور الدنيا: الأفضل الزواج بأسرع وقت من ابن عمنا ، فيختفي نور الليل من حياتك فيعلم الجميع انك نسيته وانتهى من حياتك

قالت : وهل يحميني الزواج من غضب الملكة ، فهي تعلم حبنا وغرامنا أيها الأعزاء

نور الدنيا: عندما تصبحين زوجة سيكف من التودد إليك

قالت : دعوني افكر بروية وتأني

شمس الأسمر: إلى متى؟ أسبوع .. شهر

قالت :سأرسل لكما

شمس الأسمر: رأيت إنسيا أمام القصر

قالت : نعم ، دخل البلاد ، واسترقه القيم واحضره لخدمتي مع الأسرى الآخرين .. وجدوه في غابة وجبل الجن، وهو صغير العمر

نور الدنيا: لي زمن لم يأت أعواني بإنسي من الغابة ؛ كأنهم قلوا من الصعود والفضول

غادر الضيفان القصر بعد العشاء وهما يطمعان بسماع الجواب قريبا.

دعت الأميرة لوزا وقيمة القصر وجاريتها الخاصة ، وسمعها لوز تتحدث عن سبب قدوم شقيقها وابن عمها ، فتألم لوز وقال : أترغبين بالزواج منه؟

قالت : ما رأيك أيها الإنسان ؟

قال مرتبكا : عفوا مولاتي ! ما أنا إلا خادم .

قالت : لك سنوات تعمل في أملاكنا فصرت منا، ولا بد من زواج .

قال مرددا: لابد من زواج ! زوجيني جاريتك هذه.

قالت ضاحكة : أتحبها يا لوز؟

قال : أنا أحبك أنت! لكنك أميرة.

ضحكت النساء وقالت القيمة : قد يقتلك الجن لو تزوجت أميرة.. والجارية صعب زواجك منها القانون يمنع ذلك

قالت الأميرة : انصرف يا غلام .وادركت تعلق الأسير بها فقالت للنسوة بعد ابتعاده : يحبني الإنسي يا أم اليسر!

قالت : فقد عقله يا مولاتي يرغب بالجارية !

رفضت الجارية فكرة الزواج والاقتران بأسير من جنس الإنس .

قالت الأميرة : الخلق بحاجة لزواج.

قبلت الأميرة الزواج من ابن عمها بحديثها مع الشقيق الأكبر وبدأت الإعدادات لإعلان الزواج وإشهاره للملأ ، وعرضت الأميرة على لوز عتقه ، وإرجاعه لكفر الذرة فرفض العرض ، وأصر على البقاء في قصرها ، فاستغربت تعلقه الشديد بها ، وعشقها المبرح ونقل للعمل في البساتين ورحلت إلى قصر زوجها ابن عمها وقضت ثلاث سنوات حليلة له وعلم ابن العم أن زوج الملكة يتودد إليها فلامها في ذلك.

فقالت: اكشف أمره للملكة .. أنا عاجزة عن منعه وهو غير مقتنع أنني هجرت حبه.

علمت الملكة برسائل زوجها الخفية للأميرة ، وحاول الإنكار ؛ولكن جاريته أقرت بنقل رسائل للأميرة فأمرت بحبسه وتطلقت منه وأمرت بنفي الأميرة حتى يموت زوجها فطلقها ابن عمها خشية تعرضه للقتل والأذى وغادرت البلاد بسلام .

وبعد زمن دخلت البلاد سرا والتقت بلوز الذي توسل بالزواج منها، فرفضته وأمرت قيم قصرها بنقله لبلاده كفر الذرة ،ولما استيقظ وجد نفسه على أطراف القرية .

عشقت ابنة الحداد الشاب بلوطا ، وطلبت من أبيها أن يزوجه إياها ، فهدد أبوها بقتله أو رميه في غابة الوحوش وامتنع بلوط من العمل في البستان ، وكانت البنت تهدد بقتل نفسها إن لم تزوج من الأسير بلوط وأنها مستعدة للذهاب والعيش في بلاد الانس .

وأصر الحداد عسيران على الرفض ، وتدخلت الأم وحببت لزوجها زواج ابنته من بلوط ووصلت الأم بالتلويح بالطلاق إن لم يحصل الزواج ، وبعد سنوات لان الحداد عسيران وأنكح وحيدته من بلوط . وعاش معهما بلوط بسعادة ولما توفي الحداد بانتهاء الأجل أمرت أمها الأرملة بنقل بلوط إلى كفر الذرة خشية اغتياله والفتك به من أقارب عسيران لتزويجه ابنته لأنسي ، فقام احد أبناء أخواتها بالمهمة ، ووعد بالتحاق جنيته به على اثر وفاة الأم ، وهذا ما حصل في النهاية ، وكانت الجنية ترسل المال لبناء بيت خاص بهما وتذكره الناس الذين ادركوه شابا يافعا قبل ثلاثين سنة.

وزاره لوز وتعرفا على بعضهما بعد كل هذه السنوات ، وتذكروا أن رفيقا ثالثا رافقهما ثالثا في الصعود إلى جبل وغابة الجن ، وفرح لوز بتمكن الشاب بلوط بالزواج من جنية وينتظر مجيئها بعد موت أمها ، وأسف بلوط لفشل لوز بنكاح جنية في بلاد ومدن الجن .

أما خوخ فعمل مع الفران والخباز فلوان سنوات بعد سنوات ، وكان الفران قد زوجه ابنته قبل وفاته أثر مرض دهمه ، ثم انتقل خوخ للعمل مع خبازي قصر الملك بعد وفاة الفران ، وكان ابن عمّ الفران خباز في القصر الملكي .

ولما مرض خوخ مرضا شديدا ، حقق له ابن العم رغبته بالعودة لقريته بصحبة ابنة ابن العم وقد قبلت بالرحيل معه، وأعطاها مالا كثيرا لبناء بيت يليق بها في بلاد الإنس ، ودفع إليها عددا من الحمام الزاجل لتتواصل معه.

ولما وصل القرية تفاجأ بأحوال القرية المتغيرة وأصابته الدهشة بلقاء لوز وبلوط وفرح بزواج بلوط بجنية مثله ،وأقام بيتا بجوار بيت بلوط ليكون جارا له ولما تعود زوجة بلوط تجد جنية تعيش بجوارها .

بينما لوز في أرض والده يعمل أخبره أحد الفلاحين أن امرأة ترغب بالحديث معه فذهب لمقابلتها ؛ فإذا هي الأميرة المنفية ، فقبل يديها كما كان يفعل ، وعلم أنها أتت لتتزوج منه، فقبل قدميها ، وأعطته المال لإنشاء القصر والبستان ،وحين ينتهي العمل سيتزوجان وفرح

صديقاه خوخ وبلوط بهذا الخبر ، ونشط ببناء القصر قصر الزواج ، وقد حقق حلمه بالزواج من جنيات غابة الجن كما كان يسمع حكايات قمع عن جنيات جبل الجن كما سعوا لذلك قبل ثلاثين سنة بالصعود لجبل الجن .



منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

جواهر القصص

جمال شاهين

كفر الذرة

كفر الذرة


حجر القمر
حكاية حسن وحليمة
حمار مسحور
وحش الغابة
الدنيا الساحرة
المغارة السحرية
حفيد الهدهد
كفر الذرة

حجر القمر

حجر القمر

حكاية حسن وحليمة

حمار مسحور

وحش الغابة

الدنيا الساحرة

المغارة السحرية

حفيد الهدهد

كفر الدرة



جواهر القصص